

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمداً لمن سرَّح عيونَ البصائر فى رِياض النِّعَم ، رياض زهَت فيها رياحين العقول ، وتفتَّحتْ بنسيم اللطف أنوار الحِكَم ، فاجْتنَت منها أيدى المُنَى فواكه الأرواح ، واقتطفت شَقيق الشَّقيق من بين أقاحِي الصَّباح ، والنَّدَى طرَّز[1] برد النسيم ببَلالِهِ ، لمَّا رأى مجامِرَ الزَّهْرِ تحت أذياله .

مِن قبل أن ترشِف شمسُ الضحى   ريقَ الغَوادى من ثُغُور الأقاحْ

وأشكره شكراً يطوِّق جيدَ البلاغة نظيمُ عقوده ، وينسِج ببَنان البيان على مِنوال البراعة رقيقُ بُروده ، على نِعَمٍ لا تفنَى من معادن الوجود جواهرُها ، ولا تذْوِى[2] من خمائل الفصاحة أزاهرُها .

ونُهدِى صِلات الصَّلاة لناظم عقد الدين بعد نَثْره ، المُؤيَّد بآياتٍ لا يزال يتلوها لِسانُ الدهر ولو طار نَسْر السماء من وَكره ، وكَلَّت[3] دونها ألسنةُ أسِنَّةِ الطَّاعنين ، وحُمِيت حديقتُها بشوكة الإعجاز فلم تلمسْها يدُ أفكار المعارضين ، فصار السابقون فى حَوْمَة البلاغة ، الماهرون فى صناعة الصِّياغة ، ما بين ساكتٍ ألْفا ، وناطقٍ خَلْفا[4] ، ومُشمِّرٍ ذيلَه ، ومُدَّرِعٍ ليلَه ، تسرْبَل سابغةَ دُجى ، قَتِيرُها[5] نجومُ ليلٍ دجا ، حتى اشتفَتْ نفسُ الإسلام من دائهم ، وزال كَلَب الكفر بما أُريق من دمائهم ، فبيوتُهم خاوية ، ونفوسُهم على أثر تلك البيوت قافية .

---

(١) فى ا ، ج : « طرا » .

(٢) فى ا : « تزوى » وفى ب ، ج : « تروى » .

(٣) كلت : « فترت » .

(٤) الخلف (بالفتح ثم السكون) : الردىء من القول .

(٥) القتير : الشيب ورءوس مسامير الدروع .

وعلى آلِهِ الذين تفتّحت لهم كمائمُ المعاقل عن زَهرة[1] النّصر ، وتحلَّى بعقود عُهودهم جِيدُ كلِّ عصر .

لجنَـــــوا لهم ثمرَ الوقائع يانعاً ... بالغُرِّ من ورق الحديدِ الأخضرِ

لا زالت سُحُب الرّحمة المُطَنِّبة[2] بالقطر مخيِّمةً على مراقدهم ، ولا برحَتْ تحايا المُزْن مُهينِمة[3] بلسان الرّعد على معاهدهم ، ماسقى غديرُ المجرّة روضةَ السماء ، وزَها نَرجِس النّجم تحت بَنفسج الظَّلماء .

هذا وإنى كنت قبل أن تُشيب[4] منّى الخطوبُ الذّوائبَ ، وتصبحَ كبدى وأحشائى بلظَى النّوائب ذوائبَ ، والزمان ربيعٌ ، ورَوض الشباب مَريع ، أعد الأدبَ عنوانَ صَحائفِ الشّمائل ، وبيْتَ القصيد فى ديوان المآثر والفضائل ، أُنفِق نَقْد عمرى فى اقتنائه واقتناصِ شوارده ، وأملأُ صدَف المسامع مما يستخرج غوّاصُ الأفـكار من فرائده ، وأَشِيم بارقةَ السّحر من نَفَثاته ، وأشُمُّ عبِـير السرور من أرْدَان نسماته ، وأرتَشِف من طَبْعى[5] ما يَنِمّ على سرِّ الزُّجاجة ، وأشْتَفُّ[6] منه ما أسْأَرَته الجدودُ من ذُؤابة خفاجة ، صُبابةَ مجدٍ لم يـكدِّرها فى جام المشارب وِرْدُ الخطوب ، وازْدِحامُ الشّوائب .

فإنّى من العرب الأكرمين ... وفى أوّل الدهرِ ضاع الـكرمْ

وما زلتُ على هذا الحال ، منذ فارقنى الحال ، لا دأب لى إلا تلقى وفُودِه ، لاسْتهداء تُحَفِ الأخبار التى هى ألطفُ من دمع الطَّلِّ فى وجَنات الأزهار .

ومَن يسألِ الرُّكبانَ مَن كان نائيا ... فلا بُدَّ أن يلْقَى بشـــيراً وناعِياَ

---

(١) فى م : « زهر » .
(٢) طنب الشيء (بالتشديد) كثر حتى لا يرى أقصاه من كثرته .
(٣) الهينمة : الصوت الخفى .
(٤) فى ب : « يفوق » . وفى ج : « يفرق » .
(٥) فى ب : « سمعى » .
(٦) فى ا ، ب : « وأستف » ، واشتف ما فى الإناء : تقصاه .

مِن أحاديث يُشتَفى[١] بها الغَليل ، ويصِحُّ مِزاج النَّسيم العليل ، تنفتِح منها[٢] فى رياض المُسامَرة ، مِن أجْفان الكمائم عيونُ أنوارِها الزَّاهرة ، ويحسُو فَمُ السَّمع منها ماء حياة يُطيل عمرَ المسرَّة ، وتكتحِلُ منها المآثرُ بما هو لعيونها قُرَّة ، مِن كل مَن هو لتَشْييد المجد أكرمُ بانِى ، حتى تكفل الثَّناء له بعمر ثانى ، يشِيب فى وجه السماء حاجبُ القمرِ هلالا ، ويشتعل[٣] رأسُ الشمس شيباً ولم يرَ[٤] له مِثالا .

إذا ما روَى الإنسانُ أخبارَ مَن مضى   فتحسَبُه قد عاش مِن أوَّلِ الدهرِ

وتحسَبه قد عاش آخرَ دهرِه   إلى الحشْر إنْ أبْقى الجميلَ مِن الذِّكرِ

فقد عاش كلَّ الدهرِ مَن عاش عالمًا   كريمًا حليماً فاغتنِمْ أطولَ العُمرِ

وسواء تلفُّتُ المريض للطبيب ، وفَرحةُ الأديب بلِقَا الأديب ، لا سيَّما أهل العَصر ، الهاصِرى أغصانَ المُنَى ألطفَ هصْر ، القائلين فى رياضِها[٥] ، الواردين نَميرَ[٦] حياضِها ، فقد سرَتْ كلماتُهم مَسْرَى الأرواح فى الأجساد ، وأُثْنىَ عليها ثناءَ نسيم الرياض على العهَّاد ، وقد انتصر لكلِّ عصرٍ مَن أحْيا ميْتَه ، وعمَّر من دارس عهودِه بيْتَه[٧] ، كصاحب « اليتيمة » و « قلائد العِقْيان » ، و « الدمية » و « الذخيرة » و « عقود الجُمَانَ » ، وحَمِيَّةُ المرء لعصرِه ، وقيامُه على منابر نصْرِه ، من آياتِ الفُتوَّة ، التى هى على لسان الحَمِيَّة متلُوَّة ، فليس منَّا مَن لم يَغْتَذِ بدَرِّ المجد فى مِهادِه ، ولم يفتخِرْ فى المحافل بأُستاذِه وإسنادِه ، إلا أن الأدبَ[٨] فى هذه الأعصار ، قد هبَّتْ على أطلالِه ريحٌ ذاتُ إعْصار ، حتى أَخْلَقَتْ عُرَى المحامد ، واسترْخَى فى جرْيِه عِنانُ القصائد ، وتقلصتْ أذيالُ الظِّلال ، وخطب البلاء[٩] على منابر الأطْلال ، وعفَا رَسْمُ الكرام ، فعليه منِّى السلام .

---

(١) فى ا : « يشفى » .

(٢) فى ا : « يتفتح منها » وفى ج : « ينفتح فيها »

(٣) فى م : « ويشتعل منه رأس » .

(٤) فى م : « ولم نر » .

(٥) فى م : « غياضها » .

(٦) فى ب ، م : « عين » .

(٧) فى ا ، ب ، ج : « بيوته »

(٨) فى ا : « الأديب » .

(٩) فى ا : « البلى » .

وممَّا أعانَ عليَّ الزمانَ عَفافُ يدِى وعُلُوُّ الهِمَمْ

والرُّؤساء شعراء لا ينظِمون ولا ينثرون ، وما[1] فيهم مِن صفاتِ الشُّعراء إلا أنَّهم يقولون ما لا يفعلون ، وإذا كذَب مادحٌ أحدَهم اهْتزَّ وطرِب ، وجازَى مِن سَراب وعدِه بكذِب على كذِب ، وبالوعد الفَطير لا يخمِّر الخمِير .

* وبأحْسَنْتَ لا يُباع الشَّعيرُ *[2]

وبرَعْد الوعد ، لا يُسقَى غَرس الحمد .

فلا تلومـــوه فى وَعدٍ يُرَدِّدُه فى وقتِ مدْحِى له علَّمْتُه الكذبا

ومع هذا ، فكم هبَّتْ لهم أنفاسٌ معطَّرةٌ بالنجاح ، مُزْرِية فى وقتها بأنفاس الصَّبا فى الصَّباح ، يهزّ لها السَّماحُ هِيف معاطِفه ، وينشرُ تحت أقدامِها الزمانُ بِساطَ عواطِفه ، تتمسَّك كفُّ الشَّمال بأذْيالها ، وتتفيَّأ العشَّاقُ فى هجير الأشواق ضَافِىَ[3] ظلالها ،[4] وترِدُ صافىَ زُلالِها[4] ، مِن كلِّ حديثٍ تَليد وطارِف ، له وَشْىٌ على كاهل المجدِ ولا كوَشْىِ المطارِف ، تزهُو به الطُّروس على صفحاتِ الخدود المُحَسَّنات[5] بالسَّوالِف ، فى كل ورَقةٍ منها خمائل ، تسوغُ مياهُ فصاحتِها فى لَهَواتِ الجداول .

تـكادُ يدِى تندَى إذا ما لمستُها وينبُتُ فى أطْرافِها الورقُ الخُضْرُ

مِن كل مَن ألحق المتأخِّر بالمتقدِّم فى تطْبيق مفاصِل معانيه ، وإخراج مُخبَّآتِ عِطْره من جُونَة[6] مبانِيه ، وإن تأخَّر عصرُه فلا بَاس ، فى تأخُّرِ النتيجة عن القِياس ، والخدمُ تتقدَّم بين يدَىِ السَّادة ، والسُّنَن أُمِر بتقديمها على الفروضِ فى العبادة ، وتقدُّم الآحاد ، يرقى مرتبةَ الأعداد .

---

(١) فى م : « وليس » .
(٢) فى ا ، ب : « وبالحنطة » وفى ج : « وبما حسنت » وانظر التمثيل والمحاضرة ١٠٧ .
(٣) فى ج : « ضالى » وفى ب ، م : « صافى » (٤) زيادة من : م .
(٥) فى ا ، ب ، ج : « المحشاة » .
(٦) الجونة : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطارين . القاموس (ج و ن) .

أو مَا ترى أن النبيَّ محمداً   فاقَ البرية وهْو آخِرُ مُرسَلِ

فيا أدِلَّاء الهُدَى إنِّى آنستُ من جانب الطُّور ناراً بها تهتدون ، أو آتيكم بِشهاب قبسٍ لعلكم تصطَلون ، فإن لم يترُك الأوَّل شيئاً للآخِر ، فخيرٌ من الكثير الغائب القليلُ الحاضر ، ويا مَن هم فى مُحيّا الأيام حسَنة ، لقد كان لكم فى رسول اللهِ أُسْوة حسَنة ، فلا يُزْرِ بالنَّوْر تأخُّرُه عن غِراس أغْصانِه ، ولا يُكِلّ مَضاء السِّنان كونه فى أطْراف مُرّانِه[1] ، على أنه قد تتساوى الأصائلُ والبُكُر ، وتتشابه طُرَرُ العشيَّات والسَّحر ، وليس إلا للحسد رغِبت[2] الطِّبائع ، عن محاسنَ للعصرِ[3] هى مِلءُ الأفْواهِ والمسامِع .

وما شُكْرُهم للمَيْتِ إلَّا لأنَّه   بما حلَّ فى أيديهِمُ غيرُ طامِعِ

وللهِ دَرُّ ابن رَشِيق ، فى قوله :

أُولِعَ الناسُ بامْتداح القديمِ   وبذمِّ الجديدِ غيرِ الذَّميمِ
ليس إلاَّ لأنهمْ حسَدُوا الحىَّ   فرقُّوا على العظامِ الرَّميمِ[4]

[5]والحُرُّ وإن حلَّ تيهاً وَبادِية[5] ، فستغدُو محاسنُه على رغْم الخمول بادية ، ولنا فى ذِمَّة الدهر ديونٌ بأوقاتها مرهونَة ، فإذا جاء إبَّانُهَا فكَّ الزمانُ رُهُونه .

على أنِّى أستغفر اللهَ مِن دهرٍ كلَّت فيه مُرهَفاتُ الطِّباع ، ونفَضت الآمالُ فيه يدها من غُبار الأطماع ، وَافيْناه على الهرَم ، وقد قلع ضِرْسَ النَّدم ، بعد ما أكل باكورةَ الكرماء ، وشابتْ بالصباح لياليه الدَّهْماء ، ودبَّ خَرِفاً على عصا الجوْزاء .

وكنتُ لما ذبُل بالنَّوى عيْشِى النَّضِر ، وَلَيْت سِياحةَ[6] الآفاقِ فصِرت خليفةَ

---

(١) المران : الرماح الصلبة اللدنة .   (٢) فى م : « الحسد رغبة » .

(٣) فى م : « لأهل العصر » .   (٤) فى ا ، ب : « ورقوا الى » وفى ج : « ومالوا الى » .

(٥) فى م : « والحى إن حل تيهاء بادية » .

(٦) فى ا : « وليت مساحة » وفى ج : « ووليت ساحة » .

الخضر ، تهادتني التنائف[١] ، وقذفتني الأماني في أهوات المخاوف ، كأني قذاة بأجفان الدهر ، أو سفاة[٢] بوجه نهر ، أو كرة لاعب ، أو سهم محارب ، طوراً أشقق[٣] قلب الشرق كأني أفتش على الفجر ، وتارةً أمزق كيس الغرب حتى كأني أريد أن أخرج منه دينار البدر ، أفلي لمة ليلٍ دجا ، شاب فوقها فرق ابن جلا ، يخيل لي[٤] أن البلاد مسامع أنا فيها مر الملام ، أو فكر بليدٍ أنا حوله[٥] معنًى دق أن تتصوره الأوهام ، غريبٌ في عيون الظنون ، كأني بيت حسان بن ثابت[٦] في ديوان سحنون ، أو مصحفٌ في بيت زنديق ، أو عابد في صومعة بطريق ، أو بكرُ معنًى سار في مثل ، أو غضٌّ عمرٍ جرى خلفه رائد أجل ، أو خبرٌ لم يصح له سند ، فلم يقبله من الثقات أحد ،

كأن له دَيْناً على كلِّ مشرقٍ   من الأرض أوثاراً لدى[٧] كلِّ مغربِ

أردُ مواردَ الحوب[٨] ، مكدرة بغصص الخطوب ، فلم أرب[٩] ببدوٍ ولا حضارة ، كأنني من الشهب السيارة ، وقد قيل تنزل الألقاب من السما ، فلكلٍ من اسمه نصيبٌ انحطَّ أو سما

وطني حيثُ حطتِ العيسُ رحلي   وذراعي الوسادُ وهي مهادي

فكل جولي بين إبراقٍ وإرعاد ، وأمانيّ في مهامه الحيرة بين إتهامٍ وإنجاد ، والزمان يضمر سلب ما أولاه بخلاً إن جاد[١٠] ، وألسنةُ أبنائه عن الإجابة صُمْت ،

---

(١) التنوفة والتنوفية : المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة . القاموس (ت ن ف) .

(٢) السفاة من السفى ، وهو كل شجر له شوك . (٣) فى م : « أشق » .

(٤) فى ا ، ج : « يخيل أن البلاد » . (٥) فى ج ، م : « أتاحوا له » .

(٦) فى م : « الثابت » . ويعنى بسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخى أبو سعيد ، صاحب « المدونة » فى الفقه المالكى ، توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر وفيات الأعيان ٢ / ٣٥٢

(٧) فى ب : « لدى » وفى م : « على » . (٨) الحوب : الهلاك .

(٩) فى ا : « ألب بيد » . وألب : أقام ، وفى ب ، ج « أرث » . وأرب بالمكان : أقام .

(١٠) فى ا : « بخلا وإن جاد » وفى ب : « بخيلا إن جاد » .

وآذانهم عن صَرِيخ الاسْتغاثةِ صُمَّت ، فقد خلاَ من المكارم[١] مَغْناها ، وأصبح لا يجاوِب البُومَ إلَّا صَداها .

لكننى مع أهواله ، ودُروس رُسوم السرور فى أطْلالِه ، وإن توسَّدتُ ذراعَ الهمِّ فى دياجيها ، وقطعتُ[٢] ظُلمةَ الشَّدائد فى سَنَا بذْرِ أمانيها ، أتعلَّل بأن السيفَ لا يقطعُ فى قِرابِه ، والليثَ لا يصِل لغرض الفرائس فى غابِه ، ولولا مُفارقة القوس ما أصاب سهم ، ولولا بُعْد[٣] الدُّرّ عن الصَّدف لم يَظفَرْ من الغِيد بأوْفَى سهم ، فلذلك أُضَاحِك مباسِمَ الأمانِى ، وأُغازِل عيونَ الآمالِ والتَّهانى ، وأُنزِّه طَرْفى فى رياضِ الدَّفاتر ، ولم أَقِل مع السرور إلا فى ظلِّ طائر ، فزمان مسرَّاتى[٤] أقصرُ مِن عمر الكرام ، وفؤادى لم يهتَدِ إلى طُرْق سَلْوة المُدَام ، فى أُوَيقات أثقل من السُّؤَّال ، وأطول من عمر الآمال ، أشْأمُ مِن وجه خنَّاس[٥] ، وأثقلُ من غريمٍ مُلِحٍّ على إفْلاس .

ولم يكْفِ الدَّهرَ ما ورَّثنِيه من الحِرمان ، حتى ابتلانى بعد الإثْبات بالنَّفْى كأنِّى نِكْتُ أُمَّ الزَّمان ، وأنا أستغفر الله جلَّ وعلا ، ولا أرْتضى بمعَرَّة أبى العَلاَ ، فى قوله[٦] :

إذا ماذكَرْنَا آدماً وفِعالَه ... وتزْويجَه لابْنَيْه بِنْتَيْهِ فى الخَنَا[٧]

---

(١) فى ا : « الكرام » .
(٢) فى ج : « وتقطعت » .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « فقد » .
(٤) فى م : « مسراتى » .
(٥) فى ا : « جباس » وفى ب ، ج : « حباس » .
(٦) خريدة القصر ، قسم الشام ٣/٢٥٢ ، مرآة الزمان (تعريف القدماء ١٧٩) ، معاهد التنصيص ١/٥١ ، معجم الأدباء ٣/١٦٥ ، نكت الهميان ١٠٦ ، النور السافر ٤١٠ ، الوافى بالوفيات (تعريف القدماء ٢٨٢ ، ٢٨٣)
(٧) فى م : « وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا » والمثبت فى ا ، ب ، ج : ويوافقه ما فى الوافى بالوفيات ، ورواية م توافق ما فى معاهد التنصيص ، ومعجم الأدباء ، وفى مرآة الزمان : « وتزويج لابنيه لبنتيه فى الدنا » ، وفى نكت الهميان : « وتزويجه لابنيه بنتيه فى الخنا » ، وفى النور السافر : « وتزويجه بنتيه بابنيه فى الدنا » .

عَلِمْنَا بأنَّ الخلقَ مِن نسلِ فاجرٍ   وأن جميعَ النّاسِ مِن عُنْصُرِ الزِّنَا (١)

فإنه كفرٌ مِن وَسْوسة الشياطين (٢)، وغُلُوٌّ مِنْه فى خَلْعِه رِبْقَةَ الدين (٣)، بل أقولُ ماقال ابن عُنَين (٤) :

انفُوا المُؤَذِّنَ مِن بلادِكُمُ   إن كان يُنْفَى كلُّ مَن صدَقَا

(٥ وللحسن بن أبى عُقامة فى الردِّ عليه ، أى على أبى العلاء :

لَعَمْرِىَ أمَّا فيك فالقولُ صادقٌ   وتكذِبُ فى الباقِين مَن شَطَّ أو دَنَا

كذلك إقرارُ الفتى لازمٌ له   وفى غيرِه لَغْوٌ كذا جاء شرعُنَا ٥)

فلا سَمِير لى أجالسه ، ولا نديمَ لى أُؤانِسه ، سوى أوراقٍ كنت خلعت عن مَنْكِب الإقبال بُرْدَها الخليع ، وجعلتُها كبَيْت العَرُوض ادِّخارُها للتَّقطيع ، فوجدتُ فيها نُبذاً (٦) مِن المحاسن أسرَّها الدهرُ فى خاطره ، شاهدةً لقوْلِ مَعْدِنِ الحِكَم : «أُمَّتِى كَالْمَطَرِ لا يُدْرَى الخَيْرُ فِى أَوَّلِهِ أَمْ فِى آخِرِهِ» (٧) ، ممَّن جرَّ عليه الزمنُ أذيالَ الفَنَا ،

---

(١) فى م ، ج : « علمنا بأن الناس » ، والمثبت فى ا ، ب ، والمصادر السابقة ، وفى ب ، م: « وأن جميع الخلق » ، وهى رواية توافق ما فى معاهد التنصيص ، ونكت الهميان ، والوافى بالوفيات ، والمثبت فى : ا ، ج ، ويوافقه ما فى مرآة الزمان ، ومعجم الأدباء ، والنور السافر .

(٢) فى م : « الشيطان » .

(٣) فى م : « ربقة الإيمان » ، وفى ج : « لربقة الدين » .

(٤) ديوانه ٩٤ . ونسبة البيت إليه ساقطة من : ج .

(٥) زيادة من : ج ، م ، وفى ج خلط ، ووضع الناسخ هذا قبل قوله : « فإنه كفر من وسوسة ... » والحسن بن أبى عقامة ، هو أبو محمد اليمنى ، وقد جاء اسمه مضطرباً فى ج هكذا : « ولأبى الحسن اليمنى » ، وقد ترجمه العماد فى الخريدة ، قسم الشام ٣ / ٢٤٥ – ٢٥٣ . والبيتان فيها صفحة ٢٥٣ وفى المصادر السابقة عدا معجم الأدباء ، وفى هذه المصادر عدا معاهد التنصيص : « لعمرك » ، وفى ج : « كما جاء شرعنا » ، والمثبت فى م ، ومرآة الزمان ، ونكت الهميان ، والوافى بالوفيات ، وفى النور السافر : « بذا جاء شرعنا » .

(٦) فى م : « نبذة » .

(٧) أخرجه الترمذى فى صحيحه (أبواب الأدب ، باب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٢ / ١٤٢ ، ولفظه : حدثنا قتيبة ، حدثنا حماد بن يحيى الأبح ، عن ثابت البنانى ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ أُمَّتِى مَثَلُ الْمَطَرِ ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ »

وأسكنه تحت أطباقِ الثَّرى ، فحلَّ مُخيَّمَ البِلَى ، كأنه سِرٌّ فى صدرِه ، ومِن باقٍ على هامةِ الليالى تعبَق أنفاسُ الرُّواةِ بذكْرِه ، ممَّن ركِبتُ لرُؤياه مطاياَ أمِّ عمرى ، أو نابتْ عنِّى فى مشاهدتِه أهلُ عصرِى ، فاجتلَوتُ مُحيَّاه ، أو رأيتُ مَن رآه [1] ، حتى طربتُ على الاسْتماع ، وعلمتُ أن الذِّكرَى طَيفُ الاجتماع ، وإذا كان الحبُّ ممنوعاً ، فالصَّبُّ قنوعاً ، يتعلَّل ببارق ثَنيَّة [2] ، وتكفيه لمحةُ إشارةٍ أو تحيَّة .

فإن تمنعُوا ليلى وحُسنَ حديثِها فلن تمنعُوا مِنِّى البُكا والقوافياَ [3]

فهلاَّ منعتُمْ إذ منعتم حديثَهَا خيالاً يُوافينى على النَّأْىِ هادياَ [4]

فجمعتُ منها ماهو لطَرْف الدَّهر حَوَر ، ولجيد الأدب عِقْد يبْسَم منظومُه هُزْؤاً بعِقد الدُّرَر ، ولكاس الأدب خِتام ، ولعِقْد حُبَابه نِظام ، تُذكِّر العهودَ والمودَّة ، وتطلع فى وَجْنة الوفاء ورْدَة ، وتندُب من ألْقى للبَلاء قِيادَه ، وتُلبس عليه وجْهَ الطِّرس حِدَادَه ، وتسِيل فى عاتقِ المحاسن غَوالِياً ، وترقُّ فلا تَدرى ألفظٌ رقَّ أم دمْع ترقْرَق جارياً ، وتسجُد الأقلام فى محراب طِرسها الذى هو للمحاسن جامِع ، ويَودُّ كل عضو إذا تُليتْ أحاديثُها لو أنه مسامِع ، وهى وإن كانت عِقْدا منتثراً [5] دُرُّه ، وأُفقاً تبدَّد بيد الصباح زُهْرُه ، ونَوْراً نشرتْه كفُّ [6] الشَّمال ، فانتظم على ترائِب الماءِ السَّلْسال ، فلرُبَّما نُثِر العِقْد المُفصَّل ، ليعود أحسنَ فى النِّظام [7] وأجمل .

فهذه ذخائرُ من « خبايا الزَّوايا ، فيما فى الرِّجال من البَقايا » تنفَّس الدهرُ بها عن

---

(١) فى ا : « أورأيت مزاره » ، وفى ب ، ج : « أورأيت من يراه » .

(٢) فى م : « ببارقة سنية » .

(٣) البيت الأول فى ديوان المجنون ٢٩٤ ، وتزيين الأسواق ٦٩ ، وفى م : «وطيب» ، وقد سقط عجز هذا البيت ، وصدر البيت الثانى من : ج ، ورواية البيت فى الديوان :

فَإِنْ تَمْنَعُوا لَيْلَى وَتَحْمُوا بِلَادَهَا عَلَىَّ فَلَنْ تَحْمُوا عَلَىَّ الْقَوَافِيَا

(٤) فى ا : « إن منعتم » .

(٥) فى م : « ينتثر » .

(٦) فى ب ، ج : « زهرة » .

(٧) فى ا : « النظائر » .

نفحةٍ عنبريَّة ، وهبَّتْ بهــا أنفاسُه النَّدِيةُ نَدِيَّة ، تنفُّسَ الروض فى الأسحار [١] بأفواه العبير عن [١] أفْواهِ النَّوْر والأزهار .

يَسْرِى على رَيْحانِها نفَسُ الصَّبَا سحَـــراً فيُوهِم أنه ذِكْراهَا

فلذا سمَّيْتُها [٢] :

﴿ ريحانة الألبَّا ، وزهرة الحياة الدنيا ﴾

فإنى شمَمْت بها روائحَ الشَّباب ، ونظرتُ فى مِرآتها وُجوهَ الأحباب ، وتذكَّرتُ غابرَ الأيَّام ، إذ العيشُ غضٌّ والزمان غُلام ، مِن أعلام شُمِّ الأنوف إن دعى بهم [٣] بوّ الصغار تشمَّخ [٣] ، فى غُرَر أيامٍ تُقام بها مواسمُ الدهرِ وتُؤرَّخ .

وجعلتُ مِسْك الختام ، ذِكْر سادةٍ من العلماء الأعلام ، فإنَّ بصَبا أنفاسهم ينْقشِع [٤] غَمامُ الغُمَّة ، وبذِكْرِهم فى نادِينا تنزلُ الرَّحْمَة [٥] .

فإن عَذُبت مواردُها ، فَلْتقْرَن بالدعاء فرائدُها ، فإن عُثِر منها على كَبْوة ، فليَبذُل لها اللبيبُ عفوَه :

على أنَّنى راضٍ بأن أحملَ الهوَى وأخلُصَ منــه لا عَلَىَّ ولا لِيَا

وها أنا ذا أُمتِـع الأسماع ، بربيع أحْوَى الطِّلال ألْمَى التّلاع ، فإذا رأيتَ كلاماً لأهل العصر لم تترنَّح أعطافُه لهذا النَّسيم ،فتمتَّع من شَميم عَرارِ نجدٍ فما بعدَه من شَمِيم [٦] ، فليس مِن لَيْلِى ولا سَمَره ، ولا مما يُهدَى لنا [٧] من الأدب باكورةُ ثمرِه ، فـكم من أشعار ، للبُخل [٨] فيها أعذار :

---

(١) ساقط من : م (٢) فى ا ، ج : « وسمتها » .

(٣) كذا بالأصول ، والبو : جلد الحوار يحشى ثماما أو تبنا فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . القاموس (بوو) .

(٤) فى ا : « يتقشع » . (٥) فى ا : « تتنزل » .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « فما بعده شميم » .

(٧) فى ا : « ولا مما يهدى لناد من الأدب » وفى م : « ولا مما يهدى الناد من الأدب» .

(٨) فى م : « للبخيل » ، وفى ج : « للبخل بها » .

تَاللهِ مابخِلَ الـكرامُ وإنَّما لِبُرودةِ الأشعارِ قد جَمُد النَّدَى

فما كل مُرتفِـع نَجد ، ولا كل وادٍ يُنبِت الشِّيحَ والرَّنْدِ ، وما كل سَوْداء تَمْرة ، (١ ولا كل صَهْباء خمرَة ١) ولا كل بيْضـاء (٢) شَحْمة (١ ولا كل حمراء لَحْمة ١) ولا كل نبْتٍ يعلو بنَمائِه ، ولا كل برْقٍ يجود بمائِه .

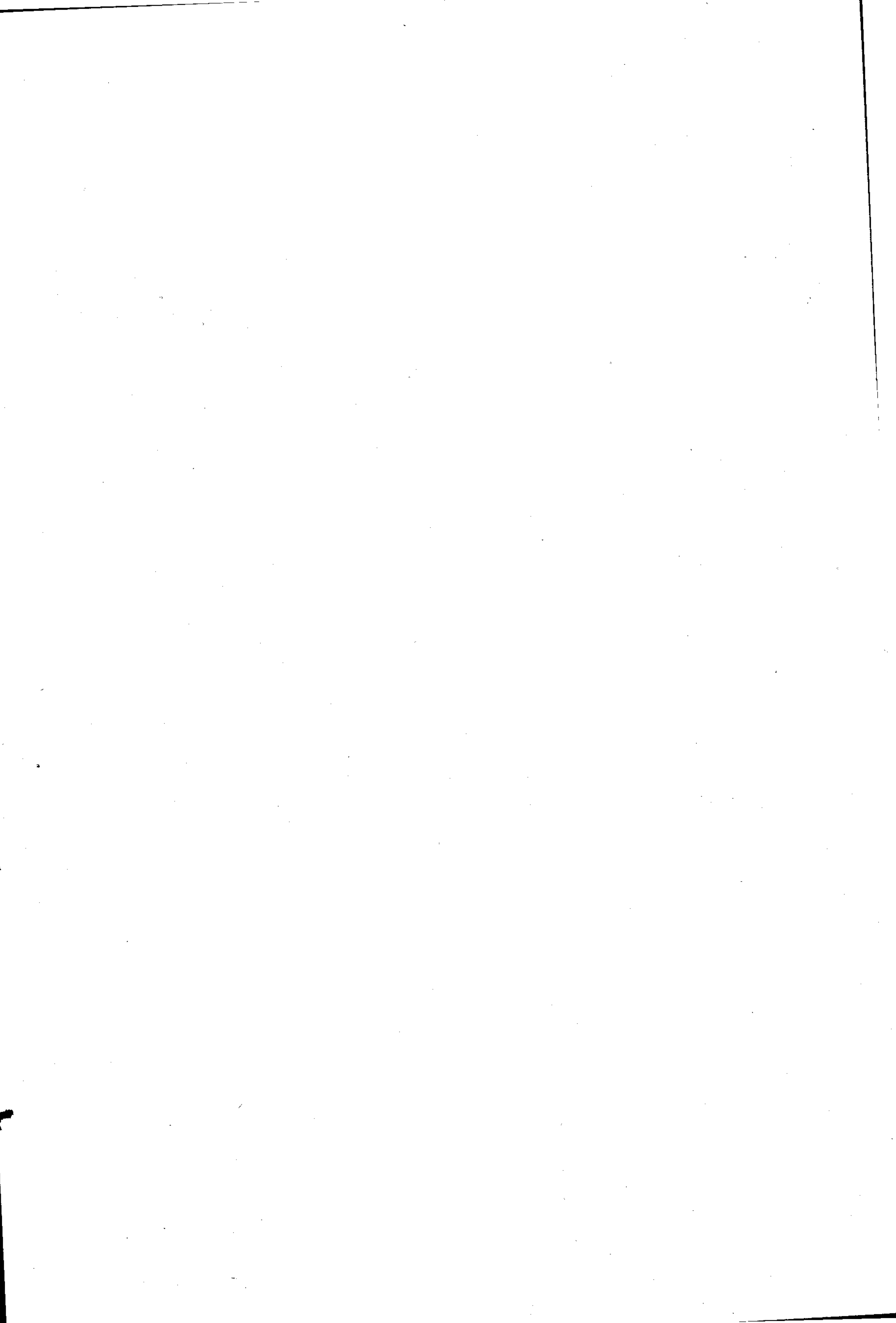
اللهم بحُرمةِ سيِّد الأنام ، كما يسَّرتَ الابتداء يَسِّر الاختتام (٣) ، صارفاً عنا سُوءَ القضا ، ناظراً إلينا بعيْنِ الرِّضا .

---

(١) زيادة من : م .

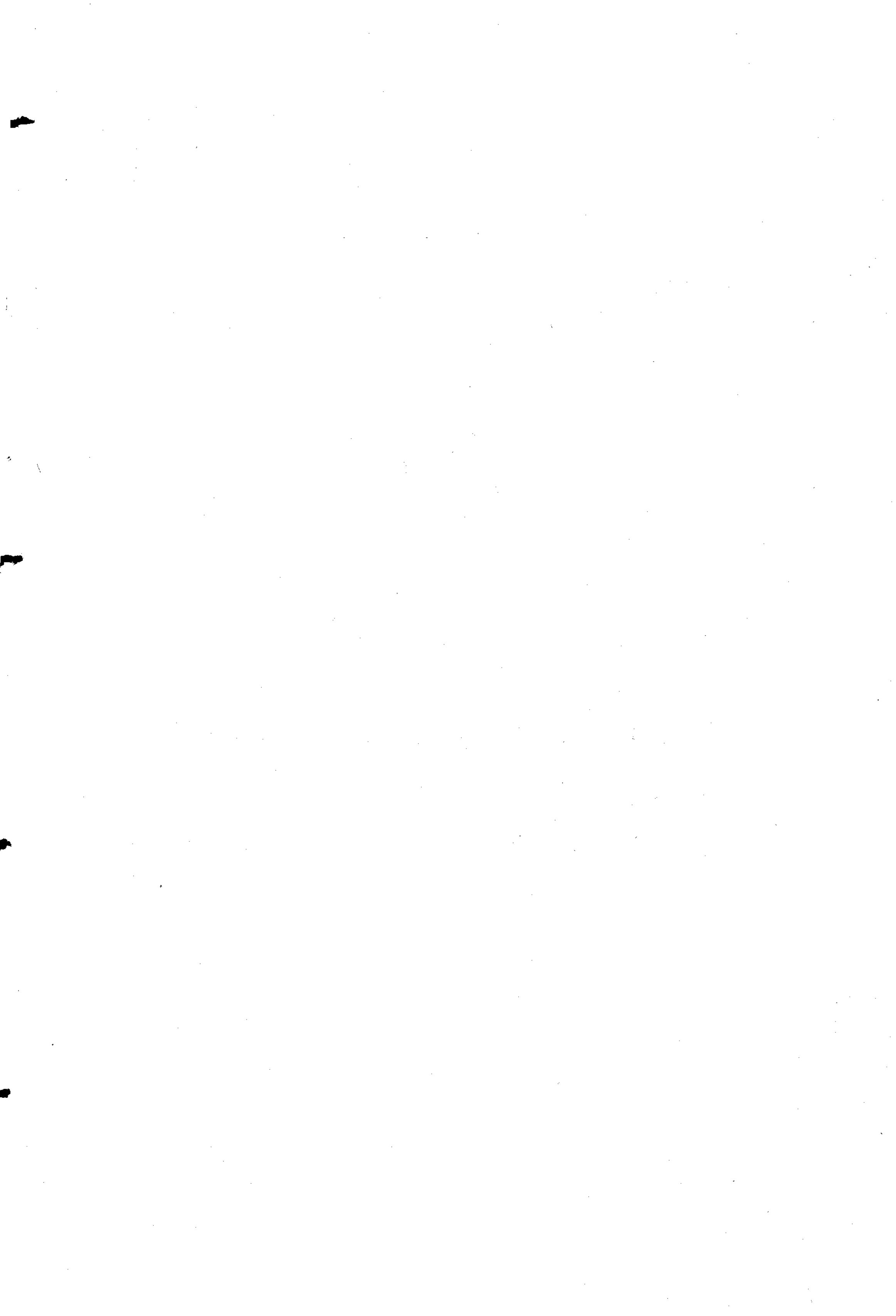
(٢) فى ا ، ب : « بيضة » .

(٣) فى م : « الختام » .



القسم الأوّل

في محاسن أهل الشّام ونواحيها ، ومَن بَرَزَ من سُرَّةِ رُباهَا
وبطن وَادِيها ، وتغذّى بنسيمِها ، وتربَّى في حِجْرِ رياض نعيمها
وقال في ظلالِ أغصانها ، المُتعانِقَة هوىً وَوُدًّا ، وتعطَّرَ بأنفاس
شَمَائِلِها ، التي صارت للنَّدِّ نِدًّا ، وطعِم من مائِها العــذب
وَرَوِى بِذَوْبِ لؤلؤها الرَّطْب ، وهو ماء الحياة في سائرِ الصِّفات
إلا أنه في نور التّقديس وهو في الظُّلمات .



١
أحمـــــد العِنَايَاتِيّ*

صديقُ الصِّدق ، وخِدْن الصلاح ، شقيق النَّدى ، وتِرْب السَّماح ، رَوض سجيَّته غضٌّ ناضر ، لو رآه المُتَنَبِّي لقال ماهذا إلا ساحر ، خلَب الأسماع بنَفَّاثاتِه ، ونَسَج على مِنوال الرِّقَّة حُللَ عِناياتِه .

ذو حسَب تَلِيد ، وباعٍ فى المجد طويلٍ مَدِيد ، لم يُسطَّر مثلُ محاسنِه فى كتاب الزمان ، ولم تُملأ بأنفسَ من جواهره حِقاقُ الآذان ، فيالَها جواهر إذا شاهدها مُفتقِر إلى البيان ، أغناه ياقوتُها وجوهرُها ، و[1] خَرائد جَمَعت له بين الحُسْن والإحسان [2] منظرها طيِّب ومخـبرها [2] ، تُغرِّد على قُضُب براعتـه[3] حمائمهـا ، وتفوح أنوارُ بلاغتِه [4] إذا فَضَّت الطُّروس عنها كمائِمها [4] ، طلعت شمسُ الأدب من أُفُق أشعارِه ، وتفجَّرت ينابيعُها من خِلال آثارِه .

وهو الآن فى جبهة[5] الشام غُرَّة ، وفى حدائقها النَّضِرة زهرَة ، وفى سماء كمالها الزَّاهية

(*) أحمد بن أحمد أبى العنايات بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم العناياتى .

أصله من نابلس ، وولد بمكة بعد رحيل أبيه إليها ، ولكنه رحل إلى ديار الشام ، واستقر بدمشق سنة ست أو سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان رث الهيئة ، لم يتزوج فى عمره .

جمع شعره — كما يقول المحبي — بين جودة السبك وحسن المعنى . وله ديوان شعر .

توفى فى عشرين من ذى القعدة أو حادى عشريه ، سنة أربع عشرة بعد الألف ، وقد تجاوز الثمانين .

تراجم الأعيان ١ / ٩٢ ، خلاصة الأثر ١ / ١٦٦ ، ديوان الإسلام ١٦٠ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٥ ا .

(١) فى م : « عن » .

(٢) فى م : « مخبرها يطيب ومنظرها كبدر على قضيب » .

(٣) فى م : « براعته براعة حمائمها » .

(٤) فى م : « إذا قضت الطروس عنها سجف كمائمها » ، وفى ج : « الطروس عنه » .

(٥) فى م : « جهة » .

زُهَرَة ، وقد حَلَّى بحُلَل الزهد كالَه ، ورأى برأيِه الصَّائبِ أسْمالَه أسْمى لَه ، لم يحتفِل بأمر غَد ، قانعاً بظلِّ الخمول نـكَداً أم رَغَد ، قائلاً فى خمائله الرِّحاب ، عفَّ السَّريرة طاهرَ الأثواب ، لم يَشْرَق بسُؤال ، ولم يَغَصّ بنَدامة الآمال ، ولم يألَف سكَنا ، ويتوطَّن مَسْـكنا .

كما قيل :

ومِن عجيبٍ أن أكونَ شاعراً وليس لى فى النَّاسِ بيتٌ يُعرَفُ

كما وصف زِيَّه فى قصيدته الزَّائيَّة بقوله :

إذا لم أعِزَّ فمن ذا يعِزُّ وفَقْرِى وقَنَعِى كَنْزٌ وحرْزُ (١)
لبِستُ من اليأْس فى الناسِ ثوباً عليه من العقْل والفضْلِ طَرْزُ
ولستُ أرى الذُّلَّ إلا إذا كا ن فى الحبِّ والذلُّ فى الحبِّ عِزُّ
ومثْلِىَ حرٌّ عباَةٌ غِناَهُ إذا استعبدَ الناسَ خزٌّ وبزُّ (٢)
وسِيَّان مَن حَبَّ أو مَن قَلَى ومَن راح يمدحُ أو راح يهزُو (٣)

* * *

ومن غرره قوله :

قلبى على قَدِّك المشوقِ بالهيَفِ طيرٌ على الغصن أم همزٌ على الألفِ
وهل سُوَيْداه أم خَالٌ بخدِّك أم خُوَيدِمٌ أسودٌ فى الرَّوضةِ الأُنفِ (٤)
وهذه غُرَّةٌ فى طُرَّةٍ طلعتْ أم بدرُ تمٍ بَدَا فى ظُلمةِ السُّدَفِ
تخْفى النجومُ بنورِ البدر وهو بنُو ر الشمس وهْىَ بنُور منك غيرُ خَفِى

---

(١) فى ب : « فمن ذا أعز » .

(٢) فى ج : « ومثلى جر عباه غناه » ، وفى م : « حر غناه عباه » ، وفى خلاصة الأثر ١/١٦٧ : « ومثلى حرعباه غناه » .

(٣) هذا البيت زيادة من : ج .

(٤) فى المطبوعة : « وهل سويداؤه خال » .

يا بدرُ قلبي وطرفي فيك مُنتصِفٌ ... بالوصْل منك وهذا غيرُ مُنتصِفِ (١)
القلبُ واصَلْتَ فيه وَصْــلَ مُمتزِجٍ ... والطَّرْفُ صَدَّيت عنه صَدَّ مُنحرِفِ
ظَبْيٌ تألَّفتُ منه غــيرَ مُلتفِتٍ ... غُصنٌ تعطَّفتُ منه غــيرَ مُنعطِفِ
شِفاءُ حرِّ غليــلى بَرْدُ رِيقَتِهِ ... والبُرْءُ مِن دَنَفي في لَحْظِهِ الدَّنِفِ
وَيلاهُ من وردِ خدٍّ غــيرِ مُقتطَفٍ ... مِنْهُ ومن خَمْرِ ريقٍ غــير مُرتشَفِ
عذلتُ عاشقَ عَذْلي في محبَّتِهِ ... فاعجَبْ لذى شَغَفٍ يلحِى على الشَّغفِ (٢)
يظُنُّ أن سِــواه منهُ لي خَلَفٌ ... أساء في الظَّنِّ هل للروح من خَلَفِ
عُذْرِىَ عِشقى عُذْرِى فيه مُتَّضِحٌ ... كوجهِهِ وهو مثلُ الشمسِ في الشَّرَفِ (٣)
فَنِيتُ سُقماً بخَصْرٍ منــه مُختصَرٌ ... فيه وطَرْفي ونوْمي جِدُّ مُختلِفِ (٤)
يطير قلبي إلى ألحــاظِهِ شَغَفاً ... فاعْجَبْ له كيف يرْمى السَّهْمَ بالهدفِ
يا أيها الرَّشأُ الضَّارِى على مُهَجِ الْ ... آسادِ بالسَّيْفِ مِن جَفْنَيْهِ لم يَخِفِ
بما بحُسنِك مِن تيهٍ ومن صَلَفٍ ... وما بعِشْقِىَ من ذُلٍّ ومن كَلَفِ
اللهَ في كَبِدٍ للوجــدِ في كَمَدٍ ... إليك أسْرَف فيها الشوقُ في السَّرَفِ
ومُغْرَمٍ مــاله مَن مُسعِفٍ لعبتْ ... به اللَّواعجُ لِعْبَ الرِّيح بالسَّعَفِ
أشْفَى مَحَاق الضَّنَى لما هجرتَ به ... على التَّــلاف ولو واصلْتَه لشُفِى (٥)
يا باخِــلاً بلِقــاهُ باذلاً لدمى ... فالوعدَ يُخلِف منه والوَعيــد يَفِى
حُزتَ الجمالَ ألا تُولِى الجميلَ فقد ... يُصادِفُ الحُسن بالإحسان في الصَّدَفِ

---

(١) في ب : « وطرفي ذاك منتصف » .   (٢) في ب : « فاعجب إلى شغف » .
(٣) في ب : « عذرى وعشقى » .
(٤) في م : « غير مختلف » ، وقد سقط عجز البيت في أصل ا ، وكتب في الهامش : هكذا عجز البيت
* وَزِدْتُ وَجْدًا بِرِدْفٍ غير مُرْتَدِفِ *
(٥) في ا : « لما هجرت له على التــلاق » ، وفي ب : « مخاف الضنى » .

﴿ تتمـــة ﴾ [١]

اعتُرض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهَمْز .

وأُجيب بأن له وجهاً ؛ لأنه[٢] وقع تشبيهُه بالطائر لخفقانه ، وهم قد شبَّهوا الطايرَ على الغصن بالهمز ، والغصنَ بالألف ، ولما شاع هذا شبَّه به القلب ، وقدَّ الحبيب ، فهذا فى باب التشبيه كالمجاز على المجاز ، والكناية على الكناية ، كما قيل فى وصف قصيدة هَمْزِيَّة :

والقوافى إليك حَنَّتْ حنينى فتأمَّـلْ فهمزُهـــا ورْفاهْ

وقوله : « والبرْءُ مِن دَنَفِى » إلخ ، معنى مشهور ، كقول ابن مَطْرُوح[٣] :

أشتـــكى سِقَمِى إلى أجْفانِهِ ومتى يُشْــفَى سِقامٌ بسِقَمْ

وقوله :

ورنا إلىّ بطَرْفِهِ فـــكأنما أهْدَى السِّقامَ لُمدنَفٍ من مُدْنَفِ

وقول ظافِر الحدّاد :

مريضُ لحاظِ الطَّرْفِ لولا جُفُونُه لما كنتُ أدْرِى السُّقْمَ كيف يكونُ

وأصله قول المتنبِّى[٤] :

أعارنى سُقْمَ عيْنيْهِ وحمَّلنِى مِن الهوَى ثِقْلَ ما تحْوِى مآزِرُهُ

وقوله : « فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف » نوع من البديع يُسمَّى العكس ،

---

(١) فى ب : « فائدة » . (٢) فى م : « هو أنه » .

(٣) ديوانه ١٧٥ ، من قصيدة يمدح بها السلطان الملك الناصر يوسف ، عند مسيره إلى حلب ، وفى م : « سقامى بسقم » ، وفى ج : « سقام من سقم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والديوان .

(٤) ديوانه ٣٦ .

بديعٌ فى بابه ، وهو كقول الذَّهَبىّ :

يطيرُ فؤادى لألحاظِــــه غراماً وشوقاً وفيها التَّلَفْ
فيا مَن رأى قبْلَهــا أسهُماً يطـــيرُ اشتياقاً إليها الهدَفْ

ونحوه قول ابن نُبَاتَة المِصْرِىّ[1] :

صيَّرتَ نومى مثلَ عِطْفك نافراً وتركتَ عزْمى مثل جَفْنِك فاترَا
وسكَنْتَ قلباً طار فيك مسَرَّةً أرأيْتَ وكراً قطُّ أصبحَ طائرَا

ومما أنشدتُه له قولَه أيضا من قصيدة :

يا أيُّها الملأُ المِـــلاحُ افتُونى مَن ذا أباح لـكم دمَ المفتُونِ
مِن كل أسْمرَ سَنَّ قتلَ مُحبِّه بِسنان أحْورِ طَرْفِه المسنُونِ
قمرٌ له فى القلب أشرفُ منزلٍ إن المـكان مُشرَّفٌ بمــكِينِ
روضٌ نضــيرٌ لم يرُدْه ناظرٌ إلا ورَدَّ عيــونَه بعيُونِ

العيون : جمع عَيْن بمعنى الباصِرة ، وبمعنى الجاسوس .

يحمِى بنرْجِســـــه أقاحِىَ ثغرِهِ ويصونُ وَرْدَ الخدِّ بالمرسينِ[2]
وحياتِه وهى اليمينُ وإنهـــــا وحياتِه عنـــــدى أبرُّ يمينِ
ماخنتُه إنِّى وشخصُ جمـــالِه حيث اتَّجهتُ علىَّ مِثـلُ أمينِ
قرَن الودادُ له فـــؤادى بالأسى أكذا يُجـــازَى وُدُّ كلِّ قرينِ
فاترُكْ حديثَ شجونِ مَن قتل الهوى قبْلى وخُذ منِّى حديثَ شجونى[3]
قسماً لو أن العـــامرىَّ مُعمَّرٌ ما جُنَّ إلا مُعجَباً بجنـــونِى

(١) ديوانه ١٨٩ .
(٢) فى ا ، ب : « خد الورد » .
(٣) فى ا ، ب فوق قوله : « من قتل الهوى » : « تضمين كما ستراه » .

والعقـــلُ منِّى ضاع فى ثغرٍ له   فيـــه الثَّنايا بين ميمٍ سينِ[١]

ياذا الْمَلاحـــةِ والذى بجَبينه   فى كل ليل مَلامـــةٍ يهْدينى

لا يطرُقنَّ اللَّومُ باب مسامعى   وعليـه مِن صُدْغَيْك كالزُّرْفينِ[٢]

يالائمِى لك فى الملامةِ دِينُكَ الْـ   ـواهى كما لىَ فى الصَّبابة دِينِى

لا يخطُرُ السُّـلوانُ عنه بخاطرِى   إلا ورُدَّ من الجوَى بـكَمِينِ[٣]

كم خُضْتُ بَحرَ الموتِ دون وصَالِه الْـ   ـغالى ولم أكُ قانعًـــا بالدُّونِ

وشَفَيْتُ حرَّ الوجد مِن برْدِ اللَّمَى   عِلْمًا بأن المـاءَ مَا يشْفِينِى[٤]

مُتعجِّباً من خـــدِّه بالماءِ يرْ   وينِى أسًا وبنـــارِه يُورينِى

وبخطِّ عارِضِـــه أساوِرُ أرْقمًا   منـه فأقرأُ منـــه ما يرْقِينِى

ويظنُّنى حاشـــاهُ أسلُو حبَّه   واللهُ مِن ظنِّ الحبيب يقينِى[٥]

وهى عِراض[٦] قصِيدة الرئيس أبى منصور علىّ بن الفضل ، الـكاتب المعروف بصَرَّدُرّ[٧] :

أكذا يُجازَى وُدُّ كل قَرِينِ   أم هـــذه شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ

قُصُّوا علىَّ حديثَ مَن قتَل الهوى   إن التَّأسِّى رَوْحُ كل حزينِ

ولئن كتمتُمْ مُشفِقين فقد درَى   بمصارعِ العُذرِىِّ والمجنونِ[٨]

---

(١) فى ا : « فالعقل أصبح ضائعاً فى مبسم » ، وفى ب ورد البيت هكذا :

والعقلُ أَصْبَحَ ضَائِعاً مِنِّى بها   تِيكَ الثَّنَايَا بينَ مِيمٍ سِينِ

وفى ج : « والعقل أصبح ضائعاً فى مبسم » .

(٢) الزرفين بالضم والكسر : حلقة الباب ، وقد زرفن صدغيه جعلهما كالزرفين . القاموس (زرف ن) .

(٣) فى م : « لا يخطر . . . . بمكين » .   (٤) فى م : « لا يشفينى » .

(٥) فى ا ، ب : « حاشاك » وفى م : « من ظن العذول » .

(٦) فى ا ، ب : « عروض » .   (٧) ديوان صردر ٥٣ ـ ٥٦ ، وتبلغ القصيدة ٤٠ بيتاً .

(٨) فى الديوان : « فقدوتى * بمصارع » .

فوق الرِّكاب ولا أُطِيــل مُشَبِّهاً	بل ثَمَّ شهوةُ أنفُسٍ وعيونِ[(١)]
هُزَّت قدودُهم وقالت للصَّبَا	هُزْؤا أعند البان مِثْلُ غُصونى[(٢)]
وكأنمـــــا نقلتْ مآزِرهم إلى الـ	جَدَد الحمى الأنقاءَ من يَبْرينِ[(٣)]
ووراء ذيَّاك المُقبَّـــــل مَوْرِدٌ	حَصْباؤُه مِن لُؤلُؤ مــكنُونِ[(٤)]
إمَّا بيوتُ النَّحْـــل بين شفاهِهم	منضُودةً أو حانةُ الزَّرْجُونِ[(٥)]
ترْمى بعينيْـــك الفِجاجَ مُقلِّباً	ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ
لو كنتَ زَرْقاء اليمامـــة ما رأتْ	من بارقٍ حَيًّا على جَيْرُونِ[(٦)]
شكْواكَ مِن ليـــــل التِّمام وإنَّما	أرْقَى بليـــــلِ ذوائبٍ وقرونِ[(٧)]
ومُعنِّفٍ فى الوجْـــدِ قلتُ له اتَّئِدْ	فالدَّمــعُ دمْعِي والحَنين حَنيِنى[(٨)]
ما نافِعِى إنْ كانَ ليس بنافِعِى	جاهُ الصِّبَا وشفاعــةُ العشْرينِ
لا تُطرُقَنْ خجــلاً للَوْمةِ لائمٍ	ما أنتَ أولُ حازمٍ مَفتُونِ[(٩)]
أأسومُهمْ وهمُ الأجانبُ طاعـــةً	وهوايَ بين جوانحِي يَعْصِيِنِي[(١٠)]

(١) فى م : « تشبهاً » والمثبت فى الديوان أيضاً .

(٢) فى ج ، م : « ميل غصونى » والمثبت فى الديوان أيضاً .

(٣) هذا البيت زيادة من ا ، وهو فى ديوان صردر ٥٣ . وفيه : « إلى * جدد الحمى » والجدد : ما استرق من الرمل ، ويبرين : رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمـامة . معجم البلدان ٤/٥/١٠٠٥ ، وانظره فى ١/٥٧ .

(٤) فى ب ، ج : « ذياك المصلى » .

(٥) الزرجون (محركة) : الخمر . وانظر حلية الـكميت ٧

(٦) بارق : ركن من أركان عارض اليمامة . مراصد الاطلاع ١٥١ ، وجيرون : سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف ، حولها مدينة تطيف بها ، وهى بدمشق ، وقيل : جيرون قرية الجبابرة فى أرض كنعان ولعلها المقصودة فى البيت . انظر المراصد ٣٦٦ .

(٧) فى ا : « ذوائب وجبين » وليـل التمام بالـكسر لا غير : أطول ما يكون من ليالى الشتاء . اللسان (ت م م)١٢/٦٧.

(٨) فى ا ، ب ، ج : « ومعنفى فى الوجـد » والمثبت فى م وهو يوافق رواية الديوان ، وفى م : « فالدمع دمعى والجفون جفونى » والمثبت فى ا ، ب ، ج ، وهو موافق لرواية الديوان .

(٩) فى م : « حازم مغبون » والمثبت فى ا ، ب ، ج ، والديوان .

(١٠) فى الديوان : « وهواى بين جوانحى يصبينى » وانظر تعليق ناشرى الديوان .

دَيْنِي على ظَبْياتِهم مَا ينْقضِي ... فبأيِّ حُكمٍ يقبضون رُهونِي[1]

وخَشِيتُ مِن قلبي الفِرارَ إليهِمُ ... حتى لقد طالبتُه بضمينِ

كلُّ النَّكالِ أُطيقُ إلَّا ذِلَّةً ... إن العزيز عذابُه بالهُونِ

ياعينُ مثلُ قَذَاكِ رُؤيةُ مَعْشرٍ ... عارٍ على دُنياهمُ والدِّينِ

لم يُشبِهوا الإنسانَ إلا أنهمْ ... مُتكوِّنونَ من الحَمأ المسْنُونِ

نَجَسُ العيونِ فإنْ رأتْهُم مُقلتِي ... طهَّرتُها فنزحتُ ماءَ جُفونِي[2]

أنا إن همُ حسبُوا الذَّخائر دُونَهُمْ ... وهمُ إذا عدُّوا الفضائلَ دُونِي

لا يُشمِتِ الحسَّادَ أنَّ مَطامِعِي ... عادتْ إليَّ بصَفْقةِ المغبُونِ[3]

ما يستديرُ البدرُ إلا بعدما ... أبصرْتَه في الضُّمْرِ كالعُرْجُونِ[4]

هـذا الطريقُ اللَّحْب زاجرُ ناقتي ... واليمُّ قاذِفُ فُلكِيَ المشْحونِ[5]

فإذا عميدُ المُلْكِ حلَّ بربْعِه ... ظَفِرا بفَأْلِ الطائرِ الميْمونِ[6]

قوله : « أسومهم وهم الأجانب طاعة » البيت ، هو من قول البُحْتُرِي[7] :

ولستُ أعجبُ مِن عِصْيان قلبك لى ... عمْداً إذا كان قَلبي فيكَ يعْصِيني

وبعده[8] :

مَلِكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جِيادَهُ ... مَرِحتْ بأزْهرَ شامخِ العِرْنِينِ[8]

---

(١) فى م : « لا ينقضى » وفى الديوان : « ما يقتضى » بالبناء للمجهول ، « يقتضون رهونى » .

(٢) النجس (بالتحريك) يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . اللسان (ن ج س) ٢٢٦/٦ . وفى م : « فنزحت ماء عيونى » .

(٣) فى الديوان : « أن مطالبى عادت » .

(٤) فى الديوان : « لا يستدير » وفى م : « أبصرته كالثمر فى العرجون » .

(٥) فى ا : « هذا الطريق اللجب » وفى ب : « هذا طرق الحب » وفى ج : « هذا الطريق الجد » والمثبت فى الديوان ، واللحب : الطريق الواضح ، وفى ا : « واليم قارب » .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « فإذا حميد الملك » والمثبت فى : م والديوان ، وفى م : « حل بربعه » وفى الديوان : « حلا ربعه » .

(٧) ديوانه (البرقوقى) ٢٩٥/٢ .

(٨) هذا البيت زيادة من م على ما فى ا ، ب ، ج ، وهو فى ديوان صردر .

ومثله[1] قول الشَّريف الرَّضِيّ[2] :

أرومُ انْتصافِي مِن رجالٍ أباعِـــدٍ ... ونفسِيَ أعْدَى لى مِن النَّاس أجمعَا

إذا لم تـكنْ نفسُ الفتَى من صديقِهِ ... فلا يُحْدِثنْ مِن خِلَّةِ الغيْرِ مَطْمَعَا[3]

وأصلُه مِن قول بَـكْر بن حارثة[4] :

قلبي إلى ماضرَّنِي داعِي ... يُـكثِرُ أسْقامِي وأوجاعِي[5]

كيف احتراسِي مِن عدوِّي إذا ... كان عدُوِّى بيْن أضْلاعِي[6]

وقوله : « يا عين مثل قذاكِ رؤية معشر » إلخ ، هو معنى بديع ، وقد سُبِق إليه ، قال الثَّعالِبيّ[7] : اتَّفَق لى فى زمن الصِّبا معنًى بديع ، لم أُسْبَق إليه ، وهو :

قلبيَ وجْــداً مشتعِلْ ... وبالهُمُومِ مُشتغِــلْ

وقَد كستْنِي فى الهــوَى ... ملابسَ الصَّبِّ الغَزِلْ[8]

إنْســانةٌ فتَّانةٌ ... بدرُ الدُّجَى منها خَجِلْ

إذا زنَتْ عينِي بهـــا ... فبالدُّموعِ تغتَسِلْ

وقد سبقه ابن هِنْدو[9] ، فى قوله[10] :

يقولون لى ما بالُ عيْنِكَ مُذ رأَتْ ... محاسنَ هذا الظَّبْيِ أدْمُعُها هُطْلُ[11]

فقلتُ زنَتْ عيني بطلْعـــةِ وجهِهِ ... فـكان لها مِن صَوْبِ أدمُعِها غُسْلُ

---

(١) فى م : « ومنه » . (٢) ديوانه ١/٥٠٥ .

(٣) فى الديوان : « فى خلة الغير » .

(٤) نسب ابن بسام هذين البيتين إلى بكر بن حارثة أيضا فى الذخيرة ، القسم الأول ١/٣٦٥ ، وهما للعباس بن الأحنف فى ديوانه ١٧٨ ، ١٧٩ ، وفى الأغانى ٨/٣٦٣ ، وأمالى المرتضى ١/٤٦٠ ،وزهر الآداب ٩٤٤ ، ومعجم الأدباء ١٢/٤٢ .

(٥) فى م : « إلى ماضر بى » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، والمصادر السابقة .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « له » . (٧) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٨) فى ا : « وقد كسانى » .

(٩) فى ا ، ب : « وقد سبق له » وفى ب ، ج ، م : « ابن هند » والتصويب من ا ، واليتيمة .

(١٠) يتيمة الدهر ٣/٣٩٨ . (١١) فى م : « عينيك » وفى ا : « مدامعها » .

قال أبو عليّ الفارسيّ : لستُ أعجب من توارُدِه ، وإنما أعجب من قولِه لم أُسْبَق إليه[1] وقد قال أبو الطَّيِّب فى الُحمَّى[2] :

إذا ما فَارَقَتْنِي غسَّلتْنِي   كأنَّا عاكِفان على حَرامِ

وقد سلم من شَناعة ذِكر الزِّنا ، وما فى قُبْح لفظِه من الخَنَا ، فمعناه[3] أَصحّ ؛ لأنه ذكر فى هذا الشعر مِن نفسه وزائرته ذكراً وأنثى ، جرى بينهما ما يقتضى الغسلَ .

وإن قيل : إن قوله « عاكفان على حرام » مِن لَغْو الكلام ، وهما ذكرا ، زِناً بين اثنين[4] ، ولو قال : زَنَى ناظرى ، أو لحظى ، كان أحسن .

قلتُ : هذا كله كلام ناءٍ عن حُسْن الأدب ، وهو[5] سُخْف ، ولكن أيُّ[5] الرِّجال الُمهذَّب ، ومع ذلك فقد وقع هذا فى كلام من تقدَّمهم ، ومعناه أصح[6] ودِيباجتُه ألطف وأوضح ، كقول يزيد بن معاوية :

وكيف تَرَى ليلى بعينٍ ترى بها   سِواهاَ وما طهَّرْتَهاَ بالمدامِعِ[7]

أجِلُّكِ يا ليلى عن العينِ إنَّما   أراكِ بقلْبٍ خاشعٍ لكِ خاضعِ[8]

ثم مشى على أثرهم الناسُ ، وولَّدوا معانىَ لا تُحصَر ، كقول السِّراج الورَّاق :

يانازحَ الدَّارِ مُرْ نومى يُعاوِدُنِي   فقد بكيْتُ لفَقْدِ الظَّاعنينَ دَمَا[9]

أَوْجَبْتَ غُسْلاً على عينِي بأدْمُعِها   فكيف وهْىَ التى لم تبلُغِ الُحلُمَا

---

(١) فى ا ، ب : « لم يسبق إليه » ، وفى ج : « أنه لم يسبق إليه » .

(٢) ديوانه ٤٧٧ .   (٣) فى م : « فعنى ماقاله » .

(٤) فى ا : « وهما ذكر الزنا بين اثنين » ، وفى ب : « وهما ذكر زنا بين اثنين » وفى م : « وهما ذكرا زانيتين أنثيين » والمثبت من : ج .

(٥) فى ا : « وهو سخيف القول أى » ، وفى ب : « وهو سخيف يقول أى » وفى ج : « وهو سخيف تقول أى » والمثبت فى : م .

(٦) فى م : « أفصح » .   (٧) فى ا ، ب : « وقد طهرتها » .

(٨) فى م : « أراك بقلب خاضع لك خاشم » .

(٩) فى م ، ج : « من نومى » . وهو كذلك فى فوات الوفيات ٢/١١١ ، وفيه : « لفقدالنازحين » .

٢

محمـــد الصَّالِحِىّ الهِلاَلىّ *

هُمام بعيد الْهِمَّة ، قريب منال مياه الْجِمّة[١] ، له دَرارِىُّ شِيَم ، هى غُرَّة[٢] دُهْم[٣] اللَّيالى ، وبَنَاتُ أفكارٍ لم ترتضِـعْ غير دَرِّ المعالى ، فلا أقسم بربِّ المشارق والمغارب ، إنها شموسٌ لم تزل طالعةً مِن سماء المناقب ، وهى الآن شامَةٌ فى وجَنات الشام ، وروضة تفتَّحت أنوارُها بثغُورٍ ذاتِ ابتِسام .

ومن سُنَّتِهِ الاعْتِزالُ عن الناس ، وتقديمُ الوَحْشة على الاسْتِئْناس ، مُنقطعا لاقْتِطاف زهرات[٤] العلوم ، يمدُّ لِقِرَى الأسماع موائدَ المنثور والمنظوم ، فى زهدٍ مُتحَلٍّ بخِلاله ، تَدِقّ صفاتُ المدح عن معانى جَلاله ، بعزمٍ هو أبو العجَب ، لو قُدِح زَنْدُه لَهَبَّ له لَهَب ، وخَطٍّ تُسَرّ به النفُوس ، وتُوَشّى بدِيباجه الطُّروس .

خــطٌّ زهَتْ أزهـارُه . والروض يُذْبِتُه السَّحابْ[٥]

وشعرُه شَقِيق الرياض ، المُطَّرِدة الحِياض ، تُسْتَخرج الجواهرُ من بحوره ، وتُحَلَّى لَبَّات الطُّروس بقلائد سطورِه ، لم يصْرِفْه لمدح كريم ، ولا تغزَّل بمليحٍ كريم ، ولعمْرى

(*) محمد بن نجم الدين بن محمد ، شمس الدين الصالحى الهلالى .

ولد بدمشق سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ورحل إلى مكة فقرأ على علمائها ، وعاد إلى دمشق بعد وفاة والده سنة أربع وستين وتسعمائة .

وكان من خلقه حب العزلة ، جمع مالا عظيما ولم يتزوج .

وبرع فى الفقه والتفسير والأدب ، مع ذكاء مفرط ، وحسن فهم

وله ديوان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، سماه « صدح الحمام فى مدح خير الأنام » .

توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

تراجم الأعيان لوحة ٣٣٢ ب ، خبايا الزوايا لوحة ٧ ب ، خلاصة الأثر ٤/٢٣٩ .

(١) بئر جمة (بالفتح) : كثيرة الماء ، وجمة المركب البحرى : الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح من حزوزه . والجمة (بالضم) : الماء نفسه . انظر اللسان (ج م م) ١٢/١٠٥.

(٢) فى م : « غرر » . (٣) بعد هذا فى ا زيادة : « جياد » .

(٤) فى م : « ثمرات » . (٥) فى م : « كالروض » .

إنه قطَع منه مَيداناً لم يصِلْ إليه الكُميْت ، ونَقَّى ألفاظَه وهذَّب معانيه فلم يقُل فيه « لو » ولا « ليت » .

وبالجملة فهو فى عصره إمام الأدب المُقتدَى به ، والبليغ الذى لاتُثْمِر أغصانُ الأقلام إلا فى رياض آدابه .

ولما قدِم القاهرة أفاض علىَّ لباسَ مودة لم تَبْلَ عهودُها ، ألا حبَّذا إخلاقُها وجديدُها ، ووَرَقُ الدنيا خَضِر ، وعُود الشباب غَضٌّ نَضِر ، والأدب لم يَعْفُ منارُه ، ولم تَخْبُ[1] نارُه وأنوارُه ، لا كاليوم إذ حام قومٌ حول حِماه ، فوقعوا فى ظُلماتٍ ليس فيها عينُ الحياة ، وهو إذا ذاك أستاذ ومَلاذ ، تذوق أفهامُنا من موائد فوائده أنواعَ الملاذّ ، فأتحفَنى بطُرَف أشعاره ، ونزَّه أحْداقَ فكرى فى حدائق آثارِه ، فأسكر سَمْعِى بسُلافةٍ أدارتْها كؤوسُ بيانِه ، وتقلَّدتُ بمذهب البُحْتُرِى[2] فى اجْتناء الورد من أغصانِه :

واسْمَعْهُ ممَّن قاله تَزْدَدْ بهِ عجباً فحُسْن الوردِ فى أغْصانِه[3]

طالعتُ[4] له فصلا فى ديوانه ، الذى سماه « صدح الحمام ، فى مدح خير الأنام » ذكر فيه نُبذاً من صفاتِه ، ومعاهِد أُنْسِه ولَذَّاته ، ومسارحِ آرام تِربه ولِدَاته[4] ، وهو : « إنى[5] لَمَّا نشأتُ بمكة المُشرَّفة ، والأماكن التى هى بالجَوْزاء مُمَنْطَقَة ، وبالثُّرَيَّا مُشَنَّفَة ، وكسانى الزمانُ قَشِيبَ برُودِه ، وطفِقْتُ أرْفُل[6] ما بين عَقِيق

---

(١) فى م : « تخبأ » .
(٢) ديوانه (البرقوقى) ٢/٣١٥ .
(٣) فى الديوان :

اسمَعْهُ من قوَّالِه تزدَد به عجباً فطِيبُ الوردِ فى أغْصانِهِ

(٤) ساقط من : ب ، ج .
(٥) فى ب ، ج : « فصل منه : إنى » وقد ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٤/٢٤٠ هذا الفصل ، ويبدو أنه نقله عن خبايا الزوايا ، ففيه زيادات كثيرة ليست فى الريحانة .
(٦) زيادة من : ا ، ب . وفى ج : « أدخل فيه » .

الحِمى وزَرُودِه[١] ، وغُصن الصِّبا بأيام السعادة مُورِق ، وبدْر الشَّباب فى سماء الكمال مُشْرِق ، لا دَأْب لى إلَّا توسُّم وفود العلوم فى سوق عُكاظِها ، ولا شُغْل لى إلا استِكشافِ وسائِم[٢] وجوهِ المعانى المُخبَّأة تحت براقع ألفاظِها ، ثم لما بطلت حركة الدَّوْر ، وتنقَّل الزمانُ من طَوْر إلى طَوْر ، أعْمَلْنا حُروف[٣] النَّجائب تنُصُّ[٤] بنا البَيْداء فى سُرَاها ، ولطمْنا خَدَّ الأرض بأخْفافِها إلى أن بَرَاها السُّرَى فى بُرَاها[٥] ، فكم جاوَزْنا جبالا شوامِخ زاحمتْ بمناكِبها أكتاف السَّحائب ، وذَرعنا بأذْرُع[٦] النَّاجِيات شُقَّة قَفْر لم تُطْوَ إلَّا بأيْدِى الرَّكائب ، [٧]فكم مَن راسلتُه وراسلنِي[٧] برائق شِعْره وسَجْعه ، وأدار وأدرتُ كؤوسَ قوافى شعرى على أفواه سمْعِه ، وزففْتُ عليه عرائسَ أفكارى استجلاباً لِوِدَادِه ، وتلوتُ عليه غرائبَ أسْمارى استقْداحاً لِوَارِى زِنادِه .

وهُنَّ عَذارَى مهرُها الوُدُّ لا النَّدَى وما كلُّ مَن يُعزَى إلى الشِّعر يَسْتَجْدِى[٨]

انتهى .

وهذه نُبْذة من نِثار نَثْره ، وسأُقرِّط سمْعَك[٩] بجواهِر شعره .

***

وكنت كتبتُ له قصيدة تائيَّة ، مُلغِزاً من شعر الصِّبا ، الذى يحسُد مُهلْهَلَ بُرْدِه فى رِقَّتِه نسيمُ الصَّبا[١٠] ، لا كما قال البَاخَرْزِىّ هو التَّمْر باللِّبَأ[١١] . فهو[١٢] باكورة

(١) زرود : موضع بطريق مكة ، بعد الرمل ، فيه قصر أصفر ، لعلها سميت به ، وبركة وآبار .
(٢) ساقط من : م ، وفى ج : « إلا الاستكشاف عن وسائم » .
(٣) الحرف : الناقة العظيمة أو الضامرة أو المهزولة . القاموس (ح ر ف) .
(٤) نص ناقته : استخرج أقصى ماعندها من السير .
(٥) البرة : حلقة فى أنف البعير . (٦) فى ب : ج : « بأزرعة » .
(٧) فى ا : « فكم مرة راسلنى وراسلته » . (٨) سقط هذا البيت من : ج .
(٩) فى ا : « الأسماع »
(١٠) فى ا : « يحسده رقة نسيم الصبا » .
(١١) اللبأ (كضلع) : أول اللبن . القاموس (ل ب أ) . وانظر دمية القصر ١/٨٠ ، تحقيق .
(١٢) فى ا : « بل هى » .

ثمرات الآداب ، بل الرَّوْض الأريض ، الذى سُقِىَ من [1] ماء الشَّباب ، فأجاب وأجاد ، وصَفَى من قَذَى الكَدَر مواردَ الوِدَاد ، وهذه [2] كواكبُها المُشرِقة فى دياجى نفسِه ، وثمراتها الزَّاهية فى رياض طِرْسِه [3] :

طالتْ وقد قصُرتْ عنهـا العباراتُ ... وحازتِ الحُسْنَ هاتيكَ البَراعاتُ
غرَّاء فائقةٌ باللُّطفِ رائقـةٌ ... تحلُو الخَلاعاتُ فيها والصَّباباتُ
أختُ الغزالةِ إشْراقاً ومُلتَفَتاً ... لها لدَى السَّمعِ لذَّاتٌ ونَشْآتُ
نسيبُهـا أطربَ الأسماعَ مَوقِعُهُ ... ومدحُها مالَه فى الحُسْنِ غاياتُ
كأنَّ خُرَّ معانيهـا ورِقَّتَها ... فى لفظِهـا الخمرُ تجلُوه الزُّجاجاتُ
يحلُو المُكرَّر من ألفاظِهـا ولَـكمْ ... مُلَّ المُكرَّرُ طبْعاً والمُعاداتُ
أتتْ إلىَّ وبدرُ الفكرِ مُنخسِفٌ ... ومالَه فى سمَا الإدْراكِ هالاتُ
وللهمومِ اطِّرادٌ فى الفـؤادِ كما ... ضَمَّتْ عِتاقَ المَذَاكى الجُرْدَ حَلْباتُ
أُسامِرُ النَّجمَ فى الليلِ الطويلِ ولا ... أغفُو وكم لعيُونِ النَّجمِ غَفواتُ [4]
فقمتُ فى الحالِ إجلالاً لها وسرَتْ ... عنِّى الهمـومُ وزارَتْنِى المَسرَّاتُ
وظَلْتُ مُنتصِباً لمَّا ارتفعت بهـا ... وكان عندى بذلِّ النَّفسِ كسراتُ [5]
قبَّلْتُهـا ألفَ ألفٍ ثم زِدْتُ فلم ... أحسِبْ وكم للكثيرِ العدِّ غَلْطاتُ [6]
وكان أُفْقُ زمانى مُظلِماً فبـدَا ... فيه شِهابٌ لنا منـهُ إنارات
شهـابُ علـمٍ ولكن نورُه أبداً ... بالذَّاتِ ماعرَضتْ فيه الإضاءاتُ

(١) فى م : « بماء » . (٢) فى م : « وهاهى » .

(٣) نقل المحبى فى خلاصة الأثر ٤/٢٤٦ هذه القصة عن الشهاب فى خبايا الزوايا على صورة أوسع وأشمل ، ثم ذكر ثلاثة أبيات من القصيدة ، ثم ذكر الفصل الآتى فى الاستخدام ، واعترضه فى كلام طويل .

(٤) فى ا : « غفلات » .

(٥) رجل ذو كسرات وهدرات ، محركتين : يغبن فى كل شىء . القاموس (ك س ر) .

(٦) فى ا ، ب : « لكثير العد » .

غُذِّى بِدَرِّ لِبانِ الفضلِ مُذ زَمنٍ ... فشَبَّ كالنَّارِ لا تعرُوه فَتَراتُ (١)

شيخُ العلومِ ومِفْتاحُ الفُهومِ وغَلاَّ ... بُ الخصـــومِ إذا عنَّتْ مُلاحاةُ

باهَتْ به أرضُ مصرٍ وازدهَتْ فلِذَا ... قد كاد أن تحسِدَ الأرضَ السَّمٰواتُ (٢)

قد شاد بيْتَ العُلا فوق السُّهى وله ... مِن فوق ذاك مَقاماتٌ عَليّاتُ (٣)

تستَنُّ أقلامُه فى الطِّرسِ من مَرَحٍ ... كأنَّها عنـد نَفْثِ السُّمِّ حيَّاتُ (٤)

فيها النَّقيضانِ مِن نَفْعٍ ومِن ضرَرٍ ... ذاك الأمانِيُّ إذ ذاك المَنِيَّاتُ

مهْمَا اغتدَتْ طَوْعَ باريها مُلازمةً ... للخَمْس تغدُو لها فى الطِّرس سَجْداتُ

أشعارُه الغُرُّ مثلُ الدُّرِّ قد نُظِمتْ ... منهـا عقودٌ ولكن لُؤلُؤياتُ

ما إن حسَا كأسُ سمْعِى من سُلافتِها ... إلا اعْتَرتْنِى لفَرْطِ السُّكْرِ نَشْواتُ

لِلّهِ أحجِيةٌ منـه أتت فسَرتْ ... منها إلى السَّمْعِ نَفْحاتٌ زَكِيَّاتُ (٥)

وأذْكَرتْنى بأن القُدسَ مِن سكَنِى ... وبانَ بالْبَان من شَكْوايَ مَيْلاتُ (٦)

والوُرْقُ رقَّتْ لِمَا ألقـاه ساجعةً ... كأنهـا فوقَ غُصنِ الْبانِ قَيْناتُ

وأنت يا أفضلَ العصرِ الذى اجْتمعَتْ ... فيـه العلومُ وفى الدَّهْماءِ أشْتاتُ

سامحْ إذا هفوةٌ للذهن قد عرَضتْ ... فـكم لِمِثْلِيَ بالتَّقْصـير هَفْواتُ

فسيفُ فكرِىَ لا لاقَيْتُ فيه صدًا ... وكم له عندما أرجـوه نَبْواتُ (٧)

والجسمُ فى غُرْبةٍ والقلبُ فى وطنٍ ... لم تُدْنِه منـه أيامٌ ولَيْلاتُ

---

(١) فى ا ، ج : « من زمن » وفى ب : « منذ ربى » .

(٢) فى ا ، ب : « تاهت » وفى ج : « نارت » .

(٣) فى ا : « فوق السما » .

(٤) فى أساس البلاغة ٤٦٣ : « واستن الفرس ، وهو عدوه إقبالا وإدبارا ، فى نشاط وزعل » وفى ب ج : « من مدح » .

(٥) فى هامش م : « قوله منها إلى السمع الخ ، فى نسخة من عودها الرطب » .

(٦) فى م : « بأن القدمن سكنى » . (٧) فى م : « عندما أجلوه » .

والبالُ فى قلقٍ والنفسُ فى شجَنٍ يعتادُها لِفراقِ الإلْفِ زَفْراتُ
فأىُّ شخصٍ بهذا الوصْفِ مُتَّصِفٍ تُطيعُــه مِن قوافى الشعر أبْياتُ
بقيتَ مُفْرَدَ علمٍ للهُــدى علَماً يُجلَى به الجهلُ عنّا والضَّلالاتُ
ودُمْتَ طَوْدَ حِجًى فى الجودِ بَحْرَ ندًى تأْتى إليــه المعـالِى والـكَمالاتُ
مالاح نَجْمٌ على الخَضْراءِ مُتَّقِدٌ ومارعَتْهُ الجِيادُ الأعْوجِيَّاتُ [1]

⁂

﴿ سانحة ﴾ [2]

فى قوله « رعته » استخدام[3]؛ لعَوْدِهِ إلى النجم، بمعنى الـكوكب، على ملاحظة معنى النَّبْت.

وقد يتعدَّد ذلك، كما فى قول ابن الْوَرْدِىّ [4]:

ورُبَّ غزالةٍ طلَعَتْ بقلْبِى وهْو مَرْعاهاَ [5]

(١) أعوج: فرس لبنى هلال، تنسب إليــه الأعوجيات، كان لـكندة فأخذته سليم، ثم صار إلى بنى هلال. أنساب الخيل ١٦، ٢١، ٤٢، وانظر القاموس (ع و ج).

(٢) فى م: « قلت ».

(٣) فى مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربى: ومن البديع المعنوى (الاستخـدام) أى مايسمى بالاستخدام، بالخاء والذال المعجمتين، وربما يقال بالحاء المهملة، وكلاهما بمعنى القطع، ومنه المخذم للسيف القاطع، يقال خذمه: قطعه؛ وإنما سمى هذا النوع بذلك؛ لأن الضمير فيه قطع عما يستحق أن يعود له من المعنى وجعل لغيره.

وفى حاشية الدسوقى على شرح السعد: (قوله الاستخدام) بمعجمتين وبمهملة ومعجمة وبمعجمة ومهملة، وكلها بمعنى القطع. انظر شروح التلخيص ٤/٣٢٦.

(٤) ديوانه ٢٦٣، ٢٦٤، وذكر الدسوقى أبيات ابن الوردى فى حاشيته على شرح السعد شروح التلخيص ٤/٣٢٧، كما ذكرها العاملى فى الـكشـكول ١/٤١٨.

(٥) زاد الدسوقى والعاملى بعد هذا:

نصبْتُ لها شباكاً من لُجَين ثم صِدْناهاَ

وفى الديوان والـكشـكول: « نضار ثم صدناها ». ثم قال الدسوقى: « معنى الاستخدامات الأربعة، بذلت الذهب، فاكحل عينك بطلوع عين الشمس، ومجرى العين الجارية من الماء ». ورواية الديوان « وزنت العين ».

وقالتْ لى وقد صِرْنا ... إلى عيْنٍ قصدْناهَا
بذلْتَ العيْنَ فاكْحُلْها ... بِطَلْعتِهـا ومجْراهَا

وقد يكون الاسْتِخدام بالضمير ، من غير اشتراك[1] أيضا ، كما فى قوله تعالى[2] :
﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ .

وقد يكون بالضمير المُستتِر فى حالٍ ونحوها ، كقولك[3] :

بذلْت العينَ جاريةً ... مُـكحَّلةً وطالعـةً

وقد يكون بالتَّمْييز من غير ضمير ، كقوله فى هذه القصيدة :

* أُخْتُ الغزالةِ إشراقاً ومُلتَفَتاً *

وقد يكون باسْمِ الإشارة ، كقولى :

* رأى العقيقَ فأجْرَى ذاكَ ناظِرُه *

وقد يكون بالاسْتِثْناء كقول الْبَهَاء زُهَيْر[4] :

أبداً حـديثى ليس بالْـ ... ـمنْسوخ إلّا فى الدّفاترْ

فذكر النَّسْخ بمعنى الإبطال ، واستثنى منه بمعنى الـكتابة . وهو استثناء غريب ، يحتاج إلى نظرٍ دقيق فى[5] إدخاله فى أحد نوعيْه[5] .

وله من قصيدة :

وتجرَّدَتْ بيضُ الصِّفاحِ وأُلْبِستْ ... عَلَقَ النَّجيعِ كَحُـلةٍ حمْراءِ

---

(١) فى م : « استتار » . (٢) سورة فاطر ١١ .
(٣) فى م : « كقوله » .
(٤) ديوانه ٩٤ ، وقد أخطأ المحبى فنسبه فى خلاصة الأثر ٣٤٦/٤ ، ٣٤٧ إلى عمر بن الفارض ، وقد نقل الدسوقى عن الشهاب هذا القسم والبيت فى حاشيته على شرح السعد ٣٢٧/٤ ، ثم تعقبه بقوله : « لـكن المعروف أن هذا من شبه الاستخدام » .
(٥) فى ا : « فى إدخال أحد نوعيه »

والسُّمْرُ مُذ سقَتِ الدِّماءَ زُجاجَها ... أضْحتْ ثِماراً أرْؤُسُ الأعْـــداءِ

وله من أخرى :

كأنّما الخيلُ فى المَيْدانِ أرْجُلُها ... صَوالجٌ ورءوسُ القوْمِ كالأُكَرِ

ومن رسالة لابن عبد الظاهر [1] :

أصبح الأعـداء كأنما جُزر [2] أجسادِهم جزائر ، يتخلَّلُها من الدِّماء السَّيْـلُ ، ورءوسُهم أُكَر تلعَب بها صَوالجةُ الأيْدِى وأرجلُ الخيْل .

وله من أخرى :

سَقَى طلَلاً حيثُ الأجارِعُ والسِّقْطُ ... وحيثُ الظباءُ العُفْرُ مابينهــا تَعْطُو

هَزِيمٌ هَمُولُ الوَدْقِ مُرْتجِسٌ له ... بأفْنائِه مِن كلِّ ناحيــةٍ سَقْطُ [3]

ولو أنّ لى دمعاً يُرَوِّى رِحابَهُ ... لمـا كنتُ أرْضَى عارضاً جُودُه نَقْطُ

ولـكنّ دمْعِى صار أكثرُه دماً ... فأنَّى يُرَجَّى أن يُرَوَّى به قَحْطُ

ومنها :

كأنَّ انْسِيابَ الرُّمْحِ فى الدِّرع سَالِـخٌ ... من الرُّقْشِ فى وَسْطِ الغَديرِ له غَطٌّ [4]

والبيت الثالث كقول مِهْيار [5] :

بـكَيْتُ على الوادِى فحرَّمْتُ ماءَه ... وكيفَ يَحِلُّ المـــاءُ أكْثرُه دَمُ

وقول الأبِيورْدِىّ [6] :

سقَى اللهُ لَيْلَ الخيفِ دَمْعِىَ والحْيَا ... أُرِيدُ الحْيَا فالدَّمْعُ أكْثرُه دَمُ

---

(١) سقط من : ب ، ومكانه فى ج : « وفى بعض الرسائل » .

(٢) فى ا : « جزل بر » .

(٣) فى ب : « هزيل » وفى ج : « هذيل » وفى م : « يزيد » . والهزيم : الرعد . ورجست السماء : رعدت رعدا شديدا وتمخضت .

(٤) السالخ : اسم الأسود من الحيات . القاموس (س ل خ) .

(٥) ديوانه ٣/٣٤٤ ، وفى هامش م : « هكذا فى النسخ ، والصواب الرابع » .

(٦) ديوانه ٣٢٩ ، وفيه : « دمعى أو الحيا » ، وفى ا : « أريد الحيا والدمع .. » .

والأخير كقول المعرّي[١] :

تَوهَّمَ كلٌّ سابغـةٍ غـديراً   فرنَّق يَشرَبُ الحَلَق الدِّخالا

وله من أخرى :

مالاحَ فى أُفقِ المحاسن إذ سرى   إلَّا حَمدتُ بليل طُرَّته السُّرَى

عقدَ الإزارَ على كثيبٍ فى نقاً   فغدا اضطِبارى وهْو محلولُ العُرَى[٢]

لا تذكرِ الغزلانَ عنـد كِناسِه   معه فإن الصَّيدَ فى جَوْفِ الفَرَا[٣]

وله أيضا :

إلى كم أُمَنِّى القلبَ والقلبُ مُولَعٌ   وأزجرُ طَرفَ العينِ والطرفُ يدمَعُ

وحتَّى متى أشـكو فِراقَ أحبَّتى   عفَا بالنَّوى منهم مَصِيفٌ ومَربَعُ[٤]

وأستعرضُ الرُّكبانَ عنهم مُسائلاً   عسى خبرٌ عنهم به الركبُ يرجعُ

تصـبَّرتُ عنهم وانثنيْتُ إليهمُ   ولم يبْقَ فى قوسِ التَّصبُّرِ مَنْزَعُ

أُراعِى نجومَ الليلِ أرقبُ طيْفَهم   وكيف يزور الطَّيفُ مَن ليس يهجَعُ

ومازلتُ أبـكى لؤلؤاً بعـد بَيْنِهم   إلى أن بدا مُرجانُ دمعِىَ يَهْمَعُ

وما كان تبـكى العينُ لولا فِراقُهم   عقيقاً ولا يشْفِى الفؤادَ طُوَيْلِـعُ[٥]

فلا حاجِرٌ بعـد الأحبَّـة حاجِرٌ   ولا لَعْلَعٌ مذ فارق الحىُّ لَعْلَعُ[٦]

غرَبْن شموساً فى بدورِ أكِلَّةٍ   فليس لها إلَّا من الخِدْرِ مَطْلَعُ

---

(١) شروح سقط الزند ١/١٠٧ . قال التبريزى : السابغة : الدرع . ومعناه أن هـذا الرمح الذى ادعى ظمأه توهم أن الدروع غدير ، فرنق ليرد فيشرب حلقها المداخل بعضها فى بعض ؛ لأنه حسب أنه ماء . ورنق ، من قولهم : رنق الطائر على الماء ، إذا حام حوله .

(٢) فى م : « من نقا » .   (٣) فى م : « كناسها » .

(٤) فى م : « أحبة » .

(٥) طويلع : ماء لبنى يربوع ، من تميم ، وهواسم لمياه وأماكن أخرى. راجع مراصد الاطلاع ٨٩٨ .

(٦) فى م : « ولا حاجر بين الأحبة » ، وحاجر : مكان بطريق مكة . أساس البلاغة ١٥٤ ، ولعلع منزل بين البصرة والكوفة . مراصد الاطلاع ١٢٠٥ . وقد كثر ذكر هذه الأماكن فى شعر العشاق.

وشابَهْنَ غِزْلان النقَّا فى نِفارِهـا ولـكنّهـا بين الترائبِ تَرْتَعُ
لها من مَهاةِ الرملِ عينٌ مريضـةٌ وجِيدٌ كجيدِ الظَّبْيِ أغْيَدُ أتلَعُ
ومن قُضُبِ البانِ الرطابِ معاطفٌ تـكاد عليها الوُرْقُ تشدُو وتسجَعُ
وتغدو سيوفُ الهندِ لما تشبَّهتْ بألحاظها فى الحربِ تَفْرِى وتقْطَعُ (١)
ذكرتُهمُ والقلبُ بالهم طافحٌ لبَيْنِهِم والبحرُ كالليـلِ أسْفَعُ (٢)
وما تنفعُ الذكْرىٰ لمن صَدُّهُمْ قِلًى ووصلُهمُ قطعٌ ومنهم تمنُّعُ (٣)
ولا عجبٌ فالبخلُ فى الغِيدِ والدُّمَى طبيعةُ نفسٍ ليس فيها تطبُّعُ (٤)
كالعلىّ كلُّ جــــــودٍ وسُؤْدُدٍ سَجيـةُ ذاتٍ ليس فيهـا تصنُّعُ

وله من أخرى :

ورَكْبٍ طِلاحٍ صاحَبوا النجمَ فى السُّرَى ترامَى بهم فِى السَّير بيدٌ وتعنفُ (٥)
يخوضون بحرَ الآلِ يطفُو عُبابُه طُفُوًّ دياجى الليلِ والليلُ مُسْدِفُ (٦)
كأن المطايا والأكِلَّةُ فوقهـــــا سَفِينٌ بأيْدى الأرْحَبِيَّاتِ تَجْدِفُ (٧)

وكان له نَدِيم أحدب ، يسمى أبا الخير ، يعدُّه عَيْبَةَ أسرارِه ، وجُهَينةَ أخبارِه ، وهو يُدِير عليه شَمُول وِدادِه ، ويجْنى إليه من كل وادٍ ثمراتِ فؤادِه ، ويُنْشِده ترجُمان لسانِه عن مُحجَّب جَنانِه :

ولقد جُبلتُ على محبَّة وُدِّه ما الحبُّ إلا للإمام الصَّالحِ

---

(١) فى ا : « بالحرب فى الحرب تفرى وتقطع » ، وفى ب ، ج : « بألحاظهم فى الجو تفرى وتقطع » .
(٢) أسفع : أسود .
(٣) فى م : « حبهم قلى ... وفيهم تمنع » . (٤) فى م : « فالبخل » .
(٥) فى ا : « طلاع » ، وطلح البعير : أعيا ، وزيد بعيره : أتعبه . القاموس (ط ل ح) ، وفى ا ، ب : « ترامى بهم والسير » ، وفى ج : « ترى مابهم والسير » .
(٦) الآل : السراب .
(٧) الأرحبيات : نسبة إلى أرحب ، فحل من الإبل . القاموس (ر ح ب) .

جميع إخوانه إليه يلجأون ، ومن كل حَدَب إلى جُرْثُومَته يَنْسِلون ، خفَّت روحُه فألقتْ بدَنَه خلفه ظِهرِيًّا ، واتَّخذتْ ماسواه شيئاً فرِيًّا ، كأنه خاف الُخطوبَ فهو مُتجمِّع حذَر الوُثوب .

وما الدهرُ فى حال السُّكون بساكنٍ ولكنه مُستجْمِعٌ لوُثوبِ

وله به عِزٌّ أقْعَس ، فى رَبْوة المعالى يُغرَس ، وطَبعُه بالظَّرف ربيعٌ أخْصَب ، وفى أمثالهم : « أظرفُ من أحْدَب » ، فهو سَنام اللطفِ وغاربُه ، وبحرٌ أحدبُ الأمواج ، بدائعُ[(١)] بدائِهِ عجائبُه ، ولم يزل يَعتام[(٢)] وِدادَه ، حتى قَبضت جواهرَ عُمرِه يدُ الدهر النَّقَّادَة .

كل ابنِ أنثى وإن طالتْ سلامتُه يوماً على آلةٍ حَدْباءَ محْمُولُ[(٣)]

⁂

فصــــل

ولم أسمع فى وصف أحْدَب ألطفَ من قول ابن الُمنجِّم فى ابن حُصَينة المَعرِّىّ[(٤)] :

يا أخى كيفَ غيَّرتْنا الليالى وأطالتْ ماييننا بالمِحَالِ[(٥)]

حاشَ للهِ أن أُصافِيَ خِــلاًّ فيرَانى فى وُدِّه ذا اخْتلالِ

زعمـــوا أننى نظَمْتُ هجاءً مُعرِبًا فيك عن شَنِيع المقالِ

كذَبوا إنمـا وصفتُ الذى حُزْ تَ من الفضلِ والبَها والـكمالِ

لا تظُنَّنَّ حَدْبةَ الظهرِ عيْباً وهْيَ فىالحسنِ مِن صفات الهلالِ

وكذلك القِسِيُّ مُحْدَوْدِباتٌ وهْيَ أنْـكى من الظُّبا والعوالِي

(١) فى ج : « بديع » . (٢) اعتام المال : أخذ خياره .

(٣) البيت لـكعب بن زهير ، وهو فى ديوانه بشرح السكرى ١٩ .

(٤) فى ج ، م : « المصرى » .

(٥) المحال (بالـكسر) : الـكيد وروم الأمر بالحيل .

وإذا ماعلا السَّنامُ ففيــه لقُرُومِ الجمالِ أيُّ جمالِ [1]
وأرَى الإنحناء فى مَنْسِرِ البازِىّ لم يَعْدُ مِخْلَبَ الرِّئْبالِ
كوَّن اللهُ حَدْبةً فيك إن شئـ ـتَ من الفضلِ أو من الأفضالِ
فأتتْ رَبوةً على طَوْدِ علمٍ وأتتْ مَوجةً ببحرِ نَوالِ
مارأتْها النِّساء إلا تمنَّتْ لو غدَتْ حِليةً لكل الرجالِ
وأبو الغُصن أنتَ لا شكَّ فيه وهو ربُّ القَوامِ ذو الإعْتدالِ
عُدْ إلى وُدِّنا القديمِ ولا تُصْـ ـغِ لِقِيلٍ من الوُشاة وقَالِ
وتذكَّر لياليًا حين ولَّتْ أودعتْ حسنَها عُقودَ اللآلِى
أتُرَى بالدُّعاء يجمع شَمْلِى أم رجائِى مُخَيَّبٌ وابْتهالِى
وإذا لم يكن من الهَجْرِ بُدٌّ فعسى أن تزورَنا فى الخيالِ

وعلى هذا النمط نسج ابن دَانيال قولَه فى رجل أحدب ، يسمَّى حسَّانا :

قسمًا بحُسنِ قَوامِكَ الفتَّانِ يا أوحدَ الأُمراء فى الُحدْبانِ
أنت الُحسامُ زها برَوْنَقِ حَدْبةٍ فزها على الخَطِّيَّة المُرَّانِ [2]
يامُخجِلاً شكلَ الهلالِ بقَدِّه حاشاك أن تُعزَى إلى نُقْصانِ
ومُماثِلاً قَدَّ القضيبِ إذا مشى من حَدْبَتَيْه يَميس كالرَّيَّانِ
ماعاب قامتَك الحسودُ جَهالةً إلا أجبْتُ مَقالَهُ ببَيانِ
هل يُحسِن الجوكان إلا أن يرَى مع أُكْرَةٍ فى حَلْبة الميدانِ [3]
أو هل يَزِينُ المَتْنَ إلا رِدْفُه حُسنًا فكيف بمَن له رِدْفانِ
والعُودُ أحْدَبُ وهو ألْهى مُطرِبٍ ولقد سمعتَ بنَغْمة العِيدانِ

---

(١) القرم (بفتح فسكون) : الفحل .
(٢) المران : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . القاموس (م ر ن) .
(٣) الجوكان : عصا لها طرف مستدير ، تستعمل فى لعبة البولو . انظر مفاكهة الخلان ١/ ٣٩ ، والأُكرة : لغة فى الكرة .

وكذا سَفِين البحر لولا حَدْبَةٌ ... فى ظهره لم يقْوَ للطّوفانِ

وإذا اكْتَسى الإنسانُ قِيل تمثُّلاً ... فى المدح قَامَتْ حَدْبَةُ الإنسانِ

ومُدبِّر الإكْسِير يُدعَى أحْدباً ... فى علمِه للقِسْط فى الميزانِ

يَفْدِيك فى الحُدْبانِ كلُّ مُكَرْبَحٍ ... يمشى الهُوَيْنى مِشْيَةَ السَّرَطانِ (١)

مُتجمِّع الكَتِفيْن أقْبصُ قد بدَا ... فى هيئةِ المتجمِّع الصَّفْعانِ (٢)

ومن بدائع ابن خَفَاجة الأنْدلُسِيّ ، فى ساقٍ أحْدَب أسود ، قولُه (٣)

وكأْسِ أُنْسٍ قد جلتْهــــا المُنَى ... فباتتِ النفسُ بها مُعْرِسَهْ

طاف بها أسْوَدُ مُحْدَوْدِبٌ ... يُطرِب مَن يلهو به مجلسَهْ (٤)

فخِلتُه من سَبَجٍ رَبْوةً ... قد أنبتَتْ من ذهبٍ نَرْجِسَهْ (٥)

ولعبد الله بن النَّطَّاح ، فى أحْدَب (٦) :

قصُرَتْ أخادِعُهُ وغاضَ قَذَالُه ... فكأنه مُتوقِّعٌ أن يُصْفَعَا (٧)

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « مكربج » . وكَربحه : صرعه ، أو الكربحة : الشد المتثاقل ، وعدو دون الكردحة . القاموس (ك ر ب ح)

(٢) فى ا : « فى مشية المتجمع الصفعان » وفى ب : « فى هيبة » . وفى الأصول : « أقنص » بالنون، ولا وجه له ، والقبص ، محركة ، ضخم الهامة ، قبص ، كفرح ، فهو أقبص الرأس ضخم مدور . القاموس (ق ب ص) . ورجل صفعان : يصفع وفى ا : « الصقعان » وصقعه ، كمنعه : ضربه ، أو على رأسه . القاموس (ص ق ع) .

(٣) ديوانه ٢١٠ .

(٤) فى الديوان : « يطرب من لهو » .

(٥) فى ب : « سبيج » والسبجة والسبيجة : درع ، عرض بدنه عظمة الذراع ، وله كم صغير نحو الشبر تلبسه ربات البيوت . وفى ج : « فى سبج » والمثبت فى ا ، م ، والديوان ، والسبج : خرز أسود ، دخيل معرب . انظر اللسان (س ب ج) ٢ / ٢٩٤ .

(٦) هذان البيتان لابن الرومى فى ديوانه ١٤٦ ، وهما فى الرسالة المصرية « نواد المخطوطات ١ / ٥٣ » لأبى محمد عبد الله بن الطاخ ، وهما فى عنوان المرقصات والمطربات ٦٦ لعبد الله بن الطباخ أيضا ، وقد أجمعت كل أصول الريحانة على أنه بالنون « النطاح » ، وقد أورد العباسى البيتين أيضا فى معاهد التنصيص ١ / ١٧١ ، واتفق مع الريحانة على أنهما لعبد الله بن النطاح .

(٧) فى م ، ج والمعاهد : « وغاص قذاله » وفى م : « مستوقع أن يصفعا » والقذال : جماع مؤخر الرأس ، والأخادع : جمع الأخدع ، والأخدعان : عرقان فى جانبى العنق خفيان . وفى ديوان ابن الرومى : « وطال قذاله . فكأنه متربص » . وفى عنوان المرقصات « وغاب قذاله » .

وكأنَّه قد ذاقَ أوَّلَ صَفْعةٍ   وأحَسَّ ثانيةً لها فتجمَّعا [١]

وإذ جرَرْنا ذيلَ البيان ، وسحبْنا بُرْد سَحْبان على الحدْبان ، فنقول : قوله « وأحس ثانية » إلخ ، كقول ابن دَانيال : « متجمع الكتفين » إلخ ، وهو معنًى بديع فى بابه ، لأن مُتوقِّع الضرب يتضاءل من خوفه ، ونظيرُه من يريد الوثُوب [٢] يتجمَّع ليَثِب [٢] ، فهيئته كهيئة من يريد السكون .

ولقد أجاد صالح الشَّنْتَرِينيّ [٣] من شعراء المغاربة ، فى قوله :

نُحاذِرُ أحـــداثَ الليالى وقلَّما   خــلا مِن توقِّيهنَّ قلبُ أديبِ

ونَرتابُ بالأيَّام عنــد سكونِها   وما ارْتاب بالأيَّام غــيرُ أريبِ

وما الدهرُ فى حال السُّكونِ بساكنٍ   ولـكنَّه مُستجمِـعٌ لوُثوبِ

وهو مأخوذ من قول الآخر :

سكنْتُ سكونًا كان رهْنًا لوَثْبةٍ   تثُور كذاك اللَّيْثُ للوَثْبِ يَلْبُدُ [٤]

وقول الآخر :

قد قلتُ ياقوم إن اللَّيْثَ مُنقبِضٌ   على بَراثِنِه للوَثْبـــة الضَّارِى

وفى المثل : « الدَّهرُ أرْود ذو غِيَر » .

---

(١) فى ب : « وكأنه قد ذاق صفعا مرة » . وفى ديوان ابن الرومى : « وكأنما صفعت قفاه مرة » ، وفى الرسالة المصرية : « وكأنه قد ذاق أول درة » . ورواية معاهد التنصيص ، وعنوان المرقصات تتفق مع ما أثبته .

(٢) ساقط من : ا .

(٣) اضطربت النسخ فى هــذه النسبــة ، ففى ا : « الشريني » وفى ب : « الشتريسى » وفى ج : « التسترى الأندلسى » وفى م : « البشنتريني » وفى هامش م : « فى نسخة الشيزيني » ولم أجده فيمابين يدى من مراجع الأندلس أو المغرب . ولعل ما أثبته أقرب إلى الصحة ، وشنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غربى الأندلس ، ثم غربى قرطبة ، وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه فى البحر المحيط . معجم البلدان ٢/٣٢٧ .

(٤) فى ا : « تثوب » .

قال الجَوْهَرِيّ [١] أى يعمل عملَه فى سكون ، لا يُشْعَر به .

ويقال : « تَلْبِيدٌ خَيْرٌ مِنَ التَّصْبِيءُ » [٢] يُقال لمن يتشاجع [٣] ، ويُضرَب مثلا للفِرار [٤] كما قاله الأَصْمَعِيّ .

وفى معناه قولى :

أقولُ لنائِمِ الغفلاتِ جهْلاً تنبَّهْ كم فسادٌ فى صلاحِ [٥]

وكم رجَعَ الزمانُ عن الرَّزايا رُجُوعَ التَّيْسِ أَقْعَى للنِّطاحِ

⁂

---

(١) الصحاح : (رود) ١/٤٧٦ .

(٢) رواية المثل فى النسخ مضطربة ، وقد أثبت مافى : م ، وهو الصحيح . والتلبيد : أن يلزق شعر رأسه بصمغ ، يجعله عليه ؛ لئلا يتشعث ، والتصيء : أن يثور الرأس ليغسله ، ثم لا ينقى وسخه ، يقال لبدت الشعر فتلبد ، وصيأته فتصيأ . يقول : لأن تتركه متلبدا خير من أن تتركه متصيئا ؛ يضرب لم قام بأمر لا يقدر على إتمامه . مجمع الأمثال ١/٩٨ .

(٣) فى ا : « يتجاشع » وفى ب : « يتخاشع » .

(٤) فى ا : « للفراته » وفى ب ، ج : « للفرا » .

(٥) فى م : « للائم العقلاء » وفى ا ، ب : « لنائم العقلاء » والمثبت من : ج .

٣

حسن بن محمد البُورِينيّ*

دِيباجةُ الدنيا ، ومَكرُمة الدهرِ ، ونكتة عُطَارِد التى يفتخر بها الفخر ، حسنةٌ اعتذر بها الدهرُ عما جَنَى ، ودَوْحةُ فضل غَضَّة الأنوار والجَنَى ، وزهرة الدنيا التى أنبتَها اللهُ تعالى برِياض (١) الشام نباتاً حسنا ، فجعل الأدبَ لرَوْض فضله سِياجاً ، وأنار بدرَه فى سماء الكمال سراجاً وهَّاجاً ، ولم تزل مُساءلةُ الرُّكبان تُتحِفنى بهدايا أخبارِه ، ونسيمُ المسامرة يهُبُّ مُعطَّرا بنفحات آثارِه ، وأنا أُؤَمِّل اجْتلاء بدرِه المنير ، وهو على جمعِهم إذا يشاء قدير .

فمن نفحاتِه ، وغُرِّ (٢) لُمعَاتِه (٣) قولُه (٤) :

يقولون فى الصُّبحِ الدعاء مُؤثِّرٌ ... فقلتُ نعم لو كان ليلِى له صُبْحُ
فياعجباً مِنِّى أرُومُ لقاءه ... وفى جَفْنِه سيفٌ ومِن قَدِّه رُمْحُ (٥)
وإنسانُ عينِى كيف ينجُو وقد غدَا ... يطول له فى لُجِّ مَدْمَعِه سَبْحُ

(*) حسن بن محمد بن محمد بن حسن ، بدر الدين البوريني الشافعي .
ولد فى قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .
واشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام ومساجدها .
وكان عالما محققا ، ذكى الطبع ، فصيح العبارة، طليق اللسان ، متين الحفظ، حسن الفهم ، عذب المفاكهة.
وقد جمع ديوانا من شعره .
توفى بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٤ ا ، خلاصة الأثر ٢/٥١ ، ديوان الإسلام لوحة ٢١ ب .

(١) فى ج : « بأرض » . (٢) فى م : « وغرر » .
(٣) فى ج : « لمحاته » .
(٤) ذكر المحبي هذه الأبيات ، فى خلاصة الأثر ٢/٥٦ ، ٥٧ .
(٥) فى الخلاصة : « وفى قده رمح » .

وإن كان يوم البَيْن يسْوَدُّ فَحْمةً ... فَفِي نَفَسِي نارٌ وفى مُهجَتِي قَدْحُ [(١)]

وليس عجيباً أن دَمْعِيَ أحمرٌ ... وفى مُهجَتِي قَرْحٌ وفى مُقلتِي رَشْحُ [(٢)]

وفى البيت الأول معنًى حسن ، قال : إنه ترجمه من الفارسِيّ ، مع أنه مشهور فى كلام العرب قديما وحديثا ، كقول ابن شَبِيب :

هوى صاحِبِي رِيحَ الشَّمَالِ إذا جرَتْ ... وأهْوَى لنفسِي أن تهُبَّ جَنوبُ [(٣)]

يقولون لو عزَّيْتَ قلبَك لارْعَوى ... فقلتُ وهــل للعاشقين قُلُوبُ

ومثله قول ابن أُذَيْنَة [(٤)] :

قالتْ وأبْثَثْتُها سِرِّى فبُحْتُ بهِ ... قد كنتَ عندِى تُحِبُّ السِّرَّ فاسْتَتِرِ [(٥)]

ألسْتَ تُبصِر مَن حولى فقلتُ لها ... غَطَّى هَواكِ وما أَلْقَى على بَصَرِى

وتابعه الباخَرْزِيّ ، فقال من قصيدة [(٦)] :

قالتْ وقد فتَّشْتُ عنها كلَّ مَن ... لاقيْتُه مِن حاضرٍ أو بادِى

أنا فى فؤادِكَ فارْمِ طَرْفَكَ نحْوَه ... ترَنِى فقلتُ لها وأين فؤادِى [(٧)]

وللبَهاء زُهَير [(٨)] :

---

(١) فى ج : « فمن مهجتى نار ومن نفسى قدح » وفى م : « فى نفسى نار وفى مهجتى قدح » ، وقد ورد البيت هكذا فى خلاصة الأثر :

وإن كان يوم البَيْن يسْوَدُّ فَحْمُه ... فَفِي مُهجَتى نارٌ ومن نفسى قَدْحُ

(٢) فى م : « وفى كبدى قرح ومن مقلتى رشح » وفى خلاصــة الأثر : « وفى مهجتى جرح وفى مقلتى قرح » .

(٣) فى م : « إذا سرت » .

(٤) زهر الآداب ١/١٦٧ ، والشعر والشعراء ٢٢٦ .

(٥) فى م : « تحت السر » وفى زهر الآداب والشعر والشعراء وخلاصة الأثر : « تحت الستر » وفى خلاصة الأثر : « وأودعتها سرى » .

(٦) البيتان فى الملتقط من ديوان الباخرزى ٢ ، وهو منشور بآخر دميــة القصر ، وهما أيضــا فى الـكشـكول ٢/١١٠ .

(٧) فى الملتقط من ديوان الباخرزى : « فارم لحظك » ، والمثبت فى الأصول ، والـكشـكول .

(٨) ديوانه ٥٠ .

جعلَ الرُّقاد لِكَىْ يُواصِلَ مَوعِداً مِن أين لى فى حُبِّه أن أرْقُدَا

وللأرْجِىّ :

وزعمْتَ أن الدَّهْرَ يُعْقِبُنِى صَبْراً عليكَ وأين لى صَبْرُ

وفى معناه قولى :

يقولون لى لم تُبْقِ للصُّلْحِ موضِعاً وقد هجرُوا مِن غير ذنبٍ فمَن يُلْحَى
صدقتُمْ وأنتم للفُــؤاد سَلبتُمُ ومالِىَ قلبٌ غيرُه يطلبُ الصُّلْحَا

وقلتُ أيضاً :

مُذ أودعُوا قلبىَ سرَّ الهوى خافــوا مِن الواشِى على حُبِّى
فانْـتهبُوا لُبِّى ولم يقْنعـوا باللُّبِّ حتى أخـذُوا قلْبى(١)

عوداً على بَدْءٍ .

وله أيضاً :

وكُنَّا كغُصْنَىْ بانَةٍ قد تألَّفـا على دَوْحةٍ حتّى استطالا وأيْنَعَا
يُغنِّيهما صَدْحُ الحمـامِ مُرجِّعاً ويَسْقِيهما كأسُ السَّحائبِ مُتْرَعا
سَليمَيْن من خَطْب الزمان إذا سطَا خَليَّيْن من قول الحسود إذا سعَى
ففارقنى مِن غـير ذنبٍ جنَيْتُه وأبْقَى بقلبى حُرْقَةً وتوجُّعاً
عفا اللهُ عنـــه ما جَناه فإننى حفظتُ له العهدَ القديمَ وضيَّعاَ

وله أيضا :

أُحوِّلُ وجْهِى حين يقْبِل عامداً مخـافَةَ واشٍ بينـنـا ورقيب

---

(١) ورد البيت فى م هكذا :

فانتهبُوا قلبى ولم يقْنَعُوا بالقلبِ حتى أخذوا لُبِّى

وفى باطنى واللهُ يعــلمُ أعينٌ　　تلاحِظُه فى أضْلُعٍ وقلوبِ[1]

وهذا مما تداولوه كثيرا . كقول أبى عُبادة[2] :

أحْنُوا عليك وفى فؤادِى لوعةٌ　　وأصُدُّ عنك ووجهُ وُدِّى مُقْبِلُ

وقوله أيضا[3] :

حبيبى حبيبٌ يكتمُ النّاسَ حُبَّه　　لنا حين تلقانا العيونُ قلوبُ

يُباعِدنى فى المُلْتَقَى وفؤادُه　　وإن هو أبْدَى لى البِعادَ قريبُ

ويُعرِض عنّى والهوى منه مُقْبِلٌ　　إذا خاف عَيْناً أو أشار رقيبُ

فتنطِقُ منّا أعينٌ حين نلْتَقِى　　وتخرسُ منا ألسنٌ وقلوبُ[4]

ولأبى تمّام[5] :

ولذلك قيل من الظنونِ جَلِيَّةٌ　　عِلْمٌ وفى بعضِ القلوبِ عُيونُ[6]

وأحسن منه قولى :

تنازعَ فيه الشَّوْقَ قلبى وناظرى　　فأثَّر فيه الطَّرفُ والقلبُ واجبُ

وتنظُرُه مِن قلبىَ الصَّبِّ أعينٌ　　عليها لِمَخْنِىِّ الضُّلوعِ حواجبُ

وله فى ترجمة معنى من الفارسيّة :

وَرَقُ الغُصونِ دفاترٌ مشحونةٌ　　ممــلوءةٌ بأدلَّةِ التّوحيــدِ[7]

---

(١) فى م : « والله أعلم » .

(٢) ديوان البحترى (الصيرفى) ٣/١٦٠٠ .

(٣) فى ا : « وله أيضا » ويبدو أن الأبيات للمترجم، فإنى لم أجدها فى أى من طبعات ديوان البحترى.

(٤) فى م : « ألسن وجنوب » .　　(٥) ديوانه بشرح التبريزى ٣/٣٢٦ .

(٦) فى الديوان : « صدق وفى بعض القلوب عيون » وعلق عليــه التبريزى بقوله : « من قولهم إن المؤمن ينظر بنور الله » .

(٧) سقط عجز هذا البيت من : ا ، وورد فى ج هكذا :

ورقُ الغصونِ دفاترٌ مشحونةٌ　　بأدلَّةِ التوحيـــــد والتَّمجيد

والمثبت من ا ، ب ، م ، وخلاصة الأثر ٢/٥٧ ، وورد صدر البيت فى الخلاصة هكذا : « ورق الغصون إذا نظرت دفاتر » .

وله أيضا قوله :

النَّاسُ نحوَ معادِمْ ومعاشِهم يسْعَوْن فى الإصْباح والإمْساء
وأنا الذى أسْعى لِلَذَّةِ نَظْرةٍ مِن وجْهك المُزْرِى ببَدْر سماء
والناسُ يخْشَوْن الصُّدودَ وإنما أخْشى سَلِمْتَ شَماتةَ الأعداء

وأحسن من هذا قولى فى رباعيَّة :

ما بى مهما رضِيتَ عنِّىَ بَاسُ والصبرُ بمرْهَمٍ لِجُرْحِى آسُ
لكننى أخْشَى إذا طال نوًى أن يشمَتَ فى الرَّجامنى الناسُ(١)

وله أيضا(٢) :

أما ينقضى هذا الغرامُ من القلبِ أما ينطْوى هذا المَلامُ عن الصَّبِّ
ألا حاكمٌ بينى وبين عواذِلى فيسألُهم ماذا يريدون من عَتْبى
ألا راحمٌ فى الحبِّ أشكو ظُلاَمتِى إليه فقد زادت يدُ البَيْن فى حَرْبى
ألا ساعةٌ أخلو بهِ فأبُثُّه لواعِجَ نِيرانٍ أقامتْ على قلبى
أما فى الورى مَن فيهِ رِقَّةُ رحمةٍ فيُبْدِى له حالى ويُوصِلُه كُتْبى
لقد ضاقتِ الدنيا علىَّ لبُعْدِه على رَحْبِها من غاية الشرقِ للغربِ
إذا لاح تبدُو وقْفةٌ فى تلفُّظِى وأغدُو لما ألقاه أحْيَرَ من ضَبٍّ
فما فىَّ إفْصاحٌ ولا فيه رَحمةٌ فيسألَ عن حالى ويفْرِجَ عن كَرْبى(٣)
ولا أنا ذو فِكْرٍ صحيح يدلُّنى على سببِ التَّأْنيسِ أو سببِ القرْبِ
وإنى إلى مولاىَ أنْهيتُ حالتى فغايةُ شكوَى العاجزِين إلى الرَّبِّ

---

(١) فى ب ، م : « لكننى أختشى » وفى ج : « لكننى أخشى إذا بنا طال نوى » ، « فى الدجى » .
(٢) سقطت هذه القصيدة كلها من : ب ، ج . (٣) فى ا : « من كربى »

وله أيضا :

إلهى أدِمْ حاكِمَ الحبِّ فِينَا مُطاعًا وكلُّ البَرايَا أُسارَى
إلهى وزِدْ ذلكَ القَدَّ لِيناً وأشْرِب سَقِيمَ الجفونِ العُقَارا
إلهى على ضَعْفِ أهل الهوى أنِلْ لحظَهُ فى القلوبِ اقْتِدارا
إلهى جُنـودَ الهوى أعْطِها على قُوَّةِ الصَّابرين انْتِصارا
إلهى على الحبِّ ألقيتُ صبْراً وعن حُسنِه ما أطقْتُ اصْطِبارا
إلهى أجبْتُ رسولَ الهوى ولم أَلْقَ منـذ دعانى اخْتِيارا
إلهى رضيتُ بمـا تَرْتضى بسِرِّى وسلَّمتُ أمرى جِهَارا
إلهى لِىَ الجَـبْرُ فيما تَرَى وإن ظنَّه العاذلون انكِسارا
إلهى أعِدْ ليـلَ هِجْرانِه بِصُبْحِ الوفا والتـلاقِى نَهَارا

أقول : هذا أسلوبٌ من أساليب الفصاحة لطيف ، كما بيناه فى كتابنا المسمى بـ « حديقة السحر » ، وهو نقل الـكلام من طريق إلى آخر ، كاستعمال ما عُهِد استعمالُه فى الدعاء والمناجاة فى التغزُّل ، كما هنا .

ومثلُه قول ابن الوَكيل[1] :

يارَبِّ جَفْنِى قد جفاه هُجُوعُه والوجدُ يَعْصِى مُهجَتى ويُطيعُه
يارَبِّ قلبى قد تصدَّع بالنَّوى فإلى متى هـذا البِعادُ يَرُوعُه
يارَبِّ فى الأظْعان سار فؤادُه ياليتَه لو كان سار جَميعُه[2]

ولم يزل يكرِّر « يارب » إلى آخر القصيدة[3] :

(١) فى م : « ومثله لابن الوكيل » .
(٢) فى ج : « ياليته قد كان » .
(٣) فى م : « حتى أتم القصيدة »

ومنه استعمال ما ورد فى الرّسائل والمكاتبات فى غيره ، كقول الشّاب الظريف ابن العَفيف (١) :

أعزَّ اللهُ أنصارَ العيونِ وخلَّد مُلكَ هاتيك الجفونِ
وأسبغ ظلَّ ذاك الشَّعرِ دَوْماً على قَدٍّ به هَيَفُ الغصونِ (٢)

ومن شعر صاحب الترجمة قوله :

لها فى رُبَى قلبِ المحبِّ مَقِيلُ وظِلٌّ بأحْناءِ الضُّلوعِ ظَليلُ
وإن ظمِئتْ فالوِرْدُ من ماء دمعه يُبَلُّ به عند الهَجير غَليلُ (٣)
فكم أَلِفتْ هذا النِّفارَ كأنما فؤادُ المُعنَّى بالسِّقام نحيلُ (٤)
أجَلْ إن عفَا مِن بعدهم فكأنما يُجَرُّ عليه للجَنُوب ذُيولُ (٥)
منازلُ هذا القلبِ كُنَّ أواهِلاً وها هىَ من بعد الفِراقِ طُلولُ
لك اللهُ يا ابن الأكرمين أيشتفى فؤادٌ لبَيْن الظَّاعنين عَليلُ
ويا ظبىُ هل بعد النِّفارِ تأنُّسٌ ويابدرُ هل بعد الأُفولِ قُفولُ (٦)
ويا منزلَ الأحبابِ أين ترَحَّلُوا وهم فى فؤادى ما حييتُ نُزولُ
يميلون عنّى للوُشاةِ وإننى إليهم وإن طال الصُّدودُ أَميلُ
أيَجْمُل من أحبابِ قلبىَ غدرُهم بغَدْرِى وماغدرُ المُحبِّ جَميلُ (٧)
علىَّ لهم حِفظُ الودادِ وإن جنَوْا وليس إلى نقْضِ العهودِ سَبيلُ

---

(١) ديوانه ٦٤ .
(٢) فى : ب ، ج ، م : « وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما » وفى الديوان : « وأسبغ ظل ذاك الشعر فيه » وترتيب هذا البيت الرابع فى الديوان .
(٣) فى ا : « وإن ظعنت » .
(٤) فى ج ، م : « فؤاد المعنى بالسقام نحيل » وفى : ا ، ب : « فكم ألفت » .
(٥) قبل هذا البيت فى ب : « منها » .
(٦) فى م : « وياظبى هل بعد النفار تألف » .
(٧) فى م : « أيجمل فى أحباب قلبى » .

وظبيٍ أراد العاذلون سُلُوَّهُ وأبْعدُ شيءٍ ما أراد عَذُولُ
وقد ضاع قلبى مُذْ رأيتُ جماله فهل لى عليهِ فى الأنامِ دليلُ
وما هاجَنى إلا ابنُ وَرْقاءَ سُحْرةً له فوق أفنانِ الرِّياض هَدِيلُ[١]
يُردِّد فى صُحُفِ الرِّياض قصائداً من الشَّوق يُمليها لنا ويُطيلُ
يُخيِّل أن البينَ آذَى فؤادَه وكيف ولَمَّا ينْأَ عنه خليلُ
ولم تحتكم فيه اللَّيالى ولم يَبِنْ عليه لبَيْنٍ رِقَّةٌ ونُحولُ
أما والهوى لو ذُقتَ ماذقتُ فى الهوى لما ازدان بالأطواقِ منك تَليلُ[٢]
على أنه ما فارق الإلْفَ دهرَه ومالى إلى وَصْلِ الحبيب وُصولُ
تسنَّمَ غُصْناً فى رياضٍ أريضةٍ تَهُبُّ عليها شَمْأَلٌ وقَبُولُ[٣]
يُصفِّق جَذْلانَ الفؤادِ كأنما تُدارُ عليهِ فى الكئوس شَمُولُ

وأنشدنى له بعض الأدباء رُباعيَّة، هى:

ياقلبُ إلى متى عَدَاكَ النُّصْحُ كم تمزحُ كم جنى عليك المَزْحُ[٤]
كم جارحةٍ عدا عليها الجُرْحُ ما تشعرُ بالخمارِ حتى تَصْحُو

[٦]قلتُ: ليست هذه له؛ فإنها فى «ديوان محمد بن على[٥]»، كما ذكرناه فى «ديوان الأدب[٦]».

ومن شعره، أعنى[٧] صاحب التَّرجمة:

---

(١) فى ا: «فوق أعناق الرياض».
(٢) التليل: العنق.
(٣) القبول: ريح الصبا؛ لأنها تقابل الدبور، أو لأنها تقابل باب الكعبة، أو لأن النفس تقبلها. القاموس (ق ب ل).
(٤) فى ا، ج: «وكم جنى».
(٥) فى ا: «فى ديوان محمد» فقط.
(٦) ساقط من: ب.
(٧) فى ج: «ومن شعره أيضا» وفى م: «ومن شعر صاحب الترجمة».

ألا سامحْ أخاكَ إذا تعــدَّى ‏ ‏ ‏ ‏ وألقِ إليه فى الحربِ السِّلاحَا

فمن يعتِبْ على الخِلاَّن يتْعَبْ ‏ ‏ ‏ ‏ ومن لزم المُسامحــةَ اسْتراحَا

وله أيضاً :

صــاحبى مَن يَودُّنى بالفؤادِ ‏ ‏ ‏ ‏ لا قريبى فى حِلَّتى وبلادِى[1]

ليت شعرِى إذا تناءتْ قلوبٌ ‏ ‏ ‏ ‏ أىُّ نفـــعٍ لصُحبةِ الأجْسادِ

وله أيضاً :

خَبأْتُك فى عينى لتخفَى عن الورَى ‏ ‏ ‏ ‏ لذلك قالوا إن فى العينِ إنْسانَا[2]

وأحسن من هذا قولى[3] :

خَبأْتُك فى العين خوفَ الوُشاةِ ‏ ‏ ‏ ‏ وكم شرّفَ الدارَ سُكَّانُها

ومن غيرةٍ خِفْتُ أن يفطِنُوا ‏ ‏ ‏ ‏ إذا قيـــل فى العين إنْسانُها

ومن فوائده : أنه سئل عن قول صاحب الهمزيَّة[4] :

شمسُ فضــلٍ تحقَّق الظنُّ فيه ‏ ‏ ‏ ‏ أنه الشمسُ رِفعــةً والضِّياء

فإذا ما ضحَى محا نورُه الظِّـــلَّ وقد أثبتَ الظِّلالَ الضُّحاء

فــكأن الغمامـــةَ استودعتْه ‏ ‏ ‏ ‏ مَن أظلَّتْ من ظله الدفَّاء

فذكر ما للشَّارحين فيه من الكلام الذى لا مُحصِّل له ، فخالفهم فيما قالوه من أن « الدففا[5] » بفاءين ، « وأظلت[6] » فيه بالظاء المشالة ، وذكر كلاما لا طائل تحته ،

---

(١) فى ا : « لاقريبى » وفى ا ، ب ، ج : « فى محلتى »

(٢) فى ا ، ب ، ج : « إنسان » وهو خطأ واضح . وفى خلاصة الأثر ٢/٥٨ : « وما كنت أدرى أن فى العين إنسانا » .

(٣) ذكر المحبى هذين البيتين ، فى خلاصة الأثر ٢/٥٨ .

(٤) انظر المنح المكية ، شرح الهمزية ١٥٢ـ١٥٥ ، وطراز المجالس ٢٤٨ .

(٥) فى م ، ج : « الدفاء » . وقال ابن حجر : « الدففاء : جمع داف ، وهم جيوشه ، سمى الجيوش بذلك لأنهم يدفون نحو العدو ، أى يسيرون إليه لدفعه واستئصاله » .

(٦) فى ا : « وظلت » .

بناء على أن « أضلت » بالضاد ، من الضلال بمعنى الإضاعة « والدفا[1] » بمعنى جماعة مُسرِين[2] من الجيش أو الملائكة ، وفيه خَبْط وخَلْط ، والذى عندى فيه أنه تحرّف عليهم أجمعين ، وإنما هو هكذا :

فكأنَّ الغَمامة اسْتُوْدِعتْهُ مُذْ أُظِلَّتْ مِن ظِلِّه الدَّقْعاء

« فاستُودِعْته » و « أُظِلَّت » مبنيّان للمفعول بصيغة المجهول ، « ومذ » بميم مضمومة وذال معجمة « والدَّقْعاء » بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة [ثم مذ[3]] بمعنى الأرض وترابها ، كما هو مُصرَّح به فى كتب اللغة ، والمعنى أن الغمام إنما[4] أظلَّه لئلا يمسَّ ظلَّه الأرض ؛ فلذا أخذه وديعة عنده ، ليصونه عن مسِّ التراب ، وهذا معنًى بديع ، يعرفه مَن ذاق حلاوةَ الشِّعر ، وعرف مغزاه .

وفى قوله « مذ أظلَّت » إلخ ، معنيان : أحدهما ، مذ مسَّ ظِلَّه التُّراب . والآخر : مذ صارت الأرض كلها فى حِمايته ؛ لأنه ظِلُّ اللهِ .

وفى معناه رباعيَّة لى :

ماجُرَّ لظِلِّ أحمدَ أذيالُ فى الأرضِ كرامةً كما قد قالُوا

هذا عجيبٌ وكم له من عَجَبٍ والناسُ بظِلِّه جميعاً قَالُوا[5]

وفى التَّائية المنسوبة للسُّبْكِىِّ التى نظم فيها معجزاتِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشرحها بعض المتأخِّرين[6] :

---

(١) فى م : « والدفا » ، وفى ج : « والرفقاء » .

(٢) فى ج : « مصرعة » .

(٣) مابين المعقوفتين زيادة تفسد المعنى، وهى موجودة فى الأصول كلها ، وفى حاشية ب تنبيه إلى هذا، حيث قال : « قوله ثم مذ بمعنى الأرض تحريف من الكاتب ، والذى بمعنى الأرض هو الدقعاء ، كما صرح به صاحب القاموس » . وانظر القاموس ٣/٢١ .

(٤) ساقط من : م .

(٥) فى م : « هذا عجيب » وفى ا ، ج : « وكم به من عجب » وفى ب : « ومابه من عجب » وقالوا فى البيت الأول من القول ، وفى الثانى من القيلولة .

(٦) ذكر خير الدين الزركلى ، فى الأعلام ١٠/١٨٦ أن محمد بن أحمد ، ابن المحلى ، المتوفى سنة ٨٩٠هـ شرح هذه التائية ، وهى مخطوطة بالمكتبة العربية بدمشق .

لقد نَزَّهَ الرحمنُ ظِلَّكَ أن يُرَى   على الأرضِ مُلْقًى فانطَوى لِمَزِيَّةِ
وأثَّر فى الأحجارِ مَشْيُك ثم لم   يُؤثِّرْ برمْلٍ حلَّ بطْحاءَ مَكَّةِ

قال شارحها : قيل : إنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظِلُّه على الأرض ؛ لأنه نور رُوحانِيّ .

مَا لطه رأى البريةُ ظِــــلاً   هو رُوحٌ وليس للرُّوحِ ظِلٌّ

والنور لا ظلَّ له ، وكذا الرُّوحانِيّات كالملائكة ؛ لأنها أنوار مُجرَّدة .

قيل : ولهذا أظهر[1] الأُمِّيَّة ؛ لئلا يقع ظلٌّ يدِه على اسم الله لو كتَبه ، ولا يخفى ما فيه .

وقيل : لم يُرَ ظِلُّه ؛ لأن الغَمام يُظِلُّه .

وقيل : هو تكريمٌ له ، لئلا يقع ظِلُّه على الأرض ، فيُوطَأ مَحلُّه .

ونُقِل أن بعضَ اليهود كان يطأُ ظلَّ المسلمين إهانةً لهم ، فصِين لئلا يُمْتَهن .

وقيل غير ذلك .

وأمَا كَوْن قدمِه صلى الله عليه وسلم يُؤثِّر فى الحجر دون الرمل ، فكان فى ذهابه لغار ثَوْر مع أبى بكر ، كان يقول له : « ضَعْ قَدَمَك مَوضِعَ قَدَمِى فإنَّ الرَّمْلَ لا يَنِمُّ عَلَيْهِ » لإرادة الله تعالى إخفاء[2] أثره عمَّن يطلبه من المشركين ؛ ولَان له الحجرُ إظهاراً لأنه لا يستعصِى عليه ، ولتكون فيه سِمَة ينجو بها من النار ، التى وَقُودُها الناسُ والحجارة ، ودلالة على شِدَّة قسوة قلوب الكَفَرة[3] إلخ .

⁂

(١) فى ا : « وكذا أظهر » ، وفى ج : « ولذا أظهر »

(٢) فى ا ، ب ، م : « لإخفاء » .   (٣) فى ا : « الكفار » ، وفى ج : « المشركين » .

أبو المعالى دَرْويش محمد الطَّالُوِىّ *

وحيدٌ له الحزم تِرْب واللطف قَرِين ، وماجدٌ ماله فى قَصَب السَّبْق رَهين ، وَرِيق قُضب المُرُوّة ، فاتح حصون المُلِمّات عَنْوَة ، سايل المعالى والكرم ، رقيق حواشى الطبع[1] والشِّيَم ، فكم فى عُلاه مَسْرَح المقَال ، ومجال لمُضْمَرات الأمانى والآمال .

إذا أعجبتْك خِصـالُ امرئ ... فكُنْه تَكُن مثلَ ما يُعْجِبُكْ

فليس على المجدِ من حاجبٍ ... إذا جِئتَــــه زائراً يَحجُبُكْ

حسَّان عصره ، وأبو عُبادة دَهْره ، له فى المجد زَنْد وَرِىّ ، وللأسماع من مَوردِه العذب شِرْب ورِىّ[2] ، نور مُحيّاه فى ظلمة الخطوب هادٍ ، وصيتُ كَرَمه لركائب الآمال حادٍ ، وبحر فكره المديد سريع ، ونسجُ طبعه أبْهى وأبْهج من وَشْى الربيع ، إذا حَلَّى أجْيادَ الغصون بعقود در الغمائم ، وألبس هاماتِ الرُّبَى من النَّبْت مُخضَرّ العمائم ، فكأنه بسحر[3] البيان ، أعْدَى عيونَ الغِيد الحسان .

(*) درويش محمد بن أحمد ـ وقيل محمد ـ أبو المعالى الطالوى الأرتقى الحنفى .
ولد بدمشق ، سنة خمسين وتسعمائة ، من أب رومى وأم من أسرة آل طالو .
ولزم فى أول أمره صنعة السروج ، ثم حبب إليه الشهاب الغزى طلب العلم ، فترك حرفته .
وقد ارتحل إلى الروم ونابلس ومصر ، واشتغل بالتدريس والقضاء .
وكان ماهرا فى كل فن من الفنون ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، منشئا بليغا ، حسن التصرف فى النظم والنثر ، وجمع أشعاره وترسلاته فى كتاب سماه : « سانحات دمى القصر » .
توفى بدمشق ، سنة أربع عشرة بعد الألف .
تراجم الأعيان لوحة ٢٢١ ا ، خبايا الزوايا لوحة ١٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/١٤٩ ، ديوان الإسلام لوحة ٥٥ ب .
وفى م : « درويش بن محمد الطالوى » . وما أثبتناه فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(١) فى م : « الطباع » .

(٢) فى ا : « روىّ » .

(٣) فى ا : « بحر » .

نجمٌ تُجْلَى عليه المعانى صورةً فصُورة ، وتُتْلَى عليه آياتُ الفضل سُورة بعد سُورة .

وإذا كاتب بألفاظه الرقيقة ، وَدَّ السِّحْرُ لو كان قِنَّه[(١)] ورقيقَه ، فكم سرَّح طِرْفَ طَرْفى فى رياض المنثور ، فجَنى من حدائقِه بيَد الفكر غضَّ الزهور ، ففاح نَشْرُ بلاغتِه فى ليل حِبْره[(٢)] ، ولا بدع للمنثور إذا عَبَق فى عَنْبَر الظلماء عبيرُ نَشْرِه ، فحلَّيْتُ لسانى بعقود إنشائِه الدُّرِّيّة ، وأشرق علىَّ من فلك المُسامرةِ كواكبُها الدُّرِّيّة ، ورأيت سَبْح سطورها فى يد المجد ، وخِيلانُ[(٣)] نَقطها تزين من وجه الطِّرس صفحة الخدّ ، فسبَّحت عجباً من دُرٍّ[(٤)] لونُه السَّواد ، ومن رياضِ كافورٍ تُنبت مِسْكَ المِداد .

فكأنَّ أسطُرَه غصونُ حديقةٍ ومن القوافى فوقَهُنَّ حَمامُ[(٥)]

وهو فرعٌ من شجرة آل طَالُو ، الذين فاقوا فى رتب العُلى وطَالُوا .

إن حاربُوا ملأُوا البلادَ مَصارِعاً أو سالمُوا عمرُوا الدِّيارَ مساجِدا[(٦)]

طلعُوا فى رُبَى الجياد غصوناً مُورِقة بالسلاح ، وبَسَقتْ فروعُها من بيض الصِّفاح وسُمر الرِّماح ، صيَّروا أكفَّهم للمكارم مَعْدِناً ، وأبوابَهم لوفُود السَّعادة مَوْطناً ، فكم من راكب عَجِل استوقفتهُ فوقَف ، وأهدى إلىَّ مِن آثاره تحفاً بكل طرْفةٍ تُحَف[(٧)] ، حتى ورد علىّ بالروم فقرَّ بهِ نظرى ، ولم تسمع أُذنى بأحسن مما قد رأى بصرى ، فطار غُرابُ البَيْن من وَكْرِ العَنا ، ونثرت علىَّ قوادمُ يُمْنِه[(٨)] نِثارَ الثَّنا ، وأنا ثَمَّتَ غريبُ

(١) فى ا : « قينه » ، وفى ج : « فتيه ورفيقه » .
(٢) فى ا : « خبره » .
(٣) الخيلان : جمع الخال ، وهو شامة فى البدن . القاموس (خ ى ل) .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « لدرى » . (٥) فى ا : « حمائم » .
(٦) سقط هذا البيت من : ب (٧) فى ا : « من آثاره تحفاً بعد تحف » .
(٨) فى ا : « بحثه » وفى ج : « يعينه » .

الوجه واليد واللسان ، وليست الفُرقة فقدُ الأهل بل فقد الأحبَّة والإخوان[١] ، فدار بيني وبينه كئوس مُحاورات تُسكر الأذهان ، ويحْتَسِي حُميَّاها فِكرُ كل لبيب بأفواه الآذان ، ويُوسَم بها عقلُ[٢] الدهر ، وتُغْضِي حياءً منها عيون الزَّهر .

فمما كتبتُه إليه ؛ لأسْتمطر سحائبَ طبْعِه الغرّ ، وأستجْدى كرماً من رَقِيق خُلقِه الحرّ ، وأستَمْرِى منها ماءَ الحياة على غُلَّة ، قطراتٍ لو وقعت فى بحور الأشْعار لم يكن بها عِلَّة ، قولِى[٣] :

قبَّلتُ مُصطبِحاً شِفاهَ الأكْؤُسِ	والصبحُ يَبْسَمُ لى بثغرِ ألْعَسِ
حتى غــــدتْ منه الغزالةُ واختفَى	مِسْكُ الدُّجَى عند الجوارِى الكُنَّسِ
والنهــــرُ سيفٌ والنسيمُ فِرِنْدُه	وله حمائلُ من خمائلِ سُنْدُسِ[٤]
أو صدرُ خُودٍ فتَّحتْ أطواقَهــــا	أو شقَّقتْ للوجْــدِ حُلةَ أطْلَسِ
والطَّيرُ تشدُو والغصونُ رَواقِصٌ	فى وَشْيِ دِيباجِ الرَّبيعِ السُّنْدُسِى[٥]
وعلى الخلاعــة ليس جيــدِى عاطلاً	من حِلْيةِ المجــد العزيزِ الأنفَسِ
ولواحِظ مرْضَى بها اعتلَّ الصَّبَا	والصَّبُّ بالسُّقْم المُبرِّح مُكْتَسِ
فتَنتْ بأنفسها ففيهــــا عِلَّةٌ	من وجدِها وفتورُ مهجورٍ نُسِى[٦]
فلكم قطفْتُ ثمــــارَ لهوٍ أينعتْ	وغفلتُ عما قد جنَى الدهرُ المُسِى
وطردتُ آمالِى براحــــةِ عِفَّتِى	إن التَّمنِّى رأسُ مالِ المُفْلِسِ
رامَ التَّلمُّسُ بذْلَ شعرى بُرهةً	فطرحتُــــه كصحيفةِ المُتلَمِّسِ

---

(١) فى م : « والخلان » .

(٢) فى ب : « عقد » وفى ج : « عقلى » .

(٣) أثبت المحبي فى خلاصة الأثر ٢/١٥٣ افتتاحية هذه القصيدة . وافتتاحية قصيدة الطالوى ، التى أجاب بها .

(٤) فى ب ، ج : « بالنسيم فرنده » .

(٥) سقط عجز هذا البيت من : ا .

(٦) سقط هذا البيت من : ب .

وكَحَلْتُ طَرْفِي بالسُّهـــاد صبابةً ووهبتُ نومى للعـــيون النُّعَّسِ
ونظرتُ خـدَّ الورد لما احمرَّ من خجلٍ وقد بُهِتَتْ عيون النَّرجسِ
وأظنُّ خَجْلتَه لخدِّ الطِّرس إذ أمسى بوَشْيِ عِذارِ شَعرك مُكْتَسِى (١)
ياعِقدَ جِيـــد الدَّهر غُرَّةَ فجره وطِرازَ ماحاك العُلا من مَلبَسِ (٢)
بل كعبةً حجَّتْ لهــــا آمالُنَا فدنَتْ إلى حَرَم الكمال الأقْدَسِ
مِن آل طالُو فِتيةٌ طالُوا الورَى بذُرَى أشَمَّ من المعــالى أقعَسِ
بمناقبٍ تُليتْ لنـــا آياتُها عنها يكاد يُبين نُطْقُ الأخْرَسِ
ورياض فِكرٍ بالفضائل أثمرتْ فغـدَتْ تُحَدِّثُنــا بِطيب المَغرِسِ
أسكَرْتنـــا بسُلافِ شِعرٍ لفظُه كأسٌ له فِكرى بسمعى مُحْتَسِ (٣)
وسرَتْ نُسَيماتٌ سُحَيْرا أرقصَتْ طرباً بها عقلَ اللبيب الأكْيَسِ (٤)
فاعجَبْ لها من أكؤسٍ ما أُبرِزتْ إلا رآها الذَّوقُ نَقْلَ المجْلِسِ (٥)
وسِهامِ أقلامٍ له تُصْمِى العِــدا وتظَلُّ بين مُسَدَّدٍ ومُقَرْطَسِ
ناجَيْتُه وظلامُ فِكرى قد دجا وصباحُ صَفْوى عنه لم يتَنَفَّسِ
فجَـــلا السُّرورَ له بثغرٍ باسمٍ طَلْقِ الجبين كوجْهِ يوم مُشْمِسِ
فإليْكَها منِّى قوافِىَ دَوْحُهـــا زاهٍ بغير يدِ النُّهَى لم يُغْرَسِ
بِكراً إلى كُفءٍ تُزَفُّ ومهرُها نَقْدُ الجواب براحةِ المستأنِسِ (٦)
لا زِلتَ فى حُلَلِ المسرَّةِ رافلاً ما حَدَّقتْ ليلاً عيونُ الخُنَّسِ (٧)

(١) جاء « مكتسى » هكذا لضرورة القافية .
(٢) فى ا ، ب : « غرة فخره » ، وفى ا : « وطراز ما حاز العلا » .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « بسلاف طبع » . (٤) فى ا ، ب : « سحرا رقصت » .
(٥) النقل : ما يتنقل به على الشراب .
(٦) فى م : « براحة المتأنس » .
(٧) فى م : « أحدقت » والمثبت من : ا ، ب ، ج . والتحديق : شدة النظر بالحدقة . وفى حديث معاوية بن الحكم : فحدّقنى القوم بأبصارهم . أى رمونى بحدقهم . اللسان (ح د ق) ١٠/٣٩ ، ٤٠ .

فأجاب وأجاد رحمه الله :

خــدٌّ تورَّدَ من لهيبِ تَنَفُّسِ ... أم قَدُّ مَغْسولِ المَراشِفِ ألْعَسِ

مِن ريمِ وَجْرَةَ أو جآذرِ جاسِمٍ ... لبسَ الشَّبابَ الرَّوق أحسنَ مَلْبَسِ (١)

مُتوشِّحاً خَطِّيَّ قامتِــه فإن ... ماسَتْ فياخجلَ الغصونِ المُيَّسِ

فإذا رنا فاللَّحظُ منــه بابلٌ ... هاروتُ منه نُطْقُه كالأخْرَسِ (٢)

أم عِقدُ غانيةِ الحسان زهَتْ به ... تِيهاً على زُهْرِ الجوارِى الكُنَّسِ (٣)

أم لُؤلُؤٌ رَطْبٌ توائِمُ زانَه ... حُسنُ النِّظام بجِيد ظَبْيَةِ مَكْنَسِ

أم روضةٌ غنَّاء غنَّتْ فى ذُرَى ... أغصانِهـــا وُرْقٌ بلحْنٍ مُؤْنِسِ

حاكتْ لها أيدى الجنوبِ مَطارِفاً ... وكسَتْ معاطفَها غلائلَ سُنْدُسِ

مابين أصفرَ فاقعٍ أو أحمـر ... قانٍ وأبيضَ ناصعٍ ومُوَرَّسِ

أم غادَةٌ هيْفاء أذْكَرت الصِّبَا ... صَبًّا تناَسَى العهدَ منه وما نَسِى

وافتْ وأفراسُ الصِّبَا قد عُرِّيتْ ... والقلبُ أقصرَ عن هواه وما أَسِى (٤)

وافتْ وَفِيَّ بقيَّــةٌ ألهو بهـــا ... مِن شَرْخِيَ الماضى تَعِلَّةَ مُفْلِسِ

مِن ماجدٍ وشِهابِ فضلٍ ثاقبٍ ... حُلوِ الشَّمائل بالفضائل مُكْتَسِ

فظنَنْتُ رَيْعانَ الشَّبابِ أُعِيد لى ... حتى الوصالُ مِن الحبيب المُؤْنِسِ

فطفِقْتُ أهصِرُ بانَةً من قَدِّها ... والقلبُ بين تَوَجُّسٍ وتَهَجُّسِ

حتى اطمأنَّتْ فاجْتَلَيْتُ بوجهِها ... قمرَ السَّماءِ بلَيْلِ شَعرٍ حِنْدِسِ (٥)

---

(١) وجرة : منزل من طريق مكة من البصرة ، بينه وبين البصرة أربعون ميلا ، ليس بينهما منزل ، فهو مربى للوحش ، مراصد الاطلاع ١٤٢٦ . وجاسم : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية . المراصد ٣٠٦ . والروق من الشباب : أوله .

(٢) فى ب ، ج : « هاروت فيه » . (٣) فى ب : « زهر النجوم » .

(٤) سقط هذا البيت من : ب . وفى ا : « وأفراس الضبا قد غربت » ، وأسى : حزن .

(٥) الحندس ، بالكسر : الليل المظلم ، والظلمة .

لمَّا بدا خفيتْ له شمسُ الضُّحَى ... في ثوب غَيْمٍ ترْتديه وتـكْتَسِى

نطقَتْ مناطقُها فأُخْرِس دونهـــا ... نُطْقُ الفَصيح وحار فِـكْرُ الـكَيِّسِ

لِمَ لا وناظمُها الشِّهابُ من اعْتَلى ... شُهبَ العُلى بـكَمال فضلٍ أقْعَسِ (١)

فَرْعٌ نمـــاه إلى خفاجةَ مَحْتِدٌ ... والفرعُ يُنْبِئُ عنه طِيبُ المغْرِسِ

وافتْ لنـا منــه حديقةُ روضةٍ ... خجِلتْ لبهْجَتِها عيونُ النَّرْجِسِ

طِرسٌ به زُهْرُ النجــومِ كأنه ... صبحٌ وهُنَّ به بقايا الحِنْدِسِ

لثمتْ شِفاهُ الغِيــد قِدْماً نِقْسَه ... فغدا له فيــه حياةُ الأنفُسِ (٢)

إنِّى لَأعجبُ من شِهابٍ قد سما ... مُتَبَوِّأً العَلْيـــاءِ أرْفَعَ مَجْلِسِ

والشُّهْبُ تطلُعُ فى السَّماءِ وحَدُّها ... فلَكُ الثَّوابتِ وهْوَ فوق الأطْلَسِ

لا زلتَ فى حُلَلِ الفضائلِ رافلا ... مُتوشِّحاً بُرْدَ الشَّبـابِ الأنفَسِ

خُذْها وإن كانت مُقصِّرةً فمِن ... شأنِ الـكرام قبولُ عذرٍ من مُسِى

شامِيَّـــةٌ يعنُو اباهرِ حسنِهـــا ... وجـــهُ الغزالة والغزالِ الألْعَسِ

وانعَم بها لا زلتَ ترْشِفُ سمْعَنا ... من رَاحِ نظْمِك مُتْرَعاتِ الأكْؤُسِ

ومما أنشدَنيه قولُه من قصيدة له :

يَراعُكَ أمْضَى من شِفارِ الصَّوارِمِ ... ورأيُكَ أجْلَى من بُروقِ المَباسِمِ

مَضاءٌ يقُدُّ المُرْهَفاتِ وعَزْمَـــةٌ ... لهافى ضِرامِ الخطْبِ فعلُ الضَّراغِمِ (٣)

ومنها :

بسَيَّارةٍ مثـــلِ النُّجوم طوالعٍ ... قوافٍ لعَمْرى أفحمتْ كلَّ ناظمِ

تَساقَطَ فى الأسماع لُؤْلُؤُ لفظِهـا ... تَساقُطَ طَلٍّ فوق زَهْر الـكَمائمِ

---

(١) فى ج : « بكمال فضل أنفس » .

(٢) النقس ، بالـكسر : المداد . القاموس (ن ق س) .

(٣) فى ب : « مضاء يفل المرهفات » .

بقِيتَ لهذا المُلْكِ تحمى ذِمارَه ... بسُمْرِ يرَاعِ الخطِّ لا بالصَّوارِمِ
جنابُك محروسٌ وبابُك كعبةٌ ... لبطْحائِها حَجِّى وفيها مَواسِمِى

وله أيضا [(١)] :

كَفَى به جائراً فى الحُكمِ ماعدَلا ... لو كان يسمعُ فى أحبابِه عذَلا
وراح يُضمِــر سُلْوانًا بخاطره ... عن مَائِساتٍ قُدودٍ تُخجِل الأَسَلاَ [(٢)]
بل كيف يصحو غراماً أو يُفِيق هوًى ... مَن باتَ بالأحْورِ العيْنَين مُشتغِلاَ
فما الهوى غيرُ أجفانٍ مُسهَّدةٍ ... تهْمِى بقلبٍ بنِيرانِ الأسَى شُعِلاَ
ولا الغرامُ سوَى وَجْدٍ يُكابِدُه ... إلى الحِمَى ياسَقَى اللهُ الحِمَى نَهَلاَ
حِمَى دِمَشْقٍ سقاها غيرَ مُفسِدِها ... صَوْبُ الغمامِ وروَّى روضَها عَلَلاَ
حتى تظَلَّ بهــا الأرْجاءُ باسمةً ... ويضحك النَّوْر فى أكْمامِه جذَلاَ [(٣)]
وخصَّ بالجانبِ الغربىِّ منْزِلةً ... لبِسْتُ فيها الشبابَ الرَّوْقَ مُقتبِلاَ
مَغْنى الهوى ومغانى اللّهو حيث به ... مَهاً إذا طلعتْ بدرُ السَّما أفلاَ
تلك المنــازلُ لا شَرْقىٌّ كاظمــةٍ ... ولا العقيقُ ولا شِعْبُ الغُوَيرِ ولاَ [(٤)]
ديارُ كلِّ مَهاةٍ كم أقول لهــا ... والصبرُ ينْحَل فى جسمى كما نَحَلا
بما بِعَيْنيكِ من سحرٍ صِلِى دَنِفاً ... يهْوَى الحياةَ وأمَّا إن صدَدْتِ فلاَ [(٥)]
اللهُ يعــلم أنى بعــد فُرْقتِهــا ... فارقتُ شَرْخَ الصِّبا واللهوَ والغزَلاَ [(٦)]

---

(١) من هنا يبدأ سقط فى : ب ، ج ، ينتهى بانتهاء المختارات من هذه اللامية .

(٢) الأسل : الرماح . (٣) فى ا : « ويضحك الروض » .

(٤) كاظمة : جو على سيف البحر ، فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة ، وماؤها شروب . مراصد الاطلاع ١١٤٣ ، والغوير : ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة ، وانظر المراصد ١٠٠٦ .

(٥) فى ا : « بما بعينيك . . . . وأما إن صدرت فلا » .

(٦) قبل هذا البيت فى ا : « تضمين » .

ما كنتُ لولا طِلابُ المجدِ أهجرُها هجْرَ امرىءٍ مُغرَمٍ بالرَّاح كأْسَ طِلاَ
ولا تخيَّرْتُ أرضَ الرُّوم لى سكناً ولا تعوَّضْتُ عنها بالصِّبَا بَدَلاَ
ولا امتَطيْتُ عِتاقَ الخيلِ راميةً بِىَ الْمَوَامِى تجوبُ السَّهلَ والجبلاَ
مِن كل رِفٍّ يفوق الطَّرفَ سُرعته وسابحٍ مثل سِيد الرَّمل ماعَسَلاَ (١)
إذا تطلَّع من لُجِّ السَّرابِ يُرَى بدْراً غدا بهلالِ الأفقِ مُنْتَعِلاَ

ومنها :

متى أتى بِىَ أرضَ الرُّوم مُنتجِعاً روضاً أريضاً وماءً بارداً وكلاَ (٢)
وقال بُشْراك روضُ الفضل قلتُ له روضُ ابن بُستانِ مولانا فقال بَلَى
هو الجوادُ الذى سارتْ مواهبُه تدعو العُفاةَ إلى نَعمائِه الجَفَلَى (٣)

ومنها :

وها كَها من بناتِ الفِكرِ غانيةً شاميَّةَ الأصْل مهما سائلٌ سألاَ
غريبة فى بلادِ الرُّوم ليس لها كُفؤٌ سِواكَ فأنقِدْ مَهرَها عَجِلاَ

وكتب له بعض أحبابه قصيدةً هزَّت بنسيم عُتْبِها عِطْفَ آدابه ، فأجابه بقوله ، عفا الله عنه :

توشَّحَتْ كالنجوم الزُّهْر فى الظُّلَمِ سِمْطَيْن من لُؤلُؤٍ رَطْبٍ ومن كَلِمِ
وقلَّدتْ جِيدَ آرَامِ النَّقَا دُرَراً بزَّتْ بهنَّ دَرَارِى الأفقِ بالقلمِ (٤)
وأقبلَتْ فى مُرُوطِ الزَّهْو رافِلةً تجرُّ تِيهاً فُضُولَ الرَّيْط من أَمَمِ (٥)

---

(١) فى ا : « يفوت الطرف » . والسيد ، بالكسر : الأسد والذئب . وعسل الذئب أو الفرس : اضطرب فى عدوه وهز رأسه .
(٢) فى ا : «حتى أتى » .
(٣) دعاهم الجفلى : أى بجماعتهم وعامتهم .
(٤) فى ا : « بالعلم » .
(٥) فى : ب ، م : « مروط الزهر » والريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة ، الجمع ريط . القاموس (ر ى ط) . والأمم : القرب .

جيداء مصقولةُ القُرطيْن مائسةُ الْ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ مِطفين مخضوبةُ الأطْراف بالعَنَمِ (١)
كأنها حين وافتْ والفؤادُ بها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ صَبٌّ صُبابةُ شَرْخٍ مَرَّ كالحُلُمِ
فما الرِّياضُ بكاها القطرُ ليلتَه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ بُكاءَ طَرْفٍ قريحٍ بات لم يَنَمِ (٢)
شوقاً لطَيْفِ خيال بات يرقبُه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ مِن ناقضِ العهْدِ والميثاق والذِّمَمِ
يُضاحِك المُزْنُ فيه الأقحوانَ ضُحًى ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ عن ثَغْرِ مُبْتسِمٍ بالدُّرِّ مُنْتَظِمِ
فالوُرْقُ صادِحةٌ والروضُ ضاحكةٌ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ثغــورُه بَيْن مُهلَنٍّ ومُنسجِمِ (٣)
تجاذِبُ الرِّيحُ أطرافَ الغصون بها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فتنثنى والهوى ضَرْبٌ من اللَّمَمِ
يوماً بأحْسَنَ مَرْأى من شمائلِها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وقد أتتْ بعِتابٍ من أخى كَرَمِ
مُهذّبِ القــول إلا أنه أُذُنٌ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ يُصْغى إلى قول واشٍ بالنِّفاق سُمِى
لا يعرفُ الوُدَّ إلا مَذْقَ ساعتــه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ والشَّاهدُ العَدْلُ ما يتلُوه من قَسَمِ (٤)
هيهات ما الوُدُّ ممَّن كنتُ أعهدُه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ باقٍ وقد حال عن عهْدِى ولم يَدُمِ (٥)
فيالَه من عِتابٍ لم يَفُهْ أبداً ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ بمِثْلِه أحــدٌ فى سالفِ الامَمِ (٦)
سِوى امْرِئٍ ساء ظنًّا فى صنائعِـه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فساءَ ظنًّا بخِلٍّ غــير مُتَّهَمِ (٧)
وشاتمُ العرْض فيما قيــل ، كُنْ فطِنًا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ مَن بلَّغ القولَ لا مَن ذاك عنه نُمِى
لا يُعْزَيَنْ ذاك للإحسانِ والنِّعَمِ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ بل ذاك يُعْزَى لبُهْمِ القاع والنَّعَمِ (٨)
كم من أخٍ صارمٍ وُدِّى صبرْتُ له ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ حتى ارْعوَى ووِدادِى غيرُ مُنصرِمِ

---

(١) فى ا : « مصلفة القرطين » وفى ب : « مصلتة القرطين » وفى ج : « مطلقة القرطين » .
(٢) فى ا : « بكاه الطرف » وفى ب ، ج : « بكاها الطرف » .
(٣) فى ب : « ومبتسم » . وانسجم القطر : تتابع .
(٤) فى ج : « لا يصرف الود إلا مذق » . ويقال : فلان يمذق الود ، إذا لم يخلصه .
(٥) فى ا ، ب ، ج : « وقد حال من عهدى » .
(٦) فى ا ، ج : « لم يغد أبداً » وفى ب : « لم يعد أبدا » .
(٧) فى ب : « سوى أخ » .
(٨) فى ا : « لا يعزبن ذاك بالإحسان » وفى ب : « لا يعزبن قال » وفى ج : « لا يعزمن قال » .

يا مَن تُعمرّ منه بيتَ باطنِه وظاهرُ الأمر أن البيتَ لم يرمِ
يا مَن له مِن ودادي كلُّ خالصةٍ أصفو بها صَفْوَةَ الأخلاقِ مِن شِيَمى[1]
أصِخ إلى القول واسْمعْ ما أقول فلِي صَبْرٌ له ركنُ رَضْوَى غيرُ مُنْهَدِمِ[2]
قد كُنْتَ رَيْحانةَ العيْشِ التي بَسقَتْ أغصانُها في حِمَى المعروفِ والكرَمِ
فصوَّحتْ وذَوَى الغصنُ الرَّطيبُ فلا دارٌ بحَزْوَى ولا رَبْعٌ بذِي سَلَمِ[3]
ولا مَعاجٌ على سِقْطِ اللِّوى وبه جآذرٌ قد كَحَلْنَ الوُدَّ بالسَّقَمِ
ولا على طلَلٍ دَمْـعٌ يُراقُ ولا يُؤَرِّقُ الجفْنَ ذكرُ البانِ والعلمِ
خُذها عقيلةَ فكرٍ بنت ليلتِها وِشاحُها النَّجمُ عِقْدٌ غيرُ مُنْفَصِمِ
واسلَمْ على حالَتَيْ وُدٍّ وصِدْق ولا مازَان عِقْدَ نِظامٍ جَوْهرُ الكَلِمِ[4]

وكان له غلام تُعصَر من شمائله سُلافةُ اللَّطَّافة ، هَمَّته[5] في خِدمته خِفَّةُ النشاط إلا أردافَه ، أحْلَى من ظَفر عاني ، وألذُّ من حديث[6] الأماني ، لو قيل للحُسْنِ تَمَنَّ المُنَى . تمنَّى أنه مثلُه ، لشغَفِه به سلَّم له قلبَه ، فَسرى به[7] رَبْطه وحَلَّه ، فسلَبه منه الزمانُ أبو البدائع ، وما كلُّ خَرْقٍ إذا وَهَى له راقِـع ، فكتب إلى الشريف أمير الشام ، يستعْدِيه على أعدائِه ، وأقسم عليه بالحَمية الهاشميَّة المورُوثة من آبائِه ، بقوله :

باللهِ يا نَشْرَ العَبيـ ـرِ سرَى بِرَوْضاتِ الغَرِيِّ
طاف المشاهدَ وانْثنَى نَشْوانَ مِن كأسٍ رَوِيِّ

---

(١) في ب : « ومن له في ودادي » . (٢) في م : « أصخ لقولي » .
(٣) حزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وذو سلم : واد ينحدر على الذنائب (ثلاث هضبات بنجد) المراصد ٤٩٠ ، ٥٨٨ ، ٧٣٠ .
(٤) في ا ، ج : « وصدقلا » .
(٥) في م : « قد عمته » والمثبت في ا ، ب ، ج : وهمته خفة النشاط : أذابت جسمه وأذهبت لحمه.
(٦) في ا ، ب : « أحاديث » .
(٧) في ا : « فسر به » وفي ب : « فشق به » وفي ج : « فشد به » .

وأقام بالزَّوْراءِ مِنْها في رياضِ الخابريّ
مُتَنَزَّلِ الآيِ الكريمِ ومَهْبِطِ الوَحْيِ السَّنِيّ
إن جئْتَ رَبْعَ الشَّام فاقْ صِدْ ساحةَ الشَّرفِ العَلِيّ
أعْني الشريفَ ابنَ الشري فِ ابنِ الشريفِ المُوسَوِيّ
مُتحمِّلا عنِّي السَّلا مَ كمِسْكِ دَارِينَ الذَّكِيّ[1]
لِجَنابِ مولانا الوزي رِ وَلِيِّ مولانا عَلِيّ
ثم اشْرَحَنْ مِن حالِ مو لاه المحبِّ الطَّاوِيّ
ماذا لَقِي في ثَغْرِ صَيْ دا مِن دُرُوزِيٍّ غَوِيّ
دينُ التَّناسُخِ دينُه لا بل يَدِين بكلِّ غَيّ
ويرى الطَّبائعَ أنها فعَّالةٌ في كلِّ شَيّ
وافَى بمكتوبِ الشري فِ إليه من بلدٍ قَصِيّ
يُوصِيه فيه كأنَّما أوصاهُ في أخْذِ الصَّبِيّ
فسقاهُ يوم فِراقِه لا كان بالكأسِ الرَّوِيّ[2]
وغدا الحشاَ مِن بعدِه يبْكِي بدمعٍ عَنْدَمِيّ
في غُربةٍ لا يشْتكِي فيها إلى خِلٍّ وفِيّ
لا جارَ يحْمِيه ولا يأْوِي إلى رُكْنٍ قَوِيّ
إلَّا إلى رُكنِ الشري فِ الطاهرِ الشِّيَمِ الزَّكِيّ
حامي حِمَى الشرعِ الشري فِ بكلِّ أبيَضَ مِخْذَمِيّ[3]

(١) في م : « متحملا عنى السلام » ودارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، فينسب إليها . مراصد الاطلاع ٥٠٩ .
(٢) في م : « بالكأس الردى » .
(٣) مخذمى : نسبة إلى مخذم ، هو سيف الحارث بن أبي شمر الغساني . وانظر القاموس (خ ذ م) .

مولاى لى حقٌّ عليــــك فجُدْ به من غيرِ لَىِّ[1]
بولاءِ حَيْدَرةَ الوَصِىِّ م أخى النبىِّ الهــاشمىِّ[2]
لا تُهْمِلنْ مِن أخْذِ ثا رِى من كَفورٍ بالنَّبىِّ
وابْعثْ إليـــه مَقانِباً فيها الكمِىُّ على الكمىِّ[3]
لو حاربَتْ جُنْدَ القضا ءِ ثنَتْ سُرَاهُ عن مُضِىِّ[4]
جرّافةٌ لم تُبْقِ فى أطْلالِه غيرَ النُّؤىِّ
وأُشَيْعِثٍ ينْعِى الدِّيا رَمع ابن دَايَةَ فى النَّعىِّ

قلتُ : هذا بُرْد سابِرىّ[5] أو سحرٌ سامِرىّ ، تجرى منه مياه الفصاحة ، وتزهو[6] من مُحيّاه أنوارُ الملاحة[6] ، وفيه نَفْحة عَلويّة[7] ، وشِكاية[8] من ابن مَعْن[9] ، وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتّناسخ ، على رأى الحاكم بأمر الله ، ويقال

---

(١) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

مَولَى الموالى إن لى حقًّا لديك بغــير لَىِّ

وورد فى ب ، ج هكذا :

مَولاىَ سَمْعاً إن لى حَقًّا لديك بغــير لَىِّ

(٢) فى ا ، ب : « بولاى » وفى ج : « مولاى » .
(٣) المقنب من الخيــل : ما بين الثلاثين إلى الأربعــين ، أو زهاء ثلاثمائة . القاموس (ق ن ب) . وفى ج : « وابعث إلى مقانبا » .
(٤) فى ج : « ثنت سواه » .
(٥) السابرى : ثوب رقيق جيد . القاموس (س ب ر) .
(٦) سقط من : ج .
(٧) فى ب : « علوية وضاحة » . (٨) فى ا ، ب : « وشكايته » .
(٩) فى ، ب ، م : « ابن سيفا » ، وفى ج : « ابن سيف » ،وهو فخر الدين بن قرقاس بن معن الدرزى . انظر خلاصة ٣/٢٦٦ .

لهم : دُرْزِيّة[1] نسبة لحسين[2] الدُّرْزِيّ ، وهو صاحب دعـوة الحاكم ، ومعنى الدُّرْزِيّ : الخيّاط .

وقوله : « الوصى » هو علىّ رضى الله عنه ، زعم الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة للإمام على رضى الله عنـه حين تآخى[3] معه فى غَدِير خُمّ[4] ، وهو أمر مخالف لأهل السنة ، إلا أن ممدوحَه كان يقول بذلك ، فجرى فى شعره على مُعْتَقَدِه ، والله أعلم بالسّرائر .

وقوله : « لو حاربت » غُلُوٌّ كان ينبغى تركه .

و « الغَرِىّ » موضع بالـكوفة ، دفِن فيه علىّ كرم الله وجهَه .

« والنُّؤِىّ » بضم النون والهمز ، جمع نُؤْى ، وهو ما يُحفَر حول الخِباء حتى لا يدخله المطر .

والمراد « بأُشَيْعِث » تصغير أشعث ، الوَتِد[5] ؛ لأنه يشعَث إذا دُقّ .

[6]« وابن دَايَة » كُنْيَة الغراب[6] ، [7]والمراد أنه لا يُبْقى لهم أثراً[7] .

---

(١) فى ج : « دروزية » ، وفى تاج العروس (درز) ٣٥/٤ : « والدرزى ، بالفتح: الخياط ، وأبو محمد عبـد الله الدرزى ، صاحب دعوة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وإليـه نسبت الطائفة الدرزية الخارجة عن جادة الشريعة ، الـكائنة بجبال الشام ، وهم الإسماعيلية . كذا فى شفاء الغليل للخفاجى ، والعامة تضم الدال ، ويقولون فى الجمع الدروز ، والصواب الدرزة ، محركة » .

وفى شفاء الغليل ٩٩ : « والدرزية طائفة تنسب إلى أبى محمد الدرزى ، صاحب دعوة الحاكم ، وهم يقولون بمذهب الإسماعيلية ، من الحلول والتناسخ وحل الفروج ، والناس يقولون دروزية ، فيحرفونه » وانظر خلاصة الأثر ٢٦٨/٣ .

(٢) فى ا « لحسن » ، وفى ب : « لحوز » .

(٣) فى م : « أوصى له بالخلافة حين تآخى ... » .

(٤) غدير خم : بين مـكة والمدينة ، قيل على ثلاثة أميال من الجحفـة . وقيل : على ميل . مراصد الاطلاع ٤٨٢ .

(٥) فى م : « وهو الوتد » . (٦) زيادة من : م .

(٧) فى ا : « والمراد لا يبقى لهم أثر » وفى ب ، ج : « والمراد أنهم لا يبقى لهم أثر » .

ومما أنشدَنيه قوله ، (١ وقد أرسلها من الروم إلى الشام ١) :

أنُسَيْمَةَ الرَّوضِ المطيرِ بالعهْدِ فى زمنِ السُّرورِ (٢)

وأنيقَ أيامِ الشَّبا بِ وعَيْشِه الغَضِّ النَّضيرِ

ووَثيقَ أيامِ التَّصا بى يالَمَعْهدِها الخطيرِ

ومعاهدٍ كانَ الشَبا بُ وشَرْخُه فيها سَميرِى

هوَّمْتُ فيه فصاح بى داعى الصباحِ المُستَنيرِ

فطفِقتُ أنظُرُ منه فى أعْقابِ بَرْقٍ مُستَطيرِ

قد كان حسَّانُ المرا بِعِ فيه حسَّانَ البُدورِ

أيامَ غُصنُ شبيبَتِى ريَّان من ماء الغرورِ

وُذؤابتى شَرَكُ المَهَا وحُبَالَةَ الظَّبْى الغَريرِ (٣)

حيثُ الشَّبيبةُ روضةٌ غنَّاء صافيةُ الغديرِ

فَنَّاء رائدُها المَهَا ةُ الرُّودُ من رِيمِ الخُدورِ (٤)

من كلِّ مُخْطفةِ الحشَا كأخِى الرَّشا أختِ الغريرِ (٥)

طلعَتْ بليلِ ذوائبٍ أبْهى من القمرِ المنيرِ

بيْضَاء وشَّحَت التَّرا ئبَ والنُّحورَ من الثغورِ

فكسى معاطِفَها الشَّبا بَ الرَّوْقَ حسَّانُ الحبيرِ

تمْشِى أناةَ الخطْوِ فيها رَوْعةُ الظَّبْى النَّفُورِ

---

(١) سقط من : ب ، ج . (٢) فى ا : « من زمن » وفى ج : « فى روض » .

(٣) سقط عجز هذا البيت من : ج ، وكذلك سقط البيت الذى يليه وصدر البيت الثالث .

(٤) فى ا : « قفا » وفى ب : « غناء أيدها » والفناء : الكثيرة الأغصان .

(٥) مخطفة الحشا : ضامرة البطن .

قويتْ على قتْـــلِي وفى ... ألحاظِها ضَعْفُ الفتورِ (١)
وبما جرَى يومَ النّوى ... من دُرِّ مَدْمعِها النّثيرِ
كالعقْد أسْلَمَـــه النِّظا ... مُ من التّرائبِ والنُّحورِ
وبوَقْفةِ التّوديعِ والْ ... أنْفاسُ تَصْعَدَ بالزّفـيرِ
ويَدُ الفِراق تشبُّ فى الْ ... أحشاءِ نيرانَ السَّعـــيرِ
إلَّا سَرَيْتِ مع الصَّبا ... يانَسْمةَ الروضِ المطيرِ (٢)
فاجْتَزْتِ من أرض العرا ... قِ على الخَوَرْنقِ والسَّديرِ (٣)
ووقفتِ بالزّوراء وَقْـ ... فةَ زائرٍ أوفى مَزُورِ
وحملْتِ للـكرْخِ التَّحِيَّـــةَ من أخى شجَنٍ أسيرِ (٤)
ونزلتِ من نهر الأُبلَّـــةِ والصَّراةِ على شَفيرِ (٥)
وأقمتِ فى شطِّ الفُرا ... تِ بمُلتقَى العذْبِ النَّمـيرِ
وسمعْتِ هَيْنَمـــةَ الرِّيا ... ض وصوْتَ جائشةِ الخريرِ

---

(١) سقط عجز هذا البيت من : ب ، ج ، كما سقطت الأبيات الثلاثة التالية ، وصدر البيت الرابع ، وبدأ ما هو موجود فى الرابع بكلمة « الأحشاء » .

(٢) فى ب ، ج : « فى نسمة » .

(٣) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر ، والسدير : نهر بالحيرة ، ويقال : قصر فيه قباب مداخلة .

(٤) فى ج : « من أخى محن » . والـكرخ : من نهر الرفيل . يقول ياقوت : وقد أكثر الشعراء من ذكره ، ولا أثر له يعرف ألبتة . ويقول صفى الدين البغدادى : وليس كذلك ، بل أثر النهر القديم باق ، وإنمـا استخرج له فم أعلى منه ، وقد كان قديما يدخـل فى المحال فى أنهار تتفرع منه فيدخل إلى الـكرخ ، والمحال التى فى شرقى الصراة ، ويدخل إلى مدينة المنصورة فى غربى الصراة بعبارة أسفل من القنطرة ، ولمـا خربت المحال لم يبق لها ولا لمـا كان يدخلها من الأنهار أثر ، وبقى النهر مختصا بالمزارع . مراصد الاطلاع ١١٥٥ .

(٥) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى ، فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة . والصراة : نهران ببغداد ، الصراة الـكبرى والصراة الصغرى ، ولياقوت فى تحديدها قول خطأه فيه صفى الدين البغدادى وفى الأصول كلها : « الصراط » وهو خطأ . انظر مراصد الاطلاع ١٨ ، ٨٣٦ ، وانظر التعليق السابق .

وجذَبْتِ فى تلك الحـــدا ئقِ طَوْقَ ساجعةِ الهَدِيرِ
حُفَّتْ بسَرْوٍ كالقيـــا نِ تلفَّعتْ خُضْرَ الحريرِ
ولثَمْتِ خـدَّ الروضِ فيـــه نباتُ رَيْحـــانٍ طَرِيرِ[1]
وثنيْتِ عِطفَـك والصّبـا حُ يـكاد يُؤْذِنُ بالسُّفورِ
وأتيتِ بابـل فاصْطَبَحْـــتِ بمثـل مصباح منـيرِ
يُغْنيـك مُتْهِمَةً ومُنْ جِدَةً سَناها عن خَفـيرِ[2]
ثم انبريْتِ مـــع الجَنُو بِ وحُدْتِ عن مَسْرَى الدَّبُورِ[3]
حتى نزلْتِ على الأرا كَةِ أو رسَيْتِ على ثَبيرِ[4]
فسقطتِ مِن أرض الحَزَا مَى والبَشَامِ على الخَبيـرِ
وطلعتِ نجْـــداً والدجى يُسْتَلُّ من أثواب قِيرِ[5]
ومشيْتِ فوق عَـــرَارِه ما بين حَوْذانٍ وخِـيرِ[6]
وهبطْتِ غَوْرَ تِهامَـــةٍ والشُّهبُ مالَت للغويرِ[7]
ونزلْتِ فى سَفْحِ الأرا كِ وشُفْتِ زاهيةَ البريرِ[8]

---

(١) سقط هذا البيت من : ب ، ج . (٢) فى ب : « عن حقير » وفى ج « عن خضير » .

(٣) فى ب : « ثم استربت عن الجنوب » وفى ج : « ثم انبريت عن الجنوب » والدبور : ريح تقابل الصبا .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « حتى نزلت بذى الأراكة » والأراكة : الواحـدة من وادى الأراك ، قرب مكة . وذو الأراكة : موضع باليمامة . المراصد ٤٩ .

(٥) القير والقار : الزفت ، وشىء أسود يطلى به السفن والإبل .

(٦) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم . اللسان (ح و ذ) ٤٨٨/٣ . و« خير » هو الخيرى ، وهو زهر من الرياحين طيب الرائحة . نظام الغريب ٢١٦ ، وانظر شفاء الغليل ٨٨ ، وتاج العروس (خ ى ر) ١٩٧/٣ .

(٧) الغوير : ماء بين العقبة والقاع ، فى طريق مكة . المراصد ١٠٠٦ .

(٨) فى ا : « وسقت زاهية البرير » وفى م : « رشفت » وفى ج : « وسف » والمثبت من : ب وشفته شوفا : جلوته . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

وسلكْتِ من وادى العقيـــق منابتَ العَجَمِ الشَّكيرِ (١)
وأمَلْتِ فيـــــه ذوائبَ الـ أغصانِ من طَلْحٍ نضـيرِ (٢)
وهصَرْتِ باناتِ النقَّـــــا هصْرَ الرَّوادفِ للخُصــورِ
فحملْتِ منهـــــا من غَوا لى المِسْك فاغيةَ الزُّهورِ (٣)
وعـــبرْتِ دَارِينَ العطا رِ وشِمْتِ غاليةَ العبيرِ (٤)
وازْدَدتِ من أرَجِ الـكبا ءِ ورَنْدِه عنـــد المسيرِ (٥)
وجَزَعْتِ وادى الشَّحْرِ ايـــلاً وانثنَيْتِ مع البُكورِ (٦)
والصبحُ يخطُر فى الدجى كالوحْيِ يخطُـــر فى الضميرِ
والنَّسْر فيـــــه واقعٌ خوفَ الصباح لدى الوُكورِ (٧)
وكواكبُ الجـوْزاءِ مُمْـــسكةُ الأعِنَّـــةَ عن مسيرِ
خافت سُهَيْـــلا فانتضَتْ سيفاً من الشِّعْرَى العبورِ (٨)

---

(١) العجمة (بالتحريك) : النخلة تنبت من النواة . اللسان (ع ج م) ٣٩١/١٢ . والشكير : فراخ النخل . القاموس (ش ك ر) . وفى ب ، ج : « الهمم الشكير » .
(٢) فى ا : « من طلع » .
(٣) فى ب ، ج : « فحملت منه » . وفى ا ، م : « فاغمة الزهور » والفاغية : نور الحناء ، أو يغرس غصن الحناء مقلوبا فيثمر زهرا أطيب من الحناء . القاموس (ف غ ى) .
(٤) فى ب : « دارين العطان » وفى ج : « دارين القطا » وفى م : « دارين العطا » والمثبت من : ا . وفى ا : « وسمت غالية العبير » وفى ج ، م : « وشممت » والمثبت من : ب .
(٥) كذا وردت « الـكباء » فى ا ، ج، م وهى فى ب : « البـكاء » واست أدرى المعنى المقصود ، وفى ج : « فاذدت من » .
(٦) جزع الوادى : قطعه . القاموس (ج ز ع) والشحر : ساحل البحر بين عمان وعدن . وفى م : « السحر » وفى ج : « الشيح » .
(٧) فى ج : « حول الصباح » ،وفى م : « لدى الدكور » وفى ج : «لدى البكور» والمثبت من ا . وورد البيت فى ب هكذا :

والنَّسرُ أوقع فيه مِن حولِ الصباح لذِى الوُكورِ

(٨) فى ب : « فاقت سهيلا » .

والنجمُ يهْوى للغرو ب كأنه كفُّ المُشيرِ
فهبطْتِ ربْعَ الشامِ دا رَ اللَّهو بل مغْنى السُّرورِ
ونزلْتِ بالوادى المقدَّ س شاطئاً غيرِ الشطيرِ[1]
وخطَرْتِ من بطْحاءِ وا دى النَّيْرَبَيْنِ على الصخورِ[2]
ووقفْتِ فى تلكَ الرُّبى مابين روضٍ أو غديرِ
وقرأْتِ سُكَّانَ القصو رِ بها السلامَ بلا قُصورِ
لا سِيَّما شيخِ العلو مِ مفيدِ أرْبابِ الصُّدورِ
شمسِ الهدايةَ والدِّرا ية شيخِ جامعِها الكبيرِ[3]
كشَّافِ أسرار البلا غةِ عُمْدةِ الفتْحِ القديرِ
مُعْلِى منارَ الشَّرعِ مُغْنى المُعتفِى كنزِ الفقيرِ
ورئيسِها قاضى جما عتِها المُحكَّمِ فى الأمورِ
الفاضلِ اللَّسِنِ المُفوَّ هِ والمُنزَّهِ عن نظيرِ
أعْنِى به القاضى مُحبَّ م الدِّين ذا الرأىِ المنيرِ
مَوْلَى أراعَ يَرَاعُه قلبَ الطُّروسِ مع السُّطورِ
ببديعِ وشْيٍ مُخْجِلٍ وشْىَ البديعِ أو الحريرِى
وأبى الضِّيا حسنٍ حليفِ الفضلِ والأدبِ الغزيرِ[4]
عجباً له فاق الأوا ئلَ وهو فى الزَّمنِ الأخيرِ
أدبٌ يروقُك مثلُ زهْرِ الروضِ غِبَّ حَياً مطيرِ[5]

---

(١) فى ب : « ونزلت وادى القدس » .

(٢) النيربان : تثنية نيرب ، قرية مشهورة بدمشق ، على نصف فرسخ ، فى وسط البساتين ، يقول ياقوت : « أنزه موضع رأيته » ، ويرد فى الشعر مثنى . معجم البلدان ٤/٨٥٥ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وسقط بعده ثمانية أبيات .

(٤) فى م : « وأبو الضيا » على الرفع .

(٥) سقط هذا البيت من : ب ، ج ، وسقط بعده خمسة أبيات .

ومنها :

ومُشيِّدِى أرْكانِهــا أمراءِ مُعلِمِها الخطيرِ [1]

منهم جَنــابُ الطَّـا لُوِىّ سليلُ أرْتَقَ ذِى السَّرِيرِ

مُحْيِي مكارمَ حاتمٍ بين الأنام بلا نَــكِيرِ [2]

والمنجَـكِيُّ مُحمدُ السَّـامِى على الفَلَكِ الأثِيرِ [3]

فهــو الأميرُ ابن الأمــيرِ ابن الأميرِ ابن الأميرِ

ذكَرتْهُمُ الأنواءُ ذِكْـرِى بالعَشِيِّ وبالبُـكُورِ [4]

وكساهُمُ خُلَعَ الشبابِ الرَّوْقِ مُقتَبلُ الدُّهورِ

وقد عارض بهذه القصيدة مافى « الحماسة » [5] وللناس على مِنوالها قصائدُ كثيرة ، أحسنها ماللشَّريف الرَّضِيّ [6] :

نطَق اللسانُ عن الضَّميرِ والسِّرُّ عُنوانُ الصُّدورِ [7]

وعلى مِنوالها لأبى بكر الخُوارَزمِيّ قصيدةٌ ، مطلعها :

إن الأُلى خَلْفَ الخدورِ هم فى الضَّمائرِ والصُّـدورِ

وقع الغُبــارُ عليهمُ فغدا يَتِيه على العبيرِ

---

(١) فى ا : « ومشيد أركانها » . (٢) فى ا : « فلا نــكير » .

(٣) فى ا : « الفلك المنير » .

(٤) قبل هذا البيت فى ا : « منها » وفى ا : « فى العشية » وفى ب : « ذكرتهم أنواء ... بالعشية » :

(٥) انظر قصيدة المنخل اليشكرى فى الحماسة (شرح المرزوقى) ٢/٥٢٣ ، ومطلعها :

إن كنت عاذلتى فسيرِى نحوَ العراقِ ولا تحُورِى

(٦) ديوانه ١/٣٢٧ .

(٧) فى ب : « على الضمير ... عنوان الضمير » وفى ج : « عنوان السرور » ورواية الديوان :

نطق اللسانُ عن الضميرِ والبِشْرُ عنوانُ البَشيرِ

وفى حاشية ب إشارة إلى أن المصراع الثانى : « والبِشر عنوان السرور » ثم قال : « لكن يرجع لأصله فينظر » .

امَّا مشَيْن على الثَّرى تاهَ الترابُ على الأثيرِ
ياسائِلِى مَن فى الهوا دِجِ والبَرَاقعِ والسُّتورِ (١)
فيهـا الرَّضاعُ من المنِيَّـــةِ والفِطامُ عن السُّرورِ

وأنشدنى من قصيدة أخرى له :

ذكر العقِيقَ فسال من أجْفانه فاشْتفَه وجــداً إلى سُكَّانِهِ (٢)
واشْتَمَّ فى ريح الصَّبَا أرجَ الصِّبَا فصبَا حليفَ جَــوًى إلى أوطانِهِ
وشجاهُ مسجورَ الفؤادِ إلى الِحمَى وُرْقٌ سواجِـعُ هِجْنَ مِن أحزانِهِ (٣)
تملى من الورق الغـــرام وطالَما دُرِستْ فنونُ العِشْق من أفْنَانِهِ
فيهِنَّ سالِمةُ الحشَا من لوعــــةٍ لم تَدْرِ طعمَ الوصـلِ من هِجْرانِهِ
تمسِى وتصبحُ فى أرائِكِ أيْـكِها مع إلْفِهــــا والعمرُ فى رَيْعانِهِ
ترْتادُ أرضَ الشامِ أخْصبَ منزلٍ حيثُ العرَارُ صفاَ إلى حَوْذَانِهِ (٤)
حيثُ المغـــانى مُشرِقاتٌ بالدُّمَى والغانياتُ يطُفْنَ حول مغانِهِ (٥)
فى ظلِّ مُنْبَجِسِ اللُّجَيْنِ جرى به ذهبُ الأصيــلِ يسيلُ من عِقْيانِهِ
أحْوَى الظِّلاَلِ كأن سُمرَتَهُ لُمًى عذبُ المراشِفِ نَدَّ عن غِزْلانِهِ
بَيْنَا تردَّدُ فيـــه من عذبٍ إلى عذْبٍ يتُوق إلى العُذَيْبِ وبَانِهِ (٦)
مع صَفْوِ عيشٍ إذ رمَتْها نِيَّـــةٌ للرُّوِم فاجْتَهَـــــا بسُودِ رعانِهِ

(١) قبل هذا البيت فى ا : « منها » وفى ج : « ومن قصيدة أخرى له » وفى ب ، ج : « يا سائلى ما فى الهوادج » .
(٢) فى ب : « واشتاقه وجدا » .
(٣) فى ا : « سواجع هن من أشجـانه » وفى ب : « سواجع هن من هجرانه » وفى ج : « ورق مواجعهن من سجانه » .
(٤) فى م : « صفا إلى حوذانه » .
(٥) فى ب ، ج : « حيث الغوانى » وفى م : « حول معانه » .
(٦) فى ب : « عذب يفوق » وفى ج : « عذب يفوق على » .

هبطَتْ بها الأقدارُ أرضاً لم يكُنْ فيهــا نزولُ الوَحْيِ مَعْ فُرْقانِهِ
سوداءُ مُظلِمةُ الرِّحابِ كأنهــا قلبُ الحسودِ علَتْهُ ظُلْمةُ رَانِهِ (١)
فغدَتْ تَنُوحُ على البلادِ بمَدْمَعٍ سَحٍّ يُبَارِى الغيْثَ فى تَهْتَانِهِ (٢)
مأسورةَ القلبِ المُعنَّى من جوًى مسجورةَ الأحشــاءِ من نِيرانِهِ
تبكِى إذا ذُكِر الحِمَى حيث الحِمَى روضٌ تُغرِّد فى ذُرَى أغْصانِهِ
تنْفَكُّ تنــثُر لؤلؤاً من أدمُعٍ كالدُّرِّ يُنْظَم فى سُمُوط جُمَانِهِ (٣)
حتى ترى روْضَ الحِمَى أو تجتلِى روضَ ابن بُستانٍ وحيدِ زمانِهِ (٤)
ذو رُتْبةٍ فى المجــدِ رامَ بلوغَها الْــفَلَكُ المُحيطُ فلَجَّ فى دوَرانِهِ (٥)
سبقَتْه فاستعْــدَى علينا طاوياً لصحائفِ الأعمارِ فى سَرَعانِهِ

وله من أخرى :

لى فيكُمُ كدَرَارِى الأُفْقِ سائرةٌ هِيَ اللآلِئُ إلا أنهــا كَلِمُ
مِن كلِّ شامخــةِ العِرْنِين تحسَبُهَا فى الشِّعر ليْثاً لها من نفْسِهــا أجَمُ
تبْقَى على صفحاتِ الدهر خالدةً كالأنجُمِ الزُّهْرِ عِقْداً ليس ينْفَصِمُ
أو غادةٌ حسنُهــا قيْدُ النَّوَاظِرِ فى ألحاظِها سَقَمٌ فى أنفِهــا شَمَمُ

وله من أخرى :

حِمَى الشَّام جادَ الغيثُ ماحلَّ تُرْبَه مغانِى الهوى فيها مغَانِى أحبَّتِى (٦)
وباتتْ بأَعْلَى النَّيْرَبيْنِ مع الصَّبــا تطارحُهــا ذِكْرى عهودٍ برَبْوَةِ

---

(١) فى ا : « غلته ظلمة رانه » وفى ج : « عليه ظلمة رانه » .
(٢) فى ا ، ج : « فى هتانه » . (٣) فى م : « من أدمع . . . فى عقود جمانه » .
(٤) فى ج : « إذ تجتلى » وفى م : « وجه ابن بستان » .
(٥) فى ا : « ذو همة » .
(٦) فى ب : « معانى الهوى فيها معانى أحبتى » وفى م : « مغانى الهوى فيها معان أحبتى » .

على نَهَرٍ حَصْباؤُه الشُّهْبُ قد جرى ... خِلالَ سَمَا رَوْضاتِها كالمجرَّةِ [(١)]

يجاوبُ تَسْجاعَ الحمَامِ خَرِيرُه ... فتُصغِى له الوَرْقاءُ من فَوْقِ أيْكَةِ [(٢)]

ولله دَرُّ أبى الحكم ، فى قوله فى هذا المعنى :

وتحدَّث المــاءُ الزُّلال مع الحصَى ... فجرى النَّسيمُ عليه يسمعُ ماجرَى

فكأنَّ فوق المــاءِ وَشْياً ظاهراً ... وكأنَّ تحتَ الماءِ سِرًّا مُضْمَرَا [(٣)]

وقوله من أخرى [(٤)] :

بيَاضُ طِرْسٍ جرى ذَوْبُ النُّضَارِ على ... لُجَيْنِه بلآلٍ حيَّرتْ فِكَرِى [(٥)]

كاللُّؤلؤِ الرَّطْبِ إلا أنها فِقَرٌ ... غيرُ الأديب إليها غيرُ مُفتقِرِ

ومنها فى السُّفُن :

ركائبٌ ليس ترْضَى بالجــديل أباً ... لكنها من بناتِ الماءِ والشَّجرِ [(٦)]

شُمُّ العَرانين دُهْمٌ مابها وَضَحٌ ... إلا نُجومُ اللَّيالِى مَوْضِعَ الغُرَرِ

مازلتُ أجدِفُ طُوفانَ الُخطوب بها ... وأتَّقِى حادثَ الأيامِ والضَّررِ [(٧)]

ومنها :

خُــذْها فدَتْكَ نفوسُ الشِّعر قاطبةً ... فقد علَتْهُ بمدحٍ فيك مُبتكَرِ [(٨)]

طائيَّةُ الأصــلِ إلا أنها نشأتْ ... برَبْوة الشَّامِ فى روضٍ على نَهَرِ

---

(١) فى م : « روضاته » وفى ب : « قد حوى » .

(٢) فى م : « يجاوب سجاع الحمام » .

(٣) سقط هذا البيت من : ب ، ج . (٤) فى ا ، ب ، ج : « وله » .

(٥) فى م : « للآل » .

(٦) الجديل : الزمام المجدول من أدم ، وحبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . القاموس (ج د ل) وفى ا ، ب : « من نبات الماء والشجر » .

(٧) فى ب ، ج : « ما زلت أقذف » . (٨) فى ب ، ج : «غير مبتكر» .

ورأى نَيْلَوْفَرَة (١) صدَفاً لِدُرّ السحاب ، وحُقَّة (٢) لجوهر النَّدى المُذاب ، كأنها بَوْتَقة أذابَ بها الجوُّ نُضارَه ، أو كأسٌ فى يد مُصْطَبِح يُداوِى بها خُمَارَه ، أو مقلةُ صَبٍّ كئيب قد فَجأه على الغفْلةِ الرّقيب ، بعد ماامتلأتْ بدمعِ الهوى (٣) ، وتردّد فيها الدّمعُ من حَيْرة النّوى ، وقد طفَا عليها الماءُ الزُّلال ، فبلغ حافاتِها وماسال ، بل لِخَشْية فراقِها ، تشبّثَ بأهْداب أوراقِها ، فقال مُضمِّناً وأجاد :

ونوفرةٍ كعين الصّبِّ شَكْرَى تَجُمُّ الماءَ خشيةَ أن يُراقَا
ذكرتُ لها النّوى يوماً ففاضَتْ وصارت كلها للدّمعِ ماقَا

« وشكرى » بشين معجمة بمعنى ممتلِئة ، وهو من قصيدة للمُتَنَبِّى (٤) ، أولها :

نظرتُ إليهمُ والعين شَكْرَى فصارت . . . . الخ (٥)

وأنشدنى له أيضا :

شامَ بَرْقَ الشّامِ بالرُّومِ خدوعا فانبرَتْ أجفانُه تذْرِى الدُّموعَا
هَبَّ من عَلْيا دِمَشْقٍ مُوهِناً هَبَّةَ المِصْباح فى الليل ذَرِيعَا
جَزَع الآفاق فى هَبَّتِه وأتى الرُّومَ سُرَى الأيْمِ جزوعا (٦)
خفَقتْ راياتُه فى أُفْقِه خَفَقَانَ القلبِ قد أمسى مَرُوعَا
وقعتْ شُعلتُه وَسْط الحشا وسَنَاهُ طارَ فى الجوِّ رفيعَا

---

(١) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة . القاموس (ن ف ر) وقد نقل المحبى فى خلاصة الأثر ٢ /١٥٣ هذا النص عن الخفاجى . وفيه : « صارت صدفا » . وفى ا : « ورأى نيلوفرة صدف لدر السحاب » وفى ب : « صارت الدر السحاب »

(٢) الحقة : وعاء من خشب . وفى ا : « وحقبة » . وفى خلاصة الأثر : « وحقة لدر الندى » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « الجوى » . (٤) ديوانه ٢٧٩ .

(٥) فى ج . « ففاضت » وعجز البيت فى الديوان :

* فصارتْ كلُّها للدّمعِ ماقَا *

(٦) فى ا : « سرى الأيم مروعا » .

ليس يدرِى وَقْعَها غيرُ شَجٍ فارق الأوطانَ مثلِى والرُّبوعاَ
أو مُعَـــنًّى بهوًى تيَّمَهُ من غزالٍ راح للوصلِ مَنُوعاَ
يُخجِـلُ الشمسَ سناءً وسناً ومهاةَ الرَّمل جِيدا أو تَليعاَ
أسْهَر الجفْنَ خَليًّا عن كَرًى مُقْلَةً لا تَطعَمُ النومَ هُجوعاَ(١)
كيف يـكْرَى ناظرٌ فارقَه ناضِرُ العيشِ من اللَّيلِ هَزِيعاَ
وشبابٌ شَرْخُه مُقتبِـــلٌ كان للصَّبِّ لدى الغِيدِ شَفيعاَ
لم يكن إلا كحُلْمٍ وانقضَى أو خيالٍ فى الـكرى مرَّ سريعاَ
أزْمعَتْ حسْرتُه لا تنْقضِى آهِ ما أسرعَ ما ولَّى زَميعاَ(٢)
لستُ أرضى منه بالسُّقْيالَه وسحابُ الجفْنِ يسقيه النَّجيعاَ(٣)
والذى هاج الهوى قُمْرِيَّةٌ بالضُّحَى تهتِفُ بالأيْك سَجُوعاَ
كلما ناحَتْ على أفنانِهـــا هاجَت الصَّبَّ غراماً وولُوعاَ
وإذا عنَّتْ له غَنَّت له ذِكْرَ الشَّامَ فزادَته صُدُوعاَ(٤)
يا سَقَى اللهُ حِماهـا وابلاً مُسْبَل الطَّرفِ من الغيْثِ هَمُوعاَ
حيث رَبْع اللهو منه آهِلٌ والغوانى فى مغانيها جميعاَ(٥)
كل رُودٍ لبستْ شَرْخَ الصِّبا وهَوًى إن تدْعُه لبَّى مُطيعاَ
كم لنا فيهنَّ من بَهْنَانةٍ وَلِـعَ القلبُ بها خُوداً شَمُوعاَ(٦)

(١) فى ا : « لم تطعم النوم » .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « آه ما أعجل » . والزميع : السريع .
(٣) فى ب ، ج : « يسقيه الربيعا » .
(٤) فى ا : « وإذا غنت له عنت له » وفى ب ، ج : « وإذا غنت له غنت له » ، وفيهما : « فزادته ولوعا » .
(٥) فى ب : « حيث ربع الأهل » وفى ا : « من مغانيها » وفى م : « فى مغانيه » .
(٦) البهنانة : الطيبة النفس والريح ، أو اللينة فى عملها ومنطقها ، والضحاكة الخفيفة الروح . القاموس (ب ى ه ن) والشموع : المزاحة اللعوب . القاموس (ش م ع) .

لستُ أنسَى ساعةَ التَّوديع إذْ　　وقفَتْ فى موقفِ البَيْن خُضوعَا

وهْيَ تذْرِى لؤلؤاً من نَرْجِسٍ　　فوق وَرْدٍ كاد طِيباً أن يَضُوعَا

علِقتْ ذَيْلى وخانَتْهَا الهوى　　فانثَنتْ من وقفةِ البَيْن صَريعاَ

وأفاقَتْ وبها حَرُّ الجوَى　　ثم قالتْ وشكَتْ دهراً خَدُوعاَ[(١)]

لا رعَى اللهُ المعالى مَطلَباً　　كم نرى صبًّا بها مُغْرًى وَلُوعاَ[(٢)]

كنت لى بدراً منيراً فاختفى　　فى سِرارٍ بعد ما سَرَّى طلُوعاَ

وشباباً لاح بَرْقاً عندما　　أشعلَ الرَّأْسَ سَنَاً راح سريعاَ[(٣)]

أيها الظَّاعنُ والقلبُ على　　إثْرِه مذ سار ما زال هَلُوعاَ

لا تكنْ للعهد بعدى ناسياً　　يا حياتى واعْطِفَنْ نحوى رُجوعاَ

وهى طويلة ، ذكر فيها تغرُّبَه بالروم ، واشتياقَه للشام[(٤)] .

⁂

(١) فى ب : « رس الهوى » وفى ج : « رش الجوى » والرس : ابتداء الشىء ، وفى ب ، ج : « دهرا خلوعا » .

(٢) فى ج : « لا رعى الله المغانى » وفى ب ، ج : « لم نرى مغرى بها صبا » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « وشباب » وفى ا : « أشعل الرأس شيبا راح مريعا » وفى ب : « سنا راح مريعا » وفى ج : « سنا مر سريعا » .

(٤) فى ج : « إلى الشام » .

محمد بن قاسم الحَلَبيّ *

يتيمة الدهر ، وبَيْضة البلد ، ممن نزلتْ فضائلُه بين العَلْياء والسَّنَد ، أخ لمن تجنَّبه الدهرُ شقيق ، حرّ العِرض على أنه عبدُ الصِّديق ، فكم له من يدٍ خضراء تنبتُها يدٌ بيضاء ، كما اخضرّت الهِضابُ ، من أبيض نسْج خيوط السحاب .

تَمُدُّ له الآفاقُ بِيضَ خيوطِه فتنسِجُ منها للثرى حُلَّةً خَضْرا[1]

وله شعر رَاقَ بجيد الدهر عِقدُه ، وعَذُبَ على لسان الدهر المُحلَّى بالفصاحةِ وِرْدُه ، وزها فى يانِع رياضِه[2] البهيَّة شقيقُه وَوَرْدُه ، مع فضلٍ حَلا فى أفْواه الليالى ثناؤُه ، وأضاء فى دُجَى المشكلاتِ سَنَاهُ وسناؤُه .

له صحائفُ أخـــلاقٍ مُهذَّبةٍ منها الحجَى والعُلا والفضلُ ينْتَسَخُ[3]

وكانت أخباره تغدو[4] على مسامعى ، فتتشوّقُ إلى لُقْياه أجفانُ عيون مطامعى ، حتى لقِيتُه بالروم ، فاهتزّت به أعطافُ المسرّة ، ونِلْتُ به[5] ما هو للرُّوح قُوتٌ وللطَّرف[6] قُرّة ، وعُود الدهر المُورِق يختال فى غلائِله ، وفَيْنان رَوْضه كأنما سُرِق الحسنُ

(*) محمد بن أحمد بن قاسم ، الشهير بالقاسمى الحلبى .
نادرة الزمان ، وفريدة العصر .
كانت ولادته بحلب ، ثم قدم الروم ، وصار بها من كبار المدرسين ، ثم كف بصره فتقاعد برزق عين له من قبل السلطان .
مات بالروم ، ودفن بدار الخلافة ، سنة ١٠٥٤ هـ .
إعلام النبلاء ٦/٢٧٥ ، خبايا الزوايا لوحة ٢٥ ب .

(١) فى م : « تمد على الآفاق » وفى ا : « فتنسج منها للورى » .
(٢) فى م : « الرياض » .
(٣) فى ب : « منها العلا ومنها الفضل ينتسخ » وفى م : « منها الحجى والعلا » وفى ج : « ينتسج » .
(٤) فى ا . « تفد » وفى ب : « تعد » وفى ج : « تعدد » .
(٥) فى ا ، ب ، ج : « ونالت منه » . (٦) فى ا ، ج : « واطرف الطرف » .

من بعض شمائِله ، بطبعٍ أرقّ من بُرْد النَّسيم هلْهَلَه[١] الشَّمال ، وأصْفى من رِيق مُدامَة صفَقَها العَذْبُ[٢] الزّلال ، فدارتْ بيننا شَمُول آدابٍ ظلّ لهـا ثغرُ الأنس باسماً ، وانتظمتْ عقودُ عُهُودٍ[٣] كان لها كفُّ المودَّةِ ناظماً ، ولمَّا لم يرْضَ مُقامَه بحلب ، وفطَمَ أملَه مما أدرَّ الدهرُ له بها وحلب ، لأن زامِرَ الحيِّ لا يُطرب ، وما كل حاملةٍ إذا أُنْتِجَتْ[٤] تُنْجِب ، سار عنها وسلك الطريق ، حتى نزل بين وادى العُذَيْب والعَقِيق ، فلما أخذ الله كريمتَيْه ، وعوَّضه جنَّةَ عَدْن لديه ، تربَّعتْ أقدامُ أقدامِه ، وقد سُقِط فى يديْه ، فقعد ينتظر دعوتَه حتى تلقَّاه ، وإن كان مع الرَّكب اليمانيين هَواه .

على المرء أن يسْعَى لما فيه نفعُه   وليس عليه أن يساعِدَه الدَّهْرُ

فمما دار بيننا من كؤس الأدب ، ما كتبتُه إليه وقد قدِم من حلب :

حَتَّى مَ يغزونى صُدودُه   والصبرُ قد كُسِرتْ جنودُه[٥]

سكرانُ من ألحاظِـــه   قامتْ على قلبى حُدودُهْ

وسَقيمِ طَرْفٍ لم تزلْ   أبداً لواحِظُنا تعـــودُهْ

برَقتْ بوارقُ وَصْـــلِه   والهجرُ قد خَرِستْ رعودُهْ

غصنٌ تَميلُ به الصَّبا   فى كُثْبِ أرْدَافٍ تَئُودُهْ[٦]

لم أدْرِ فـــاترُ جَفْنِه   والخِصْرُ أسْقَمُ أم عهُودُهْ

نَشْوانُ يعبثُ بى كا   عبَثْت بآمـــالى وُعودُهْ

لولا مِيـــاهُ الحُسْنِ جا   لتْ فيه لاحترقَتْ خدودُهْ

---

(١) فى ا : « وشملة الشمال » وفى ب : « ميله الشمال » وفى ج : « مهلهلة الشمال » .
(٢) فى ا ، ج : « صفقها بالعذب » . (٣) فى م : « عهد » .
(٤) فى ا : « انتحت » وفى م : « انتجب » .
(٥) فى م : « قد كثرت » .
(٦) فى م : « تميد به الصبا » وتئوده : تثقله .

كالصَّبِّ لولا دمعُـــهُ يهْمِي لأحرقَه وَقودُهْ
يُخفِي الهـــوى وعيونُه بغرامِـــه الُمضْنَى شُهودُهْ
بشهـــادةٍ ليست ترَدُّ م فليس ينفعُه جُحُودُهْ
فسَقى رِياضَ الُحسنِ من دمْعِي حَيًّا يهْمِي مَدِيدُهْ [1]
زمنٌ بجيـــدِ اللهوِ قد نُظِمَتْ على نَسَقٍ عقودُهْ
إذ دَوْحُ أُنْسِي يانِـعٌ بكئوسِنا انفتحَتْ وُرودُهْ
والـكاسُ نجمٌ لاح في فَلَكِ المسرَّةِ لي سُعودُهْ
يصفُو فيحْـكِي ذِكْرَ مَن قد زيَّن الدُّنيا وُجودُهْ
ذاك ابنُ قاسمٍ الذي مازال في تعَبٍ حَسُودُهْ [2]
رُقِمَتْ به حُلَلُ العُـــلا وزهَتْ بطلْعتِه بُرودُهْ
مازال يُسْقَى من ميـــاهِ الفضلِ حتَّى اخضرَّ عودُهْ
فيكاد يُورِق بالسَّعـــادةِ مُثمِراً منهـــا وفودُهْ
قد كان دَهْرِي عاطلاً حتى تَحلَّى منـــه جِيدُهْ
مَجْـــدٌ طَرِيفٌ يغْرِق الْ أَفْـكارَ إذ يبدُو تَلِيدُهْ
يامالـكاً رِقَّ الْقُلوبِ فـكلُّها حُبًّا عَبِيدُهْ
بل جَنَّـــةٌ فيها بطِيبِ ثَنائِنا أبدًا خلودُهْ [3]
في الشِّعر ليس ببالغٍ أَدْنى بَدِيهتِه وَلِيدُهْ [4]
قد كان فِـكْرِي صائماً حتى طلَعْتَ وأنت عِيدُهْ

---

(١) في ب ، ج : « يسقى رياض الحسن » وفي ب : « يهمى مزيده » .
(٢) في ا : « لا زال » .
(٣) في ا ، ب : « يطيب » وفي ا : « لثنائنا » وفي ب « لثانيا » وفي ج : « بطيب لساننا » .
(٤) في هامش ب : « فالشعر » .

فإليكها عقداً لجيدِ الدّهرِ زيّنهُ نضيدُهْ
بكراً يرُوم جوابَها مَهراً تروقُ لها نقودُهْ[1]
ولئن تكُنْ قيْدَ النُّهى فالحبُّ تُستحلَى قيودُهْ
فالبَسْ لباسَ مسرّةٍ فى الدهرِ لا يَبلَى جديدُهْ

فأجاب ، وأجاد :

للظّبْيِ لَفْتَتُهُ وجِيدُهْ والوَرْدِ ماأبدَتْ خدودُهْ
والدُّرُّ يزهُو بالذى فى ثغرِهِ منه نَضِيدُهْ
وبوجهِهِ شَرَكُ العُقو لِ فأىُّ قلبٍ لا يَصِيدُهْ
فى كلِّ يومٍ للهوى من حُسنِهِ معنًى يَزِيدُهْ
روضٌ سقاهُ اللهُ ما ءالحسنِ فاحمرَّتْ خدودُهْ[2]
يستوقفُ الأبصارَ حتَّى م لا يَسُوغَ لها وُرودُهْ
مَلِكٌ تحكَّم فى الجما لِ فنال منه مايُرِيدُهْ
وجرى بأسْرارِ الهوى للنَّاسِ من دَمْعِي بَرِيدُهْ
مازال يسطُو فى الورَى من فعلِ مُقْلتِهِ جُنودُهْ
حتى ظنَنَّا أنه بالأجْرِ آثَرَهُ شهيدُهْ
يُبْدِي الصدودَ وكلَّما صانعتُهُ عنهُ يُعِيدُهْ
أتراه يجْحَدُ ما لقِ يتُ به وهل يُغنِي جُحودُهْ
وهو النَّهارُ إذا بدَا مِن نفسِهِ قامتْ شُهودُهْ
كضياءِ مولانا شِها بِ الفضْلِ إذْ طلَعتْ سُعُودُهْ

(١) فى ا ، ب ، ج : « بكر » .
(٢) فى هامش ب : « وجه شفاه — نسخة » وفى ا : « فاحمرت وروده » .

مازال يسمُـــو فى سَما ءِ المجْدِ زيَّنَها وُجودُهْ
حـــتى تقطَّعتِ المطا معُ عنه واسْتَعفى حَسودُهْ
وَقَّادُ فِكْرٍ أىُّ خَطْـــبٍ ليس يُطفِئُه وَقودُهْ
كرُمَتْ له هِمَمٌ إلى غيرِ العُلا ليستْ تَقودُهْ
يزْهو على جيـــدِ الزما نِ بمـــا يُنمِّقه فريدُهْ
مِن كل سَجْعٍ من مزا يا الحُسنِ قد نُظِمتْ عُقودُهْ (١)
وإذا ذكرتَ الشِّعْـر فهْـ وَ كما سمِعْتَ به لَبيدُهْ (٢)
قد كنتُ أجْهَد فى ابْتغا ءِ لقـاءِ أيامٍ تُفيدُهْ (٣)
حـــتى وَفَتْ لى بالذى قد كان فى أمَلِى وُعودُهْ
فلقِيتُـــهُ البحرَ الخِضَمَّ م يَفِيضُ للعافين جودُهْ
مُتدفِّقاً بالفضــــلِ تخ شى أن يفرِّقَها وُفودُهْ
مَولاىَ عُذْراً إنَّهـــا من خاطرٍ قد جَفَّ عُودُهْ
بعُدَتْ بقولِ الشِّعرِ فى عهدِ الصِّبا حِيناً عُهودُهْ
لبَّى دُعاكَ وأىُّ مو لًى لا تُلبِّيهِ عَبيـــدُهْ
ماضَرَّه عِيـــدٌ نَأَى ما دامَ من لُقْياكَ عِيدُهْ (٤)

ومما أنشدَنيه قولُه :

مُتِّعْنَا يومَنـــا بصَحْوٍ ليس على الشَّمسِ منه سِتْرُ (٥)
كأنَّ فى الجوِّ منـــه كَنْزاً سال على الأرْضِ منـــه تِبْرُ

وقوله فى مليح مُصَفَّر العِذار ، كأنما خاف الدهرَ على ذَهاب حُسنِه ، فقيَّده بسلاسل

(١) فى ا : « قد قطعت عقوده » . (٢) فى ا : « وإذا ذكرنا الشعر » .
(٣) فى ا : « أيام تقيده » وفى ج : « تعيده » .
(٤) فى ب ، م : « ما ضره عبد نأى » . (٥) فى م : « ليس على السر » .

النُّضار، أو [1] ملاك الجمال بلغ كماله ، فمدَّ لمِشْكاةِ صُدْغِه [2] سِلْسلة الغزالة [3] :

لمَّـــــا الْتحى تمَّتْ محا سنُ وجهِهِ وصفَتْ طِباعُهْ
وغـدا بلُطْفِ عِـذارِه قمراً أحاط به شُعاعُـهْ

ومما روَيْناه فى معناه ، قول الخطيب الحَظِيرِيِّ [4] :

وأشْقرِ الشَّعرِ من لطافتِـه يجرَحُ لَحْظُ العيونِ خَدَّيْهِ
فإن بدا مَن يشُكُّ فيه فلِي شاهدُ عَدْلٍ من لونِ صُدْغَيْهِ

وله أيضا :

كأنَّ صُدْغَيْهِ فى احْمرارِهما قد صُبِغا من مُدامِ وَجْنَتِهِ

وله أيضا :

ما احمرَّ شَعْرُ حبيبى أنَّ وَجْنَتَهُ سقَتْهُ من صِبْغِها خَمْراً ولاخَجلاَ
وإنما لفحَتْ خَدَّيْهِ من كبِدِى نارٌ فدبَّتْ إلى صُدْغَيْهِ فاشْتَعلاَ

ومما أنشدَنيه قولُه من قصيدة :

قد دَعاهُ الهوى ودَاعِى التَّصابِى لِادِّكارِ الأوطانِ والأحبابِ
فأتَتْ دون صَبْرِه من أليمِ الْـ وجدِ نارٌ شديدةُ الإِلْتِهَابِ
فذَوَى غُصْنُه الرَّطيبُ وجفَّتْ من رياضِ الصِّبا مياهُ الشبابِ
شَعَرُ المرءِ نُسْخــةُ العُمرِ والأيَّـ ـامُ فيها من أصْدقِ الكُتَّابِ
فإذا تمَّ منــه ما كَتَبَتْــه ترَّبَتْهُ من شَيْبِهِ بتُرابِ
لستُ آسَى على الصِّبا إنما أذْ كُرُ حقًّا لأقْدمِ الأصْحابِ
قد سقَتْنِى عهودُه العيشَ صَفْواً وكسَتْنِيه مُونِقَ الجِلْبابِ

(١) فى ا ، ب ، ج : « وملك » . (٢) فى ا ، ب ، ج : « هجره » .
(٣) فى ج : « العذار » . (٤) فى م : « الخطيرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وهو سعد بن على بن القاسم ، انظر عقود الجمان ، الجزء الأول ، لوحة ١٤ ا ، اللباب ١/٣٠٦ .

ومنها [١] :

بحرُ فضلٍ لو قِيسَ بالبحرِ كان الـ ـبحرُ فى جَنْبِه كلَمْعِ السَّرابِ [٢]

مزَج الفضلَ بالسَّخاء كما ما زَجَ ماء الغَمامِ صَفْوَ الشَّرابِ

وإذا قيل خُلْقُه الرَّوضُ أضحى الر م وضُ طَلْقاً بذلك الإنْتِسابِ

ماعسى أن أعُدّ من مَـكْرُماتٍ ضَبْطُها قد أعْيَى على الحُسَّابِ

وإذا ما الأفـكارُ أُمْعِن فيها غرِقَتْ من بِحارها فى عُبابِ

أنتَ من ناظِر الزَّمان سوادُ الـ ـعيْنِ والناسُ منه كالأهْدابِ

⁂

فصـــل

قوله : « شَعَر المرء نسخة العمر » إلخ ، معنًى بديع ، ونحوه قولى :

لعَمْرِىَ إن الدهرَ خطَّ بمَفْرِقى رسائلَ تدعُو كلَّ حىّ إلى البِلَى

أرى نُسخةً للعُمر سوَّدها الصِّبا وما بُيِّضتْ بالشَّيْب إلَّا لتُنْقَلاَ

ونحوه قول الأرَّجانىّ :

وقد عاَتْ غُبْرةُ الشَّيبِ الشَّبيبةَ لى فبتُّ للأجَل المـكتوبِ مُـكْتَلِياَ

كتابُ عُمْرِى الليالى ترَّبَتْهُ وما أدْنَى المُترَّبَ أن تلْقاهُ مُنْطَوِياَ [٣]

وللأمير العاصِمِىّ ، وهوشاعر معاصر للصّاحب ، وإن لم يذكره [٤] فى « اليتيمة » :

تعجَّبَتْ حين ذَاع شَعْرِى من بَعْدِ نَضْوى الخِضابَ حالِى [٥]

---

(١) فى ا : « ومن مديحها » .

(٢) فى ب ، ج : « كل فضل » ، وفى ا ، ب ج : « كلم سراب » .

(٣) فى ا : « كتاب عهد الليالى » ، ولم أجد البيتين فى ديوانه المطبوع .

(٤) أى الثعالبي .

(٥) فى ا : « زاع شعرى » وفى ب : « راح شعرى » وفى م : « راع شعرى » والمثبت من : ج
وفى ا : « نضو الخطاب » .

قالتْ أهـذا الذى أراهُ   غُبارُ طاحونةٍ بَدَا لِى
فقلْتُ لا تعجبى فهـذا   غُبارُ طاحونَةِ اللَّيَالِى

قلت : لولا مشاكلَةُ الطاحونة السابقـة [1] ، ودورُه معهـا لقبُحَت هـذه الاستعارة جدًّا .

وللغزِّىّ :

مسَحَتْ عارِضِى وماذاكَ إلا   أنها ظنَّتِ المَشِيبَ غُبارَا

وقال العِماد : تشبيهُ الشَّيْب [2] بالغُبار حسن ، وكنت أظن أنِّى ابتكرتُه فى قولى :

ليـلُ الشباب تَوَلَّى   والشَّيْبُ صُبْحٌ تألَّقْ
ما الشَّيْبُ إلا غُبـارٌ   من رَكْضِ عُمْرى تعلَّقْ

قال : وشبَّهْتُه أيضا بالتَّتْريب ، فى قولى :

أصدوداً ولم يصُدَّ التَّصابى   ونِفاراً ولم يَرُعك المَشِيبُ
وكتابُ الشَّبابِ لم يَطْوِه الشَّـ   ـوقُ ولا مسَّ نَقْشَه تَتْرِيبُ [3]

ولمحمد القَيْسَرَانِىّ [4] :

لا تُنكرِى وَضَحاً لَبِسْتُ قَتِيرَهُ   رَكْضُ الزَّمانِ أثار هذا العِثْيَرَا

وقوله : « كنت أظن أنى ابتكرته » عجيبٌ منه ، مع قول ابن المُعتزّ [5] :

صدَّتْ شَرِيرُ وأزْمعَتْ هَجْرِى   وصغَتْ ضمائرُها إلى الغَدْرِ [6]
قالَتْ كَبِرْتَ وشِبْتَ قلتُ لها   هذا غُبـارُ وقائعِ الدَّهْرِ

---

(١) فى م : « الأولى » .   (٢) فى ا : « الشيبة » وفى ب ، ج : « المشيب » .
(٣) لعلها : « ولا مس نفسه تتريب » والنقس ، بالكسر : المداد .
(٤) خريدة القصر ، قسم الشام ١/١٤١ .   (٥) ديوانه ٣٣٧ .
(٦) فى م : « صدت برير ... وصفت » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، والديوان . وشرير : اسم امرأة .

وهو مسطور فى « ديوانه » وقد تابَعَه عليه كثيرٌ من الشعراء وتطفَّل عليهم العماد، لـكنه طُفَيْلِىٌّ ، وقد حذا حَذْوَه فى قوله :

إذا كتبَ الشَّبابُ سُطورَ مِسْكٍ وأتربَهُنّ كافورُ المَشيبِ[(١)]

فيا أسَفى وما أسفى وحُزْنى سِوَى طَىِّ الصَّحيفةِ عن قريبِ[(٢)]

على ذكر التَّتْريب ، فما أحسن قول الطُّغْرائِىّ فى وصف كَتيبة من قصيدة له :

عليها سُطورُ الضَّرْب تُعْجِمُها القنا صحائفُ يغْشاها من النَّقْعِ تَتْرِيبُ[(٣)]

وللمُهَذَّب المَوْصِلِىّ[(٤)] :

تُرْدِى الـكتائبَ كُتبُه فإذا غَدَتْ لم تَدْرِ أنفَذ أسْطُرًا أم عَسْكَرَا[(٥)]

لم يُحسِن الإتْرابَ فوق سُطورِها إلا لأن الجيْش يَعْقِد عِثْيراً[(٦)]

ومن إنشاء ابن الأثير :

صَدَرَ[(٧)] هـذا الـكتاب والفتْحُ غضٌّ طَرِىّ لم تَنصُلَ[(٨)] حُمرةُ يومِه ، ولا أُغمِدتْ سيوف قومِه ، فسطورُه تُتْرَب بمُثارِ عَجاجِه ، مُمثَّلة بخطِّ ضَربِه[(٩)] ، وإعجام زُجاجِه .

وقلتُ مع زيادة حسن التعليل :

---

(١) فى م : « وأشربهن » . (٢) فى ا ، ب ، ج : « من قريب » .
(٣) فى م : « تعجم بالقنا » وفى ا : « يغشاه » وفى ج : « يخشاها » .
(٤) خريدة القصر ، قسم الشام ٢/٢٨٦ .
(٥) فى م ، ب ، ج : « أنفذ عسكرا أم أسطرا » وهذا الترتيب من : ا ، والخريدة .
(٦) فى م : « لم يحسن التتريب » والمثبت من : ا ، ب ، ج : والخريدة .
(٧) فى ا : « أصدر » .
(٨) فى ا : « لم تتصل » وفى ب : « لم تنصل حر جمرة يومه » وفى ج : « لم ينتصل جمرة يومه » ونصلت اللحية : خرجت من الخضاب ، واللسعة والحمة : خرج سمهما . القاموس (ن ص ل) .
(٩) فى م : « بضرب خطيه » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

جيشٌ كأنَّ الأرضَ من تحتِهِ صُحفٌ غدَتْ أقلامَهنَّ الرِّماحُ[١]
مُذ سطَّرَ الجُندُ على وَجْهِها ترَّبَها النَّقْعُ فلاحَ الفلاحُ

وأصل هذا ما رواه جابر، عنه صلَّى الله عليه وسلم، أنه قال: « إذا كَتَبَ أحَدُكُمْ كِتاباً فَلْيُتْرِبْهُ، فإنَّه أنْجَحُ للْحاجَةِ ».

رواه أبو داود.

وقد تكلَّم النَّاسُ فيه، وقيل: إنه موضوع.

وفى « النهاية »[٢]: معناه، لِيَجْعل عليه التراب[٣].

وقال الطِّيبِيّ[٤]: ليُسْقِطْه على التراب، حتى يصير أقرب إلى المقصد، اعتمادا على الله فى إيصاله إليه.

وقيل: معناه التَّواضع فى خِطابه، والمراد بالتَّتْريب المبالغة فى التواضع. انتهى

ومما أنشدنيه:

يا رَبْعُ سَقاكَ كلُّ مُزْنٍ غَادِ قد كُنْت محلَّ أُنْسِنا المُعْتادِ
هل يلحظُنى الزَّمانُ بالإسْعادِ يوماً فَتَعُود فيك لِى أعْيادِى

---

(١) فى ا، ب، ج: « صحف غدا ».

(٢) النهاية ١/١٨٥

(٣) فى م: « ترابا » والذى فى النهاية: وفيه « أتْرِبوا الكتاب فإنه أنجحُ للحاجة » يقال: أتربتُ الشيءَ، إذا جعلتَ عليه التراب.

(٤) وهو الحسين بن محمد، شرف الدين، كان آية فى استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، توفى سنة ٧٤٣ هـ. بغية الوعاة ١/٥٢٢، وهو فيه « الحسن »، الدرر الكامنة ٢/٦٨.

فائدة

قال السُّيُوطىّ فى «شرح السنن»[1] : الإسعاد المُعاوَنة فى النِّياحة خاصَّةً ، وفى غيرها المساعَدة ، وأصله من وَضْع السَّاعد على الساعد[2] . انتهى

وعلى هذا فالإسعاد هنا ليس مُستَعْمَلا فيما وضعَتْه العرب ، وإن صح على أنه مجاز مُرْسَل فى مُطلق المُعاونة ، لكنَّ الفصحاء يستقْبِحون مِثْلَه .

وقد بيَّنَّاه فى كتاب قرض الشعر[3] ، المُسمَّى « حديقة السحر » فانظُرْه ثَمَّةَ .

ومما أنشدَنيه أيضا قصيدةٌ فى تهنئةٍ بخِتَان ، واخترتُ منها قولَه :

أعَلَّامةَ الوقْتِ مَوْلَى الموالِى ... وقُرَّةَ عينِ العُلا والكمالِ
تبَوَّأْ من المجدِ أعْلى مقامٍ ... وضَعْ نَعْلَ مَسْعاكَ فوق الهلالِ
فقد أيقَن المجدُ أن المجىء ... بمثْلِك فى الدهرِ عينُ المُحالِ
فبُشْرَى لكم بالخِتانِ الذى ... به لبسَ المجدُ ثَوبَ الجمالِ
هو الشمعُ إن قُطَّ لا غَرْوَ أن ... أنارتْ به حالِكاتُ اللَّيالِى[4]
وظُفْرٌ بتَقْلِيمِه لا تزالُ ... أكفُّ المكارم منه حوالِ
وتشْمِيرُ ذَيْلٍ لدى الإسْتِباقِ ... لنَيْلِ الأمانى وكسْبِ المعالِى[5]
وما لِلْيَراعِ إذا لم يُقَطَّ م ... فضلٌ يُعَدُّ على كلِّ حالِ

---

(١) زهر الربى ، شرح سنن النسائى ٢/١٨٤ .
(٢) الذى فى شرح السنن للسيوطى : « الإسعاد : المعاونة فى النياحة خاصة » فقط .
(٣) فى ب ، م : « الشعراء » .
(٤) فى م : « أنيرت به » .
(٥) فى م : « وتشمير ذيلى » وفى ج : « لدى الإشتياق » .

وِمن بعد بَرْيِ الفصونِ ازْدَهَتْ ⠀⠀ عليها أسِنَّةُ سُمْرِ العوالِي [١]
فلا برِحَتْ من مَزاياكُمْ ⠀⠀ بجيدِ الزَّمانِ عُقودُ اللآلِي

⁂

فصـــل

فى معناه للقاضى الفاضل :

الحمد لله الذى أطْلَعه بثَنِيَّات الـكمال ، وبلَّغه غاياتِ الجمال ، ويَسَّره لدرجاتِ الجلال ، ونقلَه تَنقُّلَ الهلال ، وشَذَّبَه تَشْذِيب الأغصان ، وهذَّبَه تهْذيبَ الشُّجْعان ، وأجرى فيه سُنَّةً سَنَّ لها الحديدَ فنقَصَه للزِّيادة ، واسْتَخْلَصه للسِّيادة ، ودَرَّبَه للاصْطِبار ، وأدَّبَه للانْتِصار ، وألْقَى عنه فَضْلَةً فى اطِّراحِها الفضيلَة ، وقطَع عنه عَلَقةً حَقُّ مِثْلِها ألا تـكون بمثلِهِ مَوْصولَة ، فلم يزَلِ التَّقْلِيم مُنَوِّها بالأغصان ، ومُنَبِّها للثَّمر الوَسْنان ، ومُبشِّرا بالنَّماء ، ومُيسِّرا للنَّشو [٢] والانْتِشاء .

ولابن فَضْل الله ، فى خِتان الملك الناصر [٣] :

لم يُرَوِّع له الخِتانُ جَناناً ⠀⠀ مُذْ أصابَ الحديدُ منه حَدِيدَا
مثلُ ماتُنقَص المصابيحُ بالقَطّ ⠀⠀ م فتزْدادُ فى الضِّيـــاءِ وقُودَا [٤]

وأصله قول الغَزِّىّ :

تمالَكَ وُدِّى حين قَلَّمْتُ رأسَه ⠀⠀ قياساً على الأقلامِ والشَّمْعِ والظُّفْرِ [٥]

---

(١) فى ا : « بترى » وفى م : « يرى » وفى ب ، ج : « عليها الأسنة » .
(٢) فى ج : « للنشور » وفى م : « للنشء » .
(٣) فوات الوفيات ٢/٢٣، ٢٤ ⠀⠀ (٤) ورد البيت فى م هكذا :

مثلَ مَا تُنْعَشُ المصابيحُ بالقَطْـ ⠀⠀ ـفِ فتزدادُ فى الضِّياءِ وقودَا

والمثبت من ا ، ب ، ج ، وفوات الوفيات .
(٥) فى م : « حين قلت » والتصويب من : ا ، ب ، ج .

ولابن مَطْرُوح [١] :

لقد سَرَتِ البشائرُ والتَّهانِي ... إلى الثَّقَلَيْن من إنْسٍ وجَانِ
ويصغُر كلُّ مُبْتَهِجٍ إذا ما ... نَسَبْناهُ إلى هذا الختانِ
تَوَدُّ الزُّهَرةُ الزَّهْراء فيهِ ... لو اتُّخذت له إحدى القيانِ [٢]
وأن البَدْرَ طَارٌ في يدَيْها ... وأن مُراسِلَيْها الفَرْقَدانِ [٣]
وتَسْتَمِلي من الأفلاكِ لحناً ... فما قدرُ المثالث والمثانِي
وتُسْقَى بالثُّريَّا فيـه كأساً ... ولا أرْضَى لها بِنْت الدِّنانِ [٤]
ولـكن من رَحِيقٍ سلسَبيلٍ ... بأيْدِي عبْقرِيَّاتٍ حِسانِ
ويصغُر خادماً بَهْرامُ فيه ... على مافيهِ من بأْسِ الجنَانِ
فلوْلَا أنه فرْضٌ علينـا ... لمـا مُـدَّت لخاتِنِهِ يدَانِ
وقَطُّ الشَّمعِ يُـكسِبُه ضِياءً ... وقَطُّ الظُّفرِ زَيْنٌ للبَنانِ [٥]

وللصَّنَوْبَرِيّ أيضا :

أرى طُهْراً سيُثْمِر بعد غَرْسٍ ... كما قد تُثْمِر الطَّرَبَ المُدَامَهْ
وما قلَمٌ بمُغْنٍ عنك إلا ... إذا ما أُلْقِيتْ عَنْه القُلَامَهْ [٦]

قلت : « الطُّهر » بالضم ، والطَّهور بالفتح ، والتَّطْهير كِنايات [٧] عن الختان ، استعملها المُحْدَثون ، كقولهم للأعور [٨] ، « ممتع » [٩] كما ذكره الثَّعالِبيّ في كتاب « الـكناية » [١٠] ، وفي كتابه المُسَمَّى بـ « مرآة المروآت » ، وغيره .

---

(١) ديوانه ١٨٠ .
(٢) في ج: « الزهراءفيها » وفي م: « لو اتخذت به » . وفي ا ، ب ، ج: « لها » ، والمثبت في الديوان .
(٣) المراسل في الغناء والعمل : هو المتالي . قاله ابن الأعرابي . انظر اللسان (ر س ل) ٢٨٤/١١
(٤) في م : « وتبقى بالثريا » .
(٥) في م : « وقطع » في الموضعين . وفي الديوان ١٨١ « أفخر للبنان » .
(٦) في م : « ألقيت منه القلامة » .
(٧) في ا ، ب ، ج : « كناية » .
(٨) في ب : « للأغوى » .
(٩) في ب ، ج ، م : « ممتنع » ، والصواب في : ا ، والـكناية ٣٦ ، ومرآة المروآت ٢٧ .
(١٠) الذي في كتاب الـكناية ١٨ : « يكنى عن الختان بالطهر والتطهير » .

ومن[1] شعر صاحب الترجمة :

ما كنتُ أحسبُ أن يكو نَ كذا تفرُّقُنا سريعَا
قد كنتُ أنْتظِر الوِصا لَ فصِرْتُ أنتظرُ الرُّجوعَا

وله أيضا :

واللهِ لولا حُصولُ مَعْنًى في خاطرى منكَ لا يزولُ
ما كان بالعيْشِ لى انْتِفاعٌ ولا إلى مَطْلَبٍ وُصولُ

وله[2] :

قد كنتُ أبْكى على مَن مات من سَلَفِى وأهلُ وُدِّى جميعًا غيرُ أشْتَاتِ
واليومَ إذ فرَّقتْ بيْنى وبينَهمُ نَوًى بكَيْتُ على أهلِ المَودَّاتِ
فما حياةُ امْرئٍ أضْحَتْ مَدامِعُهُ مَقْسومةً بين أحْياءٍ وأمْواتِ

وله :

وَيْلى من المُعرِض لا قَسْوةً لكن لأقْوالِ العِدى والوُشاةْ
مالاحَ للعينِ سَنا وجْهِهِ إلَّا وفيها من رَقيبٍ قَذاهْ

وله مُضمِّنا[3] :

صَبٌّ على الشَّنَبِ المعْسُولِ ذاب أسًى وبات مِن حرِّ نارِ الشَّوق فى شُغُلِ
كالشَّمع يبْكى ولا يدرِى أعَبْرَتُه من صُحْبةِ النَّار أم من فُرقَةِ العَسلِ

وكتبْتُ إليه[4] فى مرضٍ اعْتراه ، فلم أعُدْه لمرضٍ أصابنى ، فعتَب علىَّ ، ولم يدْرِ ماعاقنى عن العيادة : سيِّدى ومولاى يعلم أن القلوبَ ، وهى حصون المودَّة لا تُفْتَح عَنْوَةً ، والدهر لم يُبْقِ للصُّلح موضعاً تتمسَّك منه يدُ الأمل بعُرْوَة :

---

(١) من هنا يبدأ سقط فى ب ، ج ينتهى عند قوله : « وكتبت إليه فى مرض اعتراه » .
(٢) إعلام النبلاء ٦/٢٧٨ . (٣) إعلام النبلاء ٦/٢٧٩ .
(٤) فى ج ، م : « وكتب إلى » وهو خطأ ، صوابه من : ا ، ب .

وودادِى كما عرفتَ ودادِى وفؤادِى كما عهِـدتَ فؤادِى

وصاحب البيت أدرَى بالذى فيه ، وأن للبَيت ربًّا يحميه ، وقد عرض من السَّقم ماعاق عن العِيادة ، وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عِبادة ، وكيف يصحُّ بدنٌ وروحُه سقيمة ، فلذا أنشد لسانُ حال المودَّةِ السَّليمة :

رأيتُ الفضـلَ فى الدنيا غريباً ضعيفاً فى معالِمها نحيفاَ
فلما أن سألتُ الدهرَ عنه أجاب مُلاحِظاً معنًى لطيفاَ
وقال لِىَ ابنُ قاسمٍ المُفـدَّى وعينُ الفضلِ قد أمسَى ضعيفاَ
فقلتُ له حَمَى اللهُ المعالى بصِحَّتِه وآمَنَـه المَخُوفاَ

وكتبتُ مع ذلك شعرا ، عرضتُه عليه ، وهو قولى مُضمِّنا :

يزيدُ اشتياقِى نحوَ مصرَ وأهلِها كما زاد مَدُّ النِّيلِ حتَّى تفجَّرَا
أذاب النَّوى صبرِى وأفنَى مدامِعِى فقالوا سَلاَ عن حُبِّنـا وتَستَّرَا
ولم يَبْقَ لى إلا تفـكُّرُ نيلِها ولو شئتُ أن أبكى بكيتُ تفـكُّرَا

وقولى أيضا :

إن وَجدِى بمصرَ وَجدٌ قديمٌ وحنينِى كما ترَوْن حنينِى
لم يزَلْ فى خيالِىَ النِّيـلُ حتَّى زاد عن فِـكْرتى ففاضَتْ عيُونِى

وقولى ، ناسجاً على مِنْوال شعر الزَّمَخْشَرِىّ المشهور :

وقائلةٍ ماهذه الأبحرُ التى جرَتْ من مآقيهِ ولم تكُ غائِضَهْ
فقالُوا لها أنهارُ مصرَ التى ثوَتْ بخاطرِه أمسَتْ من العينِ فائِضَهْ

ثم عَنَّ لى معنًى آخر ، حال الـكتابة ، وهو[1] :

---

(١) هكذا ورد ترتيب البيتين فى : ا ، ب ، ج . وهما فى م بتقديم الثانى وتأخير الأول .

لحديثِ نيلِك مصر أُضحِي مُصغِياً ... حتى يخوضُوا فى حديثٍ غَيْرِهِ [1]
ياكوثراً إن سُدَّ عنه مَسْمِعى ... تَلْقَاهُ فيه قد جرى بخَرِيرِهِ

فأجاب ، أبقاه الله :

أتتْنِي رُقْعَةٌ من ذِى وَلاء ... وَفَى فشَفَى امْرَأً دَنِفاً ضعيفاَ [2]
أبانَتْ منه مَعذِرةً بسُقْمٍ ... أَلَمَّ به وصار له حَلِيفاَ
وشاطَرنى السَّقامَ ولم يزلْ بى ... على طُولِ المدَى بَرًّا رءوفاَ
وذاك أبرُّ فى سَنَنِ التَّصافِى ... وأوْفَى من عيادتِهِ أُلوفاَ [3]
تَقِيه السُّوءَ نفسِى فهْوَ مَن لم ... يزلْ يُكْسَى به الفضلُ الشُّفوفاَ
شِهابٌ ثاقِبٌ محَتِ الليالى ... بطَلْعتِه مِن الدهرِ الصُّروفاَ

مولاى ، فكْرى الكليل [4] عايل ، والاستِقصاء فى مُجاراة سيِّدى ماإليه سبيل ، وسلامتُكم غايةُ المسئول [5] ، والعذرُ عندكم [6] إن شاء الله تعالى مقبول ، والسلام .

وقال [7] جواباً عن كتاب :

ورد الكتابُ مُبشِّراً بقدُومِ مَن ... ملأ النفوسَ مَسرَّةً بقُدومِهِ
فطرِبْتُ بالأسْجاعِ من مَنْطوقِهِ ... وثمِلْتُ بالجرْيال من مَفْهُومِهِ [8]
وسجَدْتُ شكراً عند موردِهِ على ... إسْعاد هذا العبدِ من مخدُومِهِ

---

(١) فى ج : « أمسى مصغيا » .
(٢) فى م : « أتتنى رفعة » .
(٣) فى ج : « وقال أبر » وفى م ، ج : « فى سنن التصابى » وفى م : « وأوفى من عبادته » .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « العليل » .
(٥) فى ا ، ب : « السول » .
(٦) فى ا : « عنكم » .
(٧) من هنا إلى نهاية الترجمة ساقط من ب ، ج .
(٨) الجريال : الخمر . القاموس (ج ر ل).

وقال أيضا :

قال لى العاذلون لِمْ مِلْتَ عمَّن بمُحيَّاهُ يُخْجِلُ الأقْمارَا
قلتُ كان الفؤادُ عُشًّا له إذ كان فَرْخاً وحين رَيَّشَ طارَا

وقوله ، رباعيَّة [1] :

ياجِيرَتنا فى حلَبَ الشَّهْباءِ من يوم فِراقكُم سُرورِى نَاءِ
قدْ مِتُّ لبُعدِكم غراماً وأسًى لَقَدْ غلطاً أُعَدُّ فى الأحْياءِ [2]

⁂

(١) إعلام النبلاء ٦/٢٧٩ .
(٢) فى ا : « قدمت بعدكم » . وفى إعلام النبلاء : « لـكن غلطا أعد فى الأحياء » .

٦

الأمير أبو بكر الحَلَبيّ *

المعروف بابن حلالا (١) .

أميرٌ جيشُه الهِمَم ، وبحر تغترِف منه الدِّيَم ، تسْكَر من ألفاظِه المُدام ، فإذا ساقَطَ الحديث سِقاطَ الدُّرِّ أسلَمه النِّظام ، أو بَدَا (٢) روضُ أدبه قامَت له الأغْصان فى الرِّياض على الأقْدام .

رحيبُ ساحة الصَّدر ، وصَليب قَناة الصَّبر ، لم يعقِد حَبْوَةَ رأْيه إلا بيدِ الحزْم ، ولم يَحُلَّ الدهرُ ماعقَده إلا براحةِ العزْم ، فلا يأكل (٣) الطَّيْشُ حِلْمَه ، ولا تحُلّ يدُ النوائبِ حَزْمَه .

أدبُه أرقُّ من دمْع السَّحاب ، وأصْفَى من ماء الحُسْن فى رياض الشَّباب ، إلا أنه اقتصر عليه ، وجعل جملةَ متاعِه فى يديْه ، والأدب روضةٌ ذاتُ أفْنان ، لا تزْهو إلا إذا كانت ذاتَ أنْواع وألوان ؛ فلذا قلّ ماروِىَ شِعْرُه من ماءِ النَّضارة ، واكْتَسى غُصْنُ لفظِه ورَق الغَضارَة ، ولم يحضُرْنِى منه الآن غيرُ قوله :

أيا بَحْراً غـدَوْنا من نَدَاهُ ... نُقدِّمُ بعضَ أَنْعُمِه لديْهِ
كذاك البحرُ ينشَأُ منه غَيْثٌ ... وبعضُ سحابِه يُهْدَى إليهِ

(*) لم يزد الغزى فى ديوان الإسلام لوحة ١٣٤ على أن قال : « ابن حلالا » ولم يترجمه . وهو فى خبايا الزوايا لوحة ٣١ ب .

(١) ى : ب « جلال » وفى ج : « حلال » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « وبدا » . (٣) فى م : « يدخل » .

وهذا معنًى مشهور ، فى [١] معناه قول البَديع :

أُهْدِى لمجْلِسِك الشريفِ وإنما   أُهْدِى له ماحُزْتُ من نَعْمائِهِ

كالبحرِ يُمْطِرُه السَّحابُ ومالَه   مَنٌّ عليْهِ لأنَّه من مائِهِ

وقد ضُمِّنه بعضهم ، ونقله من الجِدّ إلى الهزل ، فقال :

يتبادلان فيُنْصِفا   ن وليس بينَهُما ارْتيابُ

فيُصِيبُ هذا ماء ذا   كالبحْرِ يُمْطِره السَّحابُ

وقد حضَرنى فى معناه ، ما كتبتهُ مع سمكٍ أهديْتهُ :

أَهْدَيْتُ حوتاً نحوَ مَن   فاتَتْ عَزائِمُهُ السِّماكْ

فاقْبَلْ بحقِّكَ عُـذْرَ مَن   أَهْدَى إلى البحرِ السِّماكْ [٢]

ومن الفصول القصار : المُهَدِّد لمن فوقه مُهدِّد للبحْرِ بالشَّرَق ، وللحُوت بالغَرَق .

⁂

---

(١) فى ب ، م : « وفى » .

(٢) فى ا : « فاقبل بحق » . والسماك فى هذا البيت : جمع السمك ، وفى البيت الأول : أحد السماكين وهما نجمان نيران ، أحدهما السماك الأعزل ، والآخر السماك الرامح . اللسان (س م ك) ١٠/٤٤٣ .

٨٠٧

إبراهيم ، ومحمد ابنا أحمد الحَلَبِيّ ، المعروف بالمُلاَّ *

هما من دَوْحة الكمال غُصْنان ، بل رَوْضان أنبتهما مَرْجان ، ولا أقول نَهْران فهما بَحْران ، يخرج منهما اللؤلؤ والمَرْجَان ، كل منهما جَواد يُفرِغ الخزائنَ بجُودِه ،

(*) فى ب : « بالمنلا » وإبراهيم هو :

إبراهيم بن أحمد بن على بن أحمد الحَصْكَفِيّ العباسى الشافعى ، المعروف بابن الملا .

ولد بحلب ، وحج بعد الألف ، ثم رجع إلى حلب ، واعتزل الناس ، ولزم المطالعة والكتابة وتلاوة القرآن .

وكان صافى السريرة ، لا تعهد له زلة ، ونظم « الدرر والغرر » فى فقه الحنفية ، من بحر الرجز ، وله شعر قليل منقح .

والحصكفى ، نسبة إلى حصن كيفا ، وهى من ديار بكر .

واشتهر بيته فى حلب ببيت الملا ؛ لأن جد والده كان يعرف بملا حاجى ، وكان قاضى قضاة تبريز .

توفى بعد الثلاثين والألف بقليل .

إعلام النبلاء ٦/٢١١ ، تراجم الأعيان لوحة ١٤٠ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ١/١١

ومحمد هو :

محمد بن أحمد بن على بن أحمد ، شمس الدين الحصكفى العباسى الشافعى ، المعروف بابن الملا .

ولد بحلب سنة سبع وستين وتسعمائة .

وكان كريم الخلق ، حسن العبادة ، حبب إليه طلب العلم منذ الصغر ، فقرأ على والده وعلماء عصره .

وتصدر للتأليف فكتب « تاريخاً لحلب » ، وكتب « حصة على صحيح مسلم » ، و « رسالة فى إسلام أبوى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكان صاحب شعر حسن .

توفى سنة عشر وألف .

إعلام النبلاء ٦/١٧٠ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ٣/٣٤٨ .

وأما والدهما ، فهو :

أحمد بن محمد بن على الحصكفى الشافعى ، المعروف بابن الملا .

ولد سنة سبع وثلاثين وتسعمائة .

كان واحد الدهر فى كل فن من فنون الأدب ، جمع بين لطف التحرير ، وعذوبة البيان . =

فيملأ بالغيظ قلبَ حَسُودِه ، طويل البَاع ، عـذْبُ الموارِد [١] إذا ظَمِئت الأسْماع ، مُرْهَف فـكرِه صَقِيلُ الطَّبْع ، وبحرُ كرمِهِ [٢] متموِّج بهُوب [٣] نسيم ذلك الطبع ، رقيقُ حَواشِي المجد ، أرَقُّ من عَبَراتٍ أساها الوَجْدُ ، وضَّاحُ المُحَيَّا تحمَرُّ خجَلاً منه خدودُ الحُمَيَّا .

صَنَّفا ، وألَّفا ، ولَاحا كغُصْنَيْ بَانَةٍ قد تألَّفا .

نشَـآ فى حِجْر الفضل والحسب ، وبَسَقا فى رَوْض النَّجْدة والأدب ، فى زمانٍ شَمِت فيه الجهلُ بالفضل ، ورَقِيَ صَهْوة عِزِّه كلُّ فَدْم نَذْل [٤] .

نجْمان بأيِّهما اقتدَيْتَ فى طُرُق المعانى اهتدَيْت ، فهما فى مَغْرس الـكرم صِنْوان ، وثمراتُهما صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوان ، ورَوْضا محامِدَ ، يُسْقَيان بماءٍ واحد .

ووالدهما هُمامٌ ألَّف ، وأفاد ، وعذُبَتْ مواردُ إفادتِه للوُرَّاد .

له تآليف كثيرة ، منها « شرح مغنى اللبيب » طَرَّز بتحْريرِه حواشِيَه ، ودخل جنَّتَه من أيِّ باب شاء من أبوابِه الثَّمانيَة .

فمما أنشدته لمحمد ابنه [٥] :

فى الليلِ وفى النهار حَرَّى كَبِدِى ‍ ‍ ‍ ‍ مقتولُ ضَنًى بجائرٍ ليس يَدِى

تَرْشِي عينى جواهرُ الدمع على ‍ ‍ ‍ ‍ لُقْياه تظنُّ أنه طوعُ يَدِى [٦]

= رحل مع والده إلى قسطنطينية ، سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، ثم رجع إلى حلب ، فاشتغل بالتدريس والتأليف ، وتعاطى صناعة النظم والنثر فأحسن فيهما إلى الغاية .

قتل سنة ثلاث بعد الألف ، قتله الفلاحون فى قرية بانشا ، من عمل معرة نسرين ، ظلما وعدواناً .

إعلام النبلاء ٦/١٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ١/٢٧٧ .

(١) فى ا ، ب : « المورد » . ‍ ‍ (٢) فى ب ، ج ، م : « كرم » .

(٣) فى ا ، ب : « لهبوب » . ‍ ‍ (٤) فى ج : « عزل » .

(٥) فى ا : « فما أنشدته لابن محمد » ، وفى ج : « فما أنشدنيه لابنه محمد » ، وفى هامش ب إشارة إلى أن البيتين من الدوبيت .

(٦) فى ب ، ج : « تظن أنها » .

وهو معنًى مُترجَم من الفارسيَّة ، ومثله قول صاحبنا محمد القاسِمِىّ [١] :

لُقْياكَ سرورُ قلبِىَ المحزونِ والوحشةُ من هَواكَ لا تَعْدُونِى

ياوَيْحَ عيونى خَشِيتْ شَقْوتَها منى فأتَتْ بدُرِّها تَرْشِينى

وقريب منه قول ابن الرُّومِىّ [٢] :

وهبَتْ له عيـــنى الهُجوعَا فأثابَها منـــه الدُّموعَا

وأحسن منه قولُ الأرَّجَانِىّ [٣] :

لولا طُروقُ خيالٍ منكَ مُنْتظَرٌ يُلِمُّ بى راقداً ماساءَنى سَهَرى

كأنَّ جَفْنِىَ إكراماً لزائرِهِ أمْسَى على قدَمَيْهِ ناثرَ الدُّرَرِ

ولإبراهيم من قصيدة ، قرَّظ بها شعرا ليوسف بن عِمْران [٤] :

أطِرْسُكَ هـــذا أم لُجَيْنٌ مُذَهَّبٌ ونظْمُك أم خمرٌ لِهَمِّىَ مُذهِبُ

وتلك سطورٌ أم عُقـــودُ جواهرٍ وزُهْرُ سماءٍ أم هو الروضُ مُخْصِبُ

وتلك معانٍ أم غَوانٍ تَرُوقُ لِلْـــعيونِ وباللَّحْنِ المسامعَ تُطْرِبُ [٥]

فياحبَّذَا هـــذِى القوافى التى بمَن يعارِضُها ظُفْرُ المنيَّـــةِ يَنْشَبُ [٦]

لقـــد أحكَمَتْها فكرةٌ ألْمَعِيَّةٌ فـكِدْتُ لها من رِقَّةِ النَّظم أشْرَبُ

فمن غَزَلٍ قد هزَّ ذا سَلْوةٍ إلى التَّـ ـصابِى فأضْحَى بالغزالِ يُشَبِّبُ [٧]

---

(١) فى هامش ب إشارة إلى أن البيتين من الدوبيت .

(٢) ديوانه ٤٣٢ .

(٣) ديوانه ١٦٢ ، والبيت الأول افتتاحية القصيدة ، وترتيب الثانى فى القصيدة التاسع .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/١١ ، ١٢ وإعلام النبلاء وقد سقط من ج : « قرظ بهـا شعراً ليوسف بن عمران » .

(٥) فى ا : « وتلك غوان » وفى ب : « أم مغان » .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « التى لمن » .

(٧) فى م : « فـكم غزل » وفى خلاصة الأثر : « قد هز ذا صبوة » ، وفى ا ، ب : « فأضحى بالغزال مشيب » .

فيابحرَ فضـــــلٍ فائض بلآلِئٍ لها فـكرُك الوقّادُ مازال يَثْقُبُ [١]
ظَنَنْتَ بأنّى للخطاب مؤهّــــلٌ فأرسَلْتَه شِعراً لنَظْمِيَ يخطِبُ [٢]
فعُذْراً فإن الفـكرَ مـــــنِّى مُشتَّتٌ وعقْلِى بأيْدِى حادثِ الدّهرِ يُنْهَبُ [٣]

وكان العِماد [٤] بينه وبين أحمد مودّة صافية ، وفى بعض الأحيان تجرى بينهما مُداعَبات وأحْماض ، فـكتب له مرّةً وقد رأى ميلَه لمُعَذَّرٍ كان من جملة خُدّامِه ، يسْتَفْتِيه فى رأىِ أهلِ المَوْصِلِ :

ماتقولون ياذَوِى الأفْضالِ وأولى العِلْمِ والحِجَى والـكمالِ
فى أُناسٍ يرَوْن فى حَلَب الشَّهـ باء رأْىَ الهوى وحُبَّ الجَمالِ
قد تحـــيَّرْتُ فى هواهُم زماناً فاكشِفُوا لى عن شُبْهَتِى وسُؤالِى
أىُّ ذَنْبٍ للأمردِ النّاعِم الخدِّ م الذى فاق رَبَّةَ الخَلْخَالِ
بمُحيًّا مثـــلِ الغزالةِ حُسْناً وبطَرْفٍ أزْرَى بلَحْظِ الغزالِ
وبمَصْقُول وَجْنةٍ قد تسامَتْ بصَفـــاءٍ على بديعِ اللآلِى
فلماذا تَعوّضُوا عن هَـــواهُ بذقونٍ كأنّهنَّ المَخَالِى [٥]
مِن نَتِيفٍ مُخففٍ ذى اعْتلالٍ ناقصِ الحُسْن مَصْدرِ الأفْعالِ
أفلا تنظرون مِرآةَ وَجْـــهٍ لاح بَدْراً مُـكَمَّلاً بالدّلالِ
دون ذِى لِحْيةٍ كَسَتْهُ ظلاماً خارجاً عن مطالِـعِ الإعْتدالِ
فاكشِفوا شُبْهَتِى فأيّةُ داعٍ لاتبّاعِ الهُدَى وتَرْكِ الضلالِ

---

(١) فى م : « فائضا بلآلئ » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) فى خلاصة الأثر : « ظننت بأنى للخطوب مؤهل » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « فى مشتت » . (٤) فى ب : « العمادى » .
(٥) فى م : « فلماذا أعرضتم . . . لذقون » .

لا بَرِحْتُمْ فى نعمـــةٍ وسرورٍ   ناجِحِى القَصْدِ بالغِنَى الآمالِ

فأجابه بقوله :

ياإماماً حوَى فُنونَ المعالِى   وَهُماماً سَمَا بُروجَ الـكمالِ (١)

وأديباً أتى بكلٍّ بديعٍ   من نِظامٍ أزْرَى بعِقْدِ اللآلِى

وعلى أصله المـكارِمُ جادَتْ   بِثَناءٍ يفوقُ رِيحَ الغَوالِى (٢)

ولَعَمْرِى إن العِمادَ إمامٌ   فاقَ أقْرانَه بِحُسْنِ الخِصالِ

ياله فاضـــلاً وأحسنَ مَوْلًى   فى صحيحِ الهوى خَلا عن مثالِ

هذَّبَتْه أيْدِى الليالِى إلى أن   رَقَّ طَبْعاً ففاق صَفْوَ الزُّلالِ

قد أتى منه لِى لطيفُ سُؤالٍ   ببديعِ الفُنون أصْبَحَ حَالِى (٣)

نَمَّقَتْهُ أيْدِى القريحـــةِ حتى   حاز لُطْفاً قد تَمَّ بالإعْتدالِ

جاء فى طَيِّـــه بِنَشْرٍ ذَكِيٍّ   دَقَّ عن ذَوْقِهِ فُهُومُ الرِّجالِ (٤)

سائلاً عن معاشِرٍ من بنى الُحبِّ م   بِشَهْبانِنا رَضُوا بالُمحَالِ (٥)

عدَلوا عن هوى صقيلِ الُمحَيَّا   مَن بِخَدَّيْه جالَ ماءُ الجمالِ

وله بَهْجةٌ بِوَرْدِىِّ خَـــدٍّ   ولَحاظٍ تُروى عن الغزَّالِ (٦)

ناعمُ الوَجْنتَيْن معسُولُ ثَغْرٍ   وَيْحَ قلبى مِن قَدِّه العسَّالِ

---

(١) ورد البيت فى م هكذا :

ياهُماماً سما بروجَ الـكمالِ   وإماماً حوى فنونَ المعالى

(٢) فى ا ، ب : « وعلى آله » .

(٣) اضطرته القافية إلى ترك النصب .

(٤) فى ا : « جاء فى نشره بطى » .

(٥) فى ج ، م : « من معاشر » .

(٦) فى ب : « يوردة خد » وفى ب ، م : « عن الغزالى » .

فلماذا تعوَّضُوا عن هـــواهُ بذُقونٍ كأنَّهن المَخَالِى [١]
تارةً تَنْتَحُون حُبَّ نَتِيفٍ ناقصٍ أجْوفِ الحشَا ذى اعْتلالِ
وإذا الأمْردُ الجميـــلُ المُفَدَّى لاح لم تقصِدُوا هَواهُ بِحَالِ [٢]
وطلبْتُمْ منِّى الجواب وإنِّى الـــآن والعهـد ليس لى من مَجالِ
كيفَ والفــكرُ فى خُمولٍ وَهَمٍّ والحشَا فى تَحَرُّقٍ واشْتِعالِ [٣]
غيرَ أنى أقول قولًا وجيزا وعلى الله فى القَبولِ اتِّـكالِى
إنَّنى مُغْرَمٌ بكلِّ جميـــلٍ حسَنِ الوصْفِ والثَّنا والفِعالِ
أمْرداً كان أو فَتًى ذا عِـــذارٍ فاق فى الُحسْنِ رَبَّةَ الخَلْخالِ
سَيَّحِ المِسْكَ وَرْدُ خـــدَّيْه لمَّا خاف أنَّا نُصِيبُه بالنِّبالِ [٤]
وتجلَّى من هَالَةٍ فى عِـــذارٍ وَجْهُه البدرُ ذُو البَهَا والجمالِ
ذَا غرامِى ومذهبِى واعتقادِى أنه مذهبٌ من القَدْحِ خَالِ
إذْ رأيْنا ممَّن تقـــدَّمَ قوماً قد رَقَوْا فى العُلا ذُرَى الآمالِ
سلَـكوا فى هَوى الفريقَيْن سِلْماً وأتَوْا بالبديعِ مِن كلِّ قَالِ
وطِبـــاعُ الورَى تخالفُ فالثَّا زلُ فيهمْ وفيهمُ كلُّ عالِ [٥]

---

(١) فى ا : « تعوضوا بسواه » وفى ب : « تعرضوا لسواه » وفى م : « أعرضتم لسواه » وفى ا ، ب : « فى ذقون » والمثبت من : ج .
(٢) فى ا ، ج : « فإذا الأمرد » .
(٣) فى ب : « فى خمول وذل » وفى ج : « فى خمول وكد » .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « سَيَّج المسكُ وردَ خديه » .
(٥) فى ا : « تخالفت » وفى ب : « فالنازل منهم » .

هاَجَوابى ولستُ أزْعَمُ أنِّى ذو صوابٍ فارَقْتُ نَهْجَ الضَّلالِ

فعلى الفاضل الأديب مليكِ الْ فضلِ مَن جاءنا بهذا السُّؤالِ

العمادِ الإمام نَشْرُ اعْتذارِى وقَبُولٌ يُقادُ مِن غيرِ قَالِ (١)

دام فى رِفْعَةٍ وأرْغَدِ عيشٍ ونعيمٍ وبَهْجة واقْتِبالِ (٢)

ما انْتَحى المُرْدَ والمُعَذَّرَ صَبٌّ عادِمُ الصَّبْرِ واجِدُ البَلْبَالِ (٣)

⁂

(١) فى م : « الإمام العماد » وفى ا ، م : « وقبول يقاد » .

(٢) فى م : « دام فى نعمة . . . وبهجة واعتدال » .

(٣) البلبال : البرحاء فى الصدر . القاموس : (ب ل ل) .

٩

يوسف بن عِمْران الحَلَبيّ*

أديبٌ نظَم ونَـثَر ، فأصبح ذِكرُه جمالَ الـكُتُب والسِّيَر ، أكثرَ من الرِّحلة والنُّقلة ، على تيقُّظٍ لا نطمع(١) فيه الغَفْلة ، ففاضتْ عليه سحائبُ من الثَّناء سَـكُوب ، مُزْجِيها رياحُ الشُّـكر مما يسْحَبُه الصَّبا والجَنُوب ، إلا أنه فى أواخره داسَتْ ساحتَه النُّوَب ، فأحاط به الفقرُ لمَّـا أدركَتْه حُرفةُ الأدب ، فأصبح بعد النَّعيم المقيم بؤْسُه أبا العَجَب .

لو كان يدْرِى المرءِ أن ابنَه　　يُحْرَم بالآدابِ ما أدَّبَهْ

وقد صحبنى فرأيتُه بشِعْره مُعْجَبًا طَرُوب ، إذا سَنَح له معنًى فـكأنه(٢) قميصُ يوسفَ فى أجْفان يعقوب ، فمدَحنِى بعدَّة قصائد ، وأهدى إلىَّ منها ما هو على آدابِه شاهد ، وطلب منِّى يوما تقريظَ شِعْرِه ، فقلتُ بديهةً :

لَشِعْرُ ذا الحَبْرِ بَحْرٌ فى تَموُّجِه　　يُهْدِى لأسْماعِنا رَوْحًا ورَيْحانَا(٣)

ذُو منطِقٍ ساحرٍ مُطْرٍ فيا عَجَبًا　　للسِّحرِ يُنْشِئه وهو ابنُ عِمْرانَا(٤)

(*) يوسف بن عمران الحلبى .

كان يعمل أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، وقد خالط الأدباء ، ونسج على منوالهم .
طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .
وكان مغرما بابتكار المعانى ، ذا شعر جيد ، وقد جمع منه « ديوانا » .
توفى سنة أربع وسبعين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٣٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٤ ب ، خلاصة الأثر ٤/٥٠٦ .

(١) فى ا : « تطيع » .　　(٢) فى ا ، ب ، ج : « كأنه » .

(٣) فى م : « يجرى فى تموجه » وفى خلاصة الأثر : « لشعر يوسف بحر . . . يهدى لأفهامنا » .

(٤) فى م : « فوا عجبا » وفى خلاصة الأثر : « وذا عجب » .

وكان من خزائن الآداب[١] نَهَّاباً وَهَّاباً يُطرب بألحانه ، وإن رجح على مَن سِواه بأوْزانه[٢] .

فمن عَذْب خِطابِه ، وقلائده المُنتَظِمة فى جِيد آدابه ، ما أنشَدنيه من قصيدةٍ له[٣] :

أثار بأحْشـــائى البنَانُ المُطرَّفُ	رَسِيسَ هوًى يقْوَى إذا الصَّبرُ يَضْعُفُ
وأرَّقنى من حَىِّ سَلْمَى حمـــائمٌ	غدَتْ فوق أغصان المعاطِف تهْتِفُ
وثغرٌ إذا ما افْترَّ يُبْدِى ابْتِسامُهُ	بُرُوقاً بها أبْصـــــارُنَا تُتخطَّفُ
وخَـدٌّ سَقَى ماءُ الشَّبابِ رياضَه	بألْحاظِنا منه جَنَى الورْدِ يُقْطَفُ
وديِنارُ خَدٍّ كامِـــلُ الوزْنِ حُسْنُه	على حُبِّه رُوحِى النَّفيسةُ تُصْرَفُ
وجسمٌ صفَا حُسْناً يـــكاد أديمُه الْ	مُنعَّمُ من فَرْطِ الطَّراوةِ يُرْشَفُ

وقوله من أخرى[٤] :

حَذارِ ترُومَ الوصْلَ من ساحرِ الجَفْنِ	فكم مَشْرَفِىٍّ دونَه سُلَّ من جفْنِ
وإياكَ من خَطِّىِّ عامـــلِ قَدِّهِ	فكم أثْخَنَ الأحْشاءَ طعْناً على طَعْنِ
ألا أيها الرِّيمُ الذى بات يرْتَعِى	حُشاشَةَ نَفْسِ الصَّبِّ لا روْضَةَ الحَزْنِ
بخَدَّيْكَ ما فى مُهجتِى من اظاهُما	بجِسْمِى المُعَنَّى ما بخَصْرِكَ من وَهْنِ

ومنها :

لَثَمْتُ له جِيداً طَـــلَا الظَّبْىِ دُونَه	وثغْراً لمَاهُ العذبُ أحْلَى من المَنِّ[٥]
وألْصَقْتُه بالصَّــــدرِ عند عِناقِه	كما ضَمَّتِ الأحْلامُ جَفْناً إلى جَفْنِ

---

(١) فى م : « الأدب » . (٢) فى ا : « أوزانه » .

(٣) إعلام النبلاء ٦/٣٤١ .

(٤) إعلام النبلاء ٦/٣٤١ .

(٥) الطلا : ولد الظبي ساعة يولد . والمن : كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ، ويحلو وينعقد عسلا ، ويجف جفاف الصمغ . القاموس (ط ل و ، م ن ن) .

وهذا كقول القاضي الفاضل :

فيا جَفْنَيَّ فاعْتَنِقا انْطِباقاً ... ويا نَوْمِي قدِمْتَ على السَّلاَمَهْ

وله من أخرى(١) :

كأنَّ زهورَ الرَّوْضِ حين تساقطَتْ ... لتَقْبيلِ أقدامِ الأحِبَّةِ أفْوَاهُ

وله من أخرى(١) :

رَبيعُ عَدْلٍ به أيَّامُه اعْتدَلَتْ ... فالشَّاةُ والذِّئبُ في أيَّامِه اتَّفَقَا

لا تَخْتَشِي الطيرُ من مُلْقِي الشِّباكِ لها ... ولو إليْهَا بألْفَيْ مُقْلَةٍ رَمَقَا

وفي معناه قولي(٢) ، من قصيدة :

فديتُكَ يا مَن بالشَّجاعة يرْتدِي ... وليس لغيْرِ السُّمْرِ في الحربِ يَغْرِسُ

فإنْ عشِقَ الناسُ الْمهَا وعُيونَها ... من الدَّلِّ في روْض المحاسنِ تنْعَسُ

فدِرْعُك قد ضَمَّتْكَ ضَمَّةَ عاشقٍ ... وصارتْ جميعاً أعْيُناً لك تَحْرُسُ

ومما أنشدَنيه أيضا قوله(١) :

مَا إن عصَبْتُ العينَ بعدهمُ سُدًى ... إلَّا لأمْرٍ طَالَ مِنْه سُهادِي

لَمَّا قضَى نوْمِي بأجْفاني أسًى ... لبِستْ عليه العينُ ثَوْبَ حِدادِ

وقد كنتُ لما ذكرَ لي هذا ذكرتُ له نُتَفاً في معناه ، فأعجبَتْه ، فمنها(٣) :

لا تُنكِروا رَمَدِي وقد أبْصَرْتُ مَن ... أهْوَى ومَن هو شمسُ حُسْنٍ باهِرِ

فالشمسُ مَهْما إن أطَلْتَ لِنَحْوِها ... نظراً تُؤَثِّرُ ضَعْفَ طَرْفِ النَّاظِرِ

ولقد أطلْتُ إلى احْمِرارِ خُدُودِه ... نَظَرِي فعكْسُ خيالِها في ناظِرِي

---

(١) إعلام النبلاء ٦/٣٤١ .

(٢) في ا : « وفي هذا المعنى قولي » وفي ب ، ج : « وفي معنى هذا قولي » .

(٣) خلاصة الأثر ٤/٥٠٧

ومنها[١] :

رَمدتْ جُفونِى عندما فارقْتُ مَن ... قد كان كُحْلاً فى نواظِرِ عَبْدِهِ[٢]

وسرَقْتُ حُمْـرَةَ ناظِرِى وسَقامِه ... عند النَّوَى من مُقْلَتَيْهِ وخَدِّهِ

ومنها[١] :

حينَ خُبِّرتُ أن فى الطَّرْفِ منه ... رمداً زاد فى ذُبولِ المحـــاجِرْ

جئتُ كيْما أزورَ مِن وَجْـــه بدْرِى ... كَعْبَةَ الْحسْنِ تحت سُودِ السَّتائِرْ.[٣]

ومنها[١] :

ما احْمَرَّ طَرْفُ العينِ ضَعفاً ولا ... نَرْجِسُه بُدِّل منه الشَّقِيقْ

لٰكنَّه من حُمْرةِ الخدِّ قد ... أصبح سَـكْرانًا فلا يسْتفِيقْ

ومنها[٤] :

أنْظُرِ إلى أجْفـــانِه الرُّمْدِ ... تُبـــدِّل النَّرْجِسَ بالوَرْدِ

تَحْمَرُّ لا مِن عِـلَّةٍ إنَّمـــا ... تأثَّرتْ من حُمْرةِ الخَـــدِّ

ولابن الْمُعْتَزّ :

قالوا اشتَـكَتْ نَرْجِستَا طَرْفِه ... قلتُ عَداهُ السُّقْمُ ما كانَا[٥]

حُمْرَةُ وردِ الخـدِّ أعْدَتْهُما ... والصِّبْغُ قد ينفُض أحْيانَا[٦]

---

(١) إعلاء النبلاء ٦/١ ٣٤ .
(٢) فى ا : « عند ما فارقتنى » .
(٣) فى ا : « من وجهه . . . تحت سواد » .
(٤) خلاصة الأثر ٤/٧ ٥٠ .
(٥) فى ا : « نرجسا » وفى ج : « برجسة » وفى م : « نرجسنا » والمثبت من : ب .
(٦) نفض الصبغ : ذهب بعض لونه .

وكتب ابن الخيمى[١] إلى اليغمورى[٢] ، وهما أرمدان ، قوله :

أبثك يا خليلى أن عينى غدت رمداء تجرى مثل عين
حديثاً أنت تعرفه يقيناً لأنك قد رمدت وأنت عينى

فأجابه :

كفاك الله ما تشكو وحيّا محاسن مقلتيك بكل زين
وإنى من شفائى فى يقين لأنك قد شفيت وأنت عينى

ومما قلته أيضا :

أشكو إليك جفوناً قد رمدن وقد فارقن مرآك يا من فقده حينى
والقلب منقلب عن راحة وهناً والعين مثل اسمها معتلة العين

ولنقصر عنان الاختيار ، فقد طال ، والشىء بالشىء يذكر .

ومما أنشده لى أيضا قوله فى بخيل[٣] :

بخيل لو بثوم منه جادت أنامله لغالته الندامه[٤]
ولو فى النار ألقى ألف عام لما عرفت له يوماً سلامه[٥]
ولو صارت بسفرته رغيفاً ذكاء لما بدت حتى القيامه[٦]

وقوله :

أفدى حبيباً تفوق البدر طلعته لأنها لغريب الحسن قد جمعت
حاك الجمال عذاراً فوق وجنته غزالة الصبح فى أشراكه وقعت

---

(١) فى ب ، ج : « وكتب الخيمى » . (٢) فى ا ، ب : « اليغمورى » .
(٣) إعلام النبلاء ٦/٣٤٢ .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « لو بيوم » والمثبت من : م ، وإعلام النبلاء
(٥) فى ج : « لما دقت له يوما » .
(٦) فى ج : « ذكاء ما بدت » . وذكاء : هى الشمس .

وأنشدتُه لنفسي[١] في معناه :

ظَنَنْتُ الصَّبا لمَّا على النهرِ قد جرَتْ ... وعكسُ ذُكاءٍ لاح فيها لمُرْتَقِبْ

شِباكاً بها صادَ النَّسيمُ غزالَةً ... ألسْتَ تراها دائماً فيه تَضْطَرِبْ

ومما يعجبني هنا قولُ القائل :

غَدَوْتُ مُفَكِّراً في أمرِ أُفْقٍ ... أرانا العِلْمَ من بعد الجَهالَهْ[٢]

فما طُوِيتْ له شُبْكُ الدَّرارِي ... إلى أن أظْفَرَتْنَا بالغَزالَهْ

وقول الشّهاب محمود في عُقاب[٣] :

ترى الطَّيرَ والوحْشَ في كَفِّها ... ومِنْقارِها ذَا عظامٍ مُزالَهْ

فلو أمكنَ الشَّمسُ من خوفِها ... إذا طلَعتْ ما تَسمَّتْ غَزالَهْ

والمحار[٤] :

أنْظُرْ إلى النهر في تَطَرُّدِه ... وَصَفْوِه قد وَشَى على السَّمكِ

توهَّم الريحُ صَفْوَه فغدا ... يَنْسِج فوق الغديرِ كالشَّبكِ

وأحسن منه قولي :

ما الغصنُ مال على الأنهارِ جَعَّدَها ... مَرُّ النسيمِ وألْقَى فوقَها حُبُكَا[٥]

بل مَدَّ مِنْه يداً لمَّا رأى سَمَكاً ... من صَفْوِهِ طرحُوا من فوقه شَبَكَا[٦]

☆☆☆

(١) في ا : « وأنشدني لنفسي » وهو خطأ . وفي م : « وأنشدني لنفسه » والتصويب من : ب ، ج .

(٢) في ا : « أوان العلم » وفي ج : « أراني العلم » .

(٣) هذان البيتـان مؤخران في ب عن التاليين لهما ، وفي ج نسبتهما للحجار ، ونسبة التاليين للشهاب محمود .

(٤) هكذ في ا ، م ، وفي ب : « وقول المحار » وقد تقدم أن البيتين السابقين منسوبان للحجار في ج ، ولم أهتد إلى الصواب في اسم هذا الشاعر .

(٥) في م : « مر النسيم فألقى » .

(٦) في م : « من صفوه طرحوا » .

١٠

سُرور بن سنين الْحَلَبِيّ *

شاعرٌ سَمْحُ السَّجِيّة ، له أنفاس نَدِية ندِيَّة ، كانت نَسَمات المسامرَة تهُبُّ بنفحاتِه وأفواهُ الأسماع تحْتَسِي في نادى الأدب سُلافَةَ أبياتِه ، ونَوْرُ روضِه يتبَسَّم فى الأكمام ، فترى منه ماهو ألذُّ من نظر المعشوق (١) فى وجه عاشقٍ بابْتِسام ، فتُسْتَعذَب (٢) فى مَذاق الأدب ، وتُتَلَقَّى بضائعُها من الرُّكبان القادمة من حلَب .

ثم رأيتُه لمَّا ورَد الروم ، إلا أنه لم يُطِل مُكْثَه بها لفَقْد مايرُوم .

* وآفَةُ التِّبْرِ ضَعْفُ مُنتقِدِه *

فرجع قائلاً لكلِّ يومٍ غد ، ولكل سَبْت أحَد ، فلم ترعينُ أمله سُرورا ، ولم يُذق كأساً كان مزاجُها كافورًا ، ولم يلبِس بُرْدَ العُمْرِ قَشيباً ، حتى احتُضِر غُصْناً رَطِيبا (٣) .

(*) فى ب : « سئين الحليمى » وفى هامش م : « فى نسخة : سينين » .
وهو سرور بن الحسين بن سنين الحلبى .
شاعر بديع الصنعة ، مليح الأسلوب .
فارق وطنه حلب ، وسارع إلى طرابلس الشام ، ليمدح أمراءها بنى سيفا ، وارتفعت منزلته عند الأمير محمد ، فبغضه شعراء الأمير ، وركبوا كل صعب وذلول فى سبه .
توفى بطرابلس ، فى حدود العشرين بعد الألف .
إعلام النبلاء ٦/١٩٠ ، خبايا الزوايا ١٣٧ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢٠٤ .

(١) فى م : « معشوق » . (٢) فى ا : « فتعذب » .

(٣) نقل محمد راغب الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/١٩٤ ما مر من قول الخفاجى ، ثم عقب عليه بقوله : « أقول : كانت وفاة الشهاب أحمد الخفاجى سنة ١٠٦٩ ، وكان رحل إلى بلاد الروم مرتين ، ويغلب على الظن أن رحلته الأولى كانت ما بين الثلاثين والأربعين ، فإن كانت رؤيته للمترجم فى الرحلة الأولى ، فتكون وفاته فى هذه السنين . والله أعلم » .

فمما أنشدنى [١] من شعره ، قولُه من قصيدة :

وليلٍ هدَتْنا فيـــه غُرُّ الفَراقِدِ ... لحاجاتِ نَفْسٍ هُنَّ أسْنَى المقاصدِ

وقد صُرِفَتْ زُهْرُ الدَّرارِى دَراهِماً ... تَمُدُّ الثُّريَّا نحوَها كَفَّ ناقِدِ [٢]

وباتتْ تناجِيـــنى ضمائرُ خاطِرى ... تُقَرِّب نَيْـــلَ المَطْلَبِ المُتباعِدِ

لَحَى اللهُ طَرْفِى مالَه الدهرَ ساهراً ... لِمُـكْتحِلِ الأجْفان بالنَّومِ راقِدِ

حبيبٌ كأن البُعْـــدَ يَهْوَى وِصالَه ... معى فهْو لا ينْفَكُّ فيـــه مُعانِدِى

أخذتُ الهوى من لَحْظه وابْتسامِه ... بمـــا قالَه الضَّحَّاكُ لى عن مُجاهِدِ

وقوله « حبيب » إلخ ، كقول أبى الطَّيِّب [٣] :

كأنَّ الحزْنَ مشْغوفٌ بقَلْبِى ... فساعةَ هجْرِها يجِدُ الوِصالَا [٤]

وقول المَعَرِّىّ [٥] :

لِئن عشقَتْ صَوارِمُهُ الهوَادِى ... فلا تَعدمْ بما تَهْوَى اتِّصالَا [٦]

وفى معناه ماقلتُه :

لكَ اللهُ مِن دمعٍ كشَمْلٍ مُبــدَّدٍ ... وطَرْفٍ بِنَعْسانِ الجفونِ مُسهَّدِ

لئن عشَق التَّسْهيدُ أجْفانَ مُقْلَتِى ... لِهَجْرِك فلْيَنْعَمْ بوَصْلٍ مُخَـــلَّدِ

ومن تَقْرِيظٍ له على شعر ابن عِمْران :

حَمَلْتَ إلينا يابنَ عِمْرانَ روْضةً ... من النَّظم يسْقيها الحِجَى صَوْبَ وَكْفِه

---

(١) فى ا : « أنشدنيه » ، وفى ب ، ج : « أنشدنا » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « زهر الدياجى » . (٣) ديوانه ١٢٩ .

(٤) فى الديوان « مشعوف بقلبى » . (٥) شرح التنوير على سقط الزند ١ / ٣٥ .

(٦) ورد البيت فى التنوير هكذا :

فإن عشِقتْ صوارِمُك الهوادِى ... فلا عدِمتْ بمَن تَهْوَى اتِّصالَا

وفى شروح سقط الزند ١ / ٩٥ : « فما عدمت » . والهوادى : الأعناق .

خَمِيلةَ شِعْرٍ يزْدرِى البدْرَ نَوْرُها ويَنْأَى عن الشِّعْرَى العَبورِ بِعِطْفِهِ
كأنَّ غُصوناً أُودِعتْ فى سُطورِها لهـــا ثمرٌ يلْتَذُّ سمعى بقَطْفِهِ
إذا مامشَى ليــلُ المِداد بطِرْسِها نهاراً زهَتْ فيه كواكبُ وَصْفِهِ [(١)]
فكانتْ كما زارَتْ مُعطَّرةَ اللَّمَى مُبَرِّدةً من حرِّ قلبى وَلَهْفِـــهِ
ووَافَى إلى الصَّبِّ الـكَئِيب شُوَيْدِنٌ لوَجْرةَ أحْوى فاحمُ الشَّعْرِ وَحْفِهِ [(٢)]
فأحْبِبْ به عَبْلَ الرَّوادِف خَصْرُه يجوعُ إذا غَصّ الإزارُ برِدْفِهِ [(٣)]

☆☆☆

---

(١) فى ب ، ج : « إذا ما غشى » وفى ا ، ب ، ج : « الليل الحداد بطرسها » وفى ا ، ب : « نهار زهت » .
(٢) فى ا ، ب : « وجفه » والوحف : الشعر الـكثير الأسود . القاموس (و ح ف) .
(٣) فى ا ، ج : « إذا عض الإزار بردفه » .

١١

حُسَين بن أحمد الجَزَرِىّ الحَلَبِىّ*

أديبٌ له أوصافٌ حُسْنَى ، ومناقبُ هُنَّ الوَشْىُ بهجةً وحُسْنا ، إذا أصغت له أذنُ أديب ، حلَّت منه بوادٍ خَصِيب[١] :

سِحْرٌ من اللفظِ لو دارَتْ سُلافَتُه ... على الزَّمانِ تمشَّى مِشْيَةَ الثَّمِلِ

رأيتُه بالروم ، وهو شاب يجرُّ رداءَىْ شبابٍ وآداب ، وهِلالُه مُشرِق فى أُفُق نمائه[٢] ، وغُرَّة صُبْحِه تؤذِن بوجْهِ ذُكاءِ ذَكائه ، وقد سلك إلى المجد طريقا[٣] غيرَ مَطرُوقة ، بهمَّةٍ غيرِ هِمَّة[٤] ، وخَليقةٍ غير خَليقة ، وللدهر فيه عِداتٌ يُرْجَى إنجازُها ، وحُلَل منشورة سيلوح طِرازُها ، فلم ينبسِط بُرْدُها حتى انطوَى ، ولم يُورِق قضيبُه الرَّطيبُ حتى ذوَى ، [٥]والدهر يقول ، والنَّجمُ فى مَطلَع العُمْرِ هوَى[٥] :

أبْـكِى إناءَ شَبيبَــــــةٍ ... فى وقتِ ما امْتَلأَ انْـكَفَا[٦]

(*) حسين بن أحمد بن حسين الحلبى ، المعروف بابن الجزرى .

نشأ بحلب ، ورحل إلى الشام والعراق ، ودخل الروم .

وله مدائح فى بنى سيفا ، أمراء طرابلس .

وقد جمع من شعره « ديوانا » .

واختلف فى وفاته ؛ فذكر البديعى أنه توفى سنة ثلاث وثلاثين وألف ، وعلى نسخة من ديوانه رآها المحبى أنه توفى سنة أربع وثلاثين ، وناقض أبو الوفاء العرضى ، فذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين .

إعلام النبلاء ٦/٢١٤ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٨١ ، سلافة العصر ٣٩٣ .

(١) فى ا : « بوادى خصيب » .

(٢) فى ا : « سمائه » .

(٣) فى م : « وقد سلك للمجد طريقه » .

(٤) الهم والهمة (بالكسر) : الشيخ الفانى ، والمعنى: بهمة غير ضعيفة .

(٥) مكان هذا فى ا ، ب ، ج : « ونجمه فى مطلع عمره خوى » .

(٦) فى ا : « حتى إذا امتلأ انكفى » .

فمما أنشدنى فى صديقِه سرور ، السَّابق ذِكْرُه[١] :

وحقِّك ما تركتُكَ عن مَلالٍ وبُغْضٍ أيها المولى الأمــيرُ
ولٰــكِنْ مُذ ألِفْتُ الُحزْنَ قِدْماً أَنِفْتُ مَواضِعاً فيها سُرورُ[٢]

وهذا من قول المُتَنَبِّى[٣] :

خُلِقْتُ أَلوفاً لو يُعــاوِدُنى الصِّبا لفارَقْتُ شَيْبِى مُوجَعَ القلْبِ باكِياَ[٤]

ومنه أخذ البَهاء زُهير قولَه[٥] :

وأَلوفاً فـــلو أُفارِقُ بُؤْسَى لتَوالَتْ لفَقْدِهــا حَسَراتِى[٦]

وقد أجاد القائل فى مُتابَعتِه :

أَلِفتُ الضَّنَى من بَعْدكم فلو أنَّهُ يزولُ إذا عُدْتُمْ حَنَنْتُ إليهِ
وصار البُــكا لى عادةً فلَوَ أنَّهُ تغيَّبَ عن عيْنِى بــكَيْتُ عليهِ

ومما قلتُ فى المعنى :

مُذ هجَرْتُم هجَر الطَّيْفُ ولِى ناظِرٌ لم يَدْرِ ما طَعْمُ الوَسَنْ
فى هواكُمْ أَلِفَ الُحزْنَ فــلَو لم يجِدْهُ مات من فَرْطِ الَحزَنْ

وله « ديوان » بليغ ، طالعتُه فاخترتُ منه قولَه ، من قصيدة[٧] :

أَعْطى سَرائِرَكَ النُّحولُ اللُّوَّمَا والُحبُّ ليس بمُمْــكِنٍ أن يُــكتَمَا

(١) فى ا : « فمما أنشدنيه معرضا بذكر سرور السابق ذكره » وفى ب ، ج : « فمما أنشدنيه » .
(٢) فى ا : « مذ ألفت الحزن طبعا ... منازلا فيها سرور » .
(٣) ديوانه ٤٤٠ .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « لو رجعت إلى الصبا » وفى الديوان : « لو رحلت إلى الصبا » .
(٥) ديوانه ٣٠ .
(٦) فى ا ، ب : « لتولت لفقده » والبيت فى الديوان هكذا :

وأَلوف فلو أُفارِقُ بُؤْساً لتوالَتْ لفَقْدِه حَسَراتِى

(٧) الأبيات كلها ساقطة من : ب ، ج .

وَوَشَى و نَمَّ عليكَ دمعُك عندما ... وَشَّى بعَنْدَمِه الخُـدودَ و نَمْنَمَا
أفرُمْتَ تُبْهِم واضحاً من سِرِّه ... والدَّمـعُ مُتَّضِحٌ به ما أبْهَمَا
أم خِلْتَ أنَّ أساكَ تَمْحوهُ الأسَى ... كلاَّ ورُبَّ جراحةٍ لن تُحْسَمَا
إنَّ المحبَّةَ مِحْنَةٌ لا مِنْحَةٌ ... ومِن الغرام يَرى المُحِبُّ المَغرَمَا
وشَكِيَّتِي شاكِي السِّلاح جُفونُه ... مُرُّ العَذابِ لِشِقْوتِي عَذْبُ اللَّمَى
ظَبْيٌ ظُبَا لحظاتِهِ بمَضائِهـــا ... أنا مُوقِنٌ لاشكَّ تُرْدِي الضَّيْغَمَا
أخْشَى الهلاكَ تَوَهُّماً مِن بأسِهِ ... ولرُبَّمـا هلكَ المُحِبُّ تَوَهُّمَا
وأظَلُّ صادِي القلبِ خِيفةَ صَدِّه ... ولوَانَّه بنعِـــيمِ وَصْلٍ أنعمَا
وإذا مُنِعْتَ المـاءَ أوَّلَ مرَّةٍ ... ووَرَدْتَه أخرى تَذَكَّرْتَ الظَّمَا
بأبى وإن كان الأبِيَّ وبِي رَشاً ... قَدَّ الغُصونَ رشاقَةً وتقَــدَّمَا
كالصُّبحِ فِرْقاً والغزالةِ طَلْعةً ... والبدْرِ وجهاً والثُّرَيَّا مَبْسَمَا
يزْدادُ وَرْدُ خُدودِه وجوانحِي ... من نارِهِنَّ تضرُّجاً وتضَرُّمَا
صافِي الأديمِ تَرى تَرافَةَ جِسْمِه ... ماءً ويأْبَى المـاءُ أن يتجَسَّمَا
صنمٌ لبستُ الغِيَّ فيه غلائلاً ... والمرءُ يسْلُبُ رُشْدَه حُبُّ الدُّمى[1]
كيفَ الهِدايَةُ لى وفاحِمُ فَرْعِه ... قد ظلَّ يَجْهَد أن يضِلَّ ويفحُمَا
كالأُفْعُوانِ على قضيبِ كَثِيبةٍ ... لا يُرْتَجَى لَسليمِه أن يَسْلَمَا
أنا مَن أباح يدَ الغرامِ زِمامَهُ ... فمشى به أنَّى يشـــاءُ ويمَّمَا
فعسى الحبائبُ أن تُخفِّفَ عُتْبَها ... فلقد حمَلتُ من النَّوائبِ أعظَمَا[2]
فى كل يومٍ رَوْعـــةٌ أولَوْعةٌ ... والفذُّ تُقْعِدُه الحوادثُ تَوْأَمَا[3]

---

(١) هذا البيت زيادة من : ا . (٢) فى م : « أن تخفف عبثها » .
(٣) فى م : « والقد تقعده الحوادث » وفى ا : « تقعده الحوادث نوما » .

شيآنِ لستَ بآمنٍ عُقْباهُما ... أن تصْحَبَ الدُّنيا وتُدْنِى الأرْقَمَا
فلَأُبلُغَنَّ نِهَايَةً فى قَدْحِها ... إن لم تُبَلِّغْنى الأبَرَّ الأكْرَمَا

ومنها :

وَلوأنَّ إدْراكَ المُنَى بيَدِ النُّهَى ... وطِئَت نَعامَةُ أَخْمَصَىَّ الأنْجُمَا
ومتى يصِحُّ سقيمُ جَدِّ أخى الحِجَى ... يوماً إذا كان الزَّمانُ المُسْقِمَا
فالحُمْقُ ألْيَقُ والخِداعُ مُوافِقٌ ... والمكرُ أرْفَقُ ما تُرَافِقُ منْهُمَا
أبناءُ دهرِك بالنِّفاق نَفاقُهمْ ... أفير نَضُونَك بالهُدى مُتكَلِّمَا
ما لم تُنافِقْ فاتَّخِذْ نَفقاً به ... ترجُو السَّلامةَ منهُم أو سُلَّمَا
لا يفقهُون وشرُّ مَن صاحبْتَه ... أن تصْحَبَ الأعمى الأصَمَّ الأبْكَمَا
ولقد مُلئتُ تحارُباً وتجارباً ... لم تَلْقَنِى إلَّا إناءً مُفْعَمَا

ومن قصيدة(١) :

لا تَلْحَنُ الأقْدارُ فى إعْرابِها ... قد تُرفَعِ الأسماءُ بالتَّقديرِ
مكسورةٌ قد حاولَتْ إكْسِيرَها ... من جابرٍ والجبْرُ للمكْسُورِ

وله من أخرى(٢) :

وليلٍ كأنَّ الصبحَ فيه مآرِبٌ ... نُؤمِّل أن تُقْضَى وخِلٌّ نُصادِقُهْ

وله من أخرى(٣) :

ولم أنسَ ليلاً ما تبلَّجَ صُبْحُه ... ولالاحَ فى يافُوخِه وَخْطُ شائبِ
عدِمْتُ ابتِسامَ الفجرِ فيه كأنَّه ... سُلُوُّ فؤادِى أو وفاءُ حَبائِبى

---

(١) فى ا : « وقوله » .
(٢) خلاصة الأثر ٢/٨٣ .
(٣) سقط هذان البيتان من : ج،وسقط بعدهما الثلاثة الأبيات التالية .

وله من أخرى :

فاسْلَمْ بدهرٍ عُصِمْتَ منهُ بهِ وعِشْ بعَلْيَاكَ عُمْرَ أَعْصُمِهِ (١)

تأسُو برُؤياكَ من إساءَتِهِ لا يُصلِحُ القَرْحَ غيرُ مَرْهَمِهِ (٢)

فإنَّ هـــذا الزمانَ مُحسِنُه كفَّارةٌ من ذُنوبِ مُجْرِمِهِ (٣)

وله من أخرى :

وبى مَضاضَةُ عيْش مسَّنِى لَغَبٌ مِنْها وساوَرَنِى فى كَرِّها سَغَبُ (٤)

حتى تصوَّر لى منها على ظَمَأٍ أن المنِيَّةَ فى ثَغْرِ المُنَى شَنَبُ

ومن أخرى :

بنا أظْلمتْ أيَّامُنـــا وتظَلَّمتْ بَنُونا وأهلونا مع الطَّالِـعِ النَّحْسِ (٥)

عسى شمسُ هذا الدهرِ تأتى بوَفْقٍ ما نُرجِّى وشمسُ الوَفْقِ فى شَرَفِ الشَّمسِ (٦)

وله يطلب فرساً :

أَبُثُّكَ أن لاطِرْفَ لى أقْتَضِى به دُيونِى وأَعْيانِى الغريمُ بمَطْلِهِ (٧)

فجُدْلى بما أرْجُوه إن شئتَ مُلْجَماً وإن رُمْتَ تعْجِيلَ العطَا فبِجُلِّهِ (٨)

---

(١) سقط هذا البيت من : ب ، ومن خلاصة الأثر ٢/٨٣ .

(٢) فى : « تأسو برؤياك ما أساء بنا » . وفى خلاصة الأثر : « تأسو برؤياك ما أساء بنا * لا يصلح الجرح . . . »

(٣) فى ا ، ب : « كفارة عن » .

(٤) فى ا : « فى سورها سغب » وفى ب : « منها أساؤره فى صـورة سغب » وفى ج : « فى سورة سغب » .

(٥) هذا البيت زيادة من ا .

(٦) جاء هذا البيت فى ا هكذا :

عسى شمسُ دينِ الله يسعدُنا فقد كتبْنا بهذا الوفق فى شَرَفِ الشّمسِ

وفى ب : « نرجى وسعد الوفق » وفى ج : « يرجى وسعد الوفق » . وقد وافق خلاصة الأثر ما فى : ب .

(٧) سقط هذا البيت من : ج .

(٨) الجل : ما تلبسه الدابة ، لتصان به . القاموس (ج ل ل) .

وله من أخرى :

ورُبَّ غَبِيٍّ كنتُ أُحسِنُ وُدَّهُ وتقبُح لى أقوالُه والفعائلُ[١]

تغافلتُ عن أشياءَ منه ورُبَّمــا يسرُّكَ فى بعضِ الأمورِ التَّغافُلُ[٢]

وهذا كقول بعض الحكماء : الكرمُ مِكْيالٌ ثُلُثاه التَّغابِى .

ولأبى فِرَاس[٣] :

ليس الكريمُ بسَيِّدٍ فى قومِهِ لٰكنَّ سيِّدَ قومِه المُتغابِى

ومما قلتُه أنا فى نحوه :

كم قد سعَيْتُ للمعالى جاهــداً فزاد فى سعْيِى إليها لَغَبِى

ولستُ فى فهْمى غبيًّا أبداً وإنَّنى إن عَنَّ سُــوءٌ لَغَبِى

وله من أخرى :

ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أنَّ صِلاتِهِمْ تُغرِّقُ آمالَ العُفاةِ بحُورُها

وأنَّ سُيوفَ الهِنْدِ فى كُلِّ مَعْرَكٍ بأيْمانِهِمْ حاضَتْ دِماءً ذُكورُها

وله من أخرى :

يُلَبِّيكَ من قبلِ السُّؤالِ نوالُهُ ويأتِيكَ دون الإنتِظارِ نُضارُهُ

وله من أخرى[٤] :

وقبْلَكَ صاحَبْتُ الزَّمانَ وأهــلَهُ فما شاقَنِى خِلٌّ ولا رَاقَ مَوضِعُ

يُقدِّمنى عَزْمى وحظِّى مُؤخِّرِى ويُوصِلُنى حَزْمى ودَهرِى يُقطِّعُ

---

(١) سقط هذا البيت من : ج ، ومن خلاصة الأثر ٢ / ٨٣ .

(٢) فى م : « عن أشياء منها . . . يسرك عن » والمثبت من : ا ، ب ج ، خلاصة الأثر .

(٣) هكذا فى الأصول ، وهو خطأ ، فالبيت لأبى تمام فى ديوانه (بشرح التبريزى) ١ / ٨٧ ، وفيه : « ليس الغبى » .

(٤) سقطت هذه الأبيات كلها من : ب ، ج ، ما عدا البيت الأخير .

ولا ذَنْبَ لى إلا الفضيلةَ إنهـــا ... من الجهلِ فى الأيام أشْنَى وأشْنَعُ
وهَمّى من الدنيا المعالِى و نَيْلُهـــا ... وماهَمَّ قلبى الرَّقْمتَانِ ولَعْلَعُ (١)
ولا نَسْمـــةٌ سَحَرِيَّةٌ شِحْرِيَّةٌ ... ولا بَارِقٌ من بَارِقٍ وهْوَ يَلْمع (٢)
ولا عَذْبُ ماءٍ للعُذَيْبِ على ظَمَاَ ... مُمِضٍّ بجَرْعاءِ الحِمَى يُتَجرَّعُ (٣)
ولا رَشَأٌ أحْوَى ولا صَوْتُ قَيْنَةٍ ... ولا قَدَحٌ فيه الرَّحِيقُ المُشَعْشَعُ (٤)
ولـكنَّه لَدْنٌ وأجْـــرَدُ سابِـحٌ ... ومَسْرُودَةٌ زَغْفًا وأبيَضُ يَسْطَعُ (٥)
وإتْلافُ ماأحْوِى على طلبِ العُلا ... وهذا طريقٌ المكارم مَهْيَعُ (٦)
وإنّىَ مِن خِـــلِّى بأيسرِ وُدِّه ... أَسَرُّ وأَسْرِى مادعانى وأسْرِعُ (٧)
قليـــلُ مودَّاتِ الرِّجالِ كثيرةٌ ... وأيسرُها عند النَّوائبِ تُقْنِـعُ
أبَرُّكَ مَن يلْقاكَ بالبِشْرِ وجهُهُ ... ووَاساكَ فى الضَّرَّاءِ مَن يتوجَّعُ
ولـكنَّنى لم آلْفِ غـــيرَكَ وافياً ... وأكْثَرُ مَن تلْقَى يخونُ ويخدَعُ
فحاوَلْتُ أن ألْقَى المنـــايا أو المُنَى ... لدَيْكَ وعِرْنينُ العِدى بِكَ أجْدَعُ
تملَّـكْتَ مـــنِّى جانباً لا أُضِيعُه ... لغيرِكَ فى الدنيا وغـــيرِى المُضَيِّعُ
لساناً طرِيًّا بالمـــديحِ وأُنْمُلاً ... سحائبُها من نَفْثِهـــا لا تَقَشَّعُ
وقلباً على حِفْظِ المــــودَّةِ عامراً ... ولـكنه إن سُمْتَه الضَّيْمَ بَلْقَعُ

---

(١) الرقتان : تثنية الرقة ، وهو مجتمع الماء فى الوادى ، وقيل : قريتان بين البصرة والنباج ، وهما على شفير الوادى ، وقيل : روضتان بناحية الصمان ، والرقتان : نهيان من أنهاء الحرة ، قرب المدينة . ولعلع : جبل ، وقيل : منزل بين البصرة والـكوفة . مراصد الاطلاع ٦٢٥ ، ١٢٠٥ .
(٢) فى م : « سحرية شجرية » وشحرية : نسبة إلى الشحر ، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن .
(٣) فى ا : « بالعذيب . . . أتجرع » .
(٤) شعشع الشراب : مزجه . القاموس (ش ع ش ع) .
(٥) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة ، أو الرقيقة الحسنة السلاسل . القاموس (ز غ ف) .
(٦) فى م : « المكارم منبع » وطريق مهيع (كمقعد) : بين . القاموس (هـ ى ع) .
(٧) فى ا : « بآيس وده » .

وصـــــيَّرتني عبداً لأمرِك طائعاً ‏ ‏ وإنِّى إلّاكَ الأنامَ أُضَيِّعُ
ولى رُتبةٌ فوق الثُّرَيَّا محلُّهــــا ‏ ‏ ودون ثَرًى فيـــه نِعالُك تُوضَعُ
وسَلْسَالُ لفظٍ سائغُ الورْدِ عذبُه ‏ ‏ له مَشْرَبٌ صافٍ نَميرٌ ومَشْرَعُ (١)
وما قصَدَتْ إلّاكَ قبلُ قصائدِى ‏ ‏ ولم يرَها قومٌ سِواكَ ويَسْمَعُوا
مُنَمَّقَةً تزْهُـــو على زَهَرِ الرُّبَى ‏ ‏ وتُشْرِقُ كالزُّهْرِ السَّوارِى وتطلُعُ (٢)
لو اعْتَبر الرَّائِى مواقعَ لفظِهــــا ‏ ‏ تَيقَّن أن السِّحْرَ فى الشِّعرِ يُجمَعُ
وغيرِى طُفَيْلِىُّ القوافِى وأشْعَبُ الْ ‏ ‏ معانِى له فى كلِّ ماعَنَّ مَطْمَعُ (٣)

وله من أخرى :

إن خَصَّنِى بالبُؤسِ دهرِى دائماً ‏ ‏ دون الوَرى فأنا بذلك أفضَلُ
هذِى عقاقيرُ العِطارةِ كُلُّها ‏ ‏ لم يحْترِقْ منْهُنَّ إلا الْمَنْدَلُ (٤)

وله من أخرى (٥) :

أرَى اليأْسَ عِزًّا والرَّجا ذِلَّة الفتَى ‏ ‏ وطُولَ الْمُنَى عجزاً وحُبَّ الغِنَى فَقْرَا
فلا تضْجَرَنْ من حالةٍ مُستحيلةٍ ‏ ‏ كما نِلْتَها عُسْراً ستَتْرُكها يُسْرَا
وإن الفتى كالغُصْنِ مادام نابِتاً ‏ ‏ فآوِنَةً يُكْسَى وآوِنَةً يعرَى

وله من أخرى (٥) :

إذا ما كنْتَ مُصطنِعاً جميلاً ‏ ‏ فحاوِلْ مَن يروقُكَ بالصَّنِيعِ
ولا تُـكرِمْ به إلا كريماً ‏ ‏ رَماهُ الدهرُ عن مَجْدٍ رَفيعِ
ولم أرَ نِعْمَـةً تُسْدَى فتُزْرِى ‏ ‏ بمُسْدِيها سِوى رَفعِ الوضيعِ (٦)

---

(١) فى ا : « سائغ الورد » .
(٢) فى م : « كالزهر السوادى » .
(٣) فى ج : « فى كل ما عز» .
(٤) المندل : العود .
(٥) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج .
(٦) فى ا : « فتردى بمسديها » .

وقوله [١] :

غَيْرُ بِدْعٍ إذا ظُلِمْتَ بدهرٍ ... رُزِق الغِمْرُ فيه حَظًّا عظيماً
فالهواء الصَّحيحُ يُدْعَى عليلاً ... واللَّديغُ المُصابُ يُدْعَى سَليماً [٢]

وقوله [١] :

ماسئِمْتُ الزَّمان إلا لِحِرْما ... نِ كريمٍ فيــه وحَظِّ لئيمِ
وثَراء اللَّئيم أقْبحُ فى العيْـ ... ـنَيْن مَرْأى مِن افتِقار الـكريمِ [٣]

وله [٤] :

ومُستخْبِرٍ عنِّى بغــيرِ جَهالةٍ ... يَرانى وفى عَيْنَيْه عن حالتِى عَمَى
تنــكَّرَ مُرتاباً ولم يَدْرِ أنــنِى ... شهِدْتُ مَذاقَ العيْشِ شُهْداً وعَلْقَمَا
إذا ما اسْتَردَّ الدهرُ منِّى هِباتِه ... فِسيَّان أن أُعْطى كثيراً وأحْرَمَا

وله [٥] :

لا يضرُّ الـكريمَ قِلَّةُ مالٍ ... لا ولا باللَّئيم يُجْدِى الثَّراء
فشَبَا مُرْهَفِ الجبانِ كليلٌ ... وبصِنْديدِها تَقُدُّ العصاء

وله :

لا تحسَبِ الأرزاقَ تُقْسَمُ باطلاً ... كلاَّ لقد ساوَى المُهيمنُ بيْنَها
فإذا رُزِقْتَ الجهلَ أدْركْتَ المُنَى ... وإذا حُرِمْتَ الجدَّ أُعْطِيتَ النُّهَى

---

(١) سقط البيت الأول من : ب ، ج .
(٢) فى ب : « الهواء الصحيح » وفى ج : « القوى الصحيح » .
(٣) فى ا : « فتر اللئيم » وفى م : « وترائى اللئيم » والبيت مضطرب فى ب ، ورد هكذا :
« وتراءى اللئيم (... بياض) من افتقار الـكريم إلى اللئيم » .
(٤) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج .
(٥) يبدأ من هنا سقط فى : ب ، ج ، ينتهى عند قوله : « أراك ولـكن لاسبيل إلى اللقا » الآتى .

وله :

حاذِرْ عِداكَ الأقربين من الورَى ... فأضرُّها القُرَباء والقُرَناء
وَتوقَّ من كَيْدِ الحقُودِ ولِينِ ما ... يُبْدِى فقد يُصْدِى الحسامَ الماء

وله :

أبعَدُ ما يَطلُبُ إدراكَهُ ... نَيْلُ المُنَى بالفضل إنسانُ
وكلُّ شىء وله غايةٌ ... وغايةُ العِرْفانِ حِرمانُ

وله :

رُوَيْدَكَ إن بعدَ الضِّيقِ مَخْرَجْ ... وصَبْرُك عندَه أبْهَى وأبْهَجْ
وكم مِن كُربةٍ عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... وعند حُلولِها الرحمٰنُ فَرَّجْ

وله :

كفى حزَناً أنِّى أراكِ قريبَةً ... ويُقْصِيكِ عنِّى يا بُثَيْنُ أمورُ
أراكِ ولكن لا سبيلَ إلى اللِّقا ... وكلُّ يَسيرٍ لا يُنالُ عَسِيرُ (١)

وقوله :

اسْقِنِى قهوةَ بُنٍّ ... وامزُجِ القهوةَ عُودَا
فهْىَ للصَّفْراء والبَلْغَمِ تمحُو وهْىَ سودَا

وقوله :

وأغْيَدَ أورثَنى بُعدُه ... ثَوْبَ الضَّنَا فيهِ وفَرْطَ السِّقامْ (٢)
رثَى لىَ العاذلُ فى حبِّه ... حتى إذا خَطَّ عِذارَيْه لَامْ (٣)

---

(١) فى ا ، ب : « إلى لقى » .
(٢) فى ب : « ألبسنى صده » وفى ج : « أورثنى صده » وفى ب : « ثوب ضنى ويحلو السقام » وفى ج : « ثوب الضنا وحلى السقام » .
(٣) فى م : « خط عذاره لام » .

وله (١) :

مُذْ خطَّ آياتِ عِــذارٍ له نقَّطَهــا من مِسْكِ شاماتِهِ
ولاحَ فى أصْداغِه وجهُه كأنَّه البــــدرُ بهالاتِهِ
وأرسلَ اللَّحْظَ نذيراً وقدْ كلَّم قلبى بمُنــاجاتِهِ
ولم أستطِـعْ كُفرانَها إنَّنى آمنتُ باللهِ وآياتِهِ

وله فى الصَّيْف :

قد هجم الصَّيفُ وولَّى الشِّتَا مُنهزِماً تابِـعَ آثَارِهِ (٢)
مُبتدِعاً يسلُبُ أثوَابنــا ويُخرِجُ المالكَ من دارِهِ (٣)

وله :

أراكَ بِسِرٍّ مُسْتَوعِيكَ سِرًّا مخافةَ أن تُسِرَّ إلى مُرِيبِ (٤)
أنَمَّ من السُّؤالِ على عَديمٍ ومن دَرَن السِّفارِ على غَرِيبِ (٥)

وله (٦) :

لا أشْتَـكى الحبَّ تُضْمِينى مصائبُهُ ولى عن اللَّومِ فيه أُذْنُ أُطْرُوشِ (٧)
فلستُ أوَّلَ مَن ألقاهُ ناظرُه فى صَبْوةٍ شوَّشَتْهُ أىَّ تَشْوِيشِ
كالنَّسْرِ أرْداه سهْمٌ فاستعَدَّ له عُذْراً وقال رمَى قلبى به رِيشِى

وله أيضاً :

برُوحِىَ مَن أبصرْتُ صفْحةَ خدِّهِ وأبصرتُ وجهَ الشَّمسِ أغْبرَ أسودَا

(١) من هنا سقط فى ب ، ج حتى قوله : « مبتدعا يسلب أثوابنا » الآتى .
(٢) فى ا : « يتبع آثاره » .
(٣) فى ب ، ج : « مبتدع » وفى ج : « يسلب أقواتنا » .
(٤) سقط هذا البيت من : ج . (٥) فى ب : « أنم على السؤال » .
(٦) سقط البيتان الأولان من : ب ، ج . (٧) الأطروش : الأصم .
(٨) من هنا سقط فى ب ، ج ينتهى بقوله : « وإن صح منه الطرف غير عليل » الآتى .

كأنّى أراها دُونَه مثلما يُرَى ... سِواها إذا ماشامَها الطَّرْفُ أرْبَدا

وله من أخرى :

مُنيرُ المُحيَّا كلَّما شِمْتَ وجهَه ... أعاد إليك الطَّرْفَ جِدَّ كَليلِ

كذا الشمسُ مهماشامَها المرءلم يعُدْ ... وإن صحَّ منه الطَّرفُ غيرَ عليلِ

وله من قصيدة :

قد كان ليلُ ذَوائبى لى شافِعاً ... واليومَ صُبْحُ الشَّيْبِ من رُقَبائِى

ولَلُمْتَقى بِبيضِ الصِّفاحِ أحبُّ لا ... بَبَيْضاءِ من ذى لُمَّةٍ بَيْضاءِ (١)

ومنها :

ولئن خَبَرْتَ بنى الزمانِ وخِسَّةُ الـ ... آباءِ تُنْتِجُ خِسَّةَ الأبْناءِ

إيَّاك تركنُ منهمُ لمُماذقٍ ... يُبْدِى الوفاءَ ولاتَ حينَ وفاءِ

وتجنَّبَنْ مِن لِينِ مَلْمَسِ عِطْفِهِ ... فالعَضْبُ يصْدَأُ مَتْنُه بالماءِ (٢)

ولطالَما أصْفَيْتُ قبلَك خُلَّتِى ... مَن لا أراهُ موافقاً لإخائِى (٣)

وبلوْتُ منـــه وُدَّه فرأيتُه ... مُتَـــلوِّناً كتَلوُّنِ الحِرْباءِ

فغدوتُ أحترزُ الأنامَ وغَدْرَهُمْ ... إن الطَّبيبَ يخافُ مَسَّ الداءِ

وقطعتُ باليأْسِ الرجاءَ لديهمُ ... واليأسُ يجْدَعُ أنْفَ كلِّ رجاءِ (٤)

وله من أخرى :

أَوَّاهُ كم لوعـــةٍ بقلْبى ... تغدُو وكم رَوْعةٍ تروحُ (٥)

---

(١) فى المطبوعة : « فى الملتقى » والمثبت من : ا ، ومن هذا البيت يبدأ سقط فى ب ، ج ينتهى بقوله : « يبدى الوفاء ولات حين وفاء » .

(٢) فى ج : « وتجنبى من لين ملمس عطفه » .

(٣) سقط هذا البيت والبيتان التاليان له من : ب ، ج .

(٤) فى ج : « وقطعت عن يأس الرجاء » . (٥) سقط هذا البيت من : ب ، ج .

إنّ الهوَى داءٌ عَياءٌ يعجِزُ عن بُرْئِهِ المسيحُ

وله من أخرى ، يصف قصيدتَه[١] :

وكأنّهـــا فى كلِّ بيتٍ شِمْتَه منها تضُمُّ من القريض مُهَنْدِساَ

والشِّعرُ ما شاقَتْكَ منه حِـكْمةٌ لا ما يُشَوِّقُكَ الكثِيبَ الأوْعَساَ[٢]

⁂

(١) سقط البيتان ومقدمتهما من : ب ، ج .

(٢) المـكان الأوعس : هو ماتنكب عن الغلظ،والأرض لم توطأ ، والرمل اللين . القاموس (وعس).

١٢

أبو بكر تقىُّ الدين التاجر ، المعروف بابن الجَوْهَرِىّ *

مَن زَهَتْ زهرةُ حياتِه بالشام ، فنظَر من مطالِع آفاقِها بوارِقَ الفصاحة وشَام ، وأسعدَتْه الُجدود ، فبدَتْ عرائسُ أفكارِه متورِّدة الُخدود ، ودارَتْ من شمائِله الشَّمول ، فسُرَّتْ بها قلوبُ القَبولِ ، وعيون المُقول ، كما ارْفَضَّ عِرقُ الطَّلِّ الهَتَّان ، على رُءوس القُضُب وطُرَر(1) الرَّيْحان .

وله فى الأدب والشِّعر تجارة لن تبُور ، إلا أن طبْعَه كأمِّ الصَّقر مِقْلاتٌ نَزُور .

فمن عُقودِه وجواهر نقوده قوله :

هٰذِى المنــــازلُ قبلَنا	كم ذا تداولَهـــا أنَاسِى(2)
كم صدَّعَتْ ملْـكاً وكم	مِن مُدَّعٍ وَضْعَ الأساسِ
غرَسُوا وغَـيرَهُمُ اجْتَنَى	مِن بعدِهم ثمرَ الغِراسَ
دُوَلٌ تَمرُّ كأنَّهـــــــا	أضْغاثُ حُلْمٍ فى نُعاسِ

(*) أبو بكر تقى الدين بن أحمد بن علاء الدين بن محمد الجوهرى البهرام آبادى .
ولد سنة ثمان وستين وتسعمائة .
ونشأ فى وصاية عمــه الشيخ محمد الجوهرى ، وطلب العلم فى بداية أمره ، وتردد إلى مصر كثيراً ، وقرأ على علمائها ، ثم تعاطى التجارة يرسلها إلى أخيه الشيخ حسن بمصر .
وله نظم كثير ، وإنشاء ما له نظير .
كان حياً فى أيام البورينى صاحب « تراجم الأعيان » .
تراجم الأعيان ١/٢٣٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٣٦ ب ، خلاصة الأثر ١/٦٨ ، وانظر سلافة العصر ٣٩٥ .

(1) فى ا : « وطرز » وفى ج : « وطراز » .
(2) فى ج ، م : « أناس » .

وهو من قول أبي تَمّام[١] :

أعوامَ وَصْلٍ كاد يُنْسِي طِيبَهَا ذِكْرُ النَّوَى فكأنَّها أيَّامُ[٢]

ثم انبَرَتْ أيَّامُ هَجْرٍ أعقبتْ نحْوِي أسًى فكأنَّها أعْوامُ[٣]

ثم انقضَتْ تلك السِّنونُ وأهلُها فكأنَّها وكأنَّهمْ أحلامُ

وكانت نزلَتْ بي شِدَّة ، ليس لها غيرُ لُطْفِ اللهِ عُدَّة ، فكان في كل يومٍ يُسلِّيني الأحبابُ بذكر مُبشِّراتٍ بحصول الفرَج ، فقلت ، وقد كَثُرَ ذلك :

وَيْلاهُ مِن زمنٍ كأن نهارَهُ نفضَتْ دُجاهُ عنه صِبْغُ ظَلامِ

من بعدِ ما كانتْ لياليِنا لهـا نُورٌ يُرِينا صَفْوَةَ الأيَّامِ[٤]

زَمَنٌ كأحْلامٍ تقضَّى بعدَه زَمَنٌ نُعَلَّلُ فيه بالأحْلامِ

⁂

(١) ديوانه (بشرح التبريزي) ٣/١٥١، ١٥٢ .

(٢) في الديوان : « كان ينسي طولها » (٣) في الديوان :

ثم انبَرَتْ أيامُ هجْرٍ أردَفتْ بجَوًى أسًى فكأنَّها أعوامُ

(٤) عجز البيت مضطرب في النسخ المخطوطة ، فهو في ا : « يودن مناصفوه الأيام » وفي ب : « تورتن مناصفوة الأيام » وفي ج : « نوارن منها صفوة الأيام » .

١٣

شمس الدِّين محمد ، المعروف بابن المِنْقَار *

جواد فى حَلْبَةَ المكارم[١] سابق ، مُخَلِّط مُزيل[٢] ، فائق رائق ، وقد كانت تتجاذبُ الأخبارُ شمائلَ فضائِله ، وتهتزُّ الأغصانُ إذا هَبَّتْ نسماتُ شمائِله ، ومَن طاب عِرقهُ[٣] طاب من عَرْفِهِ الشَّمِيم ، ومَن كان غُصناً فى رياض المعالى هزَّهُ مرورُ النَّسِيم .

إلا أن شِعرَه شعرُ العلماء ، وأدبَه أدبُ الفقهاء ، وما كل قصرٍ خَوَرْنَق وسَدِير ، وما كل وادٍ فيه رَوْضة وغَدِير .

على أنه كانت تَتِيه به على سائر البقاعِ بقاعُ الشَّام ، ويفتخِرُ به عصرُه على جميع[٤] الليالى والأيَّام ، فلا تزال تصْدَح وُرْقُ الفَصاحةِ فى نادِيها ، وتسير الرُّكبانُ بما فيه من المحاسن رائِحُها وغادِيها ، وأقلامُ الفتْوَى مُثمِرةٌ من شمس إفادةٍ له ارْتفعتْ ،

(*) فى ب : « ابن النقار » وهو :
محمد بن القاسم ، الملقب شمس الدين ابن المنقار الحلبى الدمشقى الحنفى .
ولد سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة .
وكان من أعيان العلماء ، مناظرا ، قوى الساعد فى العلوم ، ولكنه كان ضيق الخلق .
توفى سنة خمس بعد الألف .
إعلام النبلاء ٦/١٥٢ ، خبايا الزوايا لوحة ١٤٠ ا ، خلاصة الأثر ٤/١١٥ .

(١) فى م : « الأدب » . والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) فى م : « هزل » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وقد شرح المحبى قوله « مخلط مزيل » فقال : « قوله : مخلط مزيل . يضرب للذى يخالط الأمور ويزايلها ثقة بعلمه واهتدائه إليها » .

(٣) فى ج : « عرفه » .

(٤) فى م : « سائر » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

خيالها من قُضُبٍ أثمرتْ بعد ما قُطِعَتْ ، ونُورُ فضلِهِ بادِى ، وموائدهُ ممدودةٌ لكل حاضرٍ وبادِى .

كالشَّمسِ فى كبدِ السماءِ ونورُها يغْشَى البلادَ مشارقاً ومغاربا[(١)]

ولم يبْرح[(٢)] ثاوياً فى فَلَكِ السعادَة ، حتى كُسِفتْ شمسُ حياتِه ، فالبس الدُّجى عليه حِدادَه .

فمن نفحاتِ أسرارِه ، ولَمَعاتِ أنوارِه قولُه للقاضى مُحبِّ الدين ، وهو بمصر :

مِن يومِ بَيْنِكَ كلُّ طَرْفٍ دامِى لم تكْتحِلْ أجفانُه بمَنامِ[(٣)]

لَمَّا رحَلْتَ مُمتَّعاً بسلامةٍ ومصاحِباً للسَّعْدِ والإكْرامِ

خلَّفْتَ بعدَكَ كلَّ خِلٍّ هائماً يُجْرِى الدُّموعَ حَليفَ فَرْطِ غرامِ[(٤)]

سكرانَ من كأسِ الفِراقِ مُعذَّباً يا صاحِ بالهِجْرانِ والآلامِ

يشدُو بذكْرِك مِن نَواكَ إذا رأى الْـ عشاقَ فى رَكْبٍ لكلِّ مقامِ

مولاىَ بعدكَ قد تفرَّق شملُنا وضياءُ نادِينا انْمَحَى بظلامِ[(٥)]

قد كنتَ واسِطةً لعِقْدِ نِظامِنا حتى انفردْتَ فحُلَّ عِقدُ نِظامى

وضِياءُ وجهِكَ فى النهارِ إذا بدا فالشمسُ تستُرُ وجهَها بغَمامِ

هذا وعبدُكَ ضاعَ بعدك صبرُه فاسْلَمْ ودُمْ فى السَّعدِ والإنْعامِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وضوءها يغشى البلاد » .
(٢) فى م : « ولم يزل » .
(٣) فى ا : « كل طرفى » .
(٤) فى ج : « حليف فرط سقام » .
(٥) فى ا : « وضياء وادينا » .

وعلى حِمــاكَ من المحبِّ تحيةٌ ... لا تنتهى وعليكَ ألفُ ســلامِ
وسقى الإله ديارَ مِصْرَ وأهلَها ... أنواءَ سُحْبٍ من يديكَ عِظــامِ
لمَّا حللْتَ بهـــا تضاحَكَ نَوْرُها ... فَرَحاً وبُدِّلَ نقْصُهـــا بتمامِ
لا زِلْتَ تَرْفُلُ فى ثيـــابِ سيادةٍ ... وتجرُّ ذيلَ العِزِّ فوقَ الْهامِ[1]
ما نمَّق المُشتاقُ طِرْسَ رســالةٍ ... بحديثِ أشْواقٍ وبَثِّ غــرامِ

⁂

---

(١) فى ا : « ثياب سعادة » .

١٤

ابنه عبد اللطيف*

ولما ارتحلتُ عن مصر ، فارقتُ أترابى ولِداتى ، ومَن بها من ذخائر آمالى وكنز حياتى .

وظِئْرُ بلادٍ أرضعَتْنى بمائهـــا وأنفاسُ نَسْماتِى ومَهْدُ دِيارِى (١)

مَررْتُ على دمشق (٢) الشَّام ، فرأيتُ مَن بها من الكرام ، كان ممَّن نعِمْتُ بلُقياه ، ووقفتُ على هَضَباتِ عُلاه ، هذا الأديب الحسيب ، والروضُ الأرِيض ، والمَرْبَع (٣) الخصِيب ، فحيَّانى بأنفاسٍ من أنفاس الخُزَامَى أندَى ، وهبَّت منه نفحاتُ أُنْسٍ كنَفْحة روضٍ من قُبيل الصبح بلَّتْها الأنْدَا ، فعطَّر بفضائِلهِ المجامِع ، وفكَّه بثمراتِ آدابِهِ المسامِع ، وأهْدَى إلىَّ فى مشرفة قصيدةً ، حيَّانى بها ، وهى :

بأُفْقِ دِمَشْقَ قد طلَع الشِّهابُ أضاءتْ مِنه هاتِيكَ الرِّحابُ

هُمَامٌ جَدَّ فى طلَبِ المعـــالى فأحْرزَ شَأْوَها منه الطِّـــلابُ

(*) عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم ، المعروف بلطفى ، ابن المنقار الدمشقى الحنفى .
هكذا أورد المحبى نسبه ، وعلى هذا فهو حفيد شمس الدين ، لا ولده .
أما ابن معصوم فقد أورد نسبه هكذا : عبد اللطيف بن شمس الدين محمد المنقارى . وعلى هذا فهو ابنه ، كما ذكر الخفاجى .
وقد سافر عبد اللطيف إلى حلب وديار بكر ، وولى تدريس الماردانية .
وكان فاضلا نبيلا ، كما كان أديبا حسن البديهة والشعر ، إلى جانب تمكنه من الفقه .
توفى سنة سبع وخمسين وألف .
خلاصة الأثر ٣ / ٢٠ ، سلافة العصر ٣٩٤ .

(١) فى ب : « وطيب بلاد » وفى ج : « وخير بلاد » وفى م : « وطير بلاد » والمثبت من : ا . وفى ا ، ب ، ج : « وأنفاس نسمات ومهد ديار » .

(٢) فى م : « مررت بدمشق » .

(٣) فى ب ، ج : « الربيع » .

وَمَوْلى شأنه تحْريرُ عِــلْمٍ ... وتقريرُ المباحثِ والخِطــابُ

حواشِيه مُنقَّحةُ المعــــــانى ... ومِن فنِّ البيانِ بها اللُّبابُ

فَبدرُ عُلاهُ مُـكتمِلٌ مُنيرٌ ... يفيض بدُرِّهــا منه العُبابُ

فنى التَّفســـير مجتهدٌ وفيما ... نحــاهُ رأيُه أبداً صَوابُ

فلا يُلْقَى له فيه نَظِــــيرٌ ... وليس له سِوى التَّحرير دَابُ

أتى من مِصرَ مجتازاً فطابتْ ... بمَقْدَمِه معالمُها الرِّحابُ

وعاد إلى دِمَشْقٍ وهْو ثَانٍ ... عِنانَ العزْمِ واقْتَبلَ الإيابُ

فقلَّد جِيدَهــا بعُقودِ فضْلٍ ... ووَشَّى روضَها ذاك الجَنابُ

وجاد رُبَى دِمَشْقَ وساكِنيها ... بصَيْبِ سَيْبُه الْهَامِى سَحابُ

فقرَّتْ أعيناً وسمَتْ مقاماً ... وقد راقتْ مشاربُهَا العِذابُ [١]

وغنَّتْ لى قِيانُ الطــير بِشْراً ... فــكان من القَبُولِ لها جَوابُ

وماستْ غادَةُ الرَّوْضاتِ زَهْواً ... فأُلْقِيَ عن مُحيَّاها النِّقابُ

وقد بسَمتْ ثغورُ النَّورِ فيها ... وأسْـكَر من ثَنَاياها الرُّضابُ

وكأسُ الوَرْدِ فى راحِ الرَّوابى ... طفاَ فيه من الأنْدَا حَبابُ

فنِعم الوقتُ وقتٌ جاء فيه ... وخيرُ الدهرِ وقتٌ مُستطابُ [٢]

فدَام مُمتَّعاً فى ظِــلِّ عيشٍ ... لطيفٍ لا يُـكدِّرُه الذَّهابُ

وعُمْرُ بنِيه فى الدنيا طويلٌ ... يتيهُ بعَدِّه فيــــــه الحسابُ

له منِّى ثنــــاءٌ كلَّ وقتٍ ... جزيـلٌ أو دعاءٌ مُستَجابُ

⁂

(١) فى ا ، ب « مشارعها العذاب » .

(٢) فى م : « عيش مستطاب » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

١٥

شيخ الإسلام عماد الدِّين الْحَنَفِيّ الشَّامِيّ *

ماجد طويل النِّجاد ، له بيت كريمٍ رفيعُ العِماد ، من غير قَدْحٍ فيه وارِى الزِّناد ، ممن رُفِع فوقَ هامة [(١)] السِّماكِ مِهادُه ، إذا شُيِّد بيتُ الشِّعر وعُمِّر رَبْعُ الأدب فهو عمادُه ، وإذا بدَى ربيعُ طَبْعه نشَر على البقاع وشَائِع [(٢)] ، يُحْيِي دارسَ الفضلِ فيُصبِح وهو مشهورٌ بها وَشائِع ، وجواد قَرِيحتِه مَلآن العِنان ، سبَّاق إلى مغارِس قُصُب الرِّهان ، بعَذْب مشرَب كأنه جَنَى النَّحل ممزوجاً بماء الوقائِع ، فما رِيح الشَّمال وما الرَّاح الشَّمول ، وما وَجَنات الوردِ خَمَشَتْها راحةُ القبول .

له لُطْفُ خُلُقٍ يسْعَى اللطفُ لينظُر إليه ، ورقيقُ محاسن يقِف الكمالُ متحيِّراً لدَيْه ، ألذُّ من إغْفاءةِ الصَّباح ، وأحْلَى من مذاقِ الظَّفَر من ثَمرات النَّجاح .

وأنا وإن لم تقَعْ لى عليه عَيْن ، فسماع الأخبار إحدى الرُّؤْيتَيْن ، على أنِّى إن لم أرَ الأسدَ فقد رأيتُ شِبْلَه ، وسيأتى مابيْنى وبينه من المحبَّة والخُلَّة ، لمَّا قِلْتُ بظلِّ الشَّام ، فى روضة أطلَّت [(٣)] على نَهرٍ تَفْتَرُّ مباسِم النَّوْر فيها عن لآلىء المطر .

(*) عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادى الحنفى الشامى .
ولد سنة أربع بعد الألف .
وكان فاضلا وقورا متواضعا ، صادق الود ، وثيق العهد ، طاهر الفم والذيل .
وهو مفتى الحنفية بالشام ، وابن مفتيها .
توفى سنة ثمان وستين وألف .
خبايا الزوايا لوحة ٤٠ ب ، خلاصة الأثر ٣/٢٠٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب .

(١) فى م : « هام » .

(٢) الوشائع : جمع الوشيعة ، وهى كل لفيفة ، والطريفة فى البرد ، وكأنها أراد بها جمع الوشع ، وهو زهر البقول وشجر البان ، أو جمع الوشوع ، وهو مايتفرق فى الجبل من النبات .

(٣) فى م : « أظلت » .

وكان صَدْراً لـكلِّ نَاد ، حتى قرَض الدهرُ منه رفيعَ العِماد :

وزهْرةُ الدنيـــــا وإن أينعَتْ   فإنّهـــــا تُسْقَى بماءِ الزَّوالْ (١)

وللطَّالُوِىّ فيه مدائح وبينهما محاورات ، منها قوله :

عهدَ السرورِ وريْعانَ الهوى النَّضِرِ   سقاكَ عهدُ الحَيَا رَقْراقَ مُنْحدِرِ
وجاد رَبْعَك وَسْمِىٌّ تُــكرِّرُه   رِيحُ الصَّبا بين مُنْهَلٍّ ومُنْهمِرِ (٢)
وغرَّدتْ برُباكَ الوُرْقُ وابتَـكَرتْ   بلَحْن مَعْبَد تتلو طَيِّبَ الخبَرِ (٣)
ولا برحتَ مغـــان للحِسان ولا   رمَتْك أيدِى النَّوى بالحادثِ الغَدِرِ (٤)
ولا أغبَّتْكَ أرواحُ النَّسيم ولا   عَدَتْ مغانِيكَ أخْلافٌ من المطرِ (٥)
كم لى بهـــا وشَبابى الغَضُّ مُقتبِلٌ   من منْزِلٍ آهلٍ بالشوقِ والذِّكرِ
كم اجْتَلَيْتُ بدوراً من مطالِعهـــا   قد لُحْنَ تحت سماء من سنَا قمرِ
من كلِّ رُعْبُوبَةٍ تهْفُو بمُضْطَبِرِى   قد زانَها الحسنُ بين الدَّلِّ والخفَرِ (٦)
رُودٌ كستْها يدُ الأيَّام ثوبَ صِباً   وصيَّرتْهـــا الليالى فِتنَةَ البشرِ
هيْفاء صَبَّ الصِّبـا ماءَ الشبابِ على   أعْطافِها وكساها حُـــلَّةَ الخفَرِ (٧)
قامت تُعانِقُنى عنـــد الوِداع وقد   قلَّدْتُهـــا من دموعى رائِقَ الدُّرَرِ

---

(١) فى ا : « فيالها تسق » وفى هامش ب : صوابه :

* لابُدَّ أن تُسقَى بماءِ الزَّوال *

(٢) الوسمى : مطر الربيع الأول .

(٣) معبد بن وهب المدنى ، مولى بنى مخزوم ، بدأ حياته برعى الغنم فى المدينة لمواليه ، ثم ظهر نبوغه فى الغناء ، فأقبل عليه الناس ، ورحل إلى الشام فارتفع شأنه ، واتصل بالأمراء والـكبراء . توفى سنة ست وعشرين ومائة . الأغانى ١ / ٣٦ .

(٤) كذا فى كل الأصول : « ولا برحت مغان » .

(٥) أغبته : جاءته يوما وتركته يوما ، وفى ج : « عن المطر » .

(٦) جارية رعبوبة : شطبة تارَّة ، أو بيضاء حسنة رطبة حلوة ، أو ناعمة . القاموس (ر ع ب) ، وفى ا ، م : « بين الذل والخضر » وفى ج : « بين الدل والحور » . وفى ب : « من كل محبوبة » .

(٧) فى م : « حلة الخضر » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

تقول والبَيْن تغشاها ركائبُـــــه ... بمَدْمَعٍ فوق روضِ الخدِّ مُنْحدِرِ (١)

لا تعتبِ الدهرَ إن حالَتْ خلائقُه ... فصَفْوُ رَوْنقِه لم يخْـلُ من كَدَرِ

وإن تَرُمْ تتّقى من صرْفِه نُوَباً ... فالجأْ اظـــلّ عمادِ الدِّين تستترِ

مولًى غدَا رَبْعُه أمْنَ المَرُوعِ كذا ... جنابُه ظلّ مأوى الخائفِ الحَذرِ (٢)

لا زال يسمُو إلى العَلْياء مُرتقِياً ... بسُؤْدَدٍ مجـــدُه عالٍ على الزُّهرِ

حتى امْتطَى صَهوَاتِ المجدِ سامِيةً ... يختالُ فى حُلَلِ الأوْضاحِ والغُرَرِ (٣)

بهمّـةٍ تجْتَـــلَى كالليثِ ذا أشَرٍ ... وعَزْمةٍ كمضاءِ الصّارِمِ الذَّكرِ (٤)

مافاضلٌ قطُّ جاراه إلى أمـــدٍ ... فى البحْثِ إلا انْثنى بالعِىِّ والحَصَرِ (٥)

أقْلامُه السُّمْرُ فى بِيضِ الطُّروسِ إذا ... سمَتْ أرَتْكَ فِعالَ البِيضِ والسُّمرِ

له سجايَا كزَهْرِ الروضِ غِبَّ نَدًى ... وقد توَشَّحَ بالأنهـــارِ والغُدُرِ

يلْقاكَ طَلْقَ المُحَيَّا وهْو مُبتسِمٌ ... بمَنطِقٍ وِرْدُه أحْـــلَى من الصَّدَرِ

ماالروضُ جادَتْ له الأنْواءُ بالبُـكَرِ ... فـكلّلَتْ دَوْحَهُ المُخْضَلَّ بالزَّهَرِ

جادَ الغَمامُ له سَحًّا بوابِـــلِه ... وقد كسَتْه الصَّبا من رِقّةِ السَّحَرِ (٦)

تخالُ زَهْـــرَ الأقاحِى فى خمائِلِه ... زُهْرَ المَجرَّة صِينَتْ عن يَدِ الغِيَرِ

يَشدو الحَمامُ على أغْصانِه سحَراً ... فيَبعثُ الشَّوقَ فى أحْشاءِ مُستعِرِ

يافاضلاً قد جلَتْ أبكارُ فِـكْرَته ... غُرَّ المعانى بها فى أحْسنِ الصُّوَرِ

يابْنَ الـكرامِ ومَن شادُوا بعزْمِهِم ... رُكْنَ العُلا سامياً فى سالِفِ العُصُرِ

---

(١) فى م : « منهمر » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى م : « مولى غدا الأمن منه للمروع كذا » .
(٣) سقط هذا البيت من : ا .
(٤) فى ا ، ج : « ذى أشر » .
(٥) فى ب : « فى البحث لا ينثنى » وفى ج . « فى العى » .
(٦) فى ا : « وقد كسته الصبا مزرقة السحر » .

ويا عماداً لبيت الفضـــل يرفعه ... وكان من ضعفه يلقى على خطر (١)
إلى ذراك انتمت فاقبل على دخل ... نسيجها يا رئيس البدو والحضر
لا زلت فى نعمة تسمو بسؤددها ... هام السماكين حيث النسر لم يطر
ماناح بالأيك قمرى وماسجعت ... ورق الحمائم بالآصال والبكر (٢)

فأجاب رحمه الله وأجاد بقوله :

أحلى حوراء أم عقد من الدرر ... أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم الحبـــاب على راح مروقة ... أم نفثة السحر ذى أم نسمة السحر
أم نظم در زهت آيات منطقه ... فأعجزت كل ذى نظم ومنتثر
يانافث السحر من فيـه بمعجزة ... عقدت ألسن أهل البدو والحضر
ويامديراً سلافاً من بلاغتـــــه ... هلا ترفقت بالألباب والفكر
ويابن طالو وإن طال الزمان فما ... لنـــا بلوغ إلى علياك فاقتصر
أخـــذت فص المعانى من معادنه ... وغصت فى أبحر الآداب للدرر
وحزت جمع المزايا وانفردت بها ... ولم تدع للسوى شيئاً ولم تذر (٣)
وجئت من كل معنى رائق حسن ... بكل ماقد حلا فى الذوق والنظر
كأنه ضرب قـــد شابه شنب ... أو عاتق عابق من ريحـــه العطر
وقد شهدنا بمـــا أوتيت معجزة ... جمع الفضائل فى فرد من البشر
أهديت لى غادة جلت محاسنهـــا ... وقد تجلت لنـــا فى أحسن الصور
رعبوبة من بنات البدو مذ خطرت ... قلبى بهاصار من وجدى على خطر (٤)
حيت فأحيت بألفاظ منمقـــة ... وغازلتنـــا بلطف الدل والخفر (٥)

---

(١) فى ا ، ج : « يلقى على خطر » .
(٢) فى ا : « مالاح بالأيك » .
(٣) فى ا : « سأوا ولم تذر » .
(٤) فى ا ، ج : « صار من وجد » .
(٥) فى ج : « فحيث جاءت بألفاظ منمقة » .

وأسفَرتْ عن سناَ بَرْقٍ وعن شَفَقٍ ... وعن ضِياءٍ وعن شمسٍ وعن قمرِ (١)

زارَتْ على حينِ إشْراقٍ لبَهْجَتِهـا ... ومتَّعتْنـا بذاكَ المنظرِ النَّضِرِ (٢)

وضَاعَ عَرْفُ شَذاها عندما برَزتْ ... مِسْكاً وعطَّرتِ الآفاقَ بالقُطُرِ (٣)

سألْتُها قُبلَةً أُطْفِي بهـا حُرَقاً ... شبَّتْ بقلبٍ شديدِ الوَجْدِ مُستعِرِ

فأوْمأَتْ لِشتيتٍ زانه شَنَبٌ ... وأنْعَمت بلذيذِ الوِرْدِ والصَّدَرِ (٤)

ونادَمتْني بليـلٍ قد سُرِرتُ به ... لـكنَّه ساءَنى واللهِ بالقِصَرِ

وبتُّ أُنشِد مَدْحاً فى محاسِنِهـا ... ماقالَه شاعرٌ فى سالِفِ العُصُرِ

يانُزْهَةَ النَّفسِ يامَن زانَ مَنطِقَهـا ... قُسُّ بنُ ساعِدَةَ المشهورُ فى السِّيَرِ

خُـذْها إليْكَ وإن كانتْ مُقصِّرةً ... فشأْنُ مثلِك سَتْرُ العَيْبِ بالسُّتُرِ

وإن تـكُنْ أوْجَزت فى المدحِ واخْتصَرت ... فالعَذْبُ يُهجَر للإفْراطِ فى الخَصَرِ

وإن تـكُن من بديعِ القولِ عاطِلةً ... فقد تحلَّتْ بعِقْدٍ من مديحِ سَرِى

فاعذُرْ فإنى تركْتُ الشِّعرَ مِن زمنٍ ... لشاغلٍ عنه غشَّى مُقلَةَ الفِـكَرِ (٥)

لا زِلتَ تسمُو على الأقْرانِ مُرتدِياً ... ثوبَ البلاغةِ فى أمْنٍ من الحَصَرِ

ماطرَّزَ الطِّرْسَ تنْميقُ اليَراعِ بما ... يزْهو على الرَّوضِ أو يعلُو على الزَّهَرِ

أو شبَّبَ المادحُ المُطْرِى بمَدْحِكَ فى ... بيْتٍ من الشِّعرِ فى رَوْضٍ على نَهَرِ

☆☆☆

---

(١) فى م : « وعن شفف » .

(٢) فى م : « زارت على حين أشواق » .

(٣) فى م : « وضاع نشر شذاها . . . . وعطرت الأقطار » وفى ب : « والقطر » والقطر : العود الذى يتبخر به .

(٤) فى م : « فأومأت بشتيت » وفى ا ، ب ، ج : « وأنعمت بنعيم الورد والصدر » .

(٥) فى ا ، ب : « مذ زمن » .

١٦

بدر الدّين بن رَضِيّ الدّين الغَزّيّ ، العَامِرِيّ ، الشّامِيّ *

فريدُ الدهر وأوانِه ، وابنُ عبّاسٍ فى زمانِه [١] ، وسَلْمان آل بيتِه ، وحسّان قصيدتِه وبيْتِه ، صاحب الفنون ، وغَيْثُ الإفادة الهَتُون ، جمالُ الكُتُب والسِّيَر ، سيِّد أهل الحديث وعَيْن ذوِى الأثَر [٢] ، ممّن حازتْ به أقطارُ غَزّة ، شرفاً باذخاً وعِزّة .

وابنُه شِبْل [٣] الأسد ، ذُو الرّأْيِ الصّائب الأسَدّ ، وفِرِنْد نَصْله المصقُول الحدّ ، وهما كرُكْبَتَيِ البعير فى كل معنًى صارِم [٤] ، أو كالحلقة المفرَغة أو كغِرارَيْ [٥] صارِم [٤] ، وبدر طلَع من أُفق كمالِ والدِه مُبتدِراً ، وكرَع من بحر فضْلِه البرّ ماءَ الحياةِ قبل أن يبدوَ نَباتُ عارضِه خَضِرًا ، وتحيط بمَشْرق [٦] أنوارِه ، فى إبّان طلوعه هالَةُ

(*) فى ا ، ب : « بدر الدين بن رضى الدين الغزى » فقط . وهو :
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ، أبو البركات ، بدر الدين بن القاضى رضى الدين الغزى العامرى القرشى .
الفقيه ، المفسر ، المحدث ، النحوى ، المقرئ ، الأصولى ، المناظر ، القانع ، الخاشع ، الأواه .
ولد سنة أربع وتسعمائة .
وأخذ على مشايخ عصره ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، ثم عاد فتصدر للتدريس والإفادة .
واشتغل بالتصنيف والعبادة .
وشعره حسن قوى ، أكثره فى الفوائد العلمية .
توفى سنة أربع وثمانين وتسعمائة .
تراجم الأعيان لوحة ١٧٢ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب ، سلافة العصر ٣٨٨ ، شذرات الذهب ٤٠٣/٨ ، الكواكب السائرة ٣/٣ .

(١) فى ب ، ج : « فريد الدهر ابن عباس زمانه » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « وعين الأثر » .

(٣) هو نجم الدين ، أبو المكارم ، وأبو السعود ، محمد بن محمد . وفاه حقه المحبى فى خلاصة الأثر ١٨٩/٤ – ٢٠٠ .

(٤) فى ا ، م : « كعذارى » وهو خطأ صوابه من : ب ، ج ، وغرار السيف والرمح والسهم : حده . انظر اللسان (غ ر ر) ١٦/٥ .

(٥) ساقط من : ب .

(٦) فى م : « بمشارق » .

عِذارِه ، حتى أمدَّ شمسَ الفضل بما يُحْيِي النفوسَ ، فهل سمعتَ ببدْرٍ تستمِدُّ من أنوارِه الشُّموس ، فتكلَّفَ البدرُ إذْ حَكاه ، وضاهَى سَناءَه وسَناه [١] .

* ولا عَجَبٌ للبدْرِ أن يتكلَّفا [٢] *

وله من شِعر العُلماء ماصدَحتْ من أقفاص سُطورِه الحمائِم ، وتحمَّلتْ الصَّبا نَشْرَه فتلقَّتْه الزُّهور بثَغْرٍ باسِم .

ولم يزَلْ مُشرِقاً فى منازِله البدْرِيَّة ، حتى ألمَّ بسَنا عُمرِه سِرار المنِيَّة ، لازال ثاوياً فى قصورِ الجِنان ، وضَرِيحُه مطافَ وفود الرَّحمةِ والغُفْران .

فمَّا لَمَع من نُورِ كماله ، وسطَع من نجومِ أقواله ، قولُه :

إذا كان حَمْدُ العبْدِ مولاه إنَّما ... يكونُ بإلْهامٍ مِن اللهِ للعَبْدِ
وذلك ممَّا يُوجب الحمْدَ دائماً ... فلا حَمْدَ حقًّا من سِوَى مُلْهِم الحَمْدِ

وقوله :

لنا أميرٌ فريدٌ فى خلائِقِه ... كم مِن كرائم أمْوالٍ لدَيْه حوَى
له الْتِفاتٌ لرزْقِ النَّاسِ مُعتنِياً ... يرى الفقيرَ لَدَيْه والغَنِيَّ سَوَا

وقوله [٣] :

مَن رام أن يبلُغَ أقْصى المُنَى ... فى الحشْرِ مع تقْصِيرِه فى القُرَبْ
فليُخْلِص الحبَّ لمولى الورَى ... والمصطفَى فالمرءُ مَع مَن أحَبّ [٤]

وقوله :

بالحظِّ والجاهِ لا بفضْلٍ ... فى عصرِنا المالُ يُستَفادُ

---

(١) فى ا : « وضاهى سناه وسناءه » وفى ج : « وضاء سناؤه له ثناه » .

(٢) فى م : « ولا عجبا » .

(٣) البيتان فى الكواكب السائرة ٣/٧ .

(٤) فى م : « لخير الورى المصطفى والمرء » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، والكواكب السائرة . وفى ب : « والمصطفى المختار مع من أحب » .

فكم جـــــوادٍ بلا حمارٍ   وكم حمارٍ له جَـــــوادُ

وقوله :

يُقبِّل الأرْضَ حِماها الذى   ألْثَمها أفْواهَ أهلِ العُلاَ [١]

عبـــــدٌ إذا كاتَبْتَه ثانياً   يزدادُ رِقًّا لَـكمُ أو وَلَا [٢]

وكتب [٣] إليه الفاضل النِّحرير عبد الرحيم العبّاسِيّ مُلغزاً ، بقوله :

ياإماماً له الفضائلُ تُعْزَى   وهُماماً أضْحى لراجِيه كَنْزَا

مابسِيطٌ حروفُه ليس تُحْصَى   وهْوَ حرْفانِ لا سِوَى إن تجزّا

كلُّ جُزْءٍ منه اسْتَوى القلبُ فيه   جاء معنًى أو جاء لِلَّفظِ يُعْزَى [٤]

نصفُه رُبْعُه ولا رُبْعَ فيــــه   وسِوَى الْخمْسِ منه ماتَمَّ أجْزَا

وإذا ماتصحَّف البَدْءُ منــــه   فهْوَ وَصْفٌ لـكاملٍ نال عِزَّا

أضْمَر القلبُ غادَةً إن تُصحَّفْ   آخِراً فهْو قولُها حين تَهْزَا

وعلى حَمْلِ صَخْرةٍ ذُو اقْتدارٍ   ثُمَّ عن حَمْـلِ إبْرةٍ نال عَجْزَا

هاكَهُ واضحاً بدون خَفاءٍ   لُغزُه ظاهرٌ وإن كان رَمْزَا [٥]

دُمْتَ فى رِفعةٍ وحِفْظُ إلٰهى   لك دَوْماً حِصْناً حصيناً وحِرْزَا

فأجابه البدر :

زادَكَ اللهُ بالدِّرايةِ عِـــزَّا   فلقــــد قُمْتَ لِلهدايةِ كَنْزَا

بابديعَ الألفاظِ عـذْبَ المعانى   صارَ منك البيانُ للدهرِ طَرْزَا

مَن يُجارِيكَ فى العلوم يُجارِى الْـ   ـيَمَّ والمجدُ من تجرِّيه يَهْزَا [٦]

---

(١) فى ا : « حماه الذى يلثمها » .   (٢) فى ا ، ب : « يزداد رقالـكم أوولا » .
(٣) سقط كل ما كتبه إليه عبد الرحيم العباسى ، وما أجاب به من : ب ، ج .
(٤) فى ا : « استوى القلب إما » .   (٥) فى ا : « بغير خفاء » .
(٦) فى ا : « من يجاريك فى علوم » .

إنَّ لُغزاً أرسَلْتَه فاقَ بدرَ التِّمِّ حسناً وأوْرثَ الفِكْرَ عجزَا
مَن يُفتِّشْ فليس يُلْفِى له ثَمَّ نَظيراً فقد تفرَّد رمزَا[1]
ثم مَن يبتغِى مُضاهاتِه لا تسمعُ الأُذْنُ منه فى ذاك رِكْزَا[2]
وتراهُ وقَدْ تحيَّر ممَّا نَابَهُ للفِرارِ يجمِزُ جَمْزَا[3]
من يُطِقْ يَلْمَسِ السماءَ ويأْتى بالدَّرارِى حتى يُحاكِيه لُغزَا
قلتُ لمَّا أجبْتُ عنه إذا ما إبلٌ لم تكن لدَىَّ فمِعْزَى[4]
غيرَ أنِّى بالسَّتْرِ منه وَثيقٌ فإليْه كلُّ الفضائلِ تُعْزَى
دام فى نِعمةٍ وظلِّ سُعُودٍ ما أمالَ النَّسيمُ غُصْناً وهَزَّا

وقوله :

إنَّ ألطافَ إلٰهى لِىَ قالتْ خَلِّ عَنْكَا
لا تُدَبِّر لكَ أمْراً أنا أوْلَى بك مِنْكَا

وقوله :

مَن أطْلعَ الأحمقَ فوق السُّهَا يُنْزِلُه المنْزِلَ السَّافلِ
وغيرُ بِدْعٍ فعلُهُ حيثُما يُقابَلُ الباطلُ بالباطلِ

وأنشد له بعضُهم :

مافى زمانِك واحدٌ لو قد تأمَّلْتَ الشَّواهِدْ

---

(١) فى ا : « فليس يلقى » .
(٢) الركز : الصوت الخفى ، وفى ا : « ثم من يبغى . . . فى ذاك إلا ركزا » وهو خطأ .
(٣) الجمز : عدو دون الحضر وفوق العنق . القاموس (ج م ز) .
(٤) أخذ هذا من قول امرئ القيس ، ديوانه ١٣٦ :

أَلَا إلَّا تكُنْ إبلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِىُّ

وذكر المرزبانى فى الموشح ٢٧ رواية أخرى للبيت تتفق مع ما ورد هنا ، وهى :

إذا مَا لَمْ تَكُنْ إبلٌ فمِعْزَى كأنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصِىُّ

فاشهدْ بصِدْقِ مقالتِي　　أوْ لا فكَذِّبْني بوَاحِدْ

قلتُ : ليس له ، وهو من[1] شعر أبى عامر الُجرْجَانِيّ ، أحد شعراء «اليتيمة »[2]

وفى معناه قول ابن حَيُّوس[3] :

قد مات فى دَهْرنا الكرامُ ومَن　　يعرفُ قَدْرَ الثَّناءِ والمدْحِ

فإن شكَكْتُم فيما أقول لكمْ　　فكَذِّبونِي بواحدٍ سَمْحِ

ومما أنشده الُخوَارَزْمِيّ[4] مما يُشبه هذا ، وإن لم يكن من جميع الوجوه :

أمْسَى بلا عِظَمٍ لدَيْه تَعاظُمٌ　　فكأنَّه أيْرُ الِحمارِ القائمُ[5]

ويقولُ إن الناسَ كلُّهمُ أنا　　والناسُ كلُّهمُ لدَيْه بهائمُ[6]

ولابن تَمِيم[7] :

أيا مَعْشَرَ الأصحابِ مالى أراكُمُ　　وذَمُّ جميعِ الناسِ جُلُّ مُناكُمُ

لئن كان ذمُّ الناسِ أضْحى شِعارَكُمْ　　فما الناسُ إلا أنتمُ لا سِواكُمُ

ومما قلتهُ فى معناه :

تفرَّدْتَ فى ذا العصرِ بالفضْلِ والنُّهَى　　بزَعْمِك يامَن زادَه عِلْمُه جَهْلاَ

فأبْقِ لنا فى الدَّهرِ غيرَك عالِماً　　يُصدِّقُ ذِي الدَّعْوَى ويعرفُ ذَا الفَضْلاَ

ومن شعر والده :

إنَّ خِلاًّ مَلَّ مِنَّا　　خَلِّنَا باللهِ منْهُ

---

(١) فى ب ، ج : « وليس من شعره ، بل من شعر ... » .

(٢) هو من شعراء دمية القصر ، وليس من شعراء اليتيمة ، وهو أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمى انظر الدمية (الطباخ) ١٠٩ ، والبيتان السابقان فيها ١١١ وفيها : « ماق زمانك ماجد » .

(٣) ليس فى ديوان ابن حيوس ، وفى ب : « ابن خول » وفى ج : « ابن حسول » ، ولم أجد هذا الشعر أيضاً لابن حسول ، محمد بن على ، فى دمية القصر ، وفى فوات الوفيات ٢ / ٤٧٤ .

(٤) فى ب : « ومما أنشدوه للخوارزمى » .

(٥) فى ج : « أير بلا عظم » .

(٦) فى ا : « ويقول كل الناس لنهم أنا » .

(٧) فى ب : « ولأبى تميم » .

هو لا يَسألُ عنّا مالنَا نسألُ عنْـهُ

وللتَّقِيّ السُّبْـكِيّ رباعيَّةٌ فى هذا المعنى ، وهى :

ياقلبُ مِن الغرام قد زِدْت وَلَهْ مَن خانَك خُنْهُ أو تُعوَّضْ بَدَلَهْ
فالنفسُ عزيزةٌ على مَن هِى لَهْ لا يصلُحُ لى مَن كنتُ لا أصلُح لَهْ

ولابن الوَرْدِىّ :

إذا كرِهْتَ منزِلَا فدُونَك التَّحوُّلَا
وإن جَفاكَ صاحبٌ فكُن به مُستَبْدِلَا
لا تحْمِلَنْ إهـانةً مِن صاحبٍ وإن عَلَا
فمَنْ أتى فمَرْحباً ومَن تولَّى فإلَى

ومما أنشدْتُه له :

إن تسَلْ عن حالِ الذين اجتباهُمْ ربُّهمْ عاجزاً وتطلُب قُرْباَ
أحْبِبِ اللهَ والذين اصْطفاهُمْ تبْقَ معْهم فالمرءُ مَعَ مَن أحَبَّا

وللحافظ ابن حَجَر العَسْقَلانِىّ فى معناه :

وقائلٍ هـل عَمَلٌ صالحٌ أعْدَدْتَه ينفعُ عند الكُرَبْ
فقلتُ حسبِى خِدْمَةُ المصطفَى وحُبُّه فالمرءُ مَعَ مَن أحَبّ

وكنتُ قلتُ قبل أن أسمع هذا :

وحقِّ المصطَفَى لى فيـه حُبٌّ إذا مرضَ الرَّجاءُ يكون طِبَّا
ولا أرْضَى سِوى الفِرْدَوسِ مأْوًى إذا كان الفتى مَعَ مَن أحَبَّا

واعلم أنه وقع فى حديث صحيح ، عن عائشة رضى الله عنهـا أن رجلاً أتى النبىَّ صلَّى الله عليـه وسلَّم ، فقال : يارسولَ الله ، أنتَ أحبُّ إلىَّ مِن نفسِى وأهْلى ومالى ،

وإنى إذا ذهبْتُ لِدَارى لا تطيبُ نفسى حتى آتيَك وأرَاكَ ، فإذا مِتَّ أنْتَ كنتَ فى أعْلى مقامٍ ، فأخْشى ألَّا أراكَ .

فلم يُجِبْه الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ، فنزل عليه جبريلُ عليه السلام ، بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ[1] ﴾ الآية .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[2] » .

وقلتُ فى معناه رُباعيَّة :

حُبِّى لمحمدٍ حبيبِ البـــارى   فى طِينةِ خِلْقَتى ورُوحِى سَارِ

والمرءُ ومَن أحبَّ فى الْخُلدِ معاً   طُوبَى لِى إن غدَوْتُ عبْدَ الدَّارِ

⁂

---

(١) سورة النساء ٦٩ ، وفى الأصول : « ورسوله » وهو خطأ . و تمام الآية : ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ﴾ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (باب علامة حب الله عز وجل ، من كتاب الأدب) ٤٩،٤٨/٨ . وأخرجه مسلم فى صحيحه (باب المرء من أحب ، من كتاب البر والصلة والآداب) ٢٠٣٤/٤ .

١٧

أبو الصَّفاء مصطفى بن العَجَمىّ الحَلَبِىّ*

روضٌ وَرِيقُ أغْصان المُرُوَّة ، رَيَّانُ من ماء المكارم والفُتوَّة ، فارسُ الشَّهباء نُبْلًا وأدبًا ، طبعهُ أخو ابْنَةِ العنب صفاءً وطرَبًا ، أرْدانُ شبابه باللُّطفِ مُذهَّبَة ، وكئوس آدابهِ المجْلُوَّة للقلوب مُحبَّبة ، إذا ابتسمَتْ عُقود ألفاظِه كسَدَ نظيمُ الجوْهَر ، وخُيِّل أنها لرِقَّتها من خدود الغِيد تُعْصَر ، أقبلَتْ على شِعره الفصاحةُ بوجهٍ جميل ، وقصَّر عن إدْراكِ لطفِه النَّسيمُ وهو عَليل ، مع صَباحةِ مُحيًّا يَهزَأ بالرَّوضِ الوَسِيم ، إذا عطَّرتْ مَجامِرُ نفَحاتِه أذيالَ النَّسيم، نفحَتْ فى بُرودِ الزَّهْرِ[1] نَشْراً ، وعبَثتْ بمباسِم النَّوْر الضَّاحِكة بشْراً .

ثَمِلٌ من سُلافَةِ الطَّلِّ فى الزَّهْـ ـرِ وناهِيكَ طِيبُها مِن كاسِ

ولم تزلْ كئوسُ أدبهِ على النَّدامَى مَجلُوَّة ؛ حتى ورَد موارِدَ الموت فبدِّلتْ بالكَدرِ صُفُوَّه .

* وأىُّ صَفاءٍ لا يُكدِّرُه الدهرُ *

فقطَفتْ زهْرةَ شبابهِ ، وقد سقتْها دموعُ أحبابِه .

فمن شِعره ، ما أنشدنى له الطَّالُوِىّ ، من قصيدةٍ اخترتُ منها قوله :

(*) فى ب : « أبو الصفا ابن العجمى الحلبى » وهو :
مصطفى بن محمد العجمى ، ثم الدمشقى الشافعى .
كانت له معرفة بالفرائض والحساب ، ومشاركة فى عدة فنون ، وله شعر لطيف .
توفى فى حدود سنة خمس وتسعين وتسعمائة .
خبايا الزوايا لوحة ٤٣ ب ، الكواكب السائرة ٣/٢٠٧ .
(١) فى ا ، ج : « الدهر » .

ما اجْتازَ بارقُ ذاكَ الثَّغرِ مُبتسِماً ... ولا النَّسيمُ بأخْبارِ الحِمَى نَسَماَ
إلا وعاوَدَه من وَجْدِهِ طَرَبٌ ... حتى كأنَّ به ما يُشْبِهُ اللَّمماَ
مُتيَّمٌ لعبتْ أيدى الغرامِ به ... فغادَرتْه كأنفاسِ الصَّبا سَقَماَ
تبيتُ منه على الأحْشاءِ كفُّ شَجٍ ... تضمُّ صدراً خَفوقَ القلبِ مُضْطرِماَ
أيا خليلىَّ لا زالَتْ مُجلَّلةٌ ... من البوارِقِ تَهْمِى فى عِراصِكُماَ
حتى تظَلَّ لها الأرْجاءُ باسِمةً ... تبُثُّ مِن سِرِّها ما كانَ مُكتَتَماَ
أمَا ومبْسمِهِ الزَّاهِى بمُنْتَسِقٍ ... يُزْرِى مُفَلَّجُهُ بالدُّرِّ مُنتظِماَ
ولَفْتةٍ تذَرُ الألبابَ شارِدةً ... أيْدِى سَبَا وترُدُّ الفكرَ مُنقسِماَ (١)
لاحُلْتُ عن حُبِّهِ الأشْهَى إلى كبدِى ... من الزّلالِ وقد كادَتْ تذوبُ ظَماَ (٢)
ولا تبَدَّلْتُ إنْساناً سِواهُ ولَوْ ... أضْحَى وجُودِى كصَبْرِى فى الهوَى عَدَماَ

ومنها :

لِلهِ ما أنتَ فى الآفاقِ تنْثُرُه ... وهْىَ اللآلِىءُ ظنَّتْها الورَى كَلِماَ

ومنها :

مِن كلِّ زَاهيةِ الألفاظِ زاهِرةٍ ... لاترْتضِى الشِّعرَ أن يُعْزَى لها شَمَماَ

وله من قصيدة رَثى بها العِماد :

عظيمُ مُصابٍ مُقْعِدٌ ومُقيمُ ... له كَمَدٌ بين الضُّلوعِ مُقيمُ
وفادحُ خَطْبٍ حارَب الصَّبرَ والكَرَى ... فأصبحَ كلٌّ وهْو عنه هَزيمُ (٣)

---

(١) فى م : « نذر الآرام » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى م : « من الزلال وكادت أن تذوب ظما » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٣) فى ب ، ج : « وقادح خطب » وفى م : « وقارح خطب » .

وحُكْمٌ أذلَّ الفضلَ عند اعتزازِهِ ... وأوْهَى عمادَ الدِّين وهْو قويمُ
ألا إنَّما عينُ المعالى غضيضةٌ ... وإن فؤادَ المكرُماتِ كليمُ

ومنها :

أقامتْ على قَبْرٍ له عاطرِ الثَّرى ... سحائبُ رِضْوانٍ فليس تَرِيمُ
إلى أن يعودَ القبرُ أنْضر روْضةٍ ... بها النَّبْتُ شتَّى يانِعٌ وهشِيمُ(١)

وكان له بِجِلِّق أصدقاء تَسكَر بشَمُول شمائِلهم الرَّاح ، وتهتَزُّ طرباً لذكرِهم معاطفُ الأرْيَحِيَّة والسَّماح ، فتخفُق على هامات مجدِهم ألويةُ الحمد ، وتُضِىء فى سماءِ معاليهم كواكبُ المجد(٢) ، من كل مُصطَبِح بكاساتِ المَسرَّة مُغتبِق ، ولولا نَداهُ كاد من نارِ الذَّكاء يحترِق .

فلما ارتحلَ إلى الشَّهباء غلبَه الشَّجَن(٣) ، ونافسَته الشُّجون ، وفى ذلك فليَتنافس المتنافِسون ، فكتب إليهم :

يُقبِّل الأرضَ صَبٌّ مُغرَمٌ علقاً ... بكُم وذلك مِن تكْوينِه عَلَقَا
حِلْفُ الصَّبابةِ أمَّا قلبُه فشَجٍ ... من الفِراقِ وأما جِسْمُه فَلَقَا(٤)
يشْتاقكُمْ كلَّما هبَّتْ يمانيةٌ ... ولا مَحالَةَ أن يَشْتاقَ مَن عشِقَا
بهِ من البيْنِ مالوحلَّ أيْسرُهُ ... يوماً بأركان رَضْوَى هُدَّ أوْ طَفِقَا
ياهل تعودُ أُوَيْقاتٌ بكم لفتًى ... دموعُه خَدَّدتْ فى خَدِّه طُرُقَا(٥)
اللهُ يعلمُ ما إن عَنَّ ذكرُكُمُ ... إلا تناثَر دُرُّ الدَّمعِ واستَبقَا(٦)

---

(١) فى م : « بها الروض شتى » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ب ، ج : « السعد » .
(٣) فى ا ، ج : « غلب عليه الشجن » .
(٤) فى م : « وأما جسمه قلقا » . واللقى (كفتى) : ما طرح .
(٥) فى م : « فهل تعود » .
(٦) فى ا : « إلا تناثر دمع العين واستبقا » .

ولا تغنَّتْ على غُصنٍ مُطوَّقةٌ إلَّا أهاجَتْ لِيَ الأشْجانَ والأرَقَا
ياليتَ شِعْرِىَ والأيامُ مُطمِعةٌ والدهرُ فى عكسِ مايهْوَى الفتَى خُلِقَا
هل لى إلى عَوْدِ أوقاتٍ بكمْ سلفتْ رَجاً فأظفرُ أحياناً بما افْترَقَا[1]
للهِ أيامُنا والشَّملُ مُجتمِعٌ أيامَ لا فُرقَةً أخْشَى ولا فَرَقَا
وإذْ بكُمْ كان عَيْشى أخْضراً نَضِراً وأسودُ الليلِ منكُمْ أبيَضاً يَقَقَا[2]
يا صاحِبَيَّ فلا رُوِّعْتُما بنوًى وعنكُما ظلَّ جَفْنُ الدَّهْرِ مُنطبِقَا
إن جئْتُما الجامعَ الزَّاهِي برَوْنقِهِ سقَاهُ من غادِياتِ السُّحْبِ ما غدَقَا
مُيمِّمَيْن له عُوجا كذا كرماً لنَحْوِ قُبَّتِهِ الشَّمَّاءِ وانْطلِقَا
فبلِّغا لِى سلاماً مَن محبَّتُه لم تُبْقِ لى منذُ حلَّتْ مُهجَتِى رَمَقَا
وخَبِّراهُ بما أَلْقَى بعيشِكُما من فَرْطِ لاعِجِ أشْواقٍ أتَتْ نَسقَا
إنِّى إلى ذلك المَغْنَى المشُوقُ كما أشْتاقُ صحْبِىَ إخوانَ الصَّفا خُلُقَا
لا سيَّما الأروعَ المحمودَ سيِّدَنا المُسْكِتَ اللَّسِنَ المُطْرِى إذا نطقَا
طَوْراً تراه بكأْسِ الحمدِ مُصْطبِحاً وتارةً من سُلافِ المجدِ مُغتبِقَا
يا غائبِين فما وُدِّى بمُنتقِضٍ منكُم ولا حبْلُ عهدِى واهِناً خَلَقَا
تحْدُوه رِيحُ الصَّبا وَهْناً لأرْضِكُمُ يُزْرِى شَذَاها برَيَّا مِسْكِه عَبِقَا

فأجابه أبو المعالى الطَّالُوِىّ بقصيدةٍ، أنشدَنيها، وهى :

وافَتْ فأرّجتِ الأرجاءَ والأُفقَا أُمنِيَّةٌ من شَذاها قُطرُنا عَبِقَا
راحٌ كأنّ الصَّبا باتَتْ تُعلِّلُها بالسِّحْرِ بين رِياضٍ طَلْعُها بَسَقَا
أم نَفحةٌ مِن رُبَى دَارِينَ عاطِرةٌ أهْدَتْ لنا أرَجاً جُنْحَ الدُّجَى عَبِقَا

---

(١) فى م : « هل لى إلى عود أيام » . (٢) أبيض يقق : شديد البياض .

هَيْفاء تزْهُـــو بقدٍّ زانَهُ هَيَفٌ ... كخُوطِ بَانٍ غَضِيضٍ مُثمِرٍ بنقَا (١)

ترنُو إلىَّ بطرْفٍ كلُّهُ حَوَرٌ ... مهْمَا انبرتْ بفؤادٍ هامَ أو عَشِقَا

لو شاهدَ ابنُ عُنَينٍ حُسْنَ طلْعتِها ... لأذْكرَتْه زمانًا يبعثُ الْحُرَقَا

أو انبرَتْ لحبيبٍ وهْو ذُو لَسَنٍ ... أزْرتْ به وكذا سَحْبانُ إن نَطَقَا (٢)

يا حُسنَها حينَ زارَتْنـــا مُحبَّرةً ... قد نُظِّمَ الدُّرُّ فى لَبَّاتِهـــا نَسَقَا

أهدَتْ تحيَّةَ وُدٍّ من أخِى ثِقَةٍ ... يُزْرِى شَذاهَا برَيَّا المِسْك إن عَبِقَا

لا غَرْو أنِّى مَشُوقٌ فى الأنامِ لَهُ ... فالحُرُّ يشْتاقُ إخوانَ الصَّفا خُلُقَا

أشْتاقُ رُؤْيَتَه الغرَّاءَ ما طلَعتْ ... شمسُ النَّهارِ وأبْدَى صُبْحُه شَفَقَا

وكلَّمـــا سَحَرًا هبَّتْ شآمِيَةٌ ... بسَفْحِ جِلِّقَ أو بَرْقُ الحِمى بَرَقَا

أحْبابَنا والذى أرجوهُ مُبتَهِـــلا ... بأن يُمَنَّ على مُضْناكُمُ بلِقَا

ما إن تذكَّرْتُ معنًى راقَ لى بِـكُمُ ... إلَّا ورُحْتُ بدَمْعى جازعًا شَرِقَا (٣)

ولا شدَتْ بغِياضِ الغُوطَتَيْن ضُحًى ... وَرْقاءُ تندُب إلفًا نازِحًا شفِقَا (٤)

إلَّا وغاضَ اصْطِبارِى أو وَهَى جَلَدِى ... ففاض من مُقْلتَىَّ الدَّمعُ وانْطلَقَا (٥)

إذ جانبُ العيشِ طَلْقٌ رائقٌ بَهِـجٌ ... والدهرُ قد غضَّ عنا الجَفْنَ فانْطَبَقَا (٦)

تلْهُو بِـكلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ساحرِه ... يُزْرِى بغِزْلانِ عُسْفانٍ إذا رَمَقَا (٧)

---

(١) فى ا : « مثمر ينقا » وفى ج : « مثمر نبقا » .

(٢) فى م : « أو انبرت للبيد » ويعنى بحبيب أبا تمام .

(٣) فى ا ، ج ، م : « جارعا شرقا » .

(٤) فى ا : « وإن شدت » وفى ب : « ولا سرت بغياض الغوطتين » والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، وتمتد فيها أنهار تسق بساتينها ، وتصب فضلاتها فى بحيرة هناك ، وهى من أنزه بلاد الدنيا ، وأحسنها منظرا ، مراصد الاطلاع ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ .

(٥) فى ج : « إذ وهى جلدى » . (٦) فى م : « إذا جانب العيش غض رائق » .

(٧) عسفان : قيل : منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وقيل : عسفان بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هى قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة ، وبين عسفان إلى ملل موضع يقال له الساحل . المراصد ٩٤٠ .

لاسيَّما إن غدا بالكاسِ مُصطبِحاً أوْراحَ مِن وَلهٍ بالطاسِ مُغتبِقاَ
ليتَ الزَّمانَ الذى فينا الغدَاةَ قضَى بشَتِّ ملْمُومِنا والدهرَ ما خُلِقاَ
يا هَلْ أُوَيقاتُنا اللاتى بكُمْ سلفَتْ تعودُ يوماً فأحْظَى منكمُ بِلِقاَ (١)
عليكَ منِّى سلامُ اللهِ ما بقِيَتْ صبابَةٌ تبعَثُ الأشجانَ والأرقاَ (٢)
تهْدِيه ريحُ النُّعَامَى نحوَ أرْضِكمُ كمِسْكِ دَارِين يزْكُو كلما نُشِقاَ (٣)

☆☆☆

---

(١) فى م : « فهل أويقاتنا » .
(٢) فى م : « تبعث الأشجان والحرقا » .
(٣) فى ب ، م : «ريح التصابى» والنعامى : ريح الجنوب ، أو بينه وبين الصبا . القاموس (نعم) .

١٨

تقيُّ الدِّين بن معروف *

سماء فضلٍ بإطْلاع نجوم الـكمال معروف، (١ وشموسُ معارفهِ لا يعْتريها كُسوف ١) ، ورياضُ عِلْمه أنيقة ، ودَوْحَة مجدِهِ وَرِيفَةَ الظل (٢) وَرِيقَة .

إذا مسَّ الأقْلامَ سجدَتْ فى محاريب الطُّروس شـكراً ، ومادت من مُدام مِدادِهِ هائمةً سُكْرا ، فـكم لِلَيْـل حِبْرِهِ المِسْكِىّ الأنفاس يدٍ بيَّض اللهُ بها مُحيَّا القِرْطاس .

* تُخبِّر أنَّ المانَوِيَّة تَـكْذِبُ *

(٣ وله فى علم الفلَكَ أنْظار تَنُمّ بأسرار كواكبه ٣) ، وإن كتم قلبُهَ على لِسانِ أسرار صاحِبه ، بوَّأه اللهُ منه مكاناً عليًّا ، فتَلا لمن رَامَه سِواه : ﴿ أَعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (٤) ﴾ فـكم صعد له بخَطَواتِ فـكره وسَما ، واتَّخذ خُطوطَ جدَاولِه للعُروج إليه سُلَّما ، فـكلَّما طارت حمائمُ النجوم من بروجِ أقْطارِها ، جعلها بِطاقةً تَطِير فى الآفاقِ لتبْليغ (٥) أخْبارِها ، فلوكان لعُطارِدِ الخِيار كان بدَنانير الدَّرارِى له مُشْترِى ، ولو أراد مَدْحَه أطْراه بقَول ابن الرومىّ غيرَ مُفْترِى :

(*) ذكره الخفاجى فى خبايا الزوايا لوحة ١٤٥ . وفى الأعلام للزركلى ٣٢٦/٧ : « محمد بن معروف الأسدى الرصاد (أو الراصد) تقى الدين : فلكى ، ولى القضاء بنابلس ، وتوفى باستامبول سنة ٩٩٣ هـ » ثم ذكر عددا من كتبه فى الحساب والفلك والتقويم .

(١) ساقط من : ب .

(٢) فى ا ، ج : « وريفة وريقة » .

(٣) ساقط من : ج .

(٤) سورة مريم ١٨ .

(٥) فى ا : « التبلغ » .

أعلاكُمُ فى السَّماء مجدُكُمُ　　فلستُمُ تجهلون ما جَهِلاَ
شافَهْتُمُ البدرَ بالسُّؤالِ عن الْ　　أمرِ إلى أن بلغتُمُ زُحَلاَ
لم تُدْرِكوا قطُّ بالحساب بَلِ الْ　　أحسابِ علماً لكُمْ ولا عَمَلاَ

ولم يزل مُتقلِّداً بصارمِ القَضا ، قانعاً من معشوقتِه الدنيا بحالتَى الصَّدِّ والرِّضا ، حتى أراد أن يجدِّد لأُسْتاذِنا[1] رصَداً : ﴿ وَإِنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[2] ﴾ غافلاً عن حَرَكات الفَلَك ، حتى قال[3] له : نبَّهك اللهُ ما أغْفَلَك ، فدارت دوائرُه على مدارِها ، وصارت زاويةُ قبْرِه حادَّةً بعد ما كانت مُنْفَرِجة فى أقْطارِ ها ، وشكْلُ العَرُوس من زُخْرُف الحياةِ له أطْماع ، وهو لمن تأمَّله شكل قطاع .

* والموتُ للإنْسانِ بالمِرْصادِ *

وقد طالعتُ له رسائل فلَكيَّة ، وبعض تحريراتٍ هنْدسيَّة ؛ تدلُّ على عُلُوِّ كَعْبِه فيها ، ورُقِيِّه من حَضِيض الخمول إلى سماء معاليها .

وله شعر وَسَط ، ونثرٌ غريبُ النَّمَط ، كقوله فى مدح العلَّامة أبى الفتح المَالِكىّ :

يا كَعْبةً يؤُمُّها أُولو النُّهَى　　وسِدْرَةَ الفضْلِ إليْها المُنتَهَى
لأنتَ فى العالَمِ فردٌ علَمٌ　　بل أنت كلٌّ الخلقِ عِلْماً وهُدَى
والفضلُ لمَّا قال إن مَالِكِى　　بالشَّامِ كُلٌّ قد أقرَّ بالوَلَا
رَفَعْتَ قَدْراً وعَلَوْتَ رُتْبةً　　وفُزْتَ بالتَّقْديمِ حالَ الابْتِدَا
وفُقْتَ أهلَ الأرضِ بالعلمِ الذى　　أُوتيتَه مولاىَ من ربِّ السَّمَا
يَصْرِفُ لُبَّ المرءِ نحو لفْظِه　　إذ يُعْرِب الفضلُ على هذا البِنَا

---

(١) فى ا : « لأستارنا » .　　(٢) سورة الجن ١٠ .
(٣) فى ج : « قيل لها » وفى م : « قيل له » .

وقوله من قصيدةٍ فى مدح أستاذى سعد الدِّين الشاعر[1] :

صَباحُ الأمانِى فى صَباحِ مكارمٍ ... تجلّتْ على عَرْشِ الجلالةِ والحمْدِ

مطالعُ ما زالَتْ طَوالِعُ بالسَّنَا ... تُعمِّمُ آفاقَ المكارمِ بالسَّعْدِ

﴿ فائدة مهمة ﴾

سُئِلتُ عنها فى حال تحْريرى هذه « الريحانة » ، وهى أنه منَع بعضُ علماء[2] المالكيَّة من الألقاب المضافة للدِّين ، كسعد الدين ، وعز الدين .

فقلتُ : قال العارفُ بالله ابن الحاج فى كتابه المسمى بـ« المدخل[3] » الذى استقصى فيه أنواع البدع ، ما نصُّه : فصلٌ ، من ارْتكب بدعةً ينْبغى له إخفاؤُها ؛ لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنِ ابتُلِىَ مِنْكُمْ بِشَىْءٍ مِنْ هٰذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ[4] » والعالِم يجب عليه التَّستُّر أكثر من غيره ؛ لأنه ربما يُقال : عنده عِلْمٌ[5] بجواز ما ارْتكبَه ، فيَقْتدى به غيرُه ، كما قال أبو منصور الدِّمْياطِىّ ، فى قصيدةٍ له[6] :

أيها العالمُ إيَّاكَ الزَّلَلْ ... واحذَرِ الهفْوةَ فالخَطْبُ جَلَلْ

هَفْوةُ العالِمِ مُستَعظَمَةٌ ... إن هفَا أصبح فى الخَلْقِ مَثَلْ

---

(١) ا ، ب ، ج : « سعد الدين » فقط . (٢) زيادة من : ا ، ب ، ج .

(٣) المدخل ١ / ١١١ – ١١٣ ، ١٢٢ – ١٣٠ . وقد ذكر المؤلف أنه نقل نص كلام ابن الحاج ، وبالرجوع إلى المدخل وجدت أنه اختار من كلامه ، ولخصه ، وتصرف فيه .

(٤) أورد ابن الحاج الحديث فى المدخل ١/١١١ هكذا : « مَنْ بُلِىَ مِنْكُمْ مِنْ هٰذِهِ الْقَاذُورَاتِ بِشَىْءٍ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْدَى لَنَا صَفْحَةَ وَجْهِهِ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ » .

(٥) فى م : « ربما يقال : إن عنده علما » .

(٦) أبيات أبى المنصور فتح بن على الدمياطى فى المدخل ١/١١٢ ، ١١٣ ، فى أبيات أخر .

وعلى هفوته عمدتهم وبه يحتج من أخطا وزل[١]

فهو ملح الأرض ما يصلحه إن بدا فيه فساد أو خلل.[٢]

فمما ينبغى التحفظ عنه من البدع الأعلام المخالفة للشرع، المضافة للدين؛ لما فيها من تزكية النفس، المنهى عنها، كما صرح به القرطبى فى «شرح الأسماء الحسنى[٣]».

وللفضل بن سهل قصيدة فى ذمها، فمنها قوله فيمن لقب بعز الدين وفخر الدين:

أرى الدين يستحيى من الله أن يرى وهذا له فخر وذاك نصير

فقد كثرت فى الدين ألقاب عصبة هم فى مراعى المنكرات حمير

وإنى أجل الدين عن عزه بهم وأعلم أن الذنب فيه كبير

فمن نادى بهذا الاسم، أو أجاب به، فقد ارتكب ما لا ينبغى؛ لأنه كذب؛ وفى الحديث: «عليكم بالصدق فإنه يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة، والكذب فجور والفجور يهدى إلى النار» الحديث[٤].

---

(١) ورد البيت فى المدخل هكذا:

وعلى زلته عمدتهم فبها يحتج من أخطا وزل

(٢) سقط هذا البيت من: ا.

(٣) فى م: «شرح أسماء الله الحسنى».

(٤) روى ابن الحاج هذا الحديث فى المدخل ١ / ١٢٤ هكذا: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا؛ وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا».

فإذا قال أحدٌ « مُحْيِي الدين » يُقال أهذا[1] الذى أحْيَى الدِّين ؟ فإذا أخذ صحيفتَه وجدها مَشْحونةً بالكذِب .

ولما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمِّ المؤمنين زينب ، قال لها : « مَا اسْمُكِ ؟ » قالت : بَرّة . فكرِه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقال : « لا تُزَكُّوا أنفُسَكُمْ[2] » وسمَّاها زَينب .

ولا يُقال : إنها خرجَت عن أصْلِها بالنَّقْل للعَلَمِيّة[3] ؛ لأنه لو كان كذلك ما كرهوا ترْكَها مع مافيها من التَّشَبُّه بالعَجم المنْهِيّ عنه .

وهذه التَّسْمِية أوّلَ ماظهرتْ من مُتغلِّبة[4] التُّرْك مضافةً للدَّولة ، وكانوا لا يُلقِّبون أحداً إلا بإذن السلطان ، وكانوا يبذُلون عليه المال ، ثم عَدَلوا عنه بالإضافة إلى الدِّين .

ونقل عن النَّوَوِيّ رحمه الله أنه كان يكره من يُلقِّبه بمُحْيِي الدِّين ، ويقول : « لا أجعل مَن دعانى به فى حِلٍّ[5] » .

ولذا تحاشَى عنه بعضُ العلماء ، وهذه نَزْغَة شيْطانيَّة من أهل المشرق ، ولما كان فى أهل المغرب من التَّواضُع كانوا يغيِّرون الأسماء ، لما هو مَنْهِيٌّ عنه أيضا ، فيقول[6] لمحمد : « حمو »[7] ، ولأحمد « حمدوس » ، وليوسف « يسو »[8] ولعبد الرحمن

---

(١) فى ا : « هذا »، و فى المدخل ١/١٢٤ : « يقال له هذا » .

(٢) نص الآية ٣٢ من سورة النجم : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

(٣) فى م : « بالنقل إلى العلمية » . (٤) فى ا : « تغلب الترك » .

(٥) فى م : « لا جعل الله من دعانى به فى حل » . وفى المدخل ١/١٢٥ : « إنى لا أجعل أحدا فى حل ممن يسميني بمحيي الدين » .

(٦) فى المدخل ١/١٢٩ : « فقالوا » .

(٧) فى ا : «حمد» وفى ج ، م : « حمود » والمثبت فى ب ، والمدخل ١/١٢٩

(٨) فى ا ، ب ، م : « يوسو » والمثبت فى ج ، والمدخل ١/١٢٩ .

«رحمو» (١) ونحوه . انتهى .

أقول : أمَّا كونُ هذه بِدعة حدثَتْ بعد العصر الأول فلا شُبْهة فيه .

وأما كونُها ممنوعة شرعاً ، أو مكروهةً فلا وجهَ له ، وما تشبَّثَ به أوْهى من بيْتِ العنْـكبوت ، ومانقله عن النَّووِىّ وغيرِه من السَّلف لا أصْلَ له ، وكذا مانُقِل عن شيخ والدى ناصر الدين اللَّقَانِىّ ، أنه كان يكتب فى الفَتاوَى « ناصر » لهذا .

وقد غرَّنى ذلك مُدَّةً ، ثم رجعتُ عنه ؛ لعدم ثبُوتِه .

وكونُه كذباً يُـكتَب فى صحفه مجازَفةٌ لا ينْبغى أن يُقال مثلُه بالرَّأْى ، وهـذا لم يضَعْه الإنسان لنفْسِه ، وإنما سمَّاه به أبوَاه (٢) فى صِغَره ، وعدمِ تـكْليفه .

وكونُه تزكيةً لنفْسِه أيضا غيرُ صحيح ؛ لأن الإضافة تـكون لأدْنى مُلابَسةٍ ، فهو مُضاف للسَّبب تفاؤُلًا ، فعِزُّ الدين بمعنى يُعِزُّه الله بالدِّين (٣) ، وكذا مُحيِي الدين ، بمعنى مُحيِي نفسِه بالدِّين ، فقياسُه على « برَّة » قياسٌ فاسد ، مع الفارق ، ولو صح هذا مُنِـع أحمد ، ومحمد ، وحسن ، وهو محمود .

وقد قال المُحَدِّثون : إذا اشْتهر اللَّقب جازَ ، وإن كان ذَمًّا ، كأعرج ، وأعمش ، فما ذكر تضْييق وحَرَج فى الدِّين .

وفى هذا الـكتاب كثيرٌ من هذا النَّمَط ، فإيَّاك والاغْترارَ به (٤) .

والأعلام إنما تدلُّ وضْعاً على الذَّات ، والتَّفاؤُل بالأمور المُسْتَحسَنة مُستَحب ؛ لقوله فى الحديث : كان يُحِبُّ الفَأْل ، ويـكْرَه الطِّيَرَة . ويحمد (٥) قائله لا يعتقد ثبوت مايقال به ، وإنما سُمِّىَ به ، فلا كَذِب .

---

(١) فى ا ، ب « رحو » .　　(٢) فى ا : « أبوه » .

(٣) ا : « فى الدين » .

(٤) فى ا : « فإياك من الاغترار به » وفى ب : « فإياك من الاعتذار به » .

(٥) العبارة مضطربة فى الأصول ، فى ا : « ونحمد قائله » وفى ب : « والحمد قائله » وفى ج : « والجد قائله » .

والأعلام لا حَجْر فيها ، والتَّشبُّه بالعَجم فيما لا يُزاحِم الشَّرْع غيرُ منْهيّ عنه ، إلا للعصَبيَّة المذمومة ، بدليل حديث الخَنْدق [١] .

ويدل على ماذكرْناه حديثُ تسْمِية [٢] النبيّ صلَّى الله عليه وسلم بمحمد .

وأما حديث « برّة » إن صحّ ، فإنما فعلَه صلَّى الله عليه وسلَّم لـكوْنهِ من أعْلام الجاهِليَّة ، أو لمعنًى آخر ، بدليل أنها كانت برّةً فى نفسِها . اهـ

⁂

(١) حيث أرشد سلمان الصحابة إلى حفر الخندق كما يفعل الفرس .
(٢) فى ا ، ب : « اسمية » .

١٩

محمد بن الرُّومِيّ ، المعروف بمَامَاى ابن أخت الخَيَّالىّ ،
نزيل دِمَشق الشام *

شاعر توقَّدتْ جَمَراتُ أفـكاره ، وتورَّدَتْ فى رياض الشام وَجَناتُ أزْهارِه ، وابتَسَمتْ فى ناديه ثُغورُ أنْوارِه ، لـكنها خُدودٌ لم يَترقْرَق عليها دَمْعُ القِطار [1] ، ومباسِم [2] لم تَرْشِف الشمسُ منها رِيقَ الأمْطار ، فلِلَّهِ دَرُّه من فصيحٍ لم يُعلَّل بمياه [3] عُروقِ القَيْصُوم والشِّيح ، ولم يُغْذَ بلِبَان العربيَّة ، ولم يتفَـكَّه بثمار العلوم الجَنِيَّة ؛ لأنه من بَنِي الأصْفر ، وممَّن قاسَى الفقرَ الأسود وهو الموْتُ الأحْمر ، إلا أن لِلبقاع تأثيراً فى الطِّباع ، فلما تَغذَّى طفلُ جِبِلَّتِه ماءَ الشام ونَسِيمَه ، وبزَغ هِلالُه فيه بعد ما أُمِيطَتْ عنه هالَةُ التَّمِيمَة ، انْصَقَل طَبْعُه المُرْهَف ، فانْبَرتْ شمائلُه أرَقَّ من الشَّمال [4] وألْطف ، لا سِيَّما وأبو الفَتْح ماشِطَةُ عرائسِ فـكرِه ، ومُلِمُّ شَعَثِ لُمَّةِ

(*) محمد بن أحمد بن عبد الله ، المعروف بعامية (ماماى) الشاعر المشهور .
أصله من الروم ، وقدم إلى دمشق فى حال صغره ، وكان فى أول أمره ينكرجيا ، ثم عزل ، واهتم بالأدب وقول الشعر .
ثم تولى الترجمة بمحكمة الصالحية ، ثم بالـكبرى وعزل منها ، ثم تولى القسمة فأثرى .
كان إليه المنتهى فى الزجل والموال والموشحات .
توفى سنة سبع وثمانين وتسعمائة .
خبايا الزوايا لوحة ٤٦ ب ، ديوان الإسلام لوحة ١٧٥ ا ، شذرات الذهب ٨/٤١٣ ، الـكواكب السائرة ٣ / ٥٠ .

(١) القطار : جمع ، الواحدة منه قطرة . (٢) فى ج : « ومراشف » .
(٣) فى ج : « لم يعلك حباة » ولعلها : « لم يعلك حبات » وفى ا : « لم يعلل بجناه » .
(٤) فى ب : « فانبرت شمائله من رق أرق من الشمال » .

نظْمِه ونثْرِه ، إذا آنس طبْعُه لَحْنَة ، أو طرَق طَرف [١] ذِهْنِه طيفُ هُجْنَة .

وقد طالعتُ ديوانَه ، فرأيتُه يعْترِيه عِلَل وفتُور ، ويدخُلُ فى مغانِى [٢] معانيه وبيُوتِه القُصور .

فمن شعرِه الذى اخترْتُه قوله :

سمعتُ لسانَ الحالِ من قَهْوةِ الطِّلا ... يقولُ هَلُمُّوا واسْمعوا نَصَّ أخْبارِى

فباسْمِى تسمَّتْ قهوةُ البُنِّ فى الملاَ ... ولـكنَّها لم تحْـكِ أصْداغَ خَمَّارِى [٣]

فمِن كِذْبِها قد سوَّدَ اللهُ وجْهَها ... وعذَّبَها بعْـــــد الإهانةِ بالنَّارِ

ومنه قوله مُضمِّنًا :

قد قالتِ القهْوةُ الحمْراءُ وافْتخرَتْ ... كم قد ملـكْتُ مُلوكَ الأعْصُرِ الأُوَلِ

وقهْوةُ القِدْرِ إنْ قَدْراً علَىَّ علَتْ ... لِى أُسْوةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عن زُحَلِ

ومنه قوله :

جُلِيَتْ عَرُوساً فى عُقودِ حُبابِهاَ ... وفَدَيْتُ ظَبْياً بالسُّرور حَبَا بِهاَ [٤]

طلَعتْ عروساً تنْجَلِى فى كأْسِها ... وكَساَ كُفوفَ الغِيد نَقْشُ خِضابِهاَ [٥]

بِـكْرٌ إذا باكَرْتَها لَك ولَّدَتْ ... سِرَّ السُّرورِ لدَى حُضورِ جَنابِهاَ [٦]

أخذَتْ من العقْلِ النَّفيسِ جواهِراً ... مَهْراً لها والنَّفسُ من خُطَّابِهاَ

رَاحٌ حَلالِى شُرْبُهـــا فى جَنَّةٍ ... والنَّصُّ فى الجنَّاتِ حِلٌّ شَرابِهاَ

---

(١) فى م : « طرق » . (٢) فى ا ، ب : « معانى » .

(٣) فى ا : « لطف خمارى » وفى ب : « صبغ خمارى » وكلاهما يفسد الوزن .

(٤) فى ب ، ج : « وقد بت ظبيا » وفى ا : « حيابها » . وحبا حُبُوًّا : دنا .

(٥) فى ج : « وكذا كفوف الغيد » وفى م : « وكنى كفوف الغيد » .

(٦) فى م : « بشر السرور » .

وهو مأخوذ من قول الأرَّجانِيّ [١] :

كأسٌ مِن السِّحرِ الحَــــلا ـلِ بشُرْبِها للقَوْم سُـكْرُ [٢]
فى مجلسٍ هُوَ جَنَّـــةٌ ولذاكَ فيه تَحِلُّ خَمْرُ

وقوله :

يقول حبيبي مَالِطَرْفِكَ أحمراً كأنَّك ياحَيْرانُ فى نَشْوةِ التِّيهِ [٣]
فقلتُ له إشْراقُ خَدِّكَ قد بَدَا وقابلَه طَرْفِي فخَيَّلَهُ فِيـــهِ [٤]

وأحسنُ منه قول الأمير مُجِير الدِّين بن تَمِيم [٥] :

أقول للصَّحْبِ لما أنْــكَرُوا أثَراً مِن احْمِرارٍ بدَا فى باطن المُقَلِ
عاتَبْتُ ألحَاظَ عيْنِي عند مانظَرتْ إلى سِوَى الحِبِّ فاحْمَرَّتْ من الخَجَلِ

وقوله :

ولمَّا انْقَضى شهرُ الصِّيام بفضْلِهِ تجلَّى هلالُ العيد من جانِب الغَرْبِ
كحاجبِ شيْخٍ شابَ من طُولِ عُمْرِه يُشِيرُ لنا بالرَّمْزِ للأكْلِ والشُّرْبِ

وهو [٦] مأخوذ من قول العَقِيلِيّ [٧] :

قُمْ هاتِها وَرْدِيَّةً ذَهبِيَّةً تبدُو فتَحسَبها عَقِيقاً ذابَا

---

(١) ديوانه ٢٠٢ .
(٢) فى الديوان : « لشربها بالقوم سكر » . وقد سقط هذا البيت والذى يليه من : ج .
(٣) فى الأميرية من م : « فى نشوة الزيه » وهو يوافق ما فى : ب ، إلا أن كلمة « الزيه » فى ب غير منقوطة ، وفى هامش م : « فى نسخة نشأة بدل نشوة » .
(٤) فى ا : « إشراق وجهك » وفى ا ، ج : « فخيل فيه » .
(٥) سقط البيتان ومقدمتهما من : ب ، ج .
(٦) ساقط من : ج .
(٧) فوات الوفيات ٢/ ٤٨ .

أو مَا ترى حُسْنَ الهلالِ كأنَّهُ   لمـا تَبدَّى حاجِبٌ قد شَابَا[١]

إلا أن قوله « من طول عمره » تـكميل حسن .

ومما قلتهُ فى بعض الرسائل : شابَ حاجبُ الهلال وما دَاناه كالاً ، واشتعل رأسُ الشمسِ شَيْباً ولم تَرَ له مِثالاً .

ومما يُضاهِى هذا ما قلتهُ لمَّا رأيتُ قول الثَّعالبىّ ، فى مدح قصْرٍ بناهُ الصَّاحِبُ ابن عبَّاد[٢] :

لِلّهِ قَصْرٌ تَرَى كلَّ الجمالِ بهِ   وأسْعُدُ الدهرِ تَبْدو من جوانِبِهِ
كأنَّما جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ قد نزلَتْ   إلى خُوَارَزْمَ تَعجيلاً لصاحِبِهِ

ورأيت[٣] ما فيه من الغَفْلة ؛ فإن تَعْجِيلَه[٤] بالدخول لهـا إنما يكون بالموت[٥] ، ففيه إيهام لا يَلِيق بمثلِهِ ، فقلتُ فى هذا المعنى ، وأتيْتُ فيه بنوعٍ من الاحْتِراس ، سمَّيْتُه التهذيب :

بَنَى داراً يحـارُ الوصفُ فيها   وتَهْواهـا المحاسنُ والمَسَرَّةْ
كأنَّ الجنَّةَ اشْتاقَتْهُ حتَّى   له نزلَتْ أطالَ اللهُ عُمْرَهْ

---

(١) فى فوات الوفيات :

أو ما ترى حسن الأهلد كأنه   لمـا تبـدَّى حاجباً قد شابَا

(٢) ذكر الثعالبي لنفسه هذين البيتين فى لطائف المعارف ٢٠٨ على هذا النحو :

يا دارَ ملكٍ نرى كلَّ الجمالِ بها   وأسعُدُ الدهرِ تبدو من جوانبِهاَ
كأنما جنَّةُ الفردوسِ إذ نزلتْ   بأرضِ غَزْنَةَ تعجيلاً لصاحِبِهاَ

وقد نقلهما النويرى عنه فى نهـاية الأرب ١ / ٣٦٥ باختلاف يسير فى البيت الثانى ، حيث قال : « قد نزلت » .

(٣) فى ج : « وقد رأيت » .

(٤) فى ب : « ورأيت ما فيه حال تعجيله من الغفلة بالدخول » .

(٥) فى ا : « يكون بعد الموت » .

وقد يقال : فى قوله « نزلت » احتراس مَّا ، لـكنه خفِىّ ، والمقام يأباه .

ومن ديوانه قولُه أيضا :

كيف السَّبيلُ إلى كَتْمِ الغرام إذا كاتبتُكم وأردْتُ السِّرَّ ينكَتِمُ
وقد غدَا الطِّرْسُ بالوجْهيْنِ مُشتَهِراً وباللِّسانَيْن أمْسى يُعْرَفُ القلَمُ

وقوله[١] :

لقد مرضَ الجهُولُ له فعُدْنَا ونحنُ إذاً أُناسٌ رَاحِمُونَا[٢]
فظنَّ بأنَّنا عُدْناهُ خوفاً فإن عُدْنا فإنّا ظالِمُونَا

وقوله أيضاً :

إذا دُفِن الإنسانُ فى الرَّمْسِ بُرْهةً وعاوَدْته تلقَاهُ بادِ ثنَايَاهُ[٣]
وما ذاكَ إلا أنَّه مُتَبسِّمٌ على كلِّ مغرورٍ بأحْوالِ دُنْياهُ

ومما يُضاهى هذا ، أن المولود يُولد باكياً ، مقبُوضَ الكفِّ ، فإذا مات فتحها ، فقال الحكماء : إنه إشارة لحِرْصِه حيًّا ، وأنه خرج منها بغير شىء ، كما قيل :

وفى قَبْضِ كفِّ الطفلِ عندَ وِلَادِهِ دليلٌ على الحِرْصِ المُركَّبِ فى الحَىِّ
وفى بَسْطِها عند المَماتِ إشارَةٌ ألا فانظُرونى قد خرَجْتُ بلا شَىِّ

وكم فى الكَوْن من إشارات ، فهو جميعهُ ناطقٌ بالعِظات ، ولكن مَن[٤] يسمع ويبصر !

(١) سقط البيتان من : ب ، ج ، وهما فى الكواكب السائرة ٣/٥١ .
(٢) فى م : « وقد مرض » والمثبت من : ا ، والكواكب السائرة . وفيها : « لقد مرض الظلوم . . . فنحن إذاً . . . » .
(٣) حق « باد » النصب ، ولكن الشاعر أوردها على هذه الصورة للضرورة .
(٤) فى م : « لمن » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفى ب : « من جمع وبصر » .

وأنشدنى له بعضُ أدباء(١) الشام :

رأيتُ الكائناتِ خَيالَ ظِلٍّ   مُحرِّكُها هو الرَّبُّ الغَفورُ
فصُنْدوقُ اليَمينِ بُطونُ حَوَّا   وصُندوقُ الشِّمال هو القُبورُ

وليس له ، فإنى رأيتهُ منسوباً للشيخ ابن عرَبىّ ، وهو معنًى مشهور ، ولٰكنه(٢) تصرّف فيه فاستعار عَباءةً ، وردَّ دِيباجَةً(٢) .

وأصلُه من قول الآخر :

رأيتُ خيالَ الظِّلِّ أكبرَ عِبْرَةٍ   لمن هو فى عِلْمِ الحقيقة رَاقِى
شُخوصٌ وأشْكالٌ تَمُرُّ وتنْقضى   وتفْنَى سَرِيعاً والمُحرِّكُ بَاقِى

ومنه وَلَّد ابنُ الوَرْدِىّ فى الحَمَّام قوله(٣) :

وما أَشْبَه الحَمَّامَ بالموْتِ لامْرِئٍ   تبصَّرَ لٰكن أيْنَ مَن يتَبصَّرُ(٤)
يُجرَّدُ من أموالِهِ ولِباسِهِ   ويبْقَى له مِن كلِّ ذلك مِئْزَرُ(٥)

---

(١) فى م : « شعراء » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى م : « لكنه تصرف فيه عباءة ، ورده ديباجة » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٣) ديوانه ٢٧٠ . وفى ج : « ومثله لابن المقرى قوله فى الحمام » وهو خطأ .
(٤) ورد عجز البيت فى الديوان هكذا :

* تذكَّرَ لٰكنْ أيْنَ مَن يتذكّرُ *

(٥) ورد البيت فى الديوان هكذا :

تَجرَّدَ من أهلٍ ومالٍ ومَلْبَسٍ   ويصحبُه مِن كلِّ ذلك مِئْزَرُ

ومما قلتهُ فيه :

إن يكُنْ يَحْـكِى خيالَ الظِّلِّ فى فِعْلِهِ دهرٌ لنا يُبْدِى العِبَرْ

فعسَاهُ عن قريبٍ مُظهِراً صُوَراً أحْسن مِن هٰذِى الصُّوَرْ

وقلت أيضا :

هِى الدُّنْيا خَيالَ الظِّلِّ تَحْكى يُحرِّكُها القضاء كما يُقَدِّرْ

ولولا السِّتْرُ ممْدودٌ عليْهِ من الغَفَلاَتِ ما ألْهَى وما سَرّ



٢٠

زَيْن الدِّين الإِشْعَافِيّ*

فاضل لَيِّن العود ماجِد الأَعْراقِ ، حُلْو الشَّمائل عَذْب الأخلاق ، له آثارٌ على أكُفِّ القبول مرفوعة ، وكلماتٌ كثمراتِ الجِنان غير[١] مقطوعةٌ ولا ممنُوعَة .

صحبَنى وهو يقطِف نَوْرَ التَّحصيل ، وللفضل إلى معالِيه انتظار وتَأْمِيل ، فتجاذَبْنا أهْدابَ المذاكرة ، وجرَرْنا ذُيول المُناشدة والمحاورة .

فمما أنشَدنيه من شعرِه قولُه[٢] :

كتبْتُ وأفْكارِى وحقِّك مُزِّقتْ	كما قد بدَتْ فى الُحبِّ كُلَّ مُمَزَّقِ
ولو حُمَّ لى التَّوفيقُ كنتُ تركْتُه	ولٰكنَّنى أصبَحْتُ غـيرَ مُوفَّقِ
إذا قيلَ أشْقَى النَّاسِ مَن بات ذا هَوًى	فلا تُنْكِرَنْ هـذا المقالَ وصَدِّقِ

(*) زين الدين بن أحمد بن على بن الحسين الشافعى الحلبى ، المعروف بالإشعافى .
ولد بحلب ، ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة من العلماء .
كان بارعا فى المحاضرة ، رقيق الطبع ، له شعر نضير .
وقد برع فى عدة علوم ، وألف وصنف .
توفى فى حدود سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين بعد الألف .
إعلام النبلاء ٦ / ٢٣٧ ، خبايا الزوايا لوحة ١٤٨ ا ، خلاصة الأثر ٢ / ١٨٩ ، ديوان الإسلام لوحة ٩ ب .
وهو فى نسخ الريحانة : « الإسعافى » والتصويب من المصادر السابقة ، إلا أنه فى إعلام النبلاء : « الأشعافى » .

(١) فى م : « لا » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) خلاصة الأثر ١٨٩/٢ .

وهذا كقول الآخر :

سألتُها عن فؤادِي أيْنَ مسْكَنُهُ ... فإنَّهُ ضَلَّ عنِّي عند مَسْراهَا

قالتْ لدَىَّ قلوبٌ جَمَّةٌ جُمِعتْ ... فأيُّها أنتَ تعْنِي قلتُ أشْقَاهَا(١)

⁂

(١) ذكر المحبي فى خلاصة الأثر بعد هذا :

« وكتب لبعض أصحابه يعزيه عن نعل له ضاعت :

تعَزَّ أخى إن كنتَ ممَّن له عقلُ ... ولا تبْدِ أحزاناً إذا ذهبتْ نعلُ

ولا تعْتِبِ الدهرَ الخئُونَ فدأْبُهُ ... لعَقْدِ اجْتماع الشَّملِ دون الورَى حَلُّ

لَحَى اللهُ دهراً لا يزال مولعاً ... بتكْديرِ صَفْوِ العيشِ ممَّن له فضلُ

يفرِّق حتى شملَ رِجْلٍ ونعلِها ... أشدَّ فراقٍ لا يُرى بعده شملُ

فما شئتَ فاصنعْ ما اللبيبُ بجازعٍ ... ولا تاركٍ صفواً ولو زَلَّتِ النعلُ

بحقِّكَ قُم نسعى إلى الرَّاح سُحْرَةً ... نجددُ أفراحاً لكل صَداً تجلو

إلى دارِ لذَّاتٍ وروضِ مَسَرَّةٍ ... لرَحْبِ فِنَاها من غصون المنى ظلُّ

وقد أورد له هذه الأبيات الخفاجى فى ترجمته ، وذكر معارضات وقعت لها فى هذا الخصوص ، وقد ترجمه الشهاب ترجمة لطيفة » .

هكذا قال المحبى دون أن يعين الريحانة مكاناً لهذا النص ، ولكن الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٢٣٨ ينقل هذا النص عن الريحانة ، ولم أجده فيما بين يدى من نسخ الريحانة .

٢١

أبو بكر الجَوْهَرِيّ الشَّامِيّ *

شاعر عذْبُ الكلمات ، حسَن الذَّات والسِّمات ، عرائسُ أفكارِه صِباح ، وجَوْهَرِيّ[1] نفثاتِه صِحاح .

ورَد إلى مِصر مُرتدِياً حُلَلَ الشباب ، مُطرَّزَةً بطِراز أخْلاقِه العِذاب[2] ، مُتعاطِياً للتِّجارة ، صارفاً لها نَقْدَ عُمْرِه[2] .

إذا كان رأسُ المـالِ عُمْرَكَ فاحْتَرِسْ   عليْه من الإنْفاقِ فى غيرِ واجبِ[3]

فمن جواهِرِ[4] كلماتِه الصِّحاح ، التى هى أرَقُّ من نَفَس الصَّبا فى الصَّباح ، قولُه[5] فى مليحٍ[6] اسمه داود ، ورَقيبٍ اسمُه عمرو :

أُفَدِّى غــزالاً له خَالٌ بوَجْنتِه   مع عارضٍ شِبْهِ واوِ العطْفِ ممْدُودِ

كأنَّمـــا الخَالُ فوق الخدِّ يحرُسُه   حِــذارَ سِرْقةِ عَمْرٍو وَاوَ دَاوُدِ

(*) أبو بكر أحمد بن علاء الدين محمد بن عمر البهرامبادى الدمشقى ، المعروف بابن الجوهرى .
ولد سنة ثمان وستين وتسعمائة ، ونشأ بدمشق ، وتردد إلى مصر كثيرا للتجارة .
وكان شاعرا مطبوعا ، جمع من شعره « ديوانا » .
توفى بعد الثلاثين وألف بقليل .
خبايا الزوايا لوحة ١٤٨ ا ، خلاصة الأثر ١/٦٨ .

(١) فى ب ، م : « وجواهر » والمثبت من ا ، ج ، وخلاصة الأثر ١/٦٩.

(٢) فى خلاصة الأثر ١ / ٦٩ : « المطرزة بطراز المحاسن والآداب ، وقد سلم لدهره فى التجارة نقد عمره » .

(٣) فى ج : « عليه من التضييع فى غير واجب » وقد ورد هذا البيت فى ب بعد قوله : « أرق من نفس الصبا فى الصباح » الآتى ؛ على أن هذا البيت من شعر الجوهرى ، وهو بالترتيب الذى أثبتناه فى ا ، ج ، م ، وخلاصة الأثر ١/٦٩ .

(٤) فى ا : « فمن كلماته » وفى ج : « فمن جوهرى كلماته » .

(٥) فى ب : « وقوله » .

(٦) فى ا ، ب : « فى رقيب اسمه عمرو ، ومليح اسمه داود » .

ولابن لُؤلؤ فيمن اسمه داود :

قد كنتُ جَلْداً فى الخطوبِ إذا عَرَتْ ... لا تَزْدَهِينى الغانيـــاتُ الغِيدُ
وعهدْتُ قلبى من حديدٍ فى الحشا ... فألانَه بجفـــونِه داوُدُ

وللملك النّاصر فى داود[1] :

مُنّى بَطْيفِكَ بعد ما مَنَع الكَرَى ... عن ناظِرَىَّ البُعدُ والتّسهيدُ[2]
ومن العجــائبِ أن قلبَك لم يلِنْ ... لِى والحـــديدُ ألانَهُ داوُدُ

ومما قلتُه فيما قالَه[3] :

وحاســـدٌ يرسِمُ فى صُحْفِهِ ... فضْلى ويُخْفى الذِّكْرَ إذْ يَطْرَأْ[4]
فاسْمِى لديْهِ وَاوُ عَمْرٍو لِذَا ... يُكْتَبُ فى الخــطِّ ولا يُقْرَا

وأصله قولُ أبى نُوَاس[5] :

أيهـــا المُدَّعِى سُلَيْماً سِفاهاً ... لسْتَ منها ولا قُلامَةَ ظُفْرِ[6]
إنّمـــا أنتَ مِن سُلَيْمٍ كواوٍ ... أُلْحِقَتْ فى الهِجاءِ ظُلْماً بعَمْرِو

(١) البيتان فى فوات الوفيات ١/١٥٧ ، وهما لداود بن عيسى الملك الناصر صلاح الدين أبى المفاخر .
وفى ا : « وللملك الناصر داود » وفى ج : « وللملك الناصر فيما قاله داود » .

(٢) فى م : « الدمـع والتسهيد » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، فوات الوفيات . وفيها :
« من لى بطيفك » .

(٣) خلاصة الأثر ١/٦٩ .

(٤) فى م : « فى صحيفة » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) ديوانه ١٧٩ . فى هجاء أشجع السلمى .

(٦) فى الديوان : « قل لمن يدعى سليمى سفاها » ، وفى أصول الريحانة : « سليمى » بالقصر فى البيتين ، وقد علق الشيخ نصر على هامش خلاصة الأثر ١/٧٠ عند نقل المحبى بيتى أبى نواس بقوله : « سليم ، كزبير : أبو قبيلة من قيس عيلان ، والنسبة إليها سلمى ، انتسب فيها أشجع السلمى ، الشاعر المشهور ؛ ليدخل فى افتخارهم بقوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ » .
فهجاه أبو نواس بقوله :

* قل لمن يدعى سليما سفاها *

البيتين .
فالألف فى « سليما » للتنوين ، ومن كتبها « سليمى » بالياء فى البيت الأول والثانى فقد وهم ، وأوهم أنها امرأة ؛ كما وقع فى طبع موقد الأذهان ، وغيره » قاله نصر .

٢٢

شمس الدّين محمد بن إبراهيم الحَلَبِيّ ، المعروف بابن الحَنْبَلِيّ *

والسماءِ والطّارق ، وما أدراكَ ما الطّارق ، هو فى ميدان الفضلِ وحَلْبة الشّهْباء سابِق ، وأيُّ سابق ، وعصرُه كان مِسْكَ خِتامِها ، وسَحَرَ لياليها وأصِيلَ أيّامِها ، نوّرتْ حدائقُها بغَوادى شمائِله ، وتحلَّى مِعْصَمُ مجدِها بسِوار فضائِله .

حيثُ الْتقَى نَفَسُ الأقاحِى والصَّبَا ... وترنُّمُ الحسْنــــاءِ والورْقاءِ

وجرى النَّســيمُ يجرُّ فضلَ ردائِهِ ... مُتبخْتراً يخْلى من الْخُيَــلاءِ

نشوانَ يَعــثُرُ بالغصونِ لطافةً ... منه فيسقُطُ فى غديرِ المــاءِ(١)

(*) محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن أبو عبد الله ، المعروف بابن الحنبلى الحنفى .
دخل دمشق ، وانتفع به جماعة من الأفاضل .
وله مؤلفات فى عدة فنون .
يقول نجم الدين الغزى : « ... ونظم الشعر ؛ إلا أن شعره ليس بجيد ، لا يخفى ما فيه من التكلف على من له أدنى ذوق » .
توفى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة .
إعلام النبلاء ٦/٥٩ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٨ ب ، وهو فيه : « المعروف بالحنبلى » ، ديوان الإسلام لوحة ٦٦ ب ، شذرات الذهب ٨ / ٣٦٥ ، الكواكب السائرة ٣ / ٤٢ ، وهو فيه : « أبو عبد الله رضى الدين » .

(١) وردت هذه الأبيات فى م هكذا :

حيث الْتقى نفَسُ الأقاحى والصّبا ... وترنُّمُ الحسنـــاءِ والورقاءِ

وجرى النسيمُ يجر فضلَ ردائه ... نشوانَ يعــثُر فى غدير المــاءِ

وقد أثبت رواية : ب ، وجاءت الرواية فى ا ، ج مثل م ، ولكن باضطراب شديد فى البيت الثانى ، ففى ا : « فضل ردائه من الخيلاء نشوان . . . يعثر بالغصون » وفى ا ، ج : « فيقع فى غدير الماء » .

درّس فيها[١] ، وأفـتى ، وطمى بحرُ فضائله فترك الحُسَّاد يضربون[٢] حتّى .

وله نَظمٌ كما انتظَمتْ دَرارِيُّ الزُّهْر ، ونَـثْر كما نثَرتْ الشَّمال على وَجَناتِ الرياض لآلئَ القَطْر .

وله تصانيف جَمَّة تزيَّنَتْ بها البلاد ، وأمستْ تمائمُها منُوطةً بأجْياد الأجْواد[٣] ، فهو نسيجُ وَحْدِه ، آثارُه فى حُلَل الفضل طِرازٌ مُذْهَب ، وأسدٌ فى مجادلةِ العلماء لا يُذْكَر عنده ثَعْلب .

وله مُحاضَرات لو ذُكِرت للرّاغب لسعَى لها راغباً ، أو لسَحْبان ظَلَّ لذيل الخجْلة[٤] على وَجْهِ البسيطةِ ساحباً .

فما هبَّتْ به صَبا الأسْحار[٥] ، وغرّدتْ به على كرسِيِّ الرُّبَى حَمَائمُ الأخبار[٦] ، قولُه :

يلومُونَنِى فى تَرْكِ ضَمِّ قَوامِه ... ولا إذْنَ للنُّسَّاكِ فى الضَّمِّ واللَّثْمِ
نعم بيننا جِنْسِيَّةُ الوُدِّ والصَّفا ... ولكنَّنى لم أُلْفِها عِلَّةَ الضَّمِّ[٧]

وقوله :

يقولون لى والشَّيْبُ عَاثَ بلحْيَتى ... عِناقُك عذْراءَ الحِمَى غيرُ جائزِ[٨]

---

(١) فى ب ، ج : « بها » .
(٢) فى م : « يضربون الماء حتى » والمثبت من ا ، ب ، ج .
(٣) فى ا ، ب : « الجياد » وفى ج : « الأجياد » .
(٤) فى م : «الخجل» والمثبت من: ا ، ب ، ج .
(٥) فى م : « أسحاره » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٦) فى م : « أخباره » والمثبت من : ا ، ب . وفى ج : « الأزهار » .
(٧) سقط هذا البيت من : ج .
(٨) فى م : « والشيب لاح بمفرق » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

أَعَن نارِ خَدَّيْها التى هى مُنْيَتى أَمِيلُ وأَسْتَغْنى ببَرْدِ العجائزِ [(١)]

وله :

قَوامُــــكَ يا بدرَ النُّحاة كأنَّهُ قَنًا أو قَوامُ السَّرْوِ أو ألفُ الوَصْلِ [(٢)]
وعينُكَ فاقتْ كلَّ عيْنٍ بكُحْلِها فما أنْتَ إلا زَيْدُ مسألةِ الـكُحْلِ [(٣)]

وقوله :

لـكم هِمَمٌ نِلْـــتُم برَمْى شِباكِها مَرامَـكُمُ لمــا قَطَعتُمْ بها البَيْدَا
وعُدتُم إلى المَغْنَى بمــــا نِلْتُمُ وقد توَلَّيْتُمُ صَيْداً فـكان لـكم صَيْدا [(٤)]

وقوله :

كنا سمِعْنا بأوصـــافٍ كَمُلْتَ بها فسَرَّنا ما سمِعنـــاه وأحْيَانَا [(٥)]
مِن قبل رُؤْيتِـكمْ نِلْنَا محبَّتَـكُمْ والأُذْنُ تعشَقُ قبل العيْنِ أحْيانَا

وهو لبشّار ، وأوله [(٦)] :

* يا قومُ أُذْنِى لبَعْضِ الحىِّ عاشِقَةٌ * ... إلخ .

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « أعن نار خديها الذى هو منيتى » .
(٢) فى ا : « قنا أو قوام البان » .
(٣) ذكر النحاة مسألة الكحل فى رفع أفعل التفضيل للاسم الظاهر ، إذا عاقب (أى أفعل التفضيل) فعلا ؛ وذلك إذا سبقه نفى ، وكان مرفوعه أجنبيا مفضلا على نفسه باعتبارين نحو : ما رأيت رجلا أحسن فى عينه الـكحل كحسنه فى عين زيد .
يقول الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى ٣/٥٣ : « فمعنى المثال أن الـكحل باعتبار كونه فى عين زيد أحسن من نفسه باعتبار كونه فى عين غيره من الرجال » .
(٤) فى م : « وعـدتم إلى المضى . . . توليتم صدا » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفى ج : « فـكانت لـكم صيدا » .
(٥) فى م : « بأوصاف لـكم كملت » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٦) ديوانه ٢٢٣ ، وزهر الآداب ١٥٢ ، وعجز البيت :

* والأُذنُ تعشقُ قبل العينِ أحيانَا *

وفى معناه قولُ الحِلِّىّ :

وهوِيتُكُمْ قبلَ اللِّقــاءِ كما تَهْوَى الجِنانُ بِطَيِّبِ الأخْبارِ (١)

ولصاحب التَّرجمة أيضا رُباعيّة ، وهى :

طَرْفاكَ كِلاهُما ضعيفٌ وعليلْ مِثْلى وأنا العليلُ من أجلِ عَليلْ

مِن ضَعْفِى قد صرَفتُ مَيْلى لهما والجنسُ إلى الجنسِ كما قيل يميلْ

قوله : « والجنس » (٢) إلخ ، من أمثالِ مُولَّدى العجم ، ومثله قولهم : الجِنْسِيَّة عِلَّة الضَّم ، وهو كما (٣) قيل :

* إن الطُّيورَ على أجْناسِهاَ تقَع (٤) *

* وشِبْهُ الشَّىءِ مُنْجذِبٌ إليْهِ (٥) *

وله من أبياتِ المعانى ، فى مليحٍ من بنى تَمِيم :

ومُهَفْهَفِ الأعْطافِ قلتُ له انْتسِبْ فأجابَ ماقَتْــلُ المحِبِّ حَرامُ

وله مُضمِّنا :

حَمَى ثَغْرَه الضَّحَّاكَ صَمْصامُ جَفْنِه كما صِينَ بالتَّعْذيرِ خَــدٌّ مُورَّدُ

أخَــدٌّ حبيبى لا تزِدْ زردية فحسبُك والضَّحاكَ سيْفٌ مُهنَّدُ (٦)

(١) فى م : « لطيب الأخبار » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ب : « والجنس إلى الجنس » . (٣) فى ا ، ب : « وهذا » .

(٤) فى ا ، ب : « على أشباهها تقع » وانظر التمثيل والمحاضرة ٣٦٣ ، ونصف البيت ساقط من : ج .

(٥) فى ج : « شبيه الشىء » .

(٦) فى ج : « لا ترد زردية » والمثبت من سائر الأصول ، ووردت « زردية » هكذا فى كل الأصول ، ولعل المعنى من الزرد وهو تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض ، أو من زرده : أخذ عنقه وخنقه ؛ لاحتقان الوجه حينئذ . وفى ب : « فحسنك والضحاك » ، والمثبت من : ا ، ج ، م . وقد أخذه من قول القائل :

إذا كانتِ الهيْجاء وانْشقَّتِ العصَا فَحسْبُكَ والضَّحَّاكَ سيفٌ مُهنَّدُ

انظر نظام الغريب للربعى ١٠٦ .

والضَّحاكُ اسم مَلِكٍ العرَب [١] ، لـكنه وافقَ صيغةَ المبالغة من الضَّحك .

ومثلُه من نوادر العربيَّة .

ومن فصوله القصار :

إنما تُلْقَى المخاصِر إلى كريم العناصر [٢] :

لا تجعلِ الدنيا للآخِرة ضَرَّة ، ومن يَنْـكحُ أمَة على حُرَّة .

ما أخَسَّ الـكلبَ العوَّا ، وإن صَعَد إلى السِّماك والعوَّا [٣] .

الصِّحَّة رأسُ المال ، ورِبحُها حَسَنُ [٤] الأعْمال .

تذْكيرُ المواعظ صابون ، لمن هُمْ عن دَنَسِ الأخلاق صابُون [٥] .

إذا كان النَّدَى مات ، فالسُّؤال [٦] أعْظمُ النَّدامات .

⁂

(١) فى م : « معرب » ولعـل الخفاجى ذهب مع صاحب القاموس (ض ح ك) فى قوله : « وكشداد . . . ورجل ملك الأرض وكانت أمه جنية ، فلحق بالجن » . وسماه ابن منظور : « الضحاك بن عدنان » ونقل قول الأزهرى : « وهذا كله باطل ، لا يؤمن بمثله إلا أحمق لا عقل له » اللسان (ض ح ك) ١٠/٤٦١ .

(٢) وردت هذه الجملة باضطراب فى : ا ، ب ، ج . فهى فى ا ، ب : « إن تلق العناصر إلى كريم العناصر » وفى ج : « إن تلق إلى العناصر كريم العناصر » .

(٣) العواء : يمد ويقصر . والعوا الأول : صفة للكلب ، والثانى : منزل للقمر ، خمسة كواكب أو أربعة ، كأنها كتابة ألف . القاموس (ع و ى) .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « أحسن » .

(٥) صبا عن الشىء : مال .

(٦) فى م : « فالسؤال من أعظم » .

٢٣

أبو الفتْح بن عبد السلام المالِكِيّ المغرِبِيّ ، نزيل الشّام *

نادِرة الفلَك ، وهدية الزمان ، ونُكتَةُ عُطارِد المُدوَّنة فى صُحف الإمْكان ، وبُرهان مَن قال من الحكماء بتعَدُّد نوع الإنسان .

وليس الغريبُ مَن تناءَتْ دارُه ، بل مَن فُقِد من الكرامِ نُظراؤُه وأنصاره ، وهو غريبٌ فى فضْله ومجدِه ، وإن ملَك من الأدبِ مُلْكاً لا ينْبغى لأحدٍ من بعدِه .

ولما أشرقَتْ بالمغْرب شموسُ علمِه وآدابه ، وزها نورها إذ جَرى فى عودِه ماء شبابه ، أسفَر وجْه صباحِه ، وجَلاَ لَهُ الظَّفَرُ غُرّة نجاحِه (١) ، فحلّ عَقْد عزيمَتِه بالشام ، كما حَلّ الربيعُ نِقَابَه عن منْظرٍ بَسّام :

والرِّيحُ تجْذِبُ أطْرافَ الغصونِ كما ... أفْضَى الشَّقيقُ إلى تَنْبيه وَسْنانِ

فألقى بها عصاَ تَسْيارِه ، ونفَض عن بُرْدِ هِمَّتِه غُبارَ أسْفارِه ، وبَنى أمرَه على السُّكون وماضِيَ حالِه على الفتْح ، وقد شدَتْ وُرْقُ فصاحتِه بها بأطْربِ ترنُّمٍ

(*) محمد بن محمد بن عبد السلام ، أبو الفتح الرَّبَعِىّ التُّونُسِىّ الخَرُّوبِىّ ؛ لإقامته بإقليم الخروب بدمشق ، المالكىّ ، نزيل دمشق .

ولد سنة إحدى وتسعمائة ، ودخل دمشق وهو شاب .

كان فقيها أصوليا ، علامة فى علوم العربية وأكثر العلوم العقلية والنقلية ، وله الباع الطويل فى الأدب ونقد الشعر ، وشعره فى غاية الحسن ، إلا أنه كان متكيفا يأكل البرش والأفيون كثيرا ، لا يكاد يصحو منه .

ولى نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى زمانا طويلا مع الوظائف الدينية .

توفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

تراجم الأعيان ١/٢٤٩ ، وهو فيه كما فى الريحانة : « أبو الفتح بن عبد السلام » ، خبايا الزوايا لوحة ٤٩ ب ، وفيه : « محمد بن عبد السلام » ، سلافة العصر ٣٩٧ ، الكواكب السائرة ٣/٢١ .

(١) فى ب : « وجلا له الظفر عن غرة نجاحه » ، وفى ج : « وجلا له الظفر عن نجاحه » .

وصَدْح ، فمضَى زمنٌ ونَوْرُ الأدب لا يُجْتَنَى إلا من رِياض كلامِه ، وسُورَة الفتْح بمُحَارِبِها لا تُتْلَى بغيْرِ ألسنةِ أقلامِه ، وإثْمِد مَراوِدِها كُحْلُ البصائرِ ، وتُحَف آثارِه يتلَقَّى رُكْبانها كلّ بادٍ وحاضر ، حتى فى نادى القضاء تربَّع واحْتَبى ، وأصبح طِرازُ مذهبِ مالكٍ به مُذْهَبًا .

وصار فيهم غريبَ الفضْلِ مُنفرِداً كبيْتِ حسَّانَ فى ديوانِ سَحْنُونِ (١)

فأنار ليلَه الحالِك ، وتصرَّف فيه تصرُّف مَالِك ، بأخلاقٍ تُعْصَر منها شَمول الشَّمائل ، وفضائلَ جَمَّةِ المـآثِرِ سَحْبانُ عندها باقِل .

إلا أنه مع تملُّكِ جواهرِ العلوم ، وتقلُّدِ جِيد كمالِه بعُقود المنْثور والمنْظوم ، عادَاه دهرُه ، وصافاه فقرُه ، فظل يَمْـتَرِى صُبَابة عيشٍ لو أنها نَوْمٌ ماشعُرتْ بها الأحْداق ، ويتحمَّل من أثقالِها مايُوهِن ويُوهِى القُوَى والأعْناق .

ولم يزل كذلك حتى غارَ ماء حياتِه ، وانغْلَق على الفتح بابُ قبرِه عنـد مماتِه ، فانفتَحتْ له أبوابُ الجنان ، فسقاهُ اللهُ رَحِيقَ غُفرانِه بين رَوْحٍ ورَيْحان ، ونزَّه عيونَ رجائِه ، وأمَّلَه فى رياضِ الجِنان ، بين الُحورِ الحِسان .

فمن نظْمه الذى حشاَ الأسْماع سِحْراً ، وملأَ أفْواهَ الرُّواةِ دُرًّا ، قولُه :

بأبِى ألْعَسَ المراشِفِ ألْمَى مائِسَ القَدِّ ناعِسَ الأجْفانِ

سرَق الجِيدَ واللِّحاظَ مِن الظَّـ ـبْيِ ولِينَ القَوام مِن غُصْنِ بَانِ

عطَفتْهُ الصِّبَـــــا إلىَّ ومالى بالصِّبا بعــدَ ماتَراهُ يدَانِ (٢)

فتحاشَيْتُ لثْمَه خِيفَـــــةَ الْـ إثْمِ وأطْلَقتُ مُقلتِى ولِسانِى

آهِ لولا التُّقَى ومُعتَرَكَ الشَّـ ـيْبِ لطاوَعْتُ فى الهوَى شيْطانِى

---

(١) أنظر الهامش السادس فى صفحة ٨ .

(٢) فى ج : « بالصفا بعد ماتراه » .

وله من قصيدة (١) :

حازَ الجمالَ بأسْرِهِ فمُحِبُّــــه ... فى أسْرِه لم يَرْضَ حَلَّ وَثاقِهِ
قَسَماً بصُبحِ جَبينِــه لو زارنِى ... جُنْحَ الدُّجَى وسعَى إلى مُشْتاقِهِ (٢)
لفرَشْتُ خَدِّى فى الطَّريق مُقبِّلاً ... بفَمِ الجُفونِ مَواطِئَ اسْتِطْراقِهِ (٣)
وصفَحْتُ عن زَلَّاتِ دَهْرِى كُلِّها ... وعِنادِه فيما مضَى وشِقاقِهِ (٤)

وقوله « بفم الجفون » إلخ ، كقوله أيضا فى أُرجوزتهِ المشهورة :

تــكادُ من عُذوبةِ الألْفاظِ ... تشْرَبُهـــا مسامِــعُ الحُفَّاظِ

وهذا نوعٌ من البديع غريب ، بيَّنَّاه فى « حديقة السحر » .

وله نظائرُ كثيرة ، وهو على نَهْج قوله تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْـكَذِبَ (٥) ﴾ كما أشار إليه فى « الـكَشّاف » .

وقد أوضحه الغزِّى بقوله فى بعض قصائده :

إن لم أمُتْ بالسَّيفِ قال العُذَّلُ ... ما قيمةُ السَّيفِ الذى لا يَقْتُلُ
وتَغَــيُّرُ المُعتادِ يحسُن بعضُه ... للوَرْدِ خَدٌّ بالأنوفِ يُقبَّلُ

ومنه ما أنشدَه لنا صديقُنا الطَّالُوِىّ لنفسِه :

أَرُودُ بلَحْظِى وَرْدَ خَدَّيْه والذى ... جنَى لحظُه وَرْدَ الخُدودِ فمــا أخْطَا

---

(١) الأبيات فى الـكواكب السائرة ٣/٢٣ ماعدا البيت الأول .
(٢) فى الـكواكب السائرة : « لو زار فى جنح الدجى » .
(٣) فى الـكواكب السائرة : « مواطن استطراقه » .
(٤) مكان هذا البيت فى الـكواكب السائرة :

ووهبْتُ ماملَـكتْ يَدِى لمُبَشِّرِى ... بلقـــاءِ حضرة مُنْعِمٍ بوفاقِهِ

(٥) سورة النحل ٦٢ .

وأرشِفُ بالألْحَاظِ خَمْرَةَ رِيقـِهِ لأَنِّى امرُؤٌ آلَيْتُ لاذُقْتُ إِسْفَنْطَا[١]

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نَقْـل البُحْتُرِىّ فى قوله[٢] :

تُفَّاحُ خَدٍّ إذا احْمرَّتْ محاسِنُه مُقَبَّلٌ بخَفِىِّ اللَّحْظِ مَعْضوضُ

وقوله « معضوض » بدل من قوله « مقبل » ، وهو غيرُه وليس بدل غلَط .

وانظره ؛ فإنه من سِحر البلاغة .

ومما نحن فيه قول ابن الرُّومِىّ :

بَدرٌ كأنّ البدرَ مَقْ رونٌ عليه كَوكبُ

عَذُبتْ خَلائقُه فكا دَ من العُذوبةِ يُشْرَبُ

ولابن هِنْد فى عُود البَخور :

رأيتُ العُودَ مُشتَقًّا من العُودِ بإيقانِ

فهذا طِيبُ آنافٍ وهذا طِيبُ آذانِ

ولابن المُعْتَزّ فى فرس :

يكاد لولا اسْمُ الإلٰه يصحَبُه تأكلُه عوننا وتشرَبُه[٣]

وللشَّريف الرَّضِىّ[٤] :

فاتَنِى أن أرَى الدِّيارَ بطَرْفِى فلعَلِّى أرى الدِّيارَ بسَمْعِى

ومنه أخذ القاضى الفاضِل قولَه[٥] :

مَثَّلَتْهُ الذِّكْرَى لِسَمعى كأَنِّى أتمشَّى هناك بالأحْداقِ

---

(١) الإسفنط ، بكسر الفاء وفتحها : المطيب من عصير العنب ، أو ضرب من الأشربة ، أو أعلى الخمر ؛ سميت بذلك لأن الدنان تسفطتها ، أى تشربت أكثرها . القاموس (س ف ط) ، وانظر حلبة الكميت ٧

(٢) ديوانه (الصيرفى) ٢/١٢١٧ .

(٣) فى ا ، ج : « تأكله عيونه وتشربه » وفى ب : « تأكله أعيننا وتشربه » .

(٤) ديوانه ١/٥٠٠ .

(٥) ليس فى ديوانه وهو مع بيت الشريف الرضى ومسألة عليهما فى طبقات الشافعية الكبرى ٦/٢٠٦ .

وأجاد أيضا ، حيث قال :

الجودُ أمْدَحُ ممَّن قام يمدَحُهُ فالنَّاسُ ما نَطَقُوا إلَّا مِن النَّظَرِ

وقول ابن خَفاجة المغربىّ الأندَلُسِىّ ، وهو مَن رَماةُ الْحَدَق[١] :

وأهْيَــفٍ قام يسْعَى والسُّكرُ يعطِفُ قَدَّهْ[٢]

وقــد ترنَّح غُصْناً واحمرَّتِ الـكاسُ وَرْدَهْ

وألهبَ السُّكرُ خَدًّا أوْرَى به الوَجْدُ زَنْدَهْ

فـكاد يشرَبُ نفْسِى وكِدتُ أشربُ خَـدَّهْ

ولناصِح الدين الأرَّجَانِىّ :

ورشَفْنا مُـدامَ نظمٍ ونـثرٍ مِن كئوسٍ تُذاقُ بالآذانِ[٣]

وقلتُ أنا :

نَرجِسُ الروض قد زَها لِعيونٍ لا أرَى المشْىَ فيه للطُّرَّاقِ[٤]

قلتُ لَمَّا أتيتُه لخليــلى امْشِ يا صاحِ فيــه بالأحْداقِ

والشىء بالشىء يذكر ، هذا فى معنى قولى قديماً مُضمِّناً :

ياصاحِ إن وافَيْتَ روضةَ نَرْجِسٍ إيَّاك فيها المشْىَ فهو مُحرَّمُ

حاكَت عُيونَ مُعذِّبِى بذُبولِها ولأجْلِ عينٍ ألفُ عينٍ تُكرَمُ

ولصاحب الترجمة من قصيدةٍ ، مدح بها العلامة عَلِيًّا الحِنَّائِىّ ، وعاتَبه على قطعِ مُرتَّب له :

إنْ قطعَ السَّيِّدُ عن عبْدِه ما كان قد رَتَّب من رِفْدِهِ

---

(١) ديوانه ٣٥٤ . وفى ب ، م : « وهو من رماة » وفى ا : « الحداق » .

(٢) فى الديوان : « قام يسقى » .

(٣) فى ا ، ج : « من كؤوس تشرب » وفى ب : « تشرين » .

(٤) فى ا : « قد زها كعيون » .

فالعبدُ لم يقطعْ دُعاءً له رتَّبه كالُجزءِ من وِرْدِهِ
ولا ثناءً حسَناً نَشْرُه كالمِسْكِ والعنبرِ فى نَدِّهِ
أو كرياضٍ رَاضَها وَابِلٌ فابتسمَ اليانعُ من وَرْدِهِ
وانتظمَتْ من نَثْرِ أزْهَارِها جواهرُ الأنداءِ فى عِقْدِهِ
وهْوَ غنىٌّ عن ثَناءِ امْرِئٍ ظلَّ كَلِيلَ الذِّهنِ من فَقْدِهِ
إذ مهَّد الحقُّ له رُتْبةً عظيمةً مُذْ كان فى مَهْدِهِ
ونال ما شاءَ من المجدِ لا بِسَعْيِ إنْسانٍ ولا كَدِّهِ
فهْوَ عَلِىٌّ لا بمَدْحِ الوَرَى له ولٰكن بسَنَا سَعْدِهِ
وإنما أَوْجبَ مدْحِى له تتابُعُ النَّعماءِ من عِنْدِهِ
وما حبَاهُ الحقُّ سبحانَه من العُلا الزائدِ عن حَدِّهِ
والعلمُ والتَّحقيقُ والفهمُ والتـ ـوفيقُ والتَّدْقيقُ من قَصْدِهِ
والشُّكرُ للمنعِمِ فرضٌ به يأمَنُ ذُو الإيمانِ من طَرْدِهِ
وفيه لا شكَّ مَزِيدٌ لمن لازَمَه والكلُّ من عندِهِ
هٰذا وإن العبدَ يبْغِى الرِّضا فى قُرْبِهِ الأقْرَبِ أو بُعْدِهِ
ومالَه فى غيرِه رَغْبَةٌ والعبدُ مَحْمُولٌ على قَصْدِهِ (١)
وليس ذَا حُزْنٍ لما فاتَ مِن دُنياهُ مُذ سِيق إلى رُشْدِهِ (٢)
سِيَّانِ فَقْرٌ وغِنًى عندَه لما هُو المعهودُ من زُهْدِهِ
وما تصَدَّى لصَدَى آلةٍ قبيحةٍ تُفْضِى إلى صَدِّهِ (٣)
سِوى لزُومِ البيْتِ مُستوحِشاً من الورَى حتى ذَوِى وُدِّهِ

---

(١) فى م : « والعبد مجبول » .
(٢) فى ا : « قد سيق » وفى م : « قد سبق » والمثبت من : ب ، ج .
(٣) فى ج : « لصدى حالة » وهو مثبت بهامش م على أنه فى نسخة .

مُشتغِلاً بالعـلمِ مُستغرِقاً أوْقاتَه فيه وفى سَرْدِهِ
قد لزِمَ العُزْلةَ لـكنه لصَحْبِه باقٍ على عهْدِهِ
أَقْسمَ لا يبرحُ من بيتِه حتى يُوارَى فى ثرى لَحْدِهِ
إن مات لم يتْرُك له دِرْهماً يحوزُه الوارثُ من بعْدِهِ
ولا أثـاثاً لا ولا مَلبَساً يصلُح للبيْع سِوى بُرْدِهِ
وفَرْوةٍ جرْداءَ من عِتْقها أضلاعُه ترعَدُ من برْدِهِ
وطَيْلسـانٍ خَلَقٍ دمعُه من عِتْقِه يجْرى على خَدِّهِ (١)
ولم يـكن يترُك شيئاً إذا فارَقَه يأْسَى على فقْدِهِ (٢)
غـيرَ بقايا كُتُبٍ رَثَّةٍ أكثرُها قد مات فى جِلْدِهِ
يُباعُ فى تجْهيزِه بعضُها والبعضُ وَقْفٌ لا على وُلْدِهِ
هذا لعَمْرى عَرَضٌ حالى على مَن أجمعَ النَّاسُ على حَمْدِهِ
لا برِحتْ أعتابُه قِبلةً يؤُمُّها العافونَ من وَفْدِهِ
ما هطَلَتْ أُنْمُلَةٌ بالنَّدى من راحةٍ كالبحرِ فى مَدِّهِ (٣)

﴿ تـكملة ﴾

فى قوله « مستغرقا » إلخ فوائد :

منها : أن الاسْتِغراق أصل معناه طلبُ الغرَق ، ثم استعمله الناس فى أخْذِ الشىء وتحْصيله ، ومنه قولُ العامة « استغرق فى الضَّحك » إذا أطالَه ، وهو غلَط ، وصوابه

---

(١) فى ب ، ج : « من عنقه يجرى » .
(٢) فى ا : « هذا ولم يترك شيئا » وفى ب : « ولم يكن يملك شيئا » .
(٣) فى م : « ماهملت أنمله » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

في الضَّحك[١] « استغرَب » ، لا « اغترب » أيضا كقول البُحْتُرِيّ[٢] :

وضحكْنَ فاغْتَرَبَ الأقاحى من نَدًى غَضٍّ وسَلْسالِ الرُّضابِ بَرُودِ[٣]

قال الآمِدِيّ فى كتاب « الموازنة » قوله : « اغترب[٤] » يريد الضَّحك ، والمستعمل « استغرب » فى الضحك ، إذا اشتدَّ فيه ، و « أغرب » أيضا[٥] أخْذاً[٦] من غُروب الأسْنان ، وهى أطرافُها ، وغَرْب[٧] كلِّ شيء : حَدُّه ، إذ المعنى امتلأ ضحِكاً . انتهى

والسَّرد أصله نَسْج الدِّرع ، وتتابُع الكلام وتَعْداد الأشياء ، والعامة استعارَتْه لتتابُع نُعاس الجالس ، وليس بعربىّ ، وهو الذى[٨] أراد هنا ، وهو كقوله :

لداودَ من بَرْشٍ كساءُ سَفاهـةٍ مُطرَّزَةٌ من صُفْرَةِ الوجْهِ والخدِّ[٩]

وما زال دِرْعَ الكَيْدِ للصَّحْبِ ناسِجاً ولو ناعِساً أمْسَى يقُدِّر فى السَّرْدِ

وقوله : « مات فى جلده » استعمال معروف عامِّىّ ، وجهُ استْعمالِه ركيك ،

---

(١) فى ب : « فى الضحك إذا » . (٢) ديوانه (الصيرفى) ٢/٦٩٨ .

(٣) فى الديوان : « فاغترف الأقاحى » وفى هامشه إشارة إلى رواية الآمدى . ورواية الموازنة ٢/١١٤ : « من ند غض » .

(٤) فى الأصول : « اغترب » والتصويب من الموازنة .

(٥) إلى هنا نقل الخفاجى نفس نص الآمدى ، ثم تصرف فى عبارته ، فقد قال الآمدى بعد أسطر : « وأظن المستغرب فى الضحك إنما أخذ من غروب الأسنان إذا بدت كلها فى الضحك ، وهى أطرافها، وغرب كل شيء : حده .

أو أن يكون استغرب فى الضحك أى امتلأ ضحكا » .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « أخذ » .

(٧) فى ا ، ب ، ج : « وغروب » والتصويب من : م ، والموازنة .

(٨) فى هامش م : « قوله : وهو الذى أراده هنا . إلخ . كذا فى النسخ ، والمناسب أن يقول : وهو الذى أريد فى قوله » .

(٩) البرش : مادة صمغية تأتى من الهند وتستخدم كعطر وكعلاج للذين أصيبوا بالبنج ، انظر DOZY 1 : 71

والبليغ قولُ العرب المفلوج: « سُجِن فى جِلْدِهِ » ، وحسَّن هذا وصفُ الكتابِ به ، كما قال ابن نُباتة المِصْرِى[(١)] :

لله مجمـــوعٌ له رَوْنَقٌ كرَوْنقِ الحَبَّاتِ فى عِقْدِهَا[(٢)]
كلُّ تصانيفِ الورَى عندَهُ تموتُ للخجْلةِ فى جِلْدِهَا[(٣)]

عوداً على بدء .

ومن شعره أيضا[(٤)] :

مرحباً بالحِمام ساعةَ يطْرَا ولو ابْتزَّ منِّىَ العمْرَ شطْرَا[(٥)]
حبذا الإرْتحالُ عن دارِ سُوءٍ نحن فيها فى قبضةِ الأسْرِ أسْرَى[(٦)]
وإذا ما ارْتحلْتُ يا صاحِ عنها لا سقَى اللهُ بعْدِىَ الأرْضَ قَطْرَا[(٧)]

وهذا كقول الأمير أبى فِراس الحَمْدَانِىّ ، من قصيدة له[(٨)] :

أراكَ عَصِىَّ الدَّمْع شِيمتُك الصَّبْرُ أما للهوى نَهْىٌ عليكَ ولا أمْرُ[(٩)]

---

(١) ديوانه ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) فى الديوان : « لله تصنيف » .

(٣) فى الديوان :

كادت تصانيفُ الورَى عنده تموتُ للهيْبـــةِ فى جلدِها

(٤) تراجم الأعيان ١/٢٥٢ ، والكواكب السائرة ٣/٢٦ .

(٥) فى تراجم الأعيان : « حبذا بالحمام » . وفى الكواكب السائرة : « ولو ابتز من مدى العمر » .

(٦) فى تراجم الأعيان ، والكواكب السائرة : « من دار سوء » وفى الكواكب : « فى قبضة القهر أسرى » .

(٧) بعد هذا البيت فى : ب ، وبخط مغاير :

ومن شعره قوله :

أنا امْرُؤٌ إن نَبَتْ بى أرضُ أندلسٍ جئتُ العراقَ فقامتْ لى على قَدَمِ
وشاتمٍ نال من عِرْضى فقلتُ له إليك عنِّى فليس الشَّتْمُ مِن شِيَمِى
أعرضْتُ عنــه ولو أنى عَرَضتُ له سقيْتُه حُمَّةَ الأفْعَى من الكَلِمِ

(٨) ديوان أبى فراس ١٥٧ .

(٩) سقط هذا البيت من : ج .

(١) الشاهد منها (١) :

تُعلِّلُنِي بالوَعْدِ والموتُ دونَه إذا مِتُّ عَطْشاناً فلا نزلَ القَطْرُ (٢)

ونحوه قولى فى مطلع قصيدة :

إن لم تُبرِّد لى الصِّبا غُلَّهْ فلا شَفَى اللهُ لها عِــلَّهْ (٣)

وله أيضا :

ويُمكِن وصلُ الحَبْلِ مِن بعد قَطْعِه ولٰـكنه يَبْقَى به أثَرُ الرَّبْطِ

وأحسنُ منه قولى فى بعض الرَّسائل : « أنت وإن وصَلتَ بعد القطْع حبلَ المودَّة ، ففيما بقِيَ من أثرِ ذلك فى القلبِ عُقْدة » .

وقلتُ من قصيدة :

يا واصِـلِينَ حِبالاً كانتْ تَشدّ المَوَدَّهْ
لا تقطَعوهـا ببُعْدٍ قد غيَّرَ النَّأْيُ عَهْدَهْ
فإن تقولوا وَصَلْنا من بعدِ ذا القطْع شَدَّهْ
يَبْقَى وحَقِّك فيها مِن ذلك القطْعِ عُقْدَهْ

وهذه الاستعارة معروفة قديما ، وفى حديث العقَبة أن الأنصار قالوا : « إن بيننا وبين القوم حِبالا ، أتُراهم قاطِعيها » وقد حقَّقه فى « الروض الأُنُف (٤) » .

وكتب للقاضى مَعروف ، وقد أهدى له حُلَّة :

---

(١) زيادة من : ب .

(٢) فى م : « تعللنى » والتصويب من : ا ، ب ، ج ، والديوان . وفى الديوان : « معللتى بالوصل . . . إذا مت ظمآنا » :

(٣) فى ب : « فلا شفى الله لها غله » وفى هامشها : « أو بالعين المهملة فيهما » .

(٤) الروض الأنف ١/ ٢٧٥ ، وفى نص ابن هشام على هامشه : « إن بيننا وبين الرّجال حبالا ، وإنا قاطعوها » وهو من قول أبى الهيثم بن التيهان . ويعنى بالرجال : اليهود .

مخدومُنا قاضى قُضاةِ مدينتى ... صَفَدٍ أحقُّ النـاسِ بالتَّفْضيلِ

العالمُ الحَـبْرُ الذى معروفُهُ ... تُزْرِى زيادتُه ببحْرِ النِّيـلِ

أهْدى لنحْوِى من مَخِيط ثيابِهِ ... جُمَلاً فأغْنانِى عن التَّفصيلِ

والتَّفصيل فى لسان[1] العامة بمعنى قطْع الثِّياب الجديدة ، ففيه توْرِية ، كقول ابن نُباتَة المِصْرِى[2] :

كم جُملةٍ وَصَلتْ لى من نَداك وكَمْ ... تفْصِيلةٍ ألْبسَتْنى أجْمَـلَ الحُلَلِ[3]

حتى لقد غَـدَتِ المُدَّاحُ حائِرةً ... بين التَّفاصيلِ من نُعْماكَ والجُمَلِ[4]

وقوله أيضا :

قد نكَّسَ الرَّأسَ أهلُ الكيمياَ خجَلاً ... وقطَّروا أدْمُعاً من بعـد ما سَهِرُوا

إنْ طالعُوا كُتُباً للدَّرسِ بينهمُ ... صاروا ملوكاً هم إن جَرَّبُوا افْتقرُوا[5]

تعلقَّوا بحبال الشَّمس من طَمَعٍ ... وكم فَتًى منهمُ قد غرَّه القمَرُ

وقوله فى أحْدَب : « كان[6] أُتْرُجَّةَ الظُّرفاء ، وكُرَةَ اللَّهْوِ بمَيْدان النُّدماء الأُلطَفاء »

وكان أبو الفتح يكرهه ، ولم يعمل فيه بقول الباخَرْزِى[7] :

وصانِـعِ الدهرَ فـكم دولةٍ ... صاغَتْ من السَّلْحةِ أُتْرُجَّهْ

فقال فيه :

إذا غفرَ اللهُ ذَنْبَ امرئٍ ... فلا غُفِرتْ زَلَّةُ الأحْدَبِ

---

(١) فى م : « بلسان » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) ديوانه ٤١٧ .

(٣) فى ب ، ج : « وكم ألبست تفصيله أجمل الحلل » .

(٤) فى الديوان : « حتى لقد غدت الأمداح جائزة » .

(٥) فى م « : أضحوا ملوكا وإن هم جربوا افتقروا » . والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٦) فى م : « كأنه » ، والمثبت من ا ، ب ، ج .

(٧) الملتقط من ديوان الباخرزى ٤٩ .

شديدُ النِّكايةِ مَعْ ضَعْفِهِ قِياساً على إبْرةِ العَقْربِ

ومن ظُرفاء[١] الحُدْبان القاضى[٢] الفاضل ، وفيه يقول القائل :

لِلّهِ بل للحُسْنِ أُتْرُجَّةٌ تُذكِّر الناسَ بعهْدِ النَّعيمِ

كأنها قد جمَّعتْ نفسَها من هَيْبَةِ الفاضلِ عبدالرَّحيمِ

وعلى نمطه ، وإن لم يكن من بابه قولُ ابن جلنك[٣] لما امتدح «القاضى الزَّمْلَكانِيَّ»[٤] فأجازه بخُبْزٍ[٥] ، فكتب على حائطِ بُستانِه :

لِلّهِ بُستانٌ حلَلْنـــا دَوْحَهُ فى روضةٍ قد فَتَّحَتْ أبوابَهَا[٦]

والبانُ تحسَبُه سَنانيراً رأتْ قاضِى القُضاةِ فنفَشَّتْ أذْنابَها

وهذا نمط عجيب ، وقد بلَغنا أن بدرَ الدين بن مالك صنَّف «كراسة» فى لطائِف هذه المقطوعة ، ووُجوه بلاغتِها[٧] ، ولم أرَها ، وهو جَدِير بذلك .

ووَجهُ حُسْنِها أنه قصَد به تَشْبيه زَهْر البان ، وأدمَج فيه هَجْو القاضى ؛ لأن السَّنانير إنما تنفُش أذْنابَها إذا فَزِعت من الكلاب ، فكأنه قال : إنها ظَنَّتْه كلباً ، ونحوه ما مرَّ فى القاضى الفاضل ، والإيماء لحُدْبتِه .

(١) فى ب : «ظرف» .

(٢) فى ب : «للقاضى» .

(٣) فى فوات الوفيات ١ / ٢٣ ترجمته وهو فيه «أبو جلنك الشاعر أحمد» والقصة كلها فى فوات الوفيات .

(٤) سقط من . ج ، وهو فى فوات الوفيات : «شمس الدين ابن خلكان» .

(٥) فى ب : «بخير» والتصويب من سائر النسخ والفوات ، وفيه : «فوقع له برطلين خبزا كل يوم» .

(٦) ورد عجز هذا البيت فى فوات الوفيات هكذا :

* والوُرْقُ قد صاحتْ عليه لما بها *

(٧) هذا الخبر فى فوات الوفيات ١/٣٣ .

وهذا النَّوع يُشبِه المدحَ بما يُشبِه الذَّمّ ، وعكسَه ، ففى صريحِه تشبيه لطيفٌ ، كَنَى به عن هَجْوٍ قبيحٍ ، وليست بلاغتُه من جَعْل التَّشبيه كناية عن معنى آخر ؛ فإنه صريح ، كما حققَّه السَّيِّد فى فن البيان ، بل لأمور قصدَها ، وليس هذا محلُّ تفصيلها ، فإن أردتَها فانظُر كتابَنا « حديقة السحر » .

وله أيضا يُذَكِّر مَن وعَده بتاسُومة ، وهى نعل معروف كالمَدَاس :

رُبَّ تاسُومةٍ بها قدْ وُعِدْنا   فإذا قُربُها من النَّجمِ أبعَدْ[1]

رَبِّ يَسِّرْ حصولَهــــا لمحِبٍّ   عَـلَّهُ لِلـكمال يرقَى ويصعَدْ

عمَـلاً فى الورَى بقولِ حـكيمٍ   ضَع مكانَ السَّعيدِ رِجْلَك تَسْعَدْ

وهذا مثل مشهور ، بمعنى قول علىٍّ رضى الله تعالى عنه : « صاحِبْ مَن أقبلَ جَدُّه تَسْعَدْ » .

وقد قلتُ فى مثالِ نَعْلِه صلَّى الله عليه وسلّم :

لِمثالِ النَّعْـلِ الشَّريفِ لِطٰه   شَرفٌ قدرُه من النَّجم أبْعَدْ

وسمِعنا الأمثـــالَ قالتْ قديماً   ضَع مكانَ السَّعيد رِجْلَك تَسْعَدْ

وسعيدٌ مَن كان من قَبْل هذا   أو عليهِ قدمرَّغ الوَجْهَ والخدْ[2]

وما أحق هذا أن يُنشَد له قولُ أبى العتَاهِيَة[3] :

نَعلٌ بعثْتُ بها لتَلبَسَها   قدَمٌ بها تَسْعَى إلى المجْدِ

لو كان يصلُح أن أُشرِّكها   خدِّى جعلتُ شِراكَها خَدِّى

---

(١) سقط هذا البيت من : ج .

(٢) فى ا : « وعليه قد » وفى ب : « وعليه من » .

(٣) ديوانه ٣٥٧ .

ولابن هانئ الأندلسىّ فى قَبقاب وهو نعل يُصنَع من الخشب ، وهو مُحْدَث بعد العصر الأول ، ولفظهُ مولَّد أيضا ، لم يُسْمَع من العرب كما قاله[1] الأزهرى[2] :

كنتُ غُصناً بين الرياض رطيباً مائسَ العِطفِ من غِناء الحمام
صِرْتُ أحكى عِداكَ فى الذُّلِّ إذ صِرْ تُ برَغمِى أُداسُ بالأقدام[3]

وله يذكر معاهد نيطَتْ بها تمائمُه ، وغرّدت على أغصانِ شبابه حمائمُه ، يندُب إخوانَه ، وينعَى أوطارَه وأوطانَه :

سَلُوا البارقَ النَّجْدِىَّ عن سُحْبِ أجفانِى وعمَّا بقلبى من لَواعِج نيرانى[4]
ولا تسألوا غيرَ الصَّبا عن صَبابتى وشِدَّةِ أشواقِى إليكمْ وأشجانِى[5]
فما لِى سِواهَا مِن رسولٍ إليكمُ سريعِ السُّرَى فى سَيْرِه ليس بالوانِى
فيا طالَ بالأسْحارِ ما قد تكلّفتْ بإنعاشِ محزونٍ وإيقاظِ وَسْنانِ
وتنفيسِ كَرْبٍ عن كئيبٍ مُتَيَّمٍ يحِنُّ إلى أهلٍ ويصْبُو لأوطانِ[6]
فاللهِ ما أزْكَى شَذَا نَسْمةِ الصَّبا صباحاً إذا مرت على الرَّنْدِ والْبانِ
فكم نحوكُمْ حَمَّلتُها من رسالةٍ مُدوَّنةٍ فى شرحِ حالى ووِجْدانِى
وناشَدْتُها باللهِ إلا تفضّلتْ لتبْليغِ أحْبابى السّلامَ وجِيرانِى

وقد نَحا نَحْوَ قول ابن مَليك الحَمَوىّ فى قصيدةٍ له[7] :

سَلُوا فاترَ الأجْفانِ عن كبدِى الحَرَّى وعن دُرِّ أجْفانِى سَلُوا العِقْدَ والنَّحْرَا
مَليحٌ إذا ما رُمْتُ عنه تصبُّراً يقول الهوى لن تستطيعَ مَعِى صَبْرَا[8]

☆☆☆

(١) فى ب : « قال » .
(٢) فى ا ، ب : « الزاهرى » وفى ج : « الزاهدى » . وانظر اللسان (ق ب ب) ١/ ٦٦٠ .
(٣) فى م : « صرت مهانا أداس » والمثبت من : ا ، ب ، ج . والبيتان مما ليس فى ديوانه .
(٤) فى ج : « لواعج أشجانى » وفى م : « أشجان » .
(٥) فى ا : « عن صبابة » .
(٦) سقط من : ا .
(٧) ديوانه ٦٧ ، ٦٨ .
(٨) فى الديوان : « حبيب إذا ما رمت .. » .

وهـذا الشاعر ، وإن لم يكن من أهل العصر ، فإنه
قريب العهـد ، فينبغى ذكرُه هنا ، فنقول : هو :

٢٤

علاء الدّين بن مَليك الحَمَوىّ *

هذا شاعر حَماة ، ومن كَلأ سَرْحَ الأدب بها وحَماه .

رآه أبو الفتح المالـكى(١) ، وقد رَقى شرفَ عِلْمِه وسَما ، وهو بحانوتٍ له يبيعُ الأقْسِما ، وأقلامُه قُضُب على جَداوِل الطُّروس ميَّالة ، أسبلَ على وجْهِ دَوْحِها الزّاهِى ظِلالَه ، بل لواءٌ على مَلِكِ الـكلام ، أو عمودٌ نُصِب عليه من السِّحر خِيام ، وهو يخلِب الأسْماعَ بسِحْرِه ، ويُريق حلوَ مائِه على صِناعة شعْرِه .

ثم رفعَتْه حِرفةُ الأدب عن حَضِيض دُكَّانِه ، إلى أن صار ملاك الأدب بديوانِه ، فنادى لسانُ قَرِيضِه النَّظِيم : «(٢) ما هذا مَلِيك بل مَلَكٌ كريم (٢)» .

(*) على بن محمد بن على بن عبد الله ، الشيخ الفاضل الشاعر ، علاء الدين بن مليك الحموى ثم الدمشقى الفقاعى الحنفى .

ولد بحماة سنة أربعين وثمانمائة ، ودرس الأدب والنحو والعروض ، ثم قدم دمشق فتسبب ببيع الفقاع ، وهو شراب يتخذ من الشعير ، ثم تركه واشتغل بالعلم والأدب ، وبرع فى الشعر ، وجمع لنفسه ديوانا سماه « النفحات الأدبية من الرياض الحموية » .

توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحـة ٥٣ ب ، وهو فيه « علا يدين » ، ديوان الإسـلام لوحة ١٨١ ا ، الـكواكب السائرة ١ / ٢٦١ .

(١) هل يتفق هذا مع ما ورد فى ترجمة أبى الفتح المالـكى ؟ انظر صفحة ١٧٤

(٢) فى م : « ما هذا مليك إن هذا إلا ملك كريم » .

وقد وقفتُ على « ديوانه » فجَنَيْتُ من ثَمَرات حُسْنِه وإحْسانه ، قولَه من قصيدةٍ له[1] :

ذُكِر الغضاَ فَحنَتْ عليه أضْلُعِي ... وبكَى العَقِيقُ فساقَطتْه أدْمُعِي

لِلهِ دَرُّ دُمُوعِ عيْنِي إنها ... وقعَتْ مِن الأجْفانِ أحْسنَ مَوْقِعِ

مَن لى بقَلْبِي يومَ كاظِمةٍ وقد ... ودَّعْتُهم لو خَلَّفُوا قلبي مَعى

رحَلوا فكان القلبُ أوَّلَ راحلٍ ... والصَّبرُ آخِرَ ظاعنٍ ومُودِّعِ

وقوله من أخرى[2] :

طِرازُ ذاك العِذارِ من رَقَمَهْ ... ودُرُّ دَمْعِي بفِيهِ من نَظَمَهْ

وخالُه فوق كَنْزِ مَبْسَمِهِ ... بالمِسْكِ قُفْلاً عليه من خَتَمَهْ[3]

مَن لى به ظالمَ الجفُونِ سَطَا ... ظُلْمًا على صَبِّهِ وما رَحِمَهْ[4]

وقوله من أخرى[5] :

يا بريقًا بالحِمَى قد لَمعَا ... حَيِّ عنِّى البانَ والأَثْلَ معَا

فبذاك الحىِّ لى غُصْنُ نقًا ... طائرُ القلبِ عليه وَقعَا

يالَه من غُصنِ بَانٍ يانِعٍ ... صادِحُ الحَلْيِ عليه سَجَعَا

وقوله من أخرى[6] :

أحْيَا الرَّبيعُ الأرضَ بعد مَماتِهَا ... وحَلَا بسَكْبِ القطرِ عُودُ نباتِهَا

---

(١) فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ديوانه (النفحات الأدبية من الرياض الحموية) ٩ .

(٢) ديوانه : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) فى ا : « وخال » ، والمثبت فى سائر الأصول ، والديوان .

(٤) فى م : « ساحر الجفون » والمثبت فى : ا ، ب ، ج . والديوان .

(٥) يمدح بها قاضى القضاة ابن فرفور ، ديوانه ٤٠ .

(٦) يمدح بها ابن فرفور أيضا ، ديوانه ٥١ .

والزَّهرُ قد ألقَى النِّثارَ كأنَّما ... أدَّتْ كنوزُ الأرضِ بعضَ زكاتِها
وحكَتْ جداوِلُها خلاخِيلاً وقد ... أضحى خَرِيرُ الماءِ من رنَّاتِها[1]

وقوله من أخرى[2] :

سُقْياً لأرضٍ بعد كوثَرِ مائِها ... ما اشتاقَ قلبي للمواردِ مَنْهَلا[3]
لولَا بقاياهُ وحقِّك في فمِي ... ماقلتُ شِعراً في المسامِعِ قد حلَا[4]

[5] وهذا من قول بلديه[6] ابن حِجَّة من قصيدة :

ولولَا بقـايَا طَعْمِهم في مذاقَتِي ... لما ظَهَرتْ هذِي الحلاوةُ في شِعْرِي[5]

ومن نُتَف له[7] :

مدَحتُكُم طمَعاً فيما أؤمِّلُه ... فلم أنَلْ غيرَ حمْلِ الإثْمِ والنَّصَبِ[8]
إن لم تكنْ صِلَةٌ منكُمْ لذِي أدَبٍ ... فأُجْرَةُ الخطِّ أو كفَّارةُ الكَذِبِ[9]

وقوله أيضا[10] :

لا تعجَبُوا من صديقٍ كنتُ أمْدَحُه ... وقد هجَانِي وما في ذاكَ مِن عَجَبِ
بل أعْجبُوا من ذَكاءٍ فيه كيفَ درَى ... أنِّي كذَبْتُ فجازانِي على الكَذِبِ

وقوله أيضا[11] :

---

(١) في ج : « وحكى جداولها » والبيت ساقط من : ا ، والمثبت في سائر الأصول ، والديوان .
(٢) ضمن قصيدة يمدح بها قاضي القضاة جلال الدين ابن النصر ، بحماة ، ديوانه ١١٨ .
(٣) في الديوان : « كلا ولا من بعد كوثر مائها * ما اشتاق ... » .
(٤) في الديوان : « ما قلت شعرا بعدها وترسلا » .
(٥) ساقط من : ب ، ج ، وفي ا : « ولولا بقايا طعمه » .
(٦) زيادة من : ا .
(٧) ديوانه ١٣٠ ، والكشكول ١/١٣٥ .
(٨) في الكشكول : « فلم أنل غير حظ الإثم والنصب » .
(٩) في الديوان : « إذ لم تكن ... » .
(١٠) لم أجد البيتين في ديوانه المطبوع .
(١١) ليس في ديوانه أيضا .

يَـكادُ لِرِقَّةِ أَعْطـافِهِ من اللِّينِ يُعْقَدُ لولا الكَفَلْ
فإن قيـل بدرٌ فقلْ عبدُه وإن قيل شمسُ الضُّحَى قل أجَلْ

ونحوه قول ابن حَجَر :

حبيبيَ لا تحتَفِـلْ بالعَذَلْ وصِلْ مُغرَماً للضَّنَا قد وَصَلْ
وحَقِّك إن العَذولَ الأَقَلّ وأنتَ الحياةُ وأنتَ الأَجَلْ

ومن قصيدة له[١] :

وفوقَ ظُهورِ الخيْلِ ماتُوا فأصْبَحوا وفى كلِّ سَرْجٍ فوقَها لهُمُ قَبْرُ

وقد تواردَ فى هـذا المعنى[٢] مع ابن حِجَّة ، فى قوله من قصيدةٍ ، وكنت لما طالعتُ فى[٣] « ديوانه » لم أرَ له معنًى ابتكره[٤] غيرَه ، وهو[٤] :

ماتُوا على تِلك السُّروجِ مخافةً فكأنَّ هاتيكَ السُّروجَ مَقابِرُ

وهو تشبيهٌ لطيف ؛ لأن هيئةَ دَفَّتَيِ السَّرج ، كهيئةِ جانِبَيِ القبر المصنوع من الحِجارة فى هذا الزمان .

وقد سبَق إليه ابن نُبَاتَة ، فى مَرْثِيَّة له[٥] :

وما الناسُ إلا راحـلٌ بعد راحلٍ إذا ما انقَضَى عصرٌ مضَى بعدَه عصْرُ[٦]
تَبدَّتْ لدَى البَيْدا مطاياَ قُبورِهمْ ليعلم أَهلُ العقـلِ أنَّهمُ سَفْرُ

ثم رأيتُه فى أشعار المتقدِّمين ، لكن[٧] هذَّبه ، فإن أبا نُواس قال فى قصيدته ، التى أولها[٨] :

---

(١) ليس فى ديوانه أيضا .
(٢) زيادة من : م .
(٣) زيادة من : ا ، ب ، ج .
(٤) فى ب : « غير قول ابن حجة » .
(٥) ديوانه ٢٣٣ .
(٦) فى الديوان : « إثر راحل . . . بدا بعده عصر » .
(٧) فى م : « لكنه » والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٨) ديوانه ٩٨ .

أجارةَ بيتَيْنا أبوكِ غَيُورُ ومَيْسُورُ ما يُرْجَى لدَيْكِ عَسِيرُ

ومنها[1] :

إليكَ أتَتْ بالقوْمِ هُوجٌ كأنّما جَماجِمُها تحت الرِّحالِ قُبورُ[2]

قال الصُّولِيّ : أى إبلٌ كأن بها هُوجاً لنشاطٍ فى سيْرِها ، وهذا التَّشبيه بالقبر حسَن ، لكنه أخذَه من قول الوليد :

كأنَّ هاماتِها قبْرٌ على شَرَفٍ يمُدُّ للسَّيْرِ أوْصالاً وأصْلابَا[3]

انتهى .

وها هنا أمرٌ نفيس ، ينبغى الإصْغاء[4] له ، لأن الجماجِم الرؤُس ، ولو شبَّه أسْنِمتَها أو الرِّحال[5] التى عليها بالقبور ، لكَان[6] مِن المعانى التى لا نَظِير لها . فاسْتِحْسان الصُّولِيّ ليس بحسن ، وكأن المتأخِّرين إذ كانوا رأَوْه تنبَّهوا لهذا ، وهذا من حُسْن الظَّنّ بالسَّلف ، وإلا فللْمقال مجَال .

فإذا فطِنْتَ لمـا قُلناه ، وفهِمتَه علمتَ أن هذا كلَّه لا يصل فى الُحسن إلى درجةٍ من درجات قولِى ، من قصيدةٍ لى :

إذا جئتُ داراً قبل لُقيايَ أهلِها ألاقِى قُبوراً للـكِرامِ أُولِى الَمجدِ

عليْها لقد حطُّوا رِحالاً بمنْزِلٍ وكم هَوْدجٍ مِن بينها مُرتخِى الشَّدِّ

لِينْتَظِرُوا مَن خَلَّفوه بدُورِهم لِيلْحقَهم قبلَ القِيامِ بلا جَهْدِ

يقولون جِدُّوا فى الرَّحيلِ فإن مَن تبَقَّى أُناسٌ أُرضِعُوا اللُّؤمَ فى الْمَهْدِ

---

(١) ديوانه ١٠٠

(٢) فى ا ، ب ، ج : « تحت الرجال » . والمثبت فى : م ، والديوان .

(٣) فى ا ، ب : « كأن هامتها » وفى ج : « كأن لهاماتها » .

(٤) فى ا ، ج : « إليه » .

(٥) فى ا : « والرحال » وفى ب : « أو الرجال » .

(٦) فى ا ، ج : « كان » .

وقولى : « قبل لقياى » إلخ ، إشارة إلى أن قبور كلِّ بلدة خارجُها ، فكل قادمٍ لا بد أن يُلاقِيَها أوّلاً

وإلى هذا المعنى أشار القاضى الفاضلُ فى قوله :

المُدْنُ إن رجَـع المُسا ... فِرُ أو إذا خرجَ المُسافِرْ[١]

ما استَقْبلَتْـه وودَّعتْـ ... ـهُ بغيرِ هاتِيكَ المقابِرْ[٢]

⁂

(١) فى ب : « مدن إذا رجع » وفى ج : « المدن إن خرج » وفى ا ، ج : « وإذا خرج المسافر » .

(٢) فى ا : « غير هاتيك المقابر » .

٢٥

القاضى مُحِبُّ الدين بن تَقِىّ الدين الْحَمَوِىّ *

نزيل الشام ، وشَامَةُ مَن بها من الوجوه والأعلام ، ذو كمالٍ وأدب ، ومجدٍ تَنَاوَلَه عن كَثَب ، فكان غُرَّة مَن نظَم ونثَر ، وكتَب وشعَر ، إذا حلَّ بنَادٍ تهلَّل صَدرُه وانْشَرح ، وتزيَّنَتْ بدُرَرِ كلماتِه عُقودُ المُلَح ، وترنَّمتْ أطيارُها ، وتفتَّحت بنسيم خُلُقِه أنْوارُها ، بمُحاوراتٍ له تحْمَرُّ خدودُ الكاساتِ منها خَجَلاً ، وتفْتح أزهارُ الخمائلِ لها آذاناً ومُقَلاً .

إلا أنه وافَى رياضَها عشِيَّة ، فحَيَّتْه من أنفاسِها بألطفِ تحيَّة ، فحَمَدها وشكَر ، بما طار بين سَمْعِ الأرض والبَصَر .

ومن شعره قولُه فى الشام :

أتَيْنَا فسلَّمْنا عليهـــا عَشِيَّةً ... فغنَّى لنا فيهـــا الحَمامُ وحَيَّانَا

وأبْدَى لنا ثَغْرُ الأقاحِى تبسُّماً ... وأحْسنَ مَلْقانَا وأكرَم مثْوانَا

وما هِىَ إلا جَنَّـةٌ قد تَزَخْرفَتْ ... ألم ترَ فيها العينَ حُوراً ووِلْدانَا

ومن تحتِها الأنْهارُ تجرِى وكلُّها ... عيونٌ إلى الرَّوضاتِ ترسِلُ غُدْرانَا

(*) محمد بن أبى بكر بن داود بن عبد الرحمن ، الملقب محب الدين بن تقى الدين ، أبو الفضل العلوانى الدمشقى الحنفى . جد أبى المحبى .
ولد سنة تسع وأربعين وتسعمائة .
تنقل بين دمشق ، وحلب ، وحمص ، ومصر ، والروم .
وولى القضاء فى مدن كثيرة ، واشتغل بالتأليف والفتوى .
توفى سنة ست عشرة بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٥٥ ، خلاصة الأثر ٣/٣٢٢ .

ومن فصلٍ له :

« يقبِّل الأرضَ بعد دُعاءٍ تُرَصَّع فى تِيجانِ الإجابة دُرَرُه ، وتَضَرُّعٍ تَقِف فى ديوان الإخلاص فِقَرُه [١] » .

ومما وقفتُ عليه من آثارِه « شرح شواهد التفسير » وهو كتاب حسَن ، لكنه لم يُشْبِع فيه الكلام .

⁂

(١) فى ا ، ب ، ج : « مقره » .

٢٦

شهاب الدين الكَنْعانِيُّ الشَّامِيّ *

شاعرٌ عصْرِيّ ، لم أقِف له إلا على ما أنشدَه شيخُنا العِنَايَاتِيّ ، من قوله :

يحسَبُ كلّ النَّاسِ أمْثالَه مَن باتَ في مَهْدٍ نَعيمٍ وَطِي

أما تَرى الشَّبعانَ ياسيِّدِي يَفُتُّ للجيعانَ فتًّا بَطِي

وهذا مَثَل عامِّيّ ، من أمثال العوام ، تضرِبه المُتَرَفَّه (١) الذى (٢) لا يعرِف حال (٢) مَن كان فى بُؤس وشِدة ، فيَظُنُّه مثلَه .

ولفظ « الجيعان » أنكره أهل اللغة وقالوا : المسموع فيه جائِع وجَوْعان ؛ لكن الأمثال لا تُغَيَّر .

⁂

(*) ذكره الخفاجى فى : خبايا الزوايا لوحة ٥٥ ب ، وفى النسخة ب : « الكنفانى » .

(١) فى ا ، ب ، ج : « المرفه » والمترفه : المستريح المتنعم .

(٢) فى م : « لا يدرى بحال » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

٢٧

معروف الشّامِىّ *

هو ممَّن اتَّسم بالأدب فى الحديث والقديم ، وسَرَى ذكرُه كما سَرَى من[١] الرياض النَّسيم ، فسَمَتْ[٢] مقاصِدُه ، وعَذُبتْ مصادِرُه ومواردُه ، فليس للرَّبيع نَضارةُ تلك الشِّيَم ، ولا للغيْثِ شِيَمُ ذلك الكرَم ، فرَوْضَةُ مآثرِه يانعة الزَّهْر ، ونُسخةُ محاسنِه مُخلَّدةٌ فى صحائفِ الدَّهْر .

لازال جَدَثُه روضةً من رياض الجنان ، ومَنزِلًا تحُلُّ فيه قوافلُ الغُفْران ، مابكَى المطَرُ لفِراق الغَمام ، فضحِك النَّوْرُ على بُكائِه فى الأكْمام .

فمما أنشدتُ له قوله :

يامُفرَداً أضْحَتْ ظواهرُ شأنِهِ	مافوقَها فى الحُسْنِ غيرُ المَخْبَرِ
ياسالِباً قلبى الشَّجِىَّ وما اشْتَكَى	منه الجفاءَ إلى السَّميعِ المُبْصِرِ
مِنِّى إليكَ مع النَّسيمِ تحيَّةً	فتَقتْ نوافِجُهَا بمِسْكٍ أذْفَرِ[٣]
مِن مَنْطقٍ يزهُو بحسنِ بَرَاعةٍ	تُزْرِى حلاوتُه بطَعْمِ السُّكَّرِ
فكأنَّها وكأنَّه وكأنَّها	من جَوْهرٍ فى جَوْهرٍ فى جَوْهرِ
يُبدِى التَّداخلَ فى الجواهرِ عَنْوةً	لبَصيرةِ المِقْدامِ لا المُتَحيِّرِ
فكأنَّما قِرْطاسُها أسرارُنا	والبَيْنُ بينهما سَوادُ الأسْطُرِ

(*) ذكره الخفاجى فى : خبايا الزوايا لوحة ٥٥ ب .
(١) فى م : « فى » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ا ، ب : « فنمت » ، وفى ج : « فتمت » .
(٣) مسك أذفر : جيد إلى الغاية .

أرجُو على قُرْبِ المَزَارِ يُقرِّب الْـ ... بارِى تعالى مَوْردى من مَصْدَرِى
فى ذلك الشَّرفِ المُعَلّى المُنتهى ... طَربُ المشُوقِ وجَنّــةُ المُتَذَكِّرِ

﴿ و نقِل لى عنه فصلٌ فى كَحَّال ، صورته ﴾

فلان انـْتَهى إلى [١] فوق مايُضرَب به المَثَـل ، إن قيل يَسْرِق الـكُحْلَ من العَيْن ، فهذا يسرِق العينَ من الـكُحْل ، فقد [٢] أوْدَع كُحلَه حُزْنَ يعقوب ، فمن كُحِل منه ابيَضَّتْ عيْناه ، وجحَد مُعجزةَ القميص اليُوسُفِيّ ، فلو مَرُّوا به على ناظرٍ تقرَّح [٣] جَفْناه ، وهو من الذين إذا رَفَعوا أمْيالَهم [٤] فإنما هى [٤] لعَيْن الشمسِ ، ولشَمْس العَيْن مِزْوَلة ، وإذا أوْلَج أحدُهم المِيلَ فى المُـكْحُلَة ، فهو أولى بالرَّجم ممَّن أوْلَج المِيل فى المُـكْحُلة [٥] . انتهى .

[٦] وأنا أظنُّ أن هذا من [٦] كلام القاضى الفاضل .

ومن هذا [٧] قولُ مِهيَار ، فى طبيب كَحَّال [٨] :

أفـنَى وأعْمَى ذا الطبيبُ بطِبِّه ... وبـكُحْلِهِ الأحْياءَ والبُصَراءَ
فإذا نظَرتَ رأيتَ من عُمْيانِهِ ... أُمَمًا على أمْــــواتِهِ قُرَّاءَ

ومنه أخذ الزغارى قوله :

أعْمَى الورَى بـكِحالِهِ ... والموتُ من وَصفاتِهِ [٩]

---

(١) ساقط من ا ، ج .
(٢) فى ا ، ب : « قد » .
(٣) فى ا ، ب : « انقرح » وفى ج : « انفرج » .
(٤) ساقط من : ا ، ج .
(٥) فى ا : « المحلكة » .
(٦) فى ب : « وما أظن أن هـذا إلا من » .
(٧) فى م : « ومنه » .
(٨) ليس فى ديوان مهيار المطبوع .
(٩) فى م : « بكحله » والتصويب من : ا ، ب ، ج .

فكثيرٌ من عُميانِهِ يقرَا على أمْواتِهِ

وإنما خَصُّوا العُميان بالقراءة ؛ لأنهم معروفون بكثرة الحفظ ، وقد قيل : إنه ماأخذَ اللهُ من عبدِه حاسَّةً إلا نقل قوَّتَها لغيرِها .

ولابن عُنَين (١) :

لو أنَّ طُلَّابَ المطالبِ عندهُمْ عِلْمٌ بأنَّك للعُيونِ تُغَوِّرُ (٢)

لَأتَوْا إليكَ بكلِّ ما أمَّلْتَه منهم وكان لك الجزاء الأوْفرُ

ودعَوْك بالصَّبَّاغِ لمَّا أن رأَوْا يغْشَى العُيونَ لدَيْك ماءٌ أصْفرُ (٣)

وبِكفِّكَ المِيلُ الذى يَحْكِى عَصاَ مُوسَى فكم عينٍ به تتفجَّرُ (٤)

ولمحمد بن الأكْفانىّ (٥) :

ولقد عجِبْتُ لِمَن أتَى بالكِيميَا فى كُحْلِه إذ جاءَ بالشَّنْعاء

يُلْقِى على العينِ النُّحاسَ يُحِيلُها فى لَمْحةٍ كالفِضَّةِ البَيْضاءِ

وأحسن منه قولى :

كُحْلُ كَحَّالِنا غدَا إكْسِيرًا منه قد عَلَّمَ الورَى الكِيمياءَ

فَحَديدُ الأبصار يُلْقَى عليه عاد فى الحالِ فِضَّةً بَيْضاءَ

⁂

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، وقد سقطت الأبيات ونسبتها إلى ابن عنين من : ب ، ج .

(٢) فى الديوان : « للعيون تعور » ، وما فى الريحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٣) فى الديوان : « يعشى العيون » ، وما فى الريحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٤) فى الديوان : « وكم » ، وما فى الريحانة يوافق نسخة الظاهرية .

(٥) فى ب : « الأكفافى » ، وهو خطأ . وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى السنجارى ابن الأكفانى ، طبيب باحث حكيم . توفى سنة ٧٤٩ . البدر الطالع ٢ / ٧٩ ، الدرر الكامنة ٣ / ٢٧٩ .

٢٨

نجم الدين بن معروف *

أديب إذا نظَم حرّك الهوى ، وقال الشِّعر : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (١) ، فقد سلَك سبيلَ الرَّغائب ، واهتدَى بأعْلام المناقِب ، فهو نَجْم بزَغ من سماءِ الكرَم ، وشمس اهْتَدتْ بأنوارِه سَراةُ الأُمَم .

تقلَّد سيفَ الإمارَة ، فلاحَتْ عليه من السَّعادةِ كلُّ أَمَارة ، فلِلّهِ نجمُه الثَّاقب برِفْعتِه لدُرِّيِّ (٢) الكواكب .

فمن أنوارِه السَّاطعة من مَشْرِقَ فِيهِ ، ما كتَبه للقاضى أبى الفتْح يسْتَدعِيه :

يا أيُّها المولَى الذى فُتِحَتْ له ... فَيْضاً خزائنُ كلِّ عِلْمٍ مُغْلَقِ

ووُفودُ أرْبابِ الفُنون تعبَّدُوا ... بوَلاهُ إذ هُوَ ربُّ فَضْلٍ مُطلَقِ

وإذا أتاهُ الفاضلون بجُملةٍ ... من فضْلِهم لاقاهُمُ فى فَيْلَقِ (٣)

العبدُ يرغَبُ أن تُشَرِّفَ بيتَه ... ليصيرَ أفضلَ بُقْعةٍ فى جِلَّقِ (٤)

لا زِلْتَ يازَيْنَ الوجودِ مُمتَّعاً ... بعوارِفٍ منها المعارفُ تَسْتَقِى (٥)

فأجابه :

ياماجداً نحوَ العُلا لم يُسْبَقِ ... ومُهذَّباً حازَ الكمالَ بجِلَّقِ

(*) ذكره الخفاجى فى : خبايا الزوايا لوحة ٥٦ ب .

(١) سورة النجم ١ ، ٢ .

(٢) فى ا : « لذرى » ، وفى ب : « لدرارى » ، وفى ج : « لدرك » .

(٣) سقط عجز هذا البيت من : ب .

(٤) فى ج : « العبد يرقب » ، وفى م « ليصير أشرف » والمثبت من : ا ، ب ، ج . وفى ج : « أفضل مقعد » .

(٥) فى ا ، ب : « يا عين الوجود » .

لبَّيْكَ من مولًى بفَضْلٍ داعياً ... لِمُحِبِّه بل عبْدِه المُتملِّقِ (١)

وافَتْ بدائعُ نظمِه تحكى عُقو ... دَ الدُّرِّ فى سِلْكِ البيانِ المُونِقِ

تدعو لحضْرتِه البديعُ صفاتُها ... ببلاغةٍ فاقَتْ بأفصح مَنْطِقِ

سَعْياً على الأحْداقِ نحوَ كمالِه ... وجمالِه المُتوقِّدِ المتألِّقِ (٢)

نحوَ الفضائلِ والفَواضلِ والثَّنا ... نحوَ المكارِمِ والنَّدى المُتدفِّقِ (٣)

لا زِلْتَ محرُوسَ الجنابِ مُمتَّعاً ... بالقائِك الفضلاءَ دُون تفَرُّقِ

مالاحَ نجْمٌ فى الدُّجُنَّةِ ثاقِبٌ ... أوفاحَتِ الرَّوْضاتُ المُسْتَنشِقِ (٤)

⁂

(١) فى م : « تفضل داعيا » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ا : « المتوقد المتألق » .

(٣) فى ا ، ب : « والفواضل والسنا » .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « أو فاح فى الروضات » .

٢٩

محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشْنُوق *

شاعر رأيتُه ، وله شِعر لم يُثابِر على تهْذيبِه ، فهو وَساوِس لِفكْرةٍ تهْذِي به .

وقد أنشد قصيدةً سماها لاميَّة الروم ، منها :

حتى مَ أنظِمُ من دَمْعى ومن غَزَلِى   أدِلَّةً وحبيبُ القلبِ مُعْتزِلِى
يرَى خُلودِىَ فى نارِ الصُّدودِ فهَلْ   فسقْتُ حين جعَلْتُ العِشْقَ من عَمَلِى[1]

☆☆☆

(*) ذكره الخفاجى فى : خبايا الزوايا لوحة ١٥٧ ا ، وهو فيها : « محمد بن الحكيم الحلبى ، المعروف بابن المسنوقه » . وفى ب : « محمد بن محمد بن الحكيم » .

(١) فى ج : « جعلت الفسق » ، وفى ا : « من قبلى » .

٣٠

فتْح الله بن بدر الدين محمود البَيْلُونِىّ الحَلَبىّ *

أديب فاضل ، له طُرَف ومُلَح وشِعر ، سَمح طبعُه منه بما سنَح ، وله مجالس من مجالس القُصَّاص والنُّصَّاح ، ينادِى به كلّ طالبٍ حىَّ على الفلاح .

رأيتهُ وقد قدِم الروم بصحبة الوزير نَصُوح ، وشمسُ فضلِه من أُفُق معاليه تَلُوح ، فانقطع عن الاخْتِلاط ، وربَّما حرك السُّكون رَدِىءَ الأخْلاط .

وله شِعر وشُعور ، هما من خيرِ الآمور ، كقوله [1] :

يقولون نَافِقْ أو فَوافِقْ مُرافِقًا ... على مثلِ ذا فى العصْرِ كلٌّ لقد دَرَجْ [2]

فقلتُ وأمرٌ ثالثٌ وهْــوَ قولُ أو ... ففارِقْ وهذا الأمرُ أسلَمُ للحَرَجْ [3]

(*) فى ج : « فتح الله بن محمد » ، وهو :

فتح الله بن محمود بن محمد الحلبى العمرى الأنصارى ، المعروف بالبيلونى ، الشافعى .

ولد سنة سبع و سبعين وتسعمائة .

وسافر عن حلب إلى الروم ، صحبة الأمير نصوح ، ورحل إلى بلاد كثيرة منهـا : مكة والمدينة ، والقدس ، ودمشق ، وطرابلس ، وبلاد الروم .

وتولى إفتاء الشافعية بالقدس .

له تآليف فائقة تدل على تفننه وعلو منزلته .

والبيلونى ، بفتح الباء الموحدة ثم مثناة تحتية ولام وواو ونون .

توفى سنة اثنتين وأربعين وألف ، بحلب .

إعلام النبلاء ٦/٢٣٩ ، تراجم الأعيان لوحة ٣٠٣ ب ، خبايا الزوايا لوحة ١٥٧ ا ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٤ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٦ ب ، وذكر الغزى أنه توفى سنة ١٠٥٢ ، سلافة العصر ٣٩٨ .

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٢٥٦ البيتين ، وقال : وينسبان لفتح الله بن النحاس ، والصواب أنهما لفتح الله هذا .

ونقل الطباخ هذا القول عن المحبى فى إعلام النبلاء ٦/٢٤٣ ، ولم يعزه إليه .

(٢) فى خلاصة الأثر : « يقولون وافق أو فنافق » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « أدفع للحرج » .

وقوله فى بعض منازل الحج ، المسمى بأ كْرَه ، ويقال لها أ كرى بالقصر أيضا :

تعففْتُ عن زَادِ الرَّفيقِ ومائِهِ وسِرْتُ لبيْتِ اللهِ أُهْدِى له شُكْرَهْ

ووَفَّرْتُ ماعندى احترازاً وإنَّنى اِصَوْنِىَ ماءَ الوجْهِ لم أرَ ما أ كْرَهْ

ومن أمثاله المُرْسلَة (١) .

* رُبَّ داءٍ أضرُّ منه الدَّواء (٢) *

ومنه :

إذا ابتُلِيتَ بسُلطانٍ يرَى حسَناً عبادَةَ العِجْـــلِ قدِّمْ نحوَه العَلَفَا

وقوله :

أنتَ كالمُنْخُلِ الذى صار يُلْقِى الصَّفْوَ للنَّاسِ مُمْسِكاً للنُّخالَهْ

وهذا (٣) مما وقع معناه فى بعض الـكتب الإلٰهية ، كما نقله الإمام الرَّازِىّ .

وقد كنتُ قلتُ فيه :

الدَّهرُ كالغِرْبالِ فى خَفْضٍ ورَفْعٍ لا مَحالَهْ (٤)

إن حَطَّ لُبَّ لُبابِهِ رفَعَ الحُثالَةَ والنُّخالَهْ

والبَيْلُونِىّ ، لقبُ جدٍّ له ، وهو نسبة للبَيْلون ، وهو طين أصفر ، تسمِّيه أهلُ مِصْر طَفْلاً (٥) . انتهى .

⁂

(١) فى ا : « السائرة » والمثبت من سائر النسخ ، وسلافة العصر .

(٢) هذا عجز بيت ، أورده له ابن معصوم فى السلافة ضمن بيتين ، هما :

مَن يحاولْ لمن أساءَ جزاءً فَهْوَ فيـــهِ ومَن أَساءَ سواءْ

خيرُ ما استعملَ اللبيبُ احتمالٌ رُبَّ داءٍ أضرُّ منهُ الدَّواءْ

ثم قال : « المصراع الأخير من هذين البيتين أورده صاحب « الريحانة » قائلا : إنه من أمثاله المرسلة . ولم يذكر ما قبله ، فذكرناه ؛ لئلا يتوهم أنه مصراع قد(كذا) » وهو خطأ والطباعة ،أظنه : « قديم »

(٣) من هنا إلى نهاية قول الرازى سقط من : ج . ومن هنا إلى نهاية البيتين الآتيين سقط من : ا .

(٤) فى ج : « رفع وخفض » .

(٥) فى م : « بالطفل » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، خبايا الزوايا ، وهو فيها مضبوط بفتح فسكون ، وخلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء ٦/٣ ٢٤ ، وسلافة العصر ٣٩٩ ، نقلا عن الريحانة ، وزاد صاحب إعلام النبلاء فى نقله عن الريحانة : « قال الخفاجى : وكلاهما لغة عامية ، لا أعرف أصلها » .

٣١

القاضي ظهير الدين الحلبي *

أديبٌ وِرْدُه مَعِين ، وإثْمِد مِدادِه مما تَكْتحِل به [1] عُيونُ اليقين .

صَحِبْتُه بالروم ، فكان لى منه ظَهِير ومُعِين ، فاقتطف سمْعى جَنَى أزهارِه ، لمّا جَلا علىّ نتائجَ أفكارِه ، فرأيتُ كُبْراها وصُغْراها فى الحدِّ الأوْسَط ، ومنها ماهو عن رُتْبة الإنتاج مُنْحَطّ .

فمن غَضِّ ثَمَراتِه ، ويانِع زهراتِه ، قولُه من قصيدةٍ نبويّةٍ [2] :

نَسيمُ الصَّبا من حاجِرٍ ونواحِيــهِ	سرَتْ فأزالَتْ صَبْرَنا عن صَياصِيهِ [3]
ومِن بَارقٍ شـامَ المُتَيَّمُ بارِقاً	بدَا فتداعَى شوقُه مِن أقاصِيهِ [4]
ومِن ذِكْرِ أيامِ العُذَيْبِ تـكدَّرَتْ	مشاربُ صَبٍّ ضلَّ عنه مُناجِيهِ [5]
إذا قفَلَ الحجَّاجُ زادَ وُلُوعُــهُ	وأرسل دَمْعًا قانِياً من أماقِيــهِ [6]
وبى مَن غدَا يختالُ عُجْباً بقــدِّه	وطَلْعتِهِ سَكْرانَ مِن خَمْرةِ التِّيهِ [7]

(*) ظهير الدين الحلبي ، القاضي الأديب ، الشاعر الفائق .
كان قاضيا من قضاة القصبات ، ببلاد أناطولى ، وولى مناصب عديدة .
ذكر المحبي أنه كان موجوداً فى سنة ثلاث عشرة بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ٥٧ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢٦١ .

(١) فى م : « منه » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٢) نقل المحبي فى خلاصة الأثر عن الخفاجى هذه القصيدة .

(٣) فى خلاصة الأثر : « من لعلع ونواحيه » وفى ا ، ب : « من صياصيه » .

(٤) فى ا : « به فتداعى » وفى ب : « بدت فتداعى » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « قل عنه مناجيه » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « من مآقيه » .

(٧) فى خلاصة الأثر : « يختال فيها بعجبه » .

وفِي القُربِ أخْشاهُ وفى البُعْدِ قاتِلى   فواحَرَبا من بُعْدِهِ وتَدانِيهِ

يُفوِّق مِن جَفْنَيْهِ للقلبِ أسْهُمـاً   بأوْهنِها يَرْمِى الكَمِىَّ فيُصْمِيه[1]

بذلتُ له رُوحِى فأعرضَ مُعجَباً   وقال أمِلْكِى عادَ مِلْكَك تُهْدِيهِ[2]

وبالشِّعب من وَادِى النَّقا خيرُ جيرَةٍ   غدَتْ بُغيَتِى واللهِ من غَيْرِ تَمْوِيهِ[3]

إذا ذُكِرُوا يرتاحُ قلبى كأنَّما   أتَتْ نحوه تنقادُ قَسْراً أمانِيهِ[4]

⁂

(١) فى خلاصة الأثر : « يفوق من جفنيه للحرب أسهما » .

(٢) فى ج : « صار ملـكك تهديه » وفى ا : « عاد ملـكى تهديه » .

(٣) فى ا : « من وادى القرى » .

(٤) فى م : « سرًّا أمانيه » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٣٢

بهاء الدين [محمد] (١) بن الحسين العاملىّ الحارثىّ *

الشّامِىّ أصلا ومَحْتِدا، الفارِسىّ مَنشَأً ومَولِدًا.

فاضل لَمَعَتْ من أُفْقِ الفضلِ بوارِقُه، وسقاه من مَورِدِه النَّمير عَذْبُه ورائِقُه، لا يُدرِك بحرَ وَصْفِهِ الإغراق، ولا تلْحَقُه حركاتُ الأفْكار ولو (٢) كان فى مِضْمار الدَّهر لها السِّباق.

زَيَّن بمآثِرِه العلومَ النَّقْليَّة والعقليّة، وملك بنقْد ذهنِه جواهرَها السَّنِيَّة، لاسِيَّما الرياضات، فإنه رَاضَها، وغرَس فى حدائق (٣) الألبابِ رِياضَها.

وهو فى مَيْدان الفصاحةِ فارسٌ أىّ فارِس، وإن كان غُصنُه أينَع وربا برَبْوة فارِس، فإن شجَرَته نبتَتْ عروقُها بنواحِى الشّام الزّاهِية المغارِس، والعِرْقُ نزَّاع وإن أثَّر الجِوار فى الطِّباع.

(*) فى ا، ب: «بهاء الدين بن حسين»، وفى ج: «محمد بن حسين العاملى» وفى ب: «العاملى الفارسى ...»
وهو:
محمد بن حسين بن عبد الصمد، الملقب بهاء الدين بن عز الدين الحارثى العاملى.
ولد ببعلبك، سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة.
وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم، وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل أصفهان، وأقام بمصر مدة، ثم انتقل إلى القدس، ثم نزل دمشق.
كان أمة مستقلة فى الأخذ بأطراف العلوم، والتضلع بدقائق الفنون.
طارت شهرة مؤلفاته فى الآفاق، وله شعر جيد.
توفى بأصبهان سنة إحدى وثلاثين وألف.
خبايا الزوايا لوحة ١٥٨ ا، خلاصة الأثر ٣/٤٤٠، الذريعة ٢/٢٩، ٦/٢٤٠، روضات الجنات ٥٣٢، سلافة العصر ٢٨٩، نزهة الجليس ١/٢٤٩.

(١) تكملة من: ج.

(٢) فى م: «لو».

(٣) فى ا: «رياض».

ولما تدفّق ماء كرمه خرج منها سائحاً ، بعد ما ألقى دَلوَه فى الدِّلاء ماتحاً [١] ، لابساً خِلَع الوَقار ، قاطِفاً من رياض الكَون ثمرات الاعتبار ، فجاب البلاد ، وأتى إرَمَ مصر ذاتِ العماد ، فنمّى متاعَ فضلٍ به اتّجر ، والمعالى فى كَفالات السَّفر ، فاجْتنى نَوْرًا انفتحت [٢] كمائمهُ ، وسَرى سُرَّى قلبُ الوجود كاتمه .

وسُرَّ دَهْرٌ هو صَدْرٌ له بعالمٍ ذى نَجْدةٍ عامِلِ [٣]

وفى أثناء ذلك نظَم عقود أشْعارٍ حِقاقُها العُقول ، وجمع مِن أزْواد فضله مجموعةً سماها « الكَشْكول » ، طالعْتُها فرأيتُ فيها ماتنشرح له الصُّدور ، وتَحُلُّ عُقَدَ الإشْكال عن كل مَصْدُور .

وكان رئيسَ العلماء عند عبّاس شاه ، سلطان العجم ، لا يَصْدُر إلا عن رأيه إذا عقَد ألْوِية الهِمَم ، إلا أنه لم يكن على مذهبه فى زَنْدقته [٤] وإلحادِه ، لانْتشار صِيتِه فى سَدادِ دِينه ورَشادِه ، إلا أنه عَلَوِىٌّ بلا مَيْن ، وهو عند العقلاء أهْوَنُ الشَّرَّيْن ، فإنه أظهر غُلُوَّه فى حبِّ آل البيْت ، [٥] وجارَى فى حَلْبة الوَلاء الكُمَيت ، وأنشد لسانُ حالهِ لكلِّ حىٍّ ومَيْت :

إن كان رَفْضًا حُبُّ آل محمدٍ فلْيَشْهدِ الثَّقلان أنِّى رَافِضِى

وشِعرُه باللِّسانَيْن مُهذَّب مُحرَّر ، وبالفارسيَّة أحسنُ وأكثر .

ولما ساحَ فى البُلدان ، واجتمع بمن بها من الأعيان ، عاد بدْرُ ذاتِه لفلَك أقطارِه ، فعانق فى أوْطانِه عقائلَ أوْطاره .

---

(١) متح الماء : نزعه . وفى ا ، ب ، ج : « مائحا » . والميح : أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها .

(٢) فى ا ، ب : « تفتحت » .

(٣) فى ا : « ذى نجدة عاملى » .

(٤) فى ا : « وزندقته » .

(٥) فى م : « وجارى حلبة ولاء الكميت » والجملة ساقطة من : ب ، ج ، والمثبت من : ا .

وهو الآن قُرَّة عيْنِ مجدِها ، وغُرَّةُ جَبِين سَعْدِها ، تطوف بحَرَمِه وُفودُ الأفاضل، وتتَوجَّه شِطْرَه وُجُوهُ الآمالِ من كلِّ فاضل ، بنعيمٍ مُقيمٍ (١ تتحدَّثُ عنه طُروس الأسْفار ١) ، وتَـكْتحِل بإثْمِد مِدادِه عُيون الطُّروس والأسْفار .

فمن أنوارِ كلامِه ، التي أطْلَعتْها غُصون أقلامِه ، قولُه من قصيدة (٢) :

يانديمى بمُهْجَتِى أفْدِيكْ ... قُمْ وهاتِ الكئُوسَ مِن هاتِيكْ

هاتِهـا هاتِهـا مُشَعْشَعةً ... أفسَدتْ عقلَ ذِى التُّقَى النَّسِّيكْ (٣)

خمرةً إن ضَلِلْتَ ساحتَهـا ... فسنَا نُورِ كأسِهـا يَهْدِيكْ (٤)

يا كليمَ الفُـؤادِ داوِ بهاَ ... قلبَك المُبْتلَى لِكَىْ تشْفِيكْ

هى نارُ الكليمِ فاجْتَلِها ... واخلع النَّعْلَ واتْرُكِ التَّشْكِيكْ

صاح ناهِيكَ بالمُـدامِ فدُمْ ... فى احْتِساهاَ مخالِفاً نَاهِيكْ (٥)

عَمْرَكَ اللهَ قُل لنـا كَرماً ... ياحَمـامَ الأراكِ ماُيبْكِيكْ

أترَى غاب عنك أهـلُ مِنًى ... بعـدَ ماقد توَطّنُوا نادِيكْ (٦)

إن لى بين ربْعِهِمْ رَشَأً ... طَرْفُه إن تَمُتْ أسًى يُحيِيكْ (٧)

ذُو قَوامٍ كأنه غُصُنٌ ... ماسَ لمَّا بدَا به التَّحْرِيكْ (٨)

---

(١) فى ا ، ب : « تحدث عنه الأسفار » وفى ج : « تتحدث عنه الأشعار » والمثبت فى : م .

(٢) القصيدة فى الـكشكول ١٠٩/١ ، ١١٠ . وفى خلاصة الأثر ٤٤٩/٣ ، وذكر منها المحبى أحد عشر بيتا فقط .

(٣) سقط هذا البيت من : ا ، ب ، ج ، وهو فى : م ، والـكشكول .

(٤) فى الـكشكول : « قهوة إن ضللت ... فسنا ضوء كأسها » .

(٥) سقط هذا البيت وأربعة بعده من : ب .

(٦) فى الـكشكول : « توطنوا واديك » .

(٧) ورد هذا البيت فى : ا ، هكذا :

لى فيهم رشا له مقبـل ... فتنت كل عابد نسيك

(٨) « ذو قوام » : كذا على الاستئناف ، وفى الـكشكول : « ذا قوام » .

لستُ أنساهُ إذْ أتى سَحَراً ... وحْدَهُ وحْدَه بغيرِ شَريكْ [(١)]

طرقَ البابَ خائفاً وَجِــلا ... قلتُ مَن قال كلٌّ مايُرضِيكْ [(٢)]

قلتُ صرِّحْ فقال تجهلُ مَن ... سيْفُ ألحاظِه تحكَّم فِيكْ [(٣)]

قمتُ من فَرْحتِي فتحتُ له ... واعتَنقْنا فقال لى يَهْنيكْ [(٤)]

بات يَسْقِي وبِتُّ أشْربُهــا ... خَمرةً تترُك الُمقلَّ مَليكْ [(٥)]

ثم جاذبْتُــه الرِّداءَ وقد ... خامرَ الخمرُ طرفَه الفَتِّيكْ

قال لِي ماترُيد قلتُ له ... يامُنَى القلبِ قُبلَةً من فِيكْ [(٦)]

قال خُذْها فمُذْ ظَفِرتُ بها ... قلتُ زِدْنى فقال لَا وأَبِيكْ

ثم وَسَّــدْتُه اليمينَ إلى ... أن دنَا الصُّبحُ قال لِي يَكْفِيكْ

قلتُ مهْلاً فقال قُمْ فلَقَد ... فاحَ نَشْرُ الصَّبا وصاحَ الدِّيكْ

وله من أخرى ، مدح بها الأستاذ البَكْرِيّ ، وقد اجتمع به ، وهو [(٧)] مما يدلُّ على سلامةِ عقيدتِه ، قولُه :

يامِصرُ سُقْياً لكِ من جنَّةٍ ... قطوفُهــا يانِعَةٌ دانيهْ

ترابُهــا كالتِّبْرِ فى لُطفِه ... وماؤُها كالفِضَّة الصَّافيهْ [(٨)]

قد أخجلَ المِسْكَ نسيمٌ لها ... وزَهْرُها قد أرْخَص الغاليهْ

---

(١) فى م : « وحده زائرا بغير شريك » والمثبت من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول .

(٢) فى الكشكول : « كل من يرضيك » .

(٣) سقط هذا البيت وثلاثة بعده من : ب .

(٤) سقط هذا البيت من الكشكول . وفى ا : « واعتنقنا قال . . . » .

(٥) فى ا : « بات يسقينى » وفى الكشكول : « قهوة تترك المقل مليك » .

(٦) فى ب : « فى فيك » .

(٧) فى ب ، ج : « وهذا » .

(٨) فى م « ترابها التبر » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

دَقِيقَةٌ أصنافُ أوْصافِهــــا ومالَهــا فى حُسنِها ثانيهْ
مُنذ أنخْتُ الرَّكْبَ فى أرْضِها أُنْسِيتُ أصْحابى وأحْبابيَهْ
فياحَماها اللهُ من رَوضــةٍ بهْجتُهــا كافِيــةٌ شافِيهْ
فيهاَ شِفا القلبِ وأطْيارُها بنغمةِ القانونِ كالزَّاريهْ (١)

ومنها :

مَن شاءَ أن يحْيا سعيداً بها مُنعَّماً فى عِيشَــةٍ راضِيَهْ
فلْيــدَعِ العلمَ وأصْحابَه وليجْعلِ الجهلَ له غاشِيَهْ
والطِّبَّ والمنطقَ فى جانبٍ والنحوَ والتفسيرَ فى زاوِيهْ
وليترُكِ الدَّرسَ وتدْرِيسَه والمـتْنَ والشَّرحَ مع الحاشِيهْ
إلى مَ يادهرُ وحــتَّى متى تَشْقَى بأيَّامِك أيَّامِيَــهْ
تُحقِّقُ الآمالَ مُستعطِفاً وتُوقِـع النَّقْصَ بآمَالِيَهْ (٢)
وهكذا تفعلُ فى كلِّ ذِى فضيـلةٍ أو هِمَّــةٍ عالِيَهْ
فإن تـكنْ تحسَبُنى منهمُ فهْىَ لعَمْرِى ظِنَّةٌ وَاهِيَهْ (٣)
دَعْ عنكَ تعذِيبى وإلا فأشــكُو كَ إلى ذِى الحضْرةِ السَّامِيَهْ (٤)

وله رباعيَّات لطيفة ، منها (٥) :

أغْتَصُّ برِيقَتِى كحَسْىِ الحاسِى إذ أذكُرُهُ وهْو لعهْدِى ناسِى (٦)

---

(١) فى م : « فيها شفاء القلب أطيارها » والمثبت من : ا ، ب ، ج . والزارية : من زرى عليه وأزرى : إذا عابه . وفى ا : « كالدارية » وفى ب ، ج : « كالزاوية » .

(٢) فى ا : « تحقق الآمال » . (٣) الظنة ، بالكسر : التهمة .

(٤) فى م : « الرتبة السامية » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٥) هذه الرباعية فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٦) فى النسخ اضطراب شديد فى الشطرة الأولى ، ففى ا : « أغتص بريقتى كخنسى الحاسى » ، وفى ب : « أغتص لريقتى كحسى الحاسى » ، وفى ج : « أعتض بريقتى لحسي كاسى » .

إن مُتُّ وجمرةُ الهوى فى كبدِى　　فالويْلُ إذاً لساكِنِى الأرْماسِ

وله [١] :

كم بِتُّ من المَسَا إلى الإشْراقِ　　من فُرقتِكمْ ومُطرِبى أشْواقِى [٢]

والهمُّ مُنادِمى ونقْلِى نَدَمِى　　والدَّمعُ مُدامتِى وجَفْنِى السَّاقِى

ومنها [٣] :

لا تَبْكِ مُعاشِراً نأى أو إلْفَا　　القومُ مَضَوْا ونحنُ نأتى خَلْفَا [٤]

بالمُهلةِ أو تَعاقُبٍ نتْبَعُهمْ　　كالعطْفِ بثُمَّ أو كعطْفٍ بِالْفَا

ومنها :

من أربعةٍ وعشرةٍ أمْدادِى　　فى ستٍّ بِقاعٍ سكنُوا ياحادِى

فى طَيْبَةَ الغرَّاءِ مع سامَرَّا　　فى طُوسَ وكَرْبَلا وفى بَغْدادِ [٥]

ومنها [٦] :

للشَّوقِ إلى طَيْبَةَ جَفْنى باكِى　　لو صار مُقامِى فلَكَ الأفلاكِ

أستنْكِفُ إنْ مَشيتُ فى روْضتِها　　فالمشْىُ على أجْنحةِ الأمْلاكِ [٧]

ومنها :

هذا النَّبأُ العظيمُ مافيه كلامْ　　هذا لِمَلائِكِ السَّمٰواتِ إمامْ [٨]

مَن يَمَّم بابَه ينَلْ مطلَبَه　　مَن طاف به فهْو على النَّارِ حرامْ

---

(١) من هنا إلى قوله : « قد مات بهاؤك من الشوق إليك » الآتى ساقط من : ب ، ج .

(٢) هذه الرباعية أيضا فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٣) وهذه الرباعية أيضا فى الخلاصة ٣/٤٥٣ .　(٤) فى الخلاصة : « معاشرا نأوا أو إلفا » على الجمع.

(٥) فى ا : « فى طيبة والغرى » ، وله وجه ؛ فإن الغرى أحد الغريين ، وهما بناءان كالصومعتين كانا بظهر الكوفة ، قرب القبر الذى يقال له قبر على رضى الله عنه . انظر مراصد الاطلاع ٩٩١ .

(٦) الرباعية فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ .　(٧) فى ا : « فى روضها » .

(٨) فى ا : « هذا البنا العظيم » .

ومنها :

هــــذا حَرَمٌ بفضْلِه العقلُ أَقَرّ   فيـــــه لملائكِ السَّمٰواتِ مَقَرّ
كلٌّ منهم يقـــول يازائِرَهُ   أَبْشِر فلقد نجَوْتَ من نارِ سَقَرْ

ومنها[1] :

ياريحُ إذا أتيْتَ دارَ الأحْبــابْ   قبِّلْ عنِّى تُرابَ تلك الأعْتابْ
إن هُم سألوا عن البَهـــاءِ فقُلْ   قد ذابَ من الشَّوقِ إليكم قد ذَابْ

ومنها[2] :

ياريحُ أقُصُّ قِصَّةَ الشَّوقِ إليكْ   إن جِئْتَ إلى طُوس فباللهِ عليْكْ[3]
قبِّلْ عـــنِّى ضريحَ مولاىَ وقُلْ   قد مات بهاؤُكَ من الشَّوقِ إليْـكْ

ومنها[4] :

أَهْـــوَى رَشاً عرَّضنِى للبَلْوَى   ماعنه اقلْبِ المُعَنَّى سَلْوَى
كم جئتُ لأشْتـكِى فمُذْ أبصَرنِى   مِن لَذَّةِ قُربِه نسِيتُ الشَّـكْوَى

ومثلُه قولى[5] :

لو تُسْمَعُ لَذَّ للمُعـــنَّى الشَّـكوَى   لا مَنَّ بذا وليس عنـــه سَلْوَى[6]
كلٌّ بهَواه مُبْتَـــلًى ذو دَنَفٍ   قالُوا وتَطِيبُ إذ تَعُمُّ البَلْوَى[7]

---

(١) الرباعية فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .
(٢) فى ا ، وخلاصة الأثر : « عن البهائى فقل » .
(٣) فى م : « إن جئت إلى طرسو فبالله عليك » وفى ا : « إن جبت طوس فبالله عليك » ولعل ما أثبته الصواب ، وبطوس قبر على بن موسى الرضا .
(٤) فى ب : « وقال مثله » .
(٥) فى ا : « ونحوه قولى » .
(٦) فى ب : « لو تسمع أن للمعنى » .
(٧) فى ا : « كل بهواه مثلى » وفى م : « كل بهواه مبتل » .

ومنها :

يا غائبُ عن عيْـــنى لا عَن بالِى ... القُرْبُ إليكَ مُنْتهَى آمالِى

أيامُ نَواكَ لا تَسَلْ كيف مضَتْ ... واللهِ مضَتْ بأسْوأ الأحْوالِ (١)

وفى معناه وَوَزْنِه قول الأرَّجانِىّ (٢) :

لا بأسَ وإن أذَبْتَ قلبى بهَواكْ ... القلبُ ومَن سلَبْتَه القلْبَ فِدَاكْ

وَلَّيْتَ وقُلتَ أنْعَمَ اللهُ مَساكْ ... مَوْلاىَ وهل يَنْعَمُ مَن ليس يَراكْ

⁂

(١) فى ا : « تالله مضت » .

(٢) ليس فى ديوانه .

٣٣

خَضِر المَوْصِلِيّ *

كعبة فضلٍ مُرتفِعة المقـام ، تضمَّنتْ أَلْسِنةُ الرُّواة الْتِزامَ مدْحِـه فللّهِ ذلك التَّضمُّن والالْتِزام .

رأيتهُ فى عُنْفُوان العمر والدنيا كلُّهـا رِياض ، والأيَّام كلُّهـا أعْياد وأعْراس ، والأوقاتُ كلُّها سَحَر ، والأشْهُر كلُّها نَيْسَان .

فلَوْ بِعتُ يوماً منه بالدَّهرِ كلِّه　　لفـكَّرْتُ دهراً ثانياً فى ارْتِجاعِهِ

وهو حسَنةٌ فى صحائِف الأيَّام واللَّيالِي،ورَوضةٌ تُنْبِت الشُّـكرَ فى رِياض المعالِي، والعيشُ كلُّه نَضِر ، وقد قيل لـكلِّ زمان خَضِر .

إذا ماذ كَرْنَا جُودَه كان حاضرا　　نأَى أو دَنَى يسْعَى على قَدَم الخِضْرِ

وأقام بمكة مع بنى حسَن مُخْضَرّ الأكْناف ، وصنَّف باسم السيد حسن كتابه « شرح شواهد الـكشَّاف »، شرحا تشبَّثَ بأهدابه[1] السِّحْر ، وناطَ به تَمِيمَةً مُعلَّقةً بجِيد الدَّهْر ، وقد ملـكْتُه وطالعتُه ، فرأيت فيه[2] مايدل على سَعَةِ اطِّلاعِه ، وطول طَوْلِه وباَعِه .

(*) خضر بن عطاء الله الموصلى .

كان إماما فى العربية ، واللغة ، ومعانى الأشعار .

هاجر إلى مكة ، وانضم إلى علمائها ، وألف كتاب « الإسعاف بشرح أبيات القاضى والـكشاف » .

وقد أجلاه الشريف السيد حسن بن أبى نمى عن مكة ، بمكيدة من وزيره ابن عتيق، فمات قبل أن يصل إلى المدينة ، سنة سبع بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٥٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/١٣١ ، سلافة العصر ٣٨٥ .

وخضر ، بفتح الخاء وكسر الضاد ، وبكسر الخاء وسكون الضاد .

(١) فى م : « بأذياله » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .　(٢) فى ا : « منه » .

وهو تلميذ والدي ، وكان يسلُك معه طريقَ الأدب ، ويجثُو بين يدَيْه على الرُّكَب .

وأنشدني له [1] قولَه مُضمِّناً :

تبـــدَّلْ عن البَرْش المُبلِّدِ بالطِّلا ... فعالِمُ أهْلِ البَرْشِ غِمْرٌ وجاهِلُ [2]

فما البَرْش إن فتَّشْتَ عن كُنْهِهِ سِوَى ... دُوَيْهِيَـةٌ تَصْفرُّ منهـــا الأنامِلُ

وللأسْعد بن مَمَّاتي ، مما أنشده في كتابه « سلافة الزرجون » :

نديمِىَ لا تَهْزَأْ بِمَشْمُولةٍ فإن ... بدَا لك منها بَهْجَةٌ وشَمائلُ [3]

وراقَك منهـــا رِقَّةٌ في قَوامِها ... ولاحَتْ كشمسٍ أضْعَفتْها الأصائلُ

فلا تغْتَرِرْ منهـــــا بلِينٍ فإنها ... دُوَيْهِيَـةٌ تصْفَرُّ منهـــا الأناملُ

وهذا من قصيدة لَبِيد ، التي أولها [4] :

ألا كلُّ شيءٍ ماخـــلاَ اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وكلُّ أُناسٍ سوفَ تدخُـلُ بيْنَهم ... دُوَيْهِيَـةٌ تَصْفَرُّ منهـا الأناملُ [5]

وقد ضمَّن زكيّ الدِّين بن قريع منها أيضا في قولِهِ :

تأمَّلْ صُحَيْفاتِ الوجودِ فإنَّهـــا ... من الجانبِ السَّامِي إليْكَ رسائلُ

وقد خُطَّ فيها إن تأمَّلْتَ خطُّهـــا ... ألاَ كلُّ شيءٍ ماخَلا اللهَ باطِلُ

وفي معناه قول العلاَّمة الشيخ حسن البُورِينيّ :

وُرْقُ الرِّياضِ إذا نظَرْتَ دفاتِرٌ ... مَشْحــونَةٌ بأدِلَّةِ التَّوْحيـــدِ

---

(١) زيادة من : ا .

(٢) في ب : « عن البرش المبذل » .

(٣) في ج : « نديمي لاتغتر » .

(٤) هي قصيدته في رثاء النعمان بن المنذر ، وقد جرى الخفاجي على ترتيب الخالديين وابن السيد ، وإلا فإن ترتيب هذا البيت في القصيدة التاسع وما بعده العاشر . ديوان لبيد ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٥) سقط هذا البيت من : ا ، ب ، ج .

وهو فى [١] معنى شِعر أبى نُواس المشهور .

ومما مدَحتُ به حضرة مولانا خِضْر المذكور [٢] :

وصَبًّا من كُئُوسِ ذِكْرِكَ سَكْرَى   لكَ حَمَّلْتُهـا ثَناءً وشُكْرَا [٣]

ولِوَجْدِى رَقَّتْ كطَبْعِكَ لُطْفًا   واسْتعارَتْ من طِيبِ ذِكْرِكَ نَشْرَا

معك القلبُ حيثما سِرْتَ يسْرِى   فاسْألَنْه عنِّى فذلكَ أدْرَى [٤]

مِن أُولِى العَزْمِ لِى فُؤادٌ كَلِيمٌ   فى النَّوَى لا يزالُ يتْبَعُ خِضْرَا [٥]

☆☆☆

فصل

فيمن لقيتُه بالشام فى رحلتى لمصر راجعاً من الروم

لما مُنِيتُ بغربةِ قارِظِيَّة ، ودعانى الشوقُ إلى العَوْد إلى القاهرة المُعِزِّيّة ، وعِنان مطايا العزْم بين ثانٍ وحادِى ، وطوارقُ الوساوِس بين رائحٍ وغادِى .

بَدا لى بها وجْهُ جوٍّ قاطِب ، وسامرتُ بها ليالى [٦] عُمْرَ الكواكب ، يتعثَّرُ بالعَوّاء [٧] ، وتَضْرِبُه بعَصاً [٨] الجوْزاء ، ونهارٌ صَباه سَمُوم ، كأنه قلبُ صَبٍّ مغمُوم ، أو نفسُ فقيرٍ مظْلوم ، نفَضْت بهـا الآمالُ بِساطَ القَرار ، واسترجَعتْ نُزَّاعَهـا

---

(١) فى ا ، م : « وفى معنى » وفى ب : « وهو معنى » ، والمثبت من : ج .
(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٣١.
(٣) فى ا : « ذكرى وسكرى » .
(٤) فى م : « فاسألنه فذاك عنى أدرى » وفى : ا ، ب ، ج: « فاسألنه عنى فذاك » والمثبت فى خلاصة الأثر.
(٥) سقط هذا البيت من : ا .
(٦) فى م : « ليلا » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٧) فى ا ، ب ، ج : « تعثر بالعواء » . والعواء : منزل للقمر ، خمسة كواكب أو أربعة ؛ كأنها كتابة ألف .
(٨) فى م : « بعصى » والمثبت من : ا ، ب ، ج .

الأَمْصار [١] ، إذ لم تجِدْ حُرًّا ترْتجيه [٢] ، ولا أخاً وَجْدٍ تُطارِحُه هوَى نجْدٍ وتجاريه ، كما قلت :

ياوَيْحَ مِصرَ ترحَّلَتْ سُكَّانُها وتعطَّلتْ تلكَ المجالسُ والمدارسْ [٣]
ظَعَنُوا ومِن بركاتِهـــا وجمالِها كُنِسَتْ وهاتِيكَ النخيلُ بها مكانِسْ

فكأن الكرامَ أوراقُ خريفٍ لوَتْه [٤] الأعاصِير ، وبدَّده [٥] الشَّتات ، ورُسومُها خَطَّ بها البَلاء آياتِ المواريث وصُحفَ الفرائِض فلا يُذْكَر فيها غيرُ الأمْوات ، فإذا رجع أو خرج منها المسافِر ، ماوَدَّعه واستَقْبلَه غيرُ المقابِر :

عليْها لقــد حطُّوا رِحالًا بمنْزِل وكم هَوْدَجٍ من بيْنِها مُرتَخِي الشَّدِّ

وقد كنتُ أدأَبُ فى التَّرحَال ، لأُحُطَّ برَبْعِها الُمخْصِب [٦] رِحالَ الآمال ، رجاءَ لقاءِ أشْياخى وأخْدانى ، ومغازلةِ مَن بها من خُرَّدِ أوَانِس الأمانِى ، ممَّن سافَنَتْه [٧] بوادِيها ، وساجَلَتْه بدِلاءِ المجُون فى بَوادِيها ، وقد تنْزِل من حِصْن طَوْدِها الأوابِد ، كما قال كُشاجِم فى كتاب « المطارد » : إن الوحوشَ قد تلِجُ [٨] العُمْران ، وتلْجأُ للآنِس ، إذا كَلَب الشِّتاء ، وعبَس بالجَدْب وجهُ الزَّمان ، فعُدِمت الأقوات ، وأخْفَى الجَمَد والثَّلج الماءَ والنَّبات ، فشاب منه الوليد ، كما قال مُسلِم بن الوليد [٩] :

فإن أَغْشَ قوماً بعــدَهم أو أَزُورهم فكالوحْشِ يُدْنِيها من الآنسِ الُمحْلُ [١٠]

---

(١) فى م : « للأمصار » والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « ترجيه » . (٣) فى ا : « ياويل مصر » .
(٤) فى ا ، ج : « لونه » ، وفى م : « لونته » .
(٥) فى ا : « وبدره » ، وفى م : « وبدله » . (٦) فى ا ، ب : « بربيعها المخصب » .
(٧) سفنه يسفنه : قشره ، وسفنت الريح : هبت على وجه الأرض . وفى ا ، ج : « نافثته » وفى ب : « نافسته » .
(٨) فى ا ، ب : « تأتى » وفى ج : « تلد » .
(٩) الأبيات فى ذيل ديوانه بغير هـذا الترتيب ، فالبيت الأول هو العاشر فى القصيدة ، والبيتان الثانى والثالث هما الخامس والسادس فيها . ديوان صريع الغوانى ٣٣٣ .
(١٠) فى الديوان : « يستدنيه للقنص المحل » وانظر حواشى الديوان فى الأبيات الثلاثة .

يُذَكِّرُنيكَ الخيْرُ والشَرُّ والتُّقَى   وقولُ الخَنَا والحِلْمُ والعلمُ والجهْلُ
فألْقاكَ فى مذْمُومِهــــــــا مُتنزِّهاً   وألْقاكَ فى محْمُودِها ولكَ الفضْلُ

فعاد الرَّائد خائباً ، والبَشِير ناعِياً ناعِباً ، إذ بدَت مُقْفِرةَ الأرْجاء ، (١ مُبَرْقِعةً باليأْسِ وجْهَ الرَّجاء ١) ، مِن دارٍ أمواتُها أشْراف ، وأحياؤُها أجْلاف ، بها ضِعاف عقولٍ يزعمون أنهم ألَّفُوا وصنَّفُوا ، كأنَّهم بقيَّةٌ من أهلِ الكتاب الذين بَدَّلوا وحرَّفوا فعُجْتُ زائراً مقابرَ أطْلالِها ، وقد خُيِّل لى أنها أوَّلُ منزل سَفَرٍ بسُروجِها ورحالِها ، ينتظِر بها السَّابقون اللاَّحِقين ، فقلتُ : السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، فردُّوا وصاحُوا بها وَاها ، وأنْشدنى بَدِيهةً صَداها :

يا راكباً حُثَّ المَطِيَّ   م لأرضِ مصر تَنْتحِيهَا
جُزْ بالقَرافةِ واقْرأَنْ   منِّى السلامَ لساكِنِيهَا
وقلِ السَّلامُ على الكِرا   مِ الأكْرمين الفاضِلِيهَا(٢)
لم ألْقَ بعدَهُمُ بهــــا   إلا جَهــــولًا أو سَفِيهَا
فكأنَّمـــا الدنيا البخيـ   ـلةُ بالعطاءِ لمُجْتَـــدِيهَا
صَرفَتْ دَنانِيرَ البَهَا   بنُحـاسِ نَحْسٍ من بَنِيهَا
سادتْ بها فِرَقُ العبيـ   ـدِ فأىُّ حُرٍّ يَرْتضِيهَا
فلذا هجَرْتُ مُقامَهــــا   وطلبْتُ أرضاً أصْطفِيهَا
فإذا مرَرْتَ فلا تَسَلْ   عمَّن نأى مِن قاطِنِيهَا
وقِفِ المَطِيَّ بحِلَّقٍ   إن الكِرامَ الغُرَّ فِيهَا
عُرِفَتْ بعَرْفِ المجدِ ها   تِيكَ الرُّبوعُ لِساكِنِيهَا

---

(١) ساقط من : ب .
(٢) فى ا ، ب : « الكرام الفاضلين بها بنيها » وفى ج : « الأكرمين ومن يليها » .

فرحلتُ إلى الوادِي المقدّس طُوَى ، والعزمُ بأيْدِى المطايا شَبّر[1] شُقَّةَ البَيْن وطَوَى ، حتى نزلْتُ تُربةً عُجِنتْ بماء الوحْى ، على رَغْمِ أنفِ النَّوَى ، ومسَحْتُ[2] بهـا المُحيَّا ، وحَيِيتُ أكْرَمَ مَحْيَا ، بين الصَّخرةِ والطُّور ، والبيتِ المُتلألئ فيـه سَبَحاتُ النُّور :

قَطَعْنَا فى مسافتِـــه عِقاباً ... ومابعد العِقاب سِوَى النَّعِيمِ[3]

ولما رأيتُه طَشْتَ ذهبٍ مملوءاً بالعقارب ، غسلْتُ يدَ الأمل فيـه من الرَّغائب ، وانثنَيْتُ للشَّام شامةِ وجْهِ البُلدان ، وجَنَّةِ الله فى أرْضِه المحفُوفةِ بالحُور والوِلْدان ، المفروشةِ بسُنْدُس النَّبات والأشْجار ، اللَّابسةِ حُلَل الرِّياض المُزرَّرةِ بالأنْوار ، المُسجَّفةِ بزُرْق الأنْهار ، فقالت لى : أهلاً وسهْلاً ، ومدَّتْ كرماً ونُزْلاً ، وتلقَّتْنِى بصَـدْرٍ رحِيب ، فبِتُّ فيها بين تـكريمٍ وترْحيب :

مِن فوقِ أكْمامِ الرِّيا ... ضِ وتحْتِ أذْيالِ النَّسِيمِ

ولقِيتُ بها من فضلائِها الأعْيان ، وأُدبائِها النَّقيَّة الأذْهان والأرْدَان ، كلَّ كريمٍ تُحسَد عليه العيون والآذان ، هو لعَيْن المجدِ قُرَّة ، ولوجْهِ المـكارِمِ غُرَّة ، ولقلْبِ الدهرِ فَرْحةٌ ومسَرَّة .

⁂

فـكان ممَّن اجْتلاهُ ناظرِى ، وعكَف عليه فى حَرَمِ كرمِه خاطرِى :

---

(١) شبر : قدر . وفى ب : « ستر شفة » .

(٢) فى ج : « وسمحت » ، وفى ا : « سبحت فيها المحيا » .

(٣) العقاب الأولى : جمع العقبة ، بالتحريك ، وهى مرقى صعب من الجبال .

٣٤

المولى عبد الرحمن بن عِماد الدِّين الشَّامِيّ الْحَنَفِيّ *

وهو إذ ذاك مُفتِيها ، وناشِرُ لواءِ الإفادة بنادِيها ، ومُحيي من رسومِ المدارس كلَّ داثِرٍ بها ودارِس .

إن جاد فجُودُه تَمِيمةٌ للعدم ، أو وَعَد فوعْدُه للغِنَى سَلَم ، مع صِدْق مقالٍ ، تُعقَد منه الأقوالُ بالأفعال .

إذا ذُكِر مافيه من محاسِن الصِّفات ، سجَدتْ له الخناصِر كأنه آياتُ سَجْدات ، أو سُرِدَت نُعُوتُه فكلُّ نعتٍ مقطوع ، وكلُّ وصفٍ تابِعٌ له ، وهو مَتْبوع .

وقد مُتِّعْتُ منه بما هو ألذُّ من نَيْل الوَطَر ، وليس العَيان كالخبَر ، وهَبَّت علىَّ رِيحُ (١) إقْبالِه قَبول وجَنُوب ، وأطْربَتْنى أنفاسُه والكريمُ طَروب ، وصَرْفُ الزَّمان مغلولُ اليديْن ، والزمانُ مُنقادٌ لجمْعِ الشَّمل ، كأنه عليه دَيْن ، فقِلْنا فى ظِلِّه الظَّليل ،

(*) فى ا : « المولى عبد الرحمن العمادى الشامى الحنفى » .

وهو :

عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى الحنفى الدمشقى

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ يتيما .

وقد أخذ عن مشايخ عصره ، وحج فأخذ عن علماء المدينة ، واجتهد حتى صار فى عصره ممن يباهى بالتردد إليه ، والاكتساب من معلوماته .

واشتغل بالإفتاء ، والتأليف ، والتدريس بمدارس الشام .

توفى سنة إحدى وخمسين وألف .

تراجم الأعيان لوحة ٢٧٦ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٢/٣٨٠ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب ، سلافة العصر ٣٧٢ .

(١) فى م : « من رياح » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

ولم نرَ فيه نقْصاً سِوى أنه قليل ، وناهِيكَ بطِيب عُنصُرٍ لو رآه النَّظَّام أثْبتَ به الجوْهَر الفَرْد ، مع لُطفِ طبعٍ هو شقِيق الروضِ المُخْجِلِ بلُطْفِه خَدَّ الورْد ، وحُسنِ تقْريرٍ وتحْريرٍ يهتز طرباً له كلُّ غصنٍ نَضِير .

وبالجملة فهو فى كلِّ كمالٍ مُفرَد ، مُستَغْنٍ عن التَّعريف بفضْلٍ له لا يُحَدّ ، فإنه أصِيلُ عصْرِه ، وعِمادُ دهرِه ، كأنما عَناهُ مَن قال :

أرأيتُمْ فى النَّاسِ ذاتَ لطيفٍ يشرَحُ الصــدرَ مثلَ ذاتِ العِمادِ
حَسبُهــــا من لطافةٍ أنها لم يخلُقِ اللهُ مثلَهـــا فى البلادِ

وقد دارتْ بينى وبينَه كئوس محاوراتٍ لها ثَغْر الحَبَاب باسِم ، تُنْظَم منها فى جِيد الآداب عُقودٌ لها بَنانُ البيان ناظِم ، ولما قُوِّضَتْ خِيامُ المُقام ، وزُمَّتْ مطايا العزائم ، كتبتُ له مُودِّعاً وشاكراً لما أفاضه علىَّ من سوابِـغ المـكارم قولى :

قسَماً بلُطفٍ مالكٍ لفُــؤادِى وبرَوضِ أُنْسٍ مُثْمرٍ لِودادِى
وبطَلعةٍ نزلَتْ لدى حرَمِ العُــلا وبسُـدَّةٍ هى قِبْــلةُ القُصَّـادِ
أنِّى ارْتحلْتُ وذكرُكم أبداً على طُولِ المَدى ماءِى النَّميرُ وزادِى
ياواحــدَ الدُّنيا وبيتَ قصيدِها الزَّ اهِى لدَى الإنْشـاءِ والإنْشادِ
يا ابنَ العِمادِ لأنت عُمْــدةُ سادَةٍ تُمْتاحُ فى الإصْــدارِ والإيرادِ
إرَماً غــدَتْ أرضُ الشَّـآم لأنها ذاتُ العِمادِ بـكُمْ وأىّ عِمادِ [(١)]
بل جنَّــةً فيهــا الثَّناء مُخَـلَّدٌ أترى لها بعــد البِعادِ بعادِ [(٢)]
وحديثُ فضلِـكمُ المُعنْعَنُ مجْدُه أضْحى بأصْلِكَ عالِىَ الإسْنادِ
يُثنى عليــــه رائحٌ أو غادِى أبداً برغْمِ عشِــيرةٍ أوْغادِ

(١) فى ا ، ب : « إرم » وفى ا : « اغتــدت » ، وفى ا ، ب : « فإنها ذات العماد » . وفى ج : « كأنها ذات العماد » .

(٢) فى ب : « أيدى لها » وفى ج : « أيرى » ، وفى ا : « بعد البعاد معادى » .

واسْلَمْ ودمْ فى عِزَّةٍ أيَّامُها ... لِلِقائِه لبِستْ حُلَى الأعْيادِ [1]

وبعد هذا فصل :

مولاىَ ، هذه نَفْثَةُ مصدُور ، وغُلالة صَادٍ لولاك لم تُرْوَ [2] بها الصُّدور ، وبَدِيهَةُ غريبٍ من [3] الأوطان والأحِبَّة مهْجُور ، والطَّبع [4] وإن كان فى حَلْبتِه جَواد ، فقد يكْبُو الجواد ، وقد يبْخل الجوَاد ، ولكنّنى أقول كما قال ابن عَبَّاد :

أنا لولاكَ مارأتْنِى القَوافِى ... فى وِهادٍ من أرْضِها ونِجَادِ

إن خَيْرَ المُدَّاحِ مَن مَدَحَتْهُ ... شعراء البِلادِ فى كلِّ نادِ

والسلام .

فأجاب :

هٰذِى درَارٍ نُورُها لِىَ هادِى ... وشِهابُها رُجُمٌ على الأضْدادِ [5]

أم رَوْضَةٌ بسَمتْ ثغورُ زهورِها ... أم حُلَّةٌ وُشِيتْ من الأبْرادِ

أم تلك أبياتٌ أبيَّاتِ البِنَا ... رُفِعتْ على عُمُدٍ رَفَعْنَ عِمادِى

بُنِيتْ بأيْدِى فِكْرِ قُسٍّ خفَاجةٍ ... تبّت أيادِى فِكْرِ قُسِّ إيادِ

مولاىَ يافرْدَ الوجودِ فضائلاً ... وشمائلاً يا أوْحدَ الآحادِ [6]

قد كنتُ أسمعُ عن فضائِلِك التى ... شنفَتْنِى من حاضرٍ أو بادِ [7]

ولطالَما قد كنتُ أرجو المُلْتَقَى ... وتُبَعِّدُ الآمالُ طولَ بِعادِى

---

(١) فى ا : « للقائه ليست خلا الأعياد » . (٢) فى ا : « ترويها » .

(٣) فى م : « عن » والمثبت من : ا ، ب ، ج . (٤) فى ا : « والطرف » .

(٥) فى ب : « هذه النار » ، وفى هامشها : صوابه : « هذى لنار نورها لى هادى » ، وفى ج : « على أضدادى » .

(٦) فى م : « وفواضلا يا أوحد الآحاد » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٧) فى ج : « شغفنى من حاضر » .

حتى شهِدتُ جمالَكم فلِمِحنتي ... جذَبتْ محبَّتُكم شِغافَ فؤادِي (١)
ودَنا الرَّحيلُ مُخلِّفاً قلبي لكمْ ... وَقفاً على الإتهامِ والإنجادِ
سِرْ بالهَنا أمَّا خَيالُ كمالِكمْ ... فهو السَّميرُ لمُهجتي في النَّادي
واسلَمْ ولا تَنسَ العِمادِي إنه ... ليُعلِّلُ الأحشا بقُرْبِ بِعادِ

ومما أنشدني قولُه (٢) :

سأطمِسُ آثاراً هَواىَ أثارَها ... وأنفضُ من ذَيلِ التَّصابي غُبارَهَا (٣)
لقد آن صَحْوِي من سُلافِ صَبابةٍ ... لقد طال ماخامَرْتُ جَهْلاً خُمارَهَا (٤)
هجَرْتُ الهوى والزَّهْوَ حتى اشتياقَه ... وطيبَ ليالِي اللَّهْوِ حتى ادِّكارَهَا
وعفَّيْتُ سُبْلَ الهزل بالجِدِّ مُقلِعاً ... وعِفْتُ مَسرَّاتٍ جنَيْتُ ثِمارَهَا
أثامٍ كُفِيتُ اليومَ بالتَّركِ شرَّها ... لعلِّي غداً في الحشرِ أُكْفَى شَرارَهَا
قَطَفْتُ أزاهيرَ الصَّبابةِ في الصِّبا ... وقد صار عاراً أن أَشُمَّ عَرارَهَا
فلو صائداتُ القلبِ أقبَلْنَ كالمَهَا ... وقبَّلْنَ رأسِي ما قبِلْتُ مَزارَهَا
وقد كنتُ أوْدَعتُ الحِجاَ فاستَرَدَّهُ ... إلى النفْسِ شَيْبٌ قد أعاد وَقارَهَا (٥)
وكان شَبابي شَبَّ نارَ صَبابتي ... فمُذْ لاحَ نُورُ الشَّيْبِ أخمدَ نارَهَا
تُرَى شيْبَتِي ما عُذْرُها لشَبيبتِي ... وقد صَبَغتْ قبل الكمالِ عِذارَهَا (٦)
تبسَّمَ ثَغرُ الشِّعرِ فيها تعجُّباً ... لها إذْ رأَى ليلَ السِّبالِ نهارَهَا (٧)
فما زار وكْرَ الشَّعرِ فيها غُرابُه ... ولا دارَ حتى استوطَن البازُ دارَهَا

(١) في ا ، ب ، ج : « حتى شهدت كمالكم فلمحنتي » .
(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٣٨٧ ، ٣٨٨ . (٣) في خلاصة الأثر : « من ذيل الفؤاد » .
(٤) في خلاصة الأثر : « فقد طال » .
(٥) في ا : « وقد كنت ودعت الحجا » ، وهي رواية حسنة .
(٦) في ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « وقد سبقت » ، وفي ج : « وقد سبغت » .
(٧) السبال : جمع السبلة ، محركة ، وهي ماعلى الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة . القاموس (س ب ل) .

عسى الآن عمَّا قد عَثَرْتُ إنابَةٌ يُقيلُ بهـا للنَّفْسِ رَبِّى عِثارَهَا
عسى رَحْمـــةٌ أو نَظْرةٌ أو عِنايةٌ يَتِمُّ سُعودِى فى صُعودِ مَنارِهَا[1]
عسى نَفحةٌ من نُورِ نُورِ معارفٍ تَهُبُّ فتَختارُ الفــؤادَ قَرارَهَا
ويشرحُ صـدْرِى نورُ علم مُقدَّسٍ يُرِينِىَ أسرارَ العــلومِ جِهارَهَا
وأمْنَحُ ألْطافاً من الانسِ أبْتَغِى خَفَاها ويأْبَى الوجدُ إلا اشْتِهارَهَا
وتُكْشَفُ عن عيْنِ البَصيرةِ حُجْبُهَا بأنْوارِ عِرفانٍ تُزِيل اسْتِتارَهَا
فيَظهرُ لى سِرُّ الحقيقـــةِ مُشرِقاً على ظُلَمِ الكونِ التى قد أنارَهَا
وأحْظَى بحالاتٍ من القُرْبِ أكْتَسِى بدُنيا وأُخْرى فضْلَها وفَخارَهَا[2]
ولُطْفُ إلٰهى قُطْبُ دائرةِ المُنَى فإنَّ عليـــــه فى العطاءِ مَدارَهَا

وقال قُبَيل موتِه ، رحمه الله[3] :

قد شابَ فَوْدِىَ حين شابَ فؤادِى فكأنَّما كانَا على مِيعادِ[4]
حُسْنَ الخواتِمِ أرْتجِى من مُحْسِنٍ قد مَنَّ لى قِدْماً بحُسْنِ مَبادِى
وعِمادِىَ التَّوحيــدُ فهْوَ وَسِيلتِى فى نَيْلِ ما أرْجُـوه عنـد مَعادِى
إن قيـــلَ أىُّ سفينةٍ تَجْرى بلَا ماءٍ وليس لأهْلِهـــا مِن زَادِ
قُلْ رَحْمةُ الرحْمٰنِ مَن أنا عَبْدُهُ تَسَعُ العبادَ فمَن هو ابنُ عِمادِ

وكتب إلىَّ وهو مريض ، وقد سمع بعَوْدِى لمصر ، ولم يلبَثْ بعده إلا قليلا ، ما صورتُه :

أسْعدَ الله تعالى طالِعَ مصر وما حولها من الأمصار ، وأنجدَ هذا العصرَ وما يليه

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فى صعودى منارها » .
(٢) فى خلاصة الأثر : « من القرب أبتغى » .
(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٨٨ .
(٤) فى ا : « حين تاب فؤادى » ، وفى خلاصة الأثر : « حين ناب » .

من الأعصار ، وأبَّد عِزَّة[1] العلوم وأهليها ، وأيَّد دولَةَ الفضائل وطالبيها ، بدوام سعادةِ أيام عينِ أهلِ المعارفِ والمعالى ، ووَاسِطة عِقْدهم الغالى ، ونادرةِ فلكِهم العالى ، الذى هو صدْر العلماء وبَدْرُهم ، ومَن يدور عليه أمرُهم ، فكأنهم فلَكٌ هو قُطْبُه ، أو جسد هو رُوحُه وقلبُه ، علاَّمة العلومِ والمعارِف ، وروضةُ الأدب الوَرِيقةِ وظِلُّها الوارِف ، شمسُ عصْرِه ، وعَزِيز مِصْرِه ، جامع المزايَا والمناقِب ، شهابُ الفضلِ الثاقِب .

أُهدِى إلى حضرته العليَّة تُحَفَ التَّحِيّة ، وطُرَف الأدْعية المرْضِيَّة .

وأُنْهى إليه شِكايةَ نِكايةِ الشَّوق ، واسْتِطالةَ سُلطانِه ، ومَدَّ مُدَّةِ البَيْن واسْتطالةَ زمانِه .

وأُهنِّيه برُتْبة الرِّياسة العِلْمِيّة ، التى بعضُ صفاتِها ولايةُ مصر المحمية ، جُزْءٌ من آلائِها وآلاتِها، حيث أتَتْ تسْعَى إليه ، ومدَّ بالأمر الشَّريف رُواقَها عليه ، على أن المولى أنْوَهُ قَدْراً ، وأنبهُ شأناً وذكراً ، من أن يُهَنَّى بولايةٍ ، وإن أمِرَ أمْرُها ، وعلا بين أهل العُلا قدرُها .

ومنصِبُ مصر وإن عظُم موقعُه ، فالمولى بحمْدِ الله تعالى يرفعُه والمنصِب لا يرفعُه ، وما شَرَفُه المؤثَّل المعلوم ، إلا بفُنون الفضائلِ والعلوم .

وحين بلغنا وصولُه بالسَّلامة بتيْسِير المُيَسِّر ، عجِبْنا كيف ركِب البحرُ البحرَ ، وسلك البَرُّ البَرّ ، وقلنا عاد قُسٌّ إلى عُكَاظِه ، وعاد قيْسٌ بحِفاظِه .

---

(١) زيادة من : ا ، ب ، ج.

ولقد أحسن مولانا السلطان ، إذ أنام الأنامَ فى حِرْزِ العدل والأمان ، بنَصْب فيْصَلِ حُكْمِه ، وحُسام قضائه ؛ لحسْم مادّة الظلم وانتِضائه ، ففتحَ بذلك باب دَوْلة العرب ، ورَواج[1] بضاعة العلم والفضْل والأدب ، خلّد اللهُ دولةَ سعادتِه مدَى اللّيالى والأيام ، ونظَمَ أعوامَ مُدّةِ سَلْطنتِه فى سِلْك التّأْبيد والدّوام .

ونسأل الله لحضرتِكُم طول البقاء ، ودَوام العزّ والارْتقاء .

⁂

---

(١) فى م : « وروّج » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

٣٥

أحمد بن شاهين الشَّامِيّ *

صديقنا الصَّادقُ الوداد ، الفاضل المُستَغرِق بمحاسنِه[١] لمراتِب[٢] الأعْداد ، قَنَّاص سوانح الأفكار ، حائزُ قَصَب السَّبْق فى كلِّ مِضْمار .

أديبٌ حديثُه الحسن كقِطَع الروض ، ولذة النَّشْوان ، يُخَيِّل لسامعِه أنه صَبَّ عليه الجُمان ، وجرَى خِلالَه ماء البَيان ، تتسابق ألفاظُه ومعانيه إلى القلوب والآذان ، حتى لا تدْرِى أيُّهما السابقُ فى الولوج للسمع والجَنان ، فكم هبَّت شَمْأَلُ شمائِله ، فأضْحتْ[٣] سماء فضائِله ، فيا عجباً كيف هَمَى منه النَّدَى ، وقد انْقَشَع[٤] به غمام الغَىِّ عن مطالِع الهُدَى ، فهو نُكْتَة عُطارِد ، الوارثُ من المجدِ كلَّ طَرِيف وتالِد ، حتى أدْنَى جُودُ[٥] أيادِيه الحِسان ، ولم يشُقَّ غُبارَه سوابقُ الاستِحْسان .

وله نَظْمٌ ونثر أرَقُّ من دَمْع الصَّبّ ، وأعْذَب من زُلال القَطْر غِبَّ الجَدْب :

(*) أحمد بن شاهين القبرسى ، الدمشقى .
أصله من جزيرة قبرس ، كتبها المحبى بالسين ، ونبه على غلط العامة فيها ، وانظر مراصد الاطلاع ١٠٦٣ ، ولد سنة خمس وتسعين وتسعمائة .
وكان مليح العبارة فى الإنشاء ، جيد الفكرة ، حلو الترصيع ، لطيف الإشارة ، جوادا ممدحا ، حسن التصرف فى النظم والنثر .
اشتغل بالقضاء ، والتأليف ، والتدريس .
وتوفى سنة ثلاث وخمسين وألف .
تراجم الأعيان ١/١٣٩ ، خلاصة الأثر ١/٢١٠ ، سلافة العصر ٣٧٥ ، هدية العارفين ١/١٥٩ .

(١) فى ب ، ج : « محاسنه » . (٢) فى ا : « لرتب » .
(٣) فى ا ، ج : « فأصبحت » . (٤) فى ا : « تقشم » .
(٥) فى ا : « حتى دان جواد أياديه » ، وفى ب : « دانى جود أياديه » ، وفى ج : « حتى دامت أجواد » .

لو بقِيَتْ سِلْكاً على الدُّهورِ   لعطَّلتْ قلائدَ النُّحـــورِ
وأخْجلتْ جواهرَ البُحورِ   وسُمِّيَتْ ضرائرَ الثُّغـــورِ
تُهْدِى إلى الأكْبادِ والصُّدورِ   رَوْحاً يُحاكِى نَفْثَةَ المصْـدُورِ

ولما وافيْتُ فى رحلتى إلى الشَّام ، نظَمَنِى وإيَّاهُ فى عِقْد الصُّحبة سِلْكُ الأيَّام ، فى أُوَيْقاتٍ كلُّها أصِيلٌ وسَحَر ، ولا عَيْب فيها سِوى ما بها من قِصَر .

* وكذاك أيَّام السُّرورِ قِصار[1] *

فشرَّفنِى بقصيدةٍ أتحفَنِى بها ، وهى قولُه :

أىُّ دهر قد جادَ لى بابْتهاجِ   وصَباحٍ قد لاحَ لى بانبِلاجِ
وزمانٍ قد مَنَّ لى بنعـــيمٍ   وقِرانٍ وافَى بأسْعدِ تاجِ
وازْدِيارٍ من غيْرِ وَعْدِ حبيبٍ   كشفاءٍ من غـيْرِ سَبْقِ عِلاجِ
واجْتماعٍ لنا بغـــيْرِ اتِّفاقٍ   كغِنًى جـاء طالباً ذَا احْتِياجِ
وسَخاءٍ من الزَّمــانِ بأهْنَا   نِعْمةٍ قد أتَتْ لأحْوج رَاجِ
بقُدوم المولَى الإمام المُفَدَّى   أحمدَ السَّيِّد الشِّهابِ الخفَاجِى[2]
الشِّهابُ الذى أضاءَ فضاءَتْ   شامُنا مِن سِراجِـــه الوهَّاجِ
زارَنا فى دِمَشْقَ غيْثٌ رَوِىٌّ   غَيْثُ علمٍ من طبْعِه الثَّجَّاجِ
حين وَافَى مِن مِصْرَ والسَّعْدُ عَبْدٌ   خادمٌ عنده بغيْرِ اخْتِلاجِ
ولو أنِّى وفَّيْتُ حقَّ قُدومٍ   ساد حظِّى منه وزادَ ابْتهاجِى[3]

(١) فى م : « وكذلك » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ج : « الجليل المفدى » ، وفى ب ، ج : « أحمد سيدى الإمام الخفاجى » ، وفى ا : « أحمد السيد الهمام الخفاجى » .
(٣) فى ا ، ب : « ولو أنى وافيت » .

كنتُ أفرَشْتُه جُفُونَ عيونى ... ورفَعْتُ الغُبارَ فوق الحجاجِ

عالِمٌ يُخْرِجُ الخَفِيَّ المُعمَّى ... من علوم الأُلى بلا استِخْراجِ

عنده كالصَّباحِ من كلِّ علمٍ ... مُدْلَهِمٍ كالليل أسْودَ داجِ

سيِّدى سيِّدى تحيةَ داعٍ ... مُخْلِصٍ فى الودادِ غيرِ مُداجِ

أشْتَكِى غُرْبَتى إليكَ وأنِّى ... بين أهْلى فى خِسَّةٍ واندِماجِ (١)

غيرَ أنِّى شَرْوَى غَريبٍ لفقْدِى ... أهلَ وُدِّى وعِشرتى وامتزاجى (٢)

منهمُ عُمْدَتِى الذى كان دهراً ... مُفْتِيَ الشامِ مُستَنيرَ السِّراجِ

العِمادِيُّ ذاكَ مَن قد تقضَّى ... عمْرُه فى دُعاكَ ضِمْنَ الدياجِى (٣)

كان واللهِ عِطْرَنا النَّدَّ لمَّا ... نلتقى فى ثَناكَ حين التَّناجى (٤)

كان شيْخِى وكان خِلِّى إذا ما ... نابَنِى حادِثٌ وطُبَّ مِزَاجى (٥)

فرمَتْنِى فيه الليالى عِناداً ... والليالى معروفةٌ باللَّجاجِ

فتخلَّفْتُ فى دِمَشْقَ وحيداً ... فى اعْتِقالٍ وهِمَّتى فى انفِرَاجِ

أيها السيِّدُ الجليلُ المُفدَّى ... عُجْ بحاجِى عن سَيْرِ حظِّى السَّاجى

فابنُ شاهِين ذو جناح مَهِيضٍ ... باءَ إن لم ترُشْه كالدُّرَّاجِ (٦)

كُن لِراجٍ من فضل جاهِك عَوْناً ... حيثُ يمْضِى بما ترى مُحتاجِ (٧)

جارَ دَهْرِى علىَّ فانظُرْ لأمرِى ... لا تَكِلْنى إلى اهْتمامِ احتياجِ (٨)

---

(١) فى ا ، ب : « فى خلسة » وفى ج : « فى جلسة » .

(٢) شروى غريب : مثل غريب . (٣) فى م : « عمره فى دعاه » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « عطرنا اللدن . . . من ثناك » .

(٥) طب الرجل : سحر ، والمراد تغير مزاجه .

(٦) فى م : « ذو جناح نهيض » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج . والدراج : طائر .

(٧) المعنى : كن لراج محتاج . وفى م : « مما ترى » وفى ا ، ب ، ج : « بما يرى » ولعل الصواب ما أثبته .

(٨) فى ا ، ج : « حاف دهرى » ، وفى ب : « حاد دهرى » ، وفى ا : « إلى اهتمام احتجاج » ، وفى ب : « احتجاجى » ، والمثبت من : ج ، م .

رَقَّ حالى فاجْبُرْه قبل انْصِداعٍ   فمُحالٌ فى الـكَسْر جَبْرُ الزُّجاجِ
كَسَدتْ مُدَّةً بضاعةُ فضْلى   وبمْولاى جاء وقتُ الرَّواجِ
بيننـــا حقُّ نِسْبةٍ لـكريمٍ   ذِى بُـكورٍ للمجْدِ مَعْ إدْلاجِ
لابن عبـدِ الغنِىِّ ذاك المُصَفَّى   جَوْهراً عالياً مَحـلَّ التَّاجِ[1]
قدَّس اللهُ رُوحَــــه وحَياهُ   برضَاهُ من غير سَبْقِ انْزِعاجِ
وابْقَ واسْلَمْ فنِى معاليك عنهُ   خَلَفٌ المُـــــنَى بلا مِعْراجِ
كلُّ وجْـــهٍ تأتيه تلقاهُ طَلْقاً   سافِرَ البِشْرِ وافِرَ الإنْتاجِ

ومحمد بن عبد الغنيّ المذكور كان قاضيَ العساكر بالرُّوم ، وله « حواشٍ على تفسير البَيْضَاوِىّ[2] » وسنذكره إن شاء الله تعالى ، آخر هذه « الرَّيحانة » .

⁂

(١) فى م : « جوهرا غاليا محلى التاج » ، والمثبت من : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ج : « تفسير القاضى » .

٣٦

الأمير منجك بن الأمير محمد بن منجك *

الجَرْكَسِيّ أصْلا ومَحْتِداً ، الشَّامِيّ مَنْشَأً ومولدا .

أديبٌ أرِيب ، ونجيب ابن نجيب .

أورقَ عُودُه بالشام وأثْمر ، فإذا عُدَّت السَّجايا عرَضاً فسجاياه جَوْهر .

نشأ بها والدهرُ أبْيَض أقْمَر ، ونادم العيشَ والعيشُ أخْضَر .

وللبِقاع تأثيرٌ فى الطِّباع ، والعِرْق كما قيل لمَغْرِسِه نزَّاع ، ومن كان جارَ الرِّياض لبِس طبعُه بُرْدَ نسيمها الفَضْفاض[1] ، كما لبس النهرُ الجارى ، دِرْعَ النَّسيمِ السَّارِى .

(*) فى المطبوعة : «الأمير محمد بن منجك الجركسى» ، وفى ا : «الأمير منجك بن الأمير محمد الجركسى» ، وفى ب ، ج : « الأمير منجك بن منجك الجركسى » ، والمثبت فى خبايا الزوايا . وهو :
الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفى الدمشقى .
نشأ فى ظلال النعمة ، وشغف من حين نشأته بالطلب ، وصرف عمره فى تحصيل الأدب .
قرأ على الشيخ عبد الرحمن العمادى ، وأخذ الحديث عن الشهاب أحمد الوفائى ، وأبى العباس المقرى ، والأدب عن أحمد بن شاهين .
كان كريما متلافا ، أنفق ماتركه له والده ، ثم انزوى عن الناس ، وهاجر إلى الروم ، ولكنه لم يدرك بغيته من الهجرة فعاد ، ولم يخرج من عزلته إلا قبل موته بعام ، فخرج إلى قرنائه الذين ألفهم منذ الصبا .
جمع أشعاره فضل الله بن محب الله بن محمد المحبى ، والد صاحب خلاصة الأثر ، بأمر من شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين ، المعروف بحسام زاده .
توفى سنة ثمانين وألف ، عن ثلاث وسبعين سنة .
خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ا ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٩ ، ديوان الإسلام لوحة ٧٤ ا ، نفحة الريحانة لوحة ٢٠ ب .

(١) فى الوهبية والعثمانية من ، م : «الفضاض» ، والمثبت فى الأميرية من م ، ومن : ا ، ب ، ج .

وقد نَسجتْ كَفُّ النَّسيمِ مُفاضَةً عليه وما غيرُ الحُبابِ لها حَلَقْ[1]

وقد صحِبَنى بخِلِّق ، ونسيمُه سَجْسَج ، وخُيوط شَبيبتِه بيَدِ الكُهولة لم تُنْسَج ، ولازمنى إذ رأى انعطافى عليه ، وشِبْهُ الشَّىءِ مُنجذِبٌ إليه .

ومدَحنى بمدائِحَ أطال فيها وأطَاب ، وغَنِم الصُّحبة ولم يَرْض من الغنيمة بالإياب .

ومما كتَبه إلىَّ من شِعره ، وقد طلبتُ منه ما أودعه فى[2] الرِّحلة .

صورةُ ما مدحتُ به مطلعَ نجوم المعالى ، وفلك شُمُوس الموالِى ، المولى عبد الرحمن حين[3] ، قلِّد صارمَ الأحكام بدِمَشق الشَّام ، صِينَت عن حوادثِ الأيام[4] :

آلَى الزَّمانُ عليه أن يُواليكَا يُدْنِى عليْكَ ولا يأْتِى بشَانِيكَا[5]

إذا سطَا فبأحْكامٍ تُنفِّذُهـا وإن سخَا بفضلٍ من مساعِيكَا[6]

لِيَهْنِ ذَا العيدَ حَظٌّ مِنْكَ حينَ غدَتْ عُلاهُ ثم حُلاهُ من أيادِيكَا

هِلالُه نال فوقَ البدْرِ مَنزِلةً مُقبِّلاً وجهُه أعتابَ نادِيكَا[7]

مُجمَّلاً بأيادٍ منكَ فائِقةٍ مُعطَّراً بغَوالٍ من غَوالِيكَا

---

(١) فى العثمانية من ، م : « لها حلف » ، وفى ب : « لها درع » ، والمثبت فى سائرالأصول .

(٢) ساقط من : ا .

(٣) فى العثمانية والوهبية من م : « حسين » ، وهو خطأ صوابه فى سائر الأصول ، وهو عبد الرحمن ابن حسام الدين ،المعروف بحسام زاده الرومى ، مفتى الدولة العثمانية ،اشتغل بالتدريس والقضاء ، وألف له البديعى « ذكرى حبيب » ، و « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » ، وكان للأمير منجك خصوصية به. توفى بمصر ، سنة إحدى وثمانين وألف .
انظر خلاصة الأثر ٢/٣٥١ .

(٤) ديوان منجك ١٧ ، خلاصة الأثر ٢/٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « ولا يأتى بشانيكا » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « فإن سطا » .

(٧) فى الديوان : « مستقبلا وجهه » . والبيت ساقط من خلاصة الأثر .

وافَى يُهَنِّى بكَ الدنيا ونحنُ به ... يابَهْجةَ الدِّينِ والدنيا نُهَنِّيكا

مَن ذا يُضاهِيك فيما حُزْتَ من شَرَفٍ ... ومن يُدانيكَ فى حِلْمٍ ويحْكِيكا[(١)]

فالشمسُ مهْما ترقَّتْ فهْىَ قاصِرةٌ ... عن بعضِ أيْسرِ شىءٍ من مَراقِيكا

والبدرُ لَمْحةُ نُورٍ منكَ نُبْصِرُها ... والبحرُ قطرةُ ماءٍ من غَوادِيكا

وكلُّ طَوْدٍ تَسامَى فهْو مُحتقَرٌ ... إذا بدَتْ وَهْدةٌ من نحوِ وَادِيكا[(٢)]

وكلُّ مجْدٍ فمن عَلْياكَ مُكتسَبٌ ... وكلُّ فَخْرٍ نَراهُ فى حواشِيكا[(٣)]

وما حكَى السَّلفُ الماضِى وحدَّثنا ... من السَّجايا بهِ إحْدى التى فِيكا[(٤)]

تعنُو لِعفَّتِك الزُّهَّادُ مُذعِنَةً ... ويحسُد الفَلكُ الأعْلى مَغانيكا[(٥)]

يابنَ الحُسامِ الذى للدِّينِ نُصْرتُه ... أنتَ المُفدَّى وكلُّ الناسِ تفْدِيكا[(٦)]

أعيادُنا كلُّها يومٌ نَراكَ به ... وليلةُ القدْرِ وَقْتٌ من لَيالِيكا

ومما مدحتُ به أيضا المولى المذكور ، دام فى رَغَد[(٧)] عيْشٍ وسرور[(٨)] :

النَّاسُ كلُّهمُ شِراءُ عَطائِهِ ... والعِيدُ والنُّورُوزُ من آلَائِهِ[(٩)]

يخْتالُ ذَا بالحَلْىِ مِن عَلْيائِه ... شرَفاً وذَا بالوَشْىِ مِن نَعْمائِهِ

---

(١) فى الديوان ، وخلاصة الأثر : « فى حكم ويحكيكا ».

(٢) خلط المحبى بين هذا البيت وسابقه ، فرواهما على أنهما بيت واحد ، هكذا :

والبدرُ طَوْدٌ تَسامَى فهو محتقَرٌ ... إذا بدَيْتَ وهذِى من دَرارِيكا

(٣) فى الديوان ، وخلاصة : الأثر « نراه من حواشيكا » . (٤) فى الديوان :

وما حكى السلفُ الماضى وحدثنا ... به من الفضلِ بعضٌ مِن مَعالِيكا

(٥) فى الديوان : « معانيكا » .

(٦) فى الديوان ، وخلاصة الأثر : « فكل الناس تفديكا » .

(٧) فى ا ، ب ، ج : « رغيد » . (٨) ديوان منجك ١٦ ، خلاصة الأثر ٢/ ٣٥٥ .

(٩) فى م : « النيروز » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، والنوروز ، والنيروز بفتح النون وسكون الياء فى الثانى : أعظم أعياد الفرس وأجلها . انظر نهاية الأرب ١/ ١٨٥ .

قرَّتْ به عينُ الغزالةِ واغتدَتْ ... مكحولةً فى أُفْقِها بضيائِه (١)

ما أنبتَ الأدْواحَ بعـد ذُبولِها ... إلا سُقوطُ الطَّلِّ من أنْوائِه

سَلْسالُها ونسيمُهـــا من لُطْفِه ... وعَبِيرُها من بعضِ طِيبِ ثَنائِه

مولًى أقلُّ هِباتِه الدنيا فقُلْ ... ماشئتَ فى معروفِه وسَخائِه

عَدْلٌ له مازال يُورِقُ عُودُه ... حتى استظَلَّ الأمْنُ فى أفْيائِه

غيثٌ أغاثَ به المُهيْمِنُ خَلْقَهُ ... مُتفضِّلاً وقضَى لهم بقَضائِه (٢)

نَجْلُ الذى الإفْضالُ من ألْقابِهِ ... وحُسامُ دينِ اللهِ من أسْمائِه

السَّعدُ من خُـدَّامِه والعِزُّ من ... أتْباعِه والمجـدُ من نُدَمائِه

تسْعَى المواسمُ كُلُّهـا لِرِحابِه ... إذ لا بَهاءَ لها بغيْرِ بَهائِه (٣)

ومما مدحتُ به إمام الأئمة، مُوضِح المشكلات المُدلَهِمَّة، يوسف ابن أبي الفتح (٤) إمام حضرة السلطان، دام منصوراً مُظفَّراً فى كل آنٍ ومكان (٥) :

قمرٌ إذا فكَّرتُ فيـــــه تعتَّبَا ... وإذا رآنى فى المنـــــام تحجَّبَا

صادفْتُه فتناولَتْ لحظـــــاتُه ... عقـــلى وأعْرضَ نافراً مُتحجِّبَا

مُتورِّد الوجَناتِ خَشْيــــةَ ناظرٍ ... أضْحى برَيْحانِ العِـــذارِ مُنقَّبَا

ساومْتُه وَصْــــلاً فأعْجَم لفظُه ... وأظنُّه عن ضِدِّ ذلك أعْرَبَا

أنا مِنْه راضٍ بالصُّدودِ لأنَّنِى ... أجِد الهوانَ لدى الهوَى مُستعذَبَا

---

(١) فى الديوان : « فاغتدت مكحولة » . (٢) فى الديوان : « وقضى له » .

(٣) فى ا : « كلها لرجائه » ، وفى الديوان : « لركابه » ، والمثبت فى سائر الأصول ، وخلاصة الأثر.

(٤) يوسف بن أبى الفتح بن منصور السقيفى الدمشقى الحنفى ، ولد بدمشق ، ونشأ بها ، وأخـذ عن علماء عصره كالحسن البورينى ، وكان ذكيا ، حسن الطبع ، لطيف الشعر ، ترقت به الأحوال حتى أصبح إمام السلطان ، وكان صاحب قدرة على المناظرة ، وله تآليف.

توفى سنة ست وخمسين وألف ، بمدينة قسطنطينية .

خلاصة الأثر ٤/٤٩٣ .

(٥) ديوان منجك ٣٠ .

شيئان حـــدِّثْ باللَّطافةِ عنهما عَتْبُ الحبيب وعَهْدُ أيّامِ الصِّبَا

وثلاثةٌ حـــدِّثْ بطِيب ثنائِها زَهرُ الرياض وخلْقُ يُوسفَ والصَّبَا

علاَّمةُ الآفاقِ من أشْعارُه لعلومِه أضْحَتْ طِرازاً مُذهبا

مَن لو رآه البحرُ يوماً مُغضَباً لرأيتَه من خَشْيـــةٍ مُتلهِّبا [1]

مَن لو أصابَ البرَّ أيسرُ قطْرةٍ من راحتَيْه لعاد رَوْضاً مُخْصِبا [2]

مَن لو نظَمْتُ الشُّهبَ فيه مدائحاً لظَنَنْتُ فِكرِى قد أساءَ وأذْنبا

ما نسْمَةٌ سَحَرِيَّةٌ شِحْرِيَّةٌ باتَتْ تُعَلُّ من الغَمامِ الأعْذبا [3]

نَشْوانةٌ وافَتْ تجرِّرُ فى الرُّبَى ذيْلاً بمِسْكِىِّ الرياضِ مُطيَّبا

يوماً بأحْسنَ من صِفاتِ جَنابِه أنَّى تَداوَلهـــا اللسانُ وأطْيَبا [4]

مَن ذا يُقاسُ بماجدٍ جُعِلتْ له أرْضاً رِقابُ الحاسدين وقدْ أبَى

ومما مدحتُ به المُبرِّزَ [5] فى العلوم ، المالكَ أزِمَّةَ المنْطوق والمفْهوم ، والبارعَ فى المنْثور والمنظوم ، المرحوم عبد الرحمن العِمادِىّ ، مُفتِىَ دِمَشْق الشَّام [6] :

بانَ الخليطُ ضُحًى عن الجَرْعاءِ فمَن المُقيمُ لِشِـــدَّةٍ وعَناءِ [7]

اللهُ يعلمُ أن صُبْحِى فى الهوَى سِيَّان بعد رَحيلِهم ومَسائِى [8]

تُطْوَى علىَّ النائبـــاتُ كأنَّنى سِرُّ الهوَى وكأنهـــا أحْشائى

وأشدُّ مايشْكو الفؤادُ مُمنَّعٌ فى لحْظِه دائى ومنـهُ دَوائى

---

(١) سقط هذا البيت من الديوان .

(٢) فى الديوان : « عاد روضا » .

(٣) فى م : « سحرية شجرية » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ،والديوان . والشحر : صقع على ساحل بحر الهند ، من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان ، وإليه ينسب العنبر الشحرى . معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

(٤) فى م : « من صفات كماله » ، وفى ا : « جنانه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٥) فى ا ، ب ، ج : «المتبرز» .

(٦) ديوان منجك ٣٢ .

(٧) فى الديوان : « من الجرعاء » ، والخليط :القوم الذين أمرهم واحد .اللسان (خ ل ط) ٧/٢٩٣ .

(٨) فى الديوان : « أن صبحى فى الحمى » .

رَيْحانةُ الحسنِ التى لعِبتْ بهــا ... رِيحُ الصَّبا لا رَاحةُ الصَّهْباءِ (١)

تجْرى مِياهُ الحسنِ فى أعْطافِه ... جَرْىَ الصَّبابةِ منه فى أعْضائى (٢)

قمرٌ إذا حسَرَ القِنــاعَ مُخاطِباً ... شخَصتْ إليــه أعْيُنُ الأهْواءِ

ملَكتْ وِلايةَ كلِّ قلبٍ مُولَعٍ ... لَحَظاتُه من عالمِ الإنشــاءِ

إن يُخفِه ليــلُ النَّوى فجبينُه ... صُبْحٌ يَنِمُّ عليــه بالأضْواءِ

كم بِتُّ مَطْوِىَّ الضُّلوعِ على جَوًى ... أغْضِى الجُفونَ به على الأقْذاءِ (٣)

فإلى مَ فيــه تهتُّكِى وتنسُّكِى ... وعلى مَ فيــه تبسُّمِى وبُكائى

عَلَّ الزَّمانَ يُفيدُنى حمْلَ المُنَى ... حيثُ الْتجأْتُ لأوْحدِ العُلماءِ (٤)

نجْلُ العِمادِ ومَن بنَتْ عزماتُه ... بيْتاً دعائمُه على العَلْيــاءِ

مجدٌ سماَ بجَنابِه حتى لقد ... بلغَ السَّماءَ وفاتَهــا بسَماءِ (٥)

تنْدَى أنامِلُه ويُشرِقُ وجهُــه ... فيجودُ بالْآلاءِ واللَّأْلاءِ (٦)

يقِظٌ بأعْقابِ الأُمورِ كأنَّما ... جُلِيتْ عليه حقائقُ الأشْياءِ

سُبْحانَ من جمَع الفَراسةَ والهُدَى ... لِجَنابه السَّامِى على النُّظَراءِ

ومَهابةٌ ساد الوُلاةَ وَلاؤُها ... محْفُوفةٌ بجَلالةٍ وبَهاءِ (٧)

وشمائلٌ رقَّتْ كما خطَرتْ على ... زَهْرِ الرَّبيعِ بَواكِرُ الأنْداءِ (٨)

---

(١) فى ا : « التى نعمت بها » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « تجرى مياه الدل » ، والمثبت فى : م ، والديوان .

(٣) فى الديوان : « أغضى الجفون بها على البرحاء » .

(٤) فى ب ، ج : « يفيد فى حمل المنى » ، وفى الديوان : « يفيدنى نيل المنى » .

(٥) يأتى هذا البيت فى الديوان بعد قوله : « ومهابة ساد الولاة ولاؤها » الآتى . وفى م : « مجد سما بجناحه . . . وفاتها بسماء » : والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، والديوان .

(٦) فى الديوان : « فيجود باللألاء والآلاء » ، تقديم وتأخير .

(٧) فى الديوان : « ومهابة شاد الولاة » .

(٨) فى م : « وشمائلارقت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، والديوان .

مولاىَ بل مَوْلَى البريَّةِ فى صَفَا ‍ صِدْقِ الطَّوِيَّةِ من بَنى حَوَّاءِ
أنت الذى مازِلْتَ تِرْبَ وِلايةٍ ‍ وأبو الورَى فى طِينِه والمـاءِ
تَتْلو على سَمْعِ المحامدِ والثَّنَا ‍ آياتِ مدْحِك ألسُنُ النَّعْماءِ
للهِ أمٌّ ما غُذِيتَ بثَدْيِها ‍ إلا لِبانَ العِزَّةِ القَعْساءِ (١)
أطْلَعتَ شمسَ الفخْرِ فى فَلَكِ العُلا ‍ وحفَفْتَها بِـكَواكِبِ الأبْناءِ (٢)
المالِئُونَ قلوبَ أهلِ زمانِهم ‍ حُبًّا وأكْنافُ الرَّجا بغَناءِ
والضَّاربونَ خيامَ سُؤْدِدِهم على ‍ هَامِ السِّماكِ ومَفْرِقِ الجوْزاءِ (٣)
يامَوْرِداً حامَتْ عليه غُلَّتى ‍ مُذ جِئْتُه مُستسقِياً ورَجائى (٤)
وافَتْكَ من صَوْغِ القريضِ فَرائدٌ ‍ نُظِمَتْ بأيْدِى الفهْمِ والآراءِ (٥)
لا بل سَقَيتَ رياضَ فِـكرٍ ماحِلٍ ‍ مِنِّى بفضْلِك صَيِّبَ الآلاءِ (٦)
فهصَرْتُ غُصْنَ معارفٍ ومآثرٍ ‍ وجَنَيْتُ نَوْرَ محامدٍ وثَناءِ
هيْهاتَ ما شِعْرُ الأنامِ مُقارِناً ‍ شِعْراً تشرَّفَ منك بالإصْغاءِ

ومما مدحتُ به أيضا المرحوم (٧) عبد الرحمن العِمَادِىّ المذكور (٨) :

يابنَ الأماجِدِ أنتَ مِنْ ‍ أىِّ الأفاضلِ وابنُ مَنْ
كَذَبَ الذى حسِب الزَّما ‍ نَ أتى بمِثْلِـكُمُ وظَنّ (٩)

---

(١) فى ب : « لله أم قد غذيت . . . وأب لبان العزة » ، وعزة قعساء : ثابتة .
(٢) فى ا : « أطلعت شمس الفجر » . وفى ب : « أطلعن فخر الشمس . . . وحففننا بـكواكب الأبناء » ، وفى الديوان : « محفوفة بكواكب الأبناء » .
(٣) السماك : أحد كوكبين نيرين . يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل .
(٤) فى الديوان : « إذ جئته مستسقيا » .
(٥) فى ا : « من صوغ القريض فرائدا » ، وفى ب : « قلائدا » .
(٦) فى الديوان : « لابل سقيت لروض فـكرى ماحل » .
(٧) فى ا ، ب : « المذكور » .
(٨) ساقط من : ا ، ب ، والقصيدة فى ديوان منجك ٣١
(٩) فى ا : « يأتى بمثلـكم » .

أَيُقاسَ ماغرس العُلاَ ... يوماً بخَضْراءِ الدِّمَنْ (١)
والآلُ بالغيْثِ المُغِيـ ... ـثِ إذا تَوالى أوْ هَتَنْ (٢)
العِلمُ سِرُّ اللهِ لَيْـ ... ـسَ عليه غيرُكَ يُؤتمَنْ
والمجدُ سار إلى جَنا ... بِكَ مِن أبيكَ على سَنَنْ
وبك المناصبُ فخرُها ... دون الورَى من قبْـلِ أنْ
فإليْكَ منِّى روْضةً ... بالشُّـكرِ يانِعةَ الفَنَنْ
لِمَ لا يطِيرُ بِيَ الرَّجا ... ءُ إلى حِماكَ مدَى الزَّمَنْ
وبذَرْتَ لى حَبَّ المُنَى ... ونصَبْتَ لى شَرَكَ المِنَنْ (٣)
وملَـكْتَ رِقَّ مدائِحِى ... بالخَلْقِ والخُلُقِ الحسَنْ

ومما مدحت به (٤) شيخَ الإسلام علَمَ العلماء الأعلام (٤) العلاَّمة قُدوة (٥) المحقِّقين، وعمدة (٥) الفقهاء والمحدِّثين المرحوم الشيخ أحمد المَقَّرِىّ المغربىّ (٦)، سقى اللهُ ثَراه سحائبَ الغُفْران (٧):

فخراً دِمَشْقُ على كلِّ البلادِ بمَن ... أوْلَى البريَّةَ معروفاً وعِرفانَا
المَقَّرِىُّ الذى فى بعض أيْسرِ ما ... حوَى من الفضلِ كلٌّ راحَ حَيْرانَا

---

(١) فى ا: «من غرس العلا». (٢) الآل: السراب، وهتن الغيث: توالى قطره وانصب.
(٣) فى ا، ب: «شكر المنن». (٤) زيادة من: ا.
(٥) بين هاتين الصفتين فى ا، ب، ج تقديم وتأخير.
(٦) أحمد بن محمد بن أحمد المقرى التلمسانى المالكى، نزل فاس، ثم القاهرة، وحج، وزار بيت المقدس، ونزل دمشق، واستقر بمصر آخرا. كان حافظا للحديث، آية فى الأدب، وله المؤلفات الكثيرة، أشهرها: نفح الطيب.
توفى سنة إحدى وأربعين وألف، بمصر، ودفن بمقبرة المجاورين.
والمقرى، بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة، وقيل: بفتح الميم وسكون القاف، لغتان، أشهرهما الأولى؛ نسبة إلى قرية من قرى تلمسان.
خلاصة الأثر ١/٣٠٢ – ٣١١.
(٧) ديوان منجك ٣٦.

شمسٌ من الغرْبِ قد كانتْ مشارقُها ... بل دونَها الشمسُ يوم الفخرِ بُرهانَا

أغَرُّ ما أحْدَقَتْ أيدِى الفِطام به ... إلا وأضْحَى بماء المجْدِ رَيَّانَا (١)

تـكاد تقْرأُ فى لَألَاءِ غُرَّتِه ... من سُورةِ العِزَّةِ القَعْساءِ عُنوانَا

له من الفـكرِ ماتحْنُو لأيْسرِه ... ثواقِبُ الزُّهْرِ إرْشاداً وإذْعانَا (٢)

وسِيرةٌ عن أبى حفْصٍ تلقَّنَها ... إلى وَقارٍ يُضاهِى هَدْى سَلْمانَا (٣)

مُصاحِبٌ حُسْنَ فعـلِ الخـيرِ يعشَقُه ... مُراقِبٌ ربَّه سِرًّا وإعْـلانَا

يقْضِـى النهـارَ بآراءٍ مُسـدَّدةٍ ... ويقطـعُ الليـلَ تسْبيحاً وقُرآنَا (٤)

لأىِّ وِرْدٍ نُوَلِّى اليـوم وِجْهتَنـا ... وقد غـدا بحرُه الطَّامِىُ مُرْجـانَا

لئِنْ مُنِحْنا بلَحْـظٍ من مواهبِه ... نِلْنـا الثُّرَيَّا وكان الخـيرُ عُقْبـانَا

شَفَى بدرْسِ « الشِّفا » مرضَى دِرايتِنا ... لَمَّـا أفاد مع « الإيضاح » إتْـقانَا

هيْهاتَ هيهاتَ مَن فى القوم يُشْبِهُهُ ... هل السَّرابُ يُضاهِى الغيْثَ هتَّانَا (٥)

إذا مَشَى فعـلَى الأعْناقِ مِشْيَتُه ... وإن رأيْتَ رجـالَ الحىِّ رُكْبانَا

يا سيِّـدَ العلمـاءِ العـاملين ومَن ... هـو الإمـام المُفـدَّى حيـثما كانَا

أبْرأْتَ ذِمَّـةَ دهرٍ جـاء يَمْنحُـنِى ... بعـد الإسـاءةِ من لُقْيـاكَ إحسـانَا

دهرٌ يُقتِّـلُ آمـالى وأوسِعُـه ... إذ أنت مِن أهلِه حَمْداً وشُـكْرانَا (٦)

فطأْ كما شِئْتَ لا تنفكُّ مُنتصِراً ... بأَخْمَصَيْـكَ من الأعـداء تِيجـانَا

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « أغر ماحدقت » ، وهما بمعنى . وفى الديوان : « أيدى العظام به . . . بماء الفضل . . . » .

(٢) فى ا ، ب : « ما تحبو لأيسره » ، وفى ج : « ماتجثو لأيسره» ، والمثبت فى : م ، والديوان ، وفيه : « له من الرأى » .

(٣) فى الديوان : « وسيرة من أبى حفص تلقفها » .

(٤) فى الديوان : « يقضى النهار بدرس غير مندرس »

(٥) فى الديوان : « يبارى الغيث » .

(٦) فى م : « من آله مدحا وشكرانا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، والديوان .

واهْنأْ فأَنت الذى أوْلاهُ خالقهُ ... من الملائِكِ أنصاراً وأعوانَا[1]

واسمَعْ لهـا من قوافٍ لا يُماثِلُهـا ... قولٌ من الشِّعر إلا قولُ حسّانا[2]

واستَجْلِها نُزَهًا لو أنَّها رُزِقتْ ... حظًّا لـكانت لعـيْنِ الدهرِ إنسانَا

قال : ومما أجبْتُ به عن لُغز فى يَرَاع ، أرسله إلىّ الفاضل الذى طابت[3] بذكرِ مآثره[3] الأسماع محمد الـكَريمى[4] ، [5] وفى ضِمنْهِ لُغز فى مُهَنَّد[5] :

فِدًى لك رُوحِى مِن رَشاً مُتبَرِّمِ ... ومن مُنْجِدٍ بالمُستَهام ومُتْهِمِ

ومِن عاتِبٍ إلَّا على غـير مُذْنِبٍ ... ومِن ظـالمٍ إلَّا على غـير مُجْرِمِ

سقتْنِى العيونُ النُّجْلُ منك سُلافةً ... جرَتْ قبلَ خلقِى فى عروقى وأعظُمِى

وأسْلَمـنى فيـك الغـرامُ إلى الرَّدَى ... فإن كنتَ مَن يرْضَى بذلك فاسْـلَمِ

بعُدتَ ولى فى كلِّ عُضْـوٍ حُشاشـةٌ ... تذُوبُ وطَرْفٌ هامِـعُ الجَفْنِ بالدَّمِ

ولستُ مَـلوماً أن مَن أيقـظَ النَّوى ... حُظـوظِى التى لم تجْنِ غـيرَ تَندُّمِ

جلَبْتُ إلى نفسِى المنيَّةَ عندمـــا ... رَمَيتُ فـلم تُخْطِئْ فـؤادِىَ أسْهُمِى

أبَى اللهُ أن أبْـكِى لغـير صَبـابةٍ ... وأرْتاعَ إلا مِن حبيبٍ بمُؤْلِمِ

---

(١) فى الديوان : « ولاه خالقه » .

(٢) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير ، فى الديوان .

(٣) فى ا : « بذكره مآثر » ، وفى ب : « بذكرى أمده » .

(٤) محمد بن يوسف بن يوسف الـكريمى ، ولد سنة ثمان بعد الألف ، وقرأ على علماء عصره ، وأتقن اللغتين الفارسية والتركية ، وكان ينظم الشعر فى اللغات الثلاث ، وأتقن الموسيقى ، واشتغل بالتدريس والقضاء، وكانت له رحلة إلى بلاد الروم ، وحببت إليه العزلة زمنا.

توفى سنة ثمان وستين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٢٧٣ .

(٥) فى ا : « وفى ضمنه لغزه فى مهند » ، وفى ب : « وضمنته لغزا فى سيف » ، وفى ج : « وفى ضمنه لغز فى سيف » ، والقصيدة فى ديوان منجك ٤٢ .

سَجِيَّةُ نفسٍ لا تزالُ مَليحةً ... من الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بها كلُّ مُجْرِمِ (١)

أُجَمِّعُ شُرَّدَ المعالى وإنَّنى ... أبيتُ بفكرٍ فى الهوى مُتَقَسِّمِ

وأنْدُب أوقاتاً ألذَّ من المُنَى ... تقَضَّيْنَ لى بين الحَطِيمِ وزَمزمِ

تطارحُنى فيهنَّ ذاتُ تَبَسُّمٍ ... حديثَ هوًى أحلَى من الشُّهْدِ فى الْفَمِ

مَوشَّحةُ الأعطافِ حاليةُ الطَّلاَ ... تُقلَّدُ عِقْداً من دُموعى ومن دَمِى (٢)

أبَتْ أن تُرَى إلا لِطَرْفِ تفكُّرٍ ... ويَلْثِمها إلا شِفاهُ تَوهُّمِ (٣)

أَبِيتُ سَلِيمَ القلبِ منها كأنَّنى ... أراقبُ صَفْوَ العيشِ من فَمِ أرْقَمِ

وما أنا مَن يَسْلُو هواها ويَنْثَنى ... إلى أحدٍ غيرِ الكريمِ المُعَظَّمِ (٤)

محمدٍ السَّامِي الجنابِ ومَن غدَا ... له كَرَمُ الأَخْلاقِ دون التَّكَرُّمِ

هُمامٌ لقد أضْحَتْ مآثِرُ فضلِهِ ... على جَبْهةِ الدنيا كغُرَّةِ أدْهَمِ

ومَوْلًى إذا ضَنَّ السَّحابُ بِوَبْلِهِ ... علينْا سَقانا مُسْجِماً بعد مُسْجِمِ

له سُؤْدُدٌ حَلَّ السِّماكَيْنِ رِفْعةً ... وذلك إرْثٌ فيه من عَهْدِ آدَمِ

وكَفٌّ تحلَّتْ بالسَّماحِ بَنانُها ... بغيرِ نُضارِ الفضلِ لم تَتَخَتَّمِ (٥)

فما روضةٌ غَنَّاءُ باكيةُ الحَيَا ... تبَسَّمُ عن ثَغْرَىْ أَقاحٍ وعَنْدَمِ

تَمُدُّ بها ريحُ الصَّبا خَطَواتِها ... وتَرْفُلُ فى ثوبٍ من النَّورِ مُعْلَمِ

بأبْهجَ وجْهاً منه عند هِباتِه ... إذا يمَّمتْ يُمْناهُ آمالُ مُعْدِمِ

فيا ماجداً كلُّ المفاخرِ أصبحتْ ... إلى مجدِهِ الوَضَّاحِ تُعْزَى وتَنْتَمِى

---

(١) فى الديوان : « لاتزال ملحة » .

(٢) الطلى : جمع الطلاة ، وهى العنق .

(٣) فى ب ، م : « إلا بطرف تفكر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(٤) فى ا : « الكريمى » ، وهى نسبة الممدوح .

(٥) فى ا : « وكف تجلت » ، وفى ب : « وكف تحلت بالسماك » ، وفى ج : « وكيف تحلت بالسماح » .

أَتَتْ تتهادَى منكَ فى مِرْطِ دَلِّها ... خَرِيدةُ أفْكارٍ وطَبْعٍ مُسَلَّمِ

وما اصْطَحبَتْ إلا البلاغةَ مَحْرَماً ... وهل غيرُها للبِكْرِ يُلْفَى بمَحْرَمِ (١)

لها صوتُ داودٍ وصورةُ يُوسُفٍ ... وحِكمةُ لُقمانٍ وعِفّةُ مَرْيَمِ

تُسائِلُنا عمَّا براه إلهُنا ... لتَسْطِيرِ آجالٍ ورزقٍ مُقَسَّمِ

جَرى قَبلَ خلْقِ الخلْقِ فى اللَّوْحِ بالذى ... يكونُ وما قد كان مِن قبلُ فاعْلَمِ

يَراعٌ يُراعُ الخَطْبُ منه وإنَّه ... ليُثْمِرُ من جَدْوَى يَدَيْكَ بأنْعُمِ

أرانِى طريقَ الفضْلِ حتى سلَكْتُه ... وأوْضحَ لى مِن لُغْزِهِ كلَّ مُبْهَمِ

فما اسمٌ رُباعِىٌّ إذا بانَ صَدْرُه ... غدَوْتَ به ذَا لَوْعَةٍ وتَرَنُّمِ

وما هِى إلا بَلْدةٌ فى رُبوعِها ... يطيب مُقامُ المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ (٢)

وإن مَحَت الأفْكارُ من ذَاك ثالثاً ... بكَيْتَ الصِّبا فيه وعَهْدَ التَّنَعُّمِ

ويُذْكِرُنى أخْلاقَكَ الغُرَّ شِطْرُهُ ... وتحْرِيفُه ضِدٌّ لكم لم يُكَرَّمِ

ويُبْدِى لنا من قَلْبِه الشمسَ فى الضُّحَى ... ويطلُعُ فيها أنجُماً بعد أنْجُمِ

وثانِيه مَحْمودٌ لدى كلِّ عاشِقٍ ... ومَن ذا يَراهُ مِن وُشاةٍ ولُوَّمِ

ويُسْلِمُنى يومَ التَّرَحُّلِ قلبُه ... ولٰكنَّه مِن غيرِ كفٍّ ومِعْصَمِ

ويُوصِلُ ما بين الملوكِ وقَصْدِها ... وإن هَمَّ فى أمرٍ على الفوْرِ يفْصِمِ

حَليفُ نُحُولٍ لم يذُقْ قَطُّ جَفْنُهُ ... مَناماً ولم يطْمَعْ بطَيْفٍ مُسَلِّمِ

فَعولٌ ولٰكن ليس يُدْعَى بفاعلٍ ... قَؤولٌ ولٰكن ليس بالمُتَكلِّمِ

على أنه قد بان بعدَ خفائِه ... وأصبحَ مشهوراً لَدَى كلِّ ضَيْغَمِ

---

(١) فى ا : « وما أصبحت » ، وفى ب ، ج : « وما اصطبحت » ، وفى الديوان : « ولا اصطبحت » ، والمثبت فى : م .

(٢) فى م : « يهيم فؤاد المستهام المتيم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، والديوان .

فأنْزِلْهُ من ناديكَ أشْرفَ منزلٍ ... وألْبِسْهُ حَلْياً من قريضٍ مُنظَّمِ
ولولا معانيكَ العِذابُ وصَوْغُها ... لكان عسيراً بالمديحِ تكلُّمِي
وقابِلْ جوابى بالقَبُولِ تفضُّلاً ... وسامِحْ فإن الفضْلَ للمُتَقَدِّمِ

قال : وقلتُ متغزِّلاً (١) :

وافَى الربيعُ فما عليك بعارِ ... خَلْعُ العِذارِ ولا ارْتِشافُ عُقارِ
صَهباءَ ليس يجوزُ عندى مَزْجُها ... إلا بِريقَةِ شادنٍ مِعْطارِ (٢)
تدعُ الدُّجى صُبْحاً إذا هىَ أُبْرِزتْ ... فكأنما اعْتُصِرتْ من الأَنْوارِ (٣)
قُمْ هاتِها حيثُ الهَزارُ قد اغْتَدَى ... فى الأيْكِ مُنعكِفاً على التَّهْدارِ (٤)
طَيرٌ أعاد الغصنَ جُنْكاً رُكِّبَتْ ... أوْتارُه مِن فِضَّةِ الأمْطارِ (٥)
وتبثُّه رِيحُ الصَّبا ويَبُثُّها ... ذِكْرَ الهوى مِن سالفِ الأعْصارِ
فانْهَضْ لتغْتَنِمِ الشَّبيبةَ قبل أن ... يَرْمِى المشيبُ الصَّفْوَ بالأكْدارِ (٦)
واشرَبْ على وَرْدِ الرُّبَى إن لم تجِدْ ... وَرْدَ الخدودِ لقِلَّةِ الدِّينارِ
وانْصِبْ بفكرِكَ فى الهوى شَرَكَ المُنَى ... لوقُوعِ ظِلٍّ أو خَيالٍ سَارِى (٧)
هذا ولسْتُ أرَى إذا فُقِدَ الذى ... أهْوَى جِنانَ الخلدِ غيرَ النَّارِ
هيْهاتَ ما النَّاىُ الرَّخيمُ ونَشْوةُ الـ ... خمرِ القديمِ ونَغْمَةُ الأوْتارِ
وحَنِينُ هينَمَةِ الرياضِ عشيَّةً ... وتراسُلُ الأطْيارِ فى الأسْحارِ (٨)

---

(١) ديوان منجك ٨٠ .

(٢) فى م : « شهباء ليس يجوز عندى مزجها » ، والمثبت فى سائر الأصول ، والديوان . والمعطار : الكثير التعطر .

(٣) فى ا : « إذا هى أسفرت » ، وفى الديوان : « فكأنها اعتصرت » .

(٤) الهزار : طائر حسن التغريد .

(٥) الجنك : من آلات الطرب . وفى ب : « من فضة أوتار » .

(٦) فى ا ، ب ، ج ، والديوان : « وانهض » ، وفى ا ، والديوان : « لنغتنم الشبيبة » .

(٧) فى ا : « وانصب بفكر » .

(٨) فى الديوان : « وترسل الأطيار » .

عِنْدى بأحْسَنَ من مُساجَلةِ الأَحِبَّـ ـةِ بالصَّبابةِ فى سَنا الأقْمارِ
من كلِّ معبودِ الجمالِ مُحكَّمٍ فيما يَشاَ مُسْتَعْبِدِ الأحْرارِ

قال : وقلتُ متذكراً لمغانى الأُنس التى أُمْحِتَتْ آثارُها ، ولم يَبْقَ للأمانى ماتشبَّثُ به إلا أخبارُها(١) :

قَصْرَ الأمير بوادى النَّيْرَبَيْن سَقَى رُباكَ عنِّى مِن الوَسْمِىِّ مِدْرارُ(٢)
كم مرَّ لى فيك أيَّام هَواجرُها أصائلٌ ولَيالِيهنَّ أسْحارُ(٣)
حيثُ الشَّبيبةُ بِكْرٌ فى غضارَتِها وللصَّبابةِ أخلافٌ وأنْصارُ
حيثُ الرِّياضُ تُغنِّينى حمائمُها بالدُّفِّ والجُنْكِ والسَّنْطُورُ لى جارُ(٤)
حيثُ الخمائلُ أفلاكٌ بها طلَعتْ زَهْرٌ من الزُّهْرِ والنُّدمانُ أقْمارُ
حيثُ المُدامةُ رقَّتْ فى زُجاجتِها يُديرُها فاترُ الأجْفانِ سَحَّارُ
عِطْرِيَّةٌ نفضَتْ فيها عوارِضُه فَتيقَ مِسْكٍ له الأرْواحُ سُفَّارُ(٥)
ياقُوتةٌ أُفْرِغَتْ فى قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ فَلاحَ للشُّرْبِ منها النُّورُ والنَّارُ
شمسٌ تعاطَيْتُها من راحتَىْ قمرٍ له من الحسن ما يَرْضَى ويَخْتارُ
يسْعَى إلىَّ بها تحت الدُّجَى حَذِراً من الوُشاةِ لأنَّ الليلَ سَتَّارُ
مُتَوَّجُ الرَّاحِ بالإبْرِيقِ ذا قُرُطٍ مثل الهلالِ له الجَوْزاءُ زُنَّارُ(٦)

(١) ديوان منجك ٧٩ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٦ .
(٢) فى م : « بوادى النيربن » ، والصواب فى : ا ، ب ، ج ، والديوان ، وخلاصة الأثر ، وانظر فى التعريف بوادى النيربين الحاشية الثانية فى صفحة ٧٠ .
(٣) فى الديوان : « كم منزل فيك أيام . . . » . والوسمى : أول مطر الربيع .
(٤) فى أصول الريحانة ، والديوان : « والميطور » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . والسنطور : آلة طرب كالقانون ، أوتارها من نحاس .
(٥) فى خلاصة الأثر : « فتيت مسك » . والسفار : جمع المسافر .
(٦) فى الديوان ، وخلاصة الأثر « ذو قرط » على أنه فاعل « يسعى » ، ورواية الريحانة بالنصب على الحالية .

يسقى وأسقيه من ثغر ومن قدح إلى الصباح فمرباح ومخسار[1]
يضمنا بأعالى القصر ثوب هوى زُرّت عليه من الأشواق أزرار[2]
أمتع الطرف منى فى محاسنه وليس عندى من العذال أشعار
حتى تيقظ دهرى بعد ما غفلت عنى حوادثه والدهر غدار

قال : وقلت[3] :

سقى الله يوم القصر إذ كان بيننا حديث كمرفض الجمان المنضد
بروض يجول الماء تحت ظلاله كأيم مروع أو حسام مجرد[4]
يلوح به قانى الشقيق وقد حكى لواحظ مخمور كحلن بإثمد
ويهمى به قطر الندى فتخاله مبدد عقد فى فراش زمرد
وريحانه الغض الشهى كأنه مبادى عذار فوق خد مورد[5]
سقانى به راح الرضاب مهفهف فرحت به لا أفرق اليوم من غد
وبت أظن الجلنار بدوحه نجوم عقيق فى سماء زبرجد
إلى أن بدت شمس النهار كأنها مجن كمى قد تحلى بعسجد

قال : وقلت متغزلا[6] :

قم للمدامة يا نديم فإنها شرك المنى وحبالة الأفراح
حمراء صافية المزاج كأنها ورد الخدود أذيب فى الأقداح
شمس إذا بزغت لعينك فى الدجى أغنتك عن صبح وعن مصباح

---

(١) فى ا : « فرياح ومحتار » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ثوب هدى » .

(٣) ديوان منجك ٨٩ ، والبيت الأول ساقط منه . والقطعة كلها ساقطة من : ب ، ج .

(٤) فى الديوان : « وروض يجول » ، والأيم : الحية .

(٥) فى الديوان : « مبادى عذار لاح فى خد أغيد » .

(٦) ديوان منجك ٨١ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٥ .

مِسْكِيَّةٌ أنّى فَضَضْتَ خِتامَها   عَبِق النَّدَىُّ بنَشْرِها الفَضَّاحِ[1]
تفترُّ عن حَبَب ثغورُ كُؤوسِها   كسقيط طَلٍّ فى ثغورِ أَقاحِ
يسقيكَها رَشأٌ إذا غَنَّى بها   رقَصتْ لذاك معاطِفُ الأرْواحِ

قال : وقلتُ أيضا متغزلا[2] :

أَلَدَيْهِ نَهْبُ النفوسِ مُباحُ   رَشَأٌ سافِكُ الدِّمَا سَفَّاحُ
أَىُّ أُسْدٍ تجُولُ حولَ حِماهُ   وكِناسٍ له الظُّبَا والرِّماحُ[3]
ابنُ عشرٍ وأربعٍ لو تبدَّى   فى دُجَى الليلِ قلتُ لاحَ الصَّباحُ
ما ربيعُ العيونِ غيرَ مُحيَّا   هُ إليه أرواحُنا ترْتاحُ
لىَ من وَجنتَيْهِ وَرْدٌ جَنِيٌّ   ومُدامٌ من ثَغْرِه وأَقاحُ[4]
تتدانَى له القلوبُ وإن شَطَّ   مَزارٌ وأَبْعدتْ أشْباحُ
إنَّ كُتْبِي إليه صُحْفُ الأمانى   وبها الرُّسْلُ بيننا الأرْواحُ

قال : وقلت فى الشَّيْب[5] :

لا تَلُمْنى على اجْتنابىَ للْكأْ   سِ رُوَيْداً فما عَلَىَّ مَلامُ
ما ترى الشَّيْبَ فِضَّةً فى عِذارِى   سبَكَتْهُ بنارِها الأيَّامُ[6]

قال : وقلتُ فى غرض اقْتَضى ذلك[7] :

أســاءَ كِبارُنا فى الدهرِ حتَّى   جرَى هذا العقابُ على الصِّغارِ

---

(١) فى الديوان : « عبق الشذاء بنشرها الفضاح » ، وفى خلاصة الأثر : « عبق الندى من نشرها الفضاح » .

(٢) ديوان منجك ٩٠ .

(٣) فى ب ، والديوان : « أى أسد تحوم حول حماه » .

(٤) ضم حاء « أقاح » لضرورة القافية .

(٥) ديوان منجك ١٢٧ .

(٦) فى ج ، م : « سبكتها » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والديوان .

(٧) ديوان منجك ١٣٦ .

لقد شربَ الأوائلُ كأْسَ خمرٍ غدَتْ منه الأواخِرُ فى خُمارِ[١]

قال : وقلتُ متغزلا[٢] :

ألقى فؤادِى فى أوَارِى قمرٌ سُرَاه مِن اسكدارِ[٣]

يمضِى الدُّجَى ونواظِرِى فى حُبِّه ترْعَى الدَّرارِى[٤]

وأوَدُّ لو عاقَتْ بذيْ لِ الوعْدِ منه يَدُ انتْظارِى

يجْنِى فأبْدِى العذرَ عنْ ه وليس يرْضى باعْتِذارِى

أترَاهُ يدْرِى بالذى قاسَيْتُه أم غـيرَ دارِ

أشكو الظَّمَا أبداً وما ء الحسنِ فى خَدَّيْهِ جارِ

أغْدُو به حَيْرانَ لا أدْرِى يمِينى من يَسارِى

رِيمٌ أبَتْ أخلاقُه إلا التَّخَلُّقَ بالنِّفارِ

فعشِقْتُه وعليهِ مِن دون الورَى وقَعَ اخْتِيارِى

قال : وقلتُ متغزِّلا[٥] :

وشادنٍ أرْكبنِى هَواهُ طِرْفَ الخطَرِ[٦]

مُهَفْهَفٍ مُبْتهِجٍ يهْزُو بضَوْءِ القمرِ

يكادُ أن يشْربَه إذا تبـدَّى نظرِى

---

(١) فى ا : « خمر كاس » .

(٢) ديوان منجك ٨٦ .

(٣) فى م : « ألفى فؤادى » ، وفيها وفى ج : « فى أوار » ، والمثبت فى سائر الأصول ، والديوان . وأسكدار : بلدة بالروم ، إليها ينسب الشيخ محمود الأسكدارى ، ولى صالح ، كانت وفاته بعد السبعين وألف . انظر خلاصة الأثر ٤/٣٢٧ ـ ٣٢٩ .

(٤) فى الديوان : « ترعى الذرارى » .

(٥) ليست هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٦) فى ا ، ج : « طرق الخطر » ، والمثبت فى : ب ، م .

أبيتُ فيه قَلِقاً على فِراشِ السَّهرِ
كأنَّ عقْلِي كُرَةٌ لصَوْلجانِ الفِكَرِ

قال : وقلتُ متغزِّلا[(١)] :

بِيَ ريمٌ كِناسُهُ المُرَّانُ ما لِقلْبِ من مُقْلتيْهِ أَمانُ[(٢)]
ذُو عِذارٍ كأنه ظُلْمةُ الشِّرْ كِ ووجْهٍ كأنه الإيمانُ[(٣)]
وكأنَّا من أُنسِه ومُحَيَّا هُ بروضٍ تُظِلُّنا الأفنانُ
خدُّه الوردُ والبنفْسجُ صُدْغا هُ لعيني وثَغْرُه الأُقْحُوانُ
وكأنَّ الحديثَ منه هو اللُّؤْ لُؤ يرْفَضُّ بيننا والجُمانُ
وكأن النَّدِيَّ والكأسُ تُجْلَى فيه أُفْقٌ نجومُه النُّدْمانُ
وكأنَّ الأنفاسَ منه نسيمٌ وكأنَّا إذا شَدَا أغصانُ
وكأنَّ النُّدمانَ في دَوْحةِ اللَّهْ وِ غصونٌ ثمارُها الكِتْمانُ[(٤)]
يتعاطَوْن أكْؤُسَ العتْبِ إذْ طا فَ عليهمْ بها المُنَى والأمَانُ
يا سقَى ذلك الزَّمانَ وحيَّا هُ مُلِثٌّ مِن الرِّضا هتَّانُ[(٥)]
زمَنٌ كلُّه ربيعٌ وعيْشٌ غُصنُه يانعُ الجَنَى فيْنانُ

(١) ديوان منجك ٨٣ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٣ .
(٢) في الديوان والخلاصة : « وغزال كناسه المران . والمران : شجر يتخذ منه الرماح ، والرماح اللدنة الصلبة . وفي ب ، ج ، م : « ما لقلبي من مقلتيه أمان » ، والمثبت في : ا ، والديوان ، وخلاصة الأثر .
(٣) في الديوان : « ذي نواس كأنها . . . » وهو يعني الذوائب ، التي تنوس ، أي تتحرك . وفي خلاصة الأثر : « ذي نواس » . وبعد هذا البيت في الديوان وخلاصة الأثر :

فكأنَّ العِذارَ في صفحة الْخدِّ م كَفورٌ في جِيدِه فُرْقانُ

(٤) في خلاصة الأثر : « في روضة اللهو » .
(٥) الملث : الذي يدوم أياما ، والهتان : المتتابع.

مَرَّ لى بالشَّآمِ والعمرُ غَضٌّ   وشَبابى يَزِينُه العُنْفُوانُ(١)
ابن عَشرٍ وأربَعٍ وثَمانٍ   هِى عيدٌ وبعضُها مِهْرَجَانُ

قال : وقلتُ متغزلا(٢) :

نَبِّهْ جُفونَك من نُعاسِكْ   واسْمَح بريقِك أوْ بكاسِكْ
طابَ الصَّبوحُ فهاتِها   واشْرَبْ معى بحياةِ رَاسِكْ
ما الوَرْدُ إلا من خُدو   دِكَ والبنفْسجُ من نُواسِكْ(٣)
أفْدِيكَ ظَبْياً أرْتجِي   كَ وأتَّقِى سَطَواتِ بَاسِكْ
تخْشَى الأسودُ مَهابةً   مِن أن تَمُرَّ على كِناسِكْ

قال : وقلتُ متغزِّلا ، من قصيدةٍ(٤) :

أتُرَى أين حَلَّ أم أين أَمْسَى   غُصْنُ بَانٍ يُلِلُّ أعْلاهُ شَمْسَا
ليتَ أنى وقد ترحَّلَ بِيدٌ   كُنَّ أمسِ لأسْطُرِ العينِ طِرْسَا(٥)
لَهْفَ شاكٍ يرى المعاهَدَ صُمًّا   بعد ما شَطَّ والمعالِمَ خُرْسَا(٦)
صَدَّعُ البَيْنُ منه ثَمَّ فؤاداً   كان صَخْراً فعاد بالوَجْدِ خَنْسَا(٧)

---

(١) فى الديوان : « والشوق غض » ، وفى خلاصة الأثر : « والعيش غض » .

(٢) ديوان منجك ٨٢ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج ، وفى م : « والبنفسج من نعاسك » ، والمثبت فى : ا ، والديوان .

(٤) ديوان منجك ٤١ .

(٥) هذا البيت ساقط من : ج ، وسقط أكثره من : ب ، وفى ا : « كن أمسى » ، وفى الديوان : « كن أمسا » .

(٦) بعد هذا فى ا : « منها » ، والشعر متصل فى سائر النسخ ، والديوان .

(٧) يشير إلى صخر بن عمرو السلمى ، أخى الخنساء ، جاهلى ، رثته أخته بقصائد شهيرة . كما يشير إلى أختــه الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، وإلى بكائها عليــه ، أسلمت ، وحثت أولادها على الجهاد حتى استشهدوا فى حــرب القادسية ، توفيت سنة ٢٤ هـ . الشعر والشعراء ١/٣٤٣ ــ ٣٤٧ ، معاهــد التنصيص ١/١١٧ ــ ١١٩ .

ومنها [1] :

شادِنٌ أظلمُ الخـــلائقِ ألحا ظًا وأمضَى فِعلاً وأكبرُ نفْساَ [2]

علّمَتْه الأيّامُ طُرْقَ التّجنّى والليالِى أقرَأْنَه الصَّــدَّ دَرْساَ

أطْلَعَ الحسنُ فى حديقةِ خدّيْـ ـه وُروداً تركْنَ لَوْنِىَ وَرْساَ [3]

ومنها [1] :

طالَما بِتُّ بالخدائـِعِ أسْقيْـ ـهِ ثلاثاً حيناً وأشرَبُ خَمْساَ [4]

يمزُجُ الـكاسَ بالحديثِ وما ألْـ ـطفَ ذاكَ الحديثَ معنًى وحِسًّا [5]

لستُ أدرِى أمِن عُصارةِ خَدَّيْـ ـهِ أم الرّاحِ صَفْوُ ما نتَحَسَّى

لا رأَتْ مُقْلتِى مُحيَّاهُ إن كا ن فؤادِى يسْلُوه أو يَتأسَّى

قال : وقلتُ [6] :

لا تتّهِمْ بالسوءِ دَهْرَكَ إنَّهُ جَبَلٌ يُجيبُ صَداكَ منه صَدَاءُ

مِرآتُك الدنيا وفعلُك صُورةٌ فيهـــا فما الشّنْعاءُ والحسْناءُ

قال : وقلتُ متغزِّلاً [7] :

تناهَى عنـــدَهُ الأملُ وقصَّر دونَه العَـــذَلُ

رَشًا يفْتَرُّ عن بَرَدٍ تــكاد تُذيبُه القُبَلُ [8]

---

(١) ساقط من : ب ، ج.

(٢) بعد هذا فى الديوان :

بانَةٌ يُدْنِنى إليك ولــكن قلبُه الصخرُ بل من الصخرِ أقسَى

(٣) الورس : نبات كالسمسم ، يصبغ به . القاموس (ورس) .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « بالخداع أسقيــه » ، ولا يصلح الوزن إلا بتشديد القــاف . وفى ب : « ظالمابت . . . » .

(٥) فى ب ، ج ، م : « يمزج الـكأس » ، والمثبت فى : ا ، والديوان.

(٦) ديوان منجك ١٣٦ .

(٧) ديوان منجك ٦٢ .

(٨) فى ا : « تــكاد تذيبه المقل » .

يخامرُ عِطفَه ثَمَلُ ... يميلُ به ويعتدِلُ (١)
يُمثِّلُ مايُرَوِّقُه ... بصفحةِ خدِّه الخجَلُ (٢)
فليت به كما اتَّصلتْ ... حشايَ الطَّرفُ يتَّصِلُ
إذا ما الخِدْرُ أبرزَه ... تناهبَ حُسنَه المُقَلُ
لقد أغراه في تلَفِي ... شبابٌ ناضرٌ خضِلُ
وقدٌّ حَشوُه هيَفٌ ... وطَرْفٌ مِلؤه كَحَلُ
فما الخَطِّيُّ غيرَ قَنًا ... قَوامٍ زانَه المَيَلُ
ولا الهِندِيُّ غيرَ ظُباً ... حَواها النَّاظِرُ الغزِلُ
سقى خَلساً بذِي إضَمٍ ... مَضَيْنَ الصَّيِّبُ الهطِلُ (٣)
وعيشاً حين أذكرُه ... أميلُ كأنني ثَمِلُ
وربعاً كنتُ أعهدُه ... وأُنسِي فيه مُقتبِلُ
بكَيْتُ دماً على زمنٍ ... لدَى تَوديعه الأجَلُ
ليالٍ كلُّها سَحَرٌ ... ودهرٌ كلُّه أُصُلُ

(٤) وهى طويلة (٤).

قال : وقلتُ فى الحماسة (٥) :

لعَمْرُ أبى الرَّاقِى السِّماكَيْنِ رِفعةً ... وحامِى ذِمارَ المَجْدِ بالحِلْمِ والْبأسِ (٦)

(١) فى الديوان : « يميل به فيعتدل » .
(٢) ، فى ا ، م : « يمثل مايروق لنا » ، وفى ب : « مايرقرقه » ، والمثبت فى : ج ، والديوان .
(٣) الخلس : الكلأ اليابس نبت فى أصله الرطب فيختلط . القاموس (خ ل س) . وذو إضم : ماء يطأه الطريق بين مكة واليمامة ، عند السمينة ، وانظر معجم البلدان ١/٣٠٥ .
(٤) ساقط من : ج ، وفى ديوانه بقيتها ، وتبلغ تسعة وعشرين بيتا .
(٥) ديوان منجك ١٠١ .
(٦) فى ا : « لعمر أبى طلت السماكين » ، وفى م : « لعمر أبى راقى السماكين » ، والمثبت فى : ب، ج ، والديوان .

فما أنا مَن يرْضَى القليلَ مِن العُلا ولا أنا ممَّن يحْتَسِي فضْلةَ الكَاسِ
هى النَّفسُ فاحْمِلْها على الضيْمِ إنْ تُرِدْ لها العِزَّ وانفُضْ راحَتَيْك من النَّاسِ

قال : وقلتُ أيضا [١] :

ومُنْتزَه يروقُ الطَّرْفَ حُسناً لما فيهِ من المَرْأى البَديعِ
تجولُ كتائبُ الأزْهارِ فيه وقد كُسِيَتْ حُلَى الغَيْثِ المُرِيعِ
وباتَ الوردُ فيها وهْو شاكِى السِّلاحِ يميدُ فى الدِّرْعِ المَنِيعِ
حكَى مُنْضَمُّ زَنْبقِهِ طُروساً وفيها عَرْضُ أحْوالِ الجميعِ
تُنمِّقُ طَيَّهــا أيْدِى النُّعامَى وتَبعثُها إلى مَلِكِ الرَّبيعِ [٢]

وقلتُ إذ أنفذْتُ لبعض الأحبة كتابا ، فقبَّله وتلطَّف فى حُسن الجواب [٣] :

خُذها سُطوراً إليكَ قد بُعِثتْ تروُمُ للنَّفسِ مايُعلِّلُهَا
فى طَىِّ بيْضاء ظَلْتُ من وَلَهٍ فيكَ بأيْدِى اللِّحاظِ أصقُلُهَا [٤]
أكتُبهــا والدموعُ تَنقُطُها بعَــبْرةٍ لا أزالُ أهْمِلُهَا
لو كان ظَنِّى إذا بَصُرتَ بهــا نيابةً عن فمِى تُقبِّلُهَا
أرُحْت شوقاً إليك مُندرِجاً فى طَيِّهــا والنَّسيمُ يَحْمِلُهَا

قال : وقلتُ [٥] :

مَهْلاً سفينةَ آمالِى لعــلَّ بأنْ تَهُبَّ يوماً رياحُ اللُّطفِ والكرمِ
ويا حُظوظِىَ رِفقاً لستِ مُدرِكةً غيرَ الذى قسمَ الرحمنُ فى القِدَمِ [٦]

---

(١) ديوان منجك ٩١ ، وخلاصة الأثر ٤/٤١٥ .
(٢) فى خلاصة الأثر : « تمنق حليها » .
(٣) ديوان منجك ٧٦
(٤) فى ا ، ب ، م : « فيك بأيدى اللحاظ أنقلها » ، والمثبت فى : ج ، والديوان .
(٥) ديوان منجك ١٣٥ .
(٦) فى ا ، ب ، ج : « رزق الرحمن فى القدم » ، وفى الديوان : « قسم الأرزاق فى القدم » .

قال : وقلتُ أيضا [١] :

وروْضةِ أُنْسٍ بات فيها ابنُ أَيْـكَةٍ ... يُغرِّدُ والنَّایُ الرَّخِيمُ يُشَنِّفُ
وقد ضمَّنا فيهــــا من الليلِ سابغاً ... رِداءٌ بأكْنافِ الغَمامِ مُسَجَّفُ
فظلَّتْ عَرانِينُ الأباريقِ بالطِّلا ... إلى أن بَدَتْ كافُورةُ الصبحِ ترْعُفُ

وهذا معنًى تصرَّف فيه وأبدع ، وأدار منه على المسامع كأسَ أدبٍ مُترَعٍ ، وقد سبقه إليه غيرُه ، كابن رَشِيق فى قوله :

صَنَمٌ من الـكافورِ بات مُعانِقِى ... فى حُلَّتَيْن تعفُّفٍ وتَـكَرُّمِ
فذكَرْتُ ليلةَ هجْرِه فى وَصْلِه ... فجَرتْ بقايا أدْمُعِى كالعَنْدَمِ
فطفِقْتُ أمسحُ مُقْلتِى فى جِيدِه ... إذ عادةُ الـكافورِ إمْساكُ الدَّمِ [٢]

لـكنه جعل جِيدَ [٣] محبوبه مِنْديلَه فدنَّسه ، فلو قال :

فجعلتُ عيْنى تحت أَخْمَصِ نَعْلِهِ ... إذْ شِيمَةُ الـكافورِ إمساكُ الدَّمِ [٤]

كان أليَقَ بالأدب .

وممن أجاد فى هذا المعنى ابنُ مَرْجِ الـكُحْل [٥] الأنْدَلُسِىّ ، فى قوله [٦] :

ألَا بَشِّروا بالصُّبْحِ مِنِّىَ باكِياً ... أضَرَّ به الليلُ الطويلُ مع البُـكَا [٧]

(١) ديوان منجك ٩٩ .

(٢) فى ج : « فطفقت أمسح مقلتى بجيده » ، وفى م : « فطفقت أمسح مدمعى فى جيده » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ج : « عطف » .

(٤) فى ا ، ج : « أخمص رجله » ، وعجز البيت ساقط من : م .

(٥) ورد هذا الاسم مضطربا فى النسخ ، ففى ا : « ابن برح المـكحل » ، وفى ب : « برج المـكحل » وفى ج : « ابن أبرج الـكحل » ، وفى م : « ابن برح المحـكل » ، وكل ذلك خطأ ، صـوابه ما أثبته ، وهو محمد بن إدريس بن على . انظر الإحاطة ٢/٢٥٢ ، التـكملة لابن الأبار ٢/٦٣٦ ، نفح الطيب ٣/٢٧ .

(٦) الإحاطة ٢/٢٥٥ ، ونفح الطيب ٣/٢٩ .

(٧) فى الإحاطة : « ألا أبشروا بالصبح من كان باكيا » ، ورواية نفح الطيب نقلا عن الإحاطة توافق رواية الريحانة .

فَفِى الصُّبحِ للصَّبِّ المُتَيَّمِ راحــةٌ إذا الليلُ أجْرَى دَمْعَه وإذا شكا
ولا عَجَبٌ أن يُمسِك الصُّبحُ عَبْرَتِي فلم يزلِ الـكافورُ للدَّمِ مُمسِكا

وقد قلتُ أنا فى هذا المعنى أيضا :

وساقٍ لىَ السُّرورُ غـداً طبيباً له طَرَفٌ يُشِير إلى التَّصابِي
رأى فى الـكأسِ صُبَّ دَمِ الحُمَيَّا فذَرَّ عليه كافورَ الحُبابِ [1]

قال : ومما قلتُه أيضا [2] :

سقَى صَوْبُ الحَيَا زَمناً سرقْناهُ من الغِـــيَرِ
وقد مَدَّ الغَمامُ رِدَا لَه هُـــدْبٌ من المَطرِ

ومما كتَبه [3] إلىَّ الأميرُ منجك [4] :

ياوحيـــداً فى السَّجايَا والمزايَا باتفِّـــــاقِ
وشِهاباً فى سمٰوا تِ العُلى سامِى الطِّباقِ
وجَواداً عنـــدَه الأَوْ راسُ عَرْجاً فى السِّباقِ [5]
أنْتَ بَحرٌ دونَه الأبْ حُرُ من بعضِ السَّواقِى
لا تسُمْنى حَصْرَ أَوْصا فِك فـكرِى فى وَثاقِ
راعَنِى الدهـــرُ كما قدْ رُعْتَ مِصْراً بالفِراقِ

ومما كتَبه [6] إلىَّ الأمير [7] أيضا [8] :

قد بشَّرتك بمِصْرَ بعضُ معاشرٍ لم يعلَموا الأقوالَ فى تأْوِيلِها [9]

(١) الصب ، بالضم : ماصب من ماء ونحوه . (٢) ليس فى ديوانه .
(٣) فى م : « كتبته » ، وهو خطأ صوابه من : ا .
(٤) ديوان منجك ٤٩ . والمقدمة والأبيات مما سقط من : ب ، ج .
(٥) فى الديوان : « وجوادا عنده الأنداد عرجا . . » .
(٦) فى م : « كتبته » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٧) بعد هذا فى ب زيادة : « منجك المرقوم » ، وفى ج : « منجك » .
(٨) ديوان منجك ٤٩ . (٩) فى ا : « لايعرفوا » كذا .

مِصرُ أقلُّ نَدَى أياديك التى مِن فَيْضِ نائلِهـــا أصابِـعُ نِيلِهَا

وهذا كثير الأمثال ، كقول ابن نُبَاتَة المِصْرِى (١) :

وافَتْ أصابعُ نِيلِنَا فَيْضاً وطافَتْ بالبـــلادِ (٢)

وأتَتْ بكلِّ مسَرَّةٍ ما ذِى أصابعُ بل أيادِى (٣)

وأحسنُ من هذا كلِّه قولى من قصيدة نبَويَّة :

أصابعَ سيِّدِ السَّاداتِ منْها لقد رَوَّى الزُّلالُ صَدَى الفُؤادِ

فلو منهـــا ينالُ النِّيلُ ظُفْراً لمـــا مَصَّ الأصابعَ للتَّنادِى

وعهْدِى بالأصابعِ فى أيادٍ فـكم فى ذِى الأصابع مِن أيادِى

☆☆☆

---

(١) ديوان ابن نباتة المصرى ١٦٣ .

(٢) فى ا ، ب : « وفت أصابع نيلنا » ، والمثبت فى : ج ، م ، والديوان ، وفيه :

وافتْ أصـابعُ نيلنـا وطَمَتْ فأكْمدتِ الأعادِى

(٣) فى الديوان : « ماذى أصابع ذى أيادى » .

٣٧

الفاضل أبو الطَّيِّب بن رَضِيّ الدين الغَزِّيّ ، نزيل الشام *

كان شامَة الشّام ، وغُرَّةَ الليالى والأيّام .

وله فى الفضل والأدب فنون ، ثم تبدَّلت الفُنون كما يُقال جُنون ، فاشتغل بدائِه ، وصار هوى الأحبَّة منه فى سُوَيْدائِه ، فاعتزل [١] النّاس ، وصار وَسْوَاسُ حَلْيِه حَلْىَ الوَسْواس ، بعدما كان طبعُه أرَقَّ من شَمائِل الشَّمال ، ومعانِيه أدَقَّ من دلائِل الدَّلال .

وشِعرُه لفضلِه شِعار ، وحسن خطِّه يتعلَّم منه الحُسْنُ نَمْنَمَةَ العِذار .

كقوله [٢] :

صادفْتُه والحسنُ حِلْيَتُــــه ... كالرِّيم لارُعثاً ولا قُلبا [٣]

والعِيــــدُ للألحاظِ أبرَزهُ ... والبدرُ أقربُ منه لِي قُرْبا [٤]

(*) سقط من ، ج : « أبو الطيب بن رضى الدين » ، ومكانه « نجم الدين » .

وهو :

أبو الطيب محمد بن محمد الغزى العامرى .

كان من أذكياء العالم وفضلائه ، المشهور لهم بالتناوق .

وشعره من أجود الشعر رونقا وديباجة .

تخرج فى الأدب على القاضى محب الدين بن محمد المحبى ، وتفقه بالشهاب العيثاوى .

رحل إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق ، ودرس بالمدرسة القصاعية الشافعية .

توفى سنة اثنتين وأربعين وألف .

تراجم الأعيان ١/٢٦٦ ، خبايا الزوايا لوحة ٤٢ ب ، وهو فيه « أبو الطيب بن بدر الدين » ، خلاصة الأثر ١/١٣٥ (نقل ترجمته المحبى عن خبايا الزوايا) ، ديوان الإسلام لوحة ٦٣ ب .

(١) فى ج ، م بعد هذا زيادة : « عن » .

(٢) تراجم الأعيان ١/٢٧٠ ، وخلاصة الأثر ١/١٣٦ .

(٣) الرعث : جمع الجمع للرعثة ، وهى القرط . والقلب : سوار للمرأة .

(٤) هذا البيت ساقط من : تراجم الأعيان ، وفى خلاصة الأثر : « والبدر أيسر منه » .

أهْوَى لتهنئتى ومَدَّ يداً   وَفْقَ المُنَى فتناولَ القَلَما (١)

ومدُّ اليدِ المعتاد، المصافحةِ فى الأعْياد، مسنُون لإظْهار القُرب والاتِّحاد، فجعْلُها لأخذ الفؤاد معنًى بديع.

ومثلُه ما قلتُه فى مدِّ اليدِ المسْنون (٢)، المأمور به فى الدّعاء، وهو ممّا لم أُسْبَق إليه، فإنّ أمْرَ السائل بمدِّ اليد، بمعنى خُذْ ما طلبْتَ وأزْيَد:

دعَوْناكَ من بعد قولِ ادْعُنِى   فكيفَ نُرَدُّ وكُنّا دُعِينَا
أُمِرْنا بمَدِّ يدَىْ سائلٍ   ليمْلأَها أكْرمُ الأكْرمِينَا (٣)
وهٰذِى وجوهُ الرَّجاءِ اعْتَدَتْ   ترى بعيونِ الظُّنونِ اليقِينَا

ومن شعرِه قولُه من قصيدة (٤):

مُؤَنِّبى لابرِحْتَ فى عَذَلٍ   فحبَّذا حُبُّه علىَّ وَلِى (٥)
غُصْنُ دَلالٍ أغرُّ طَلْعتُه   شمسُ الضُّحَى فوق ناعِمٍ خَضِلِ
يجُولُ فى عِطفِه الدَّلالُ إذا   تحمِل نَقَوَيْه فَتْرةُ الكَسَلِ (٦)
رَقَّمتُ فى طِرْسِ خَدِّه قُبَلاً   فظلَّ يمْحُو بنانُه قُبَلِى (٧)
وأخْجَلَ الوَردَ فى نَضارتِه   شَقِيقُ خَدٍّ فى وَرْدَتَىْ خَجِلِ

---

(١) فى تراجم الأعيان، وخلاصة الأثر: «وفق الهوى».
(٢) ساقط من: ا، وخلاصة الأثر ١/١٣٦. نقلا عن الخفاجى.
(٣) بين هذا البيت والذى يليه تقديم وتأخير فى: م، والمثبت فى: ا، ب، ج، وخلاصة الأثر ١/١٣٦ نقلا عن الخفاجى. وفى ا: «ومر بمد يدى سائل»، وفى ب، ج: «وأمر بمد يدى سائل» وفى خلاصة الأثر: «ومن ذا يرد يدى سائل».
(٤) خلاصة الأثر ١/١٣٥، ١٣٦.
(٥) فى ج، وخلاصة الأثر: «فى عذلى».
(٦) فى م: «تحمل تغويه فترة الكسل»، والمثبت فى: ا، ب، ج. والنقوان: تثنية النقا، وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. وفى خلاصة الأثر ١/١٣٦: «تحمل حقويه...».
(٧) فى ب: «بنأيه قبلى».

وقوله أيضا[١] :

تَرامَتْ نحوها الإبلُ وشامَتْ برْقَها المُقَلُ
فتاةٌ من بنى مُضَرٍ يُجاذِبُ خَصْرَها الكَفَلُ
فما الخَطَّارُ إن خطَرَتْ وما المَيَّالةُ الذُّبُلُ
تَكَنَّفَهَا لُيوثُ وَغًى يُحاذِرُ بأْسَها الأَجَلُ،[٢]
لَئن شَطَّ المَزارُ بها وأقفرَ دونَها الطَّلَلُ[٣]
يمثِّلها الفؤادُ بهِ ويُدنيها له الأَمَلُ
وكمْ لى يومَ كاظِمَةٍ فُؤادٌ خافِقٌ وَجِلُ
وطَرْفٌ بعدَ بُعْدِهمُ بمِيلِ السُّهْدِ مُكتَحِلُ
عِلِقتُ بها غَداةَ غدَتْ مَواطِئَ نعلِها المُقَلُ،[٤]
فإن سارَتْ بأخمَصِها تداعَى الوابِلُ الهَطِلُ
وإن قرَّت تقَرُّ العيْنُ فِينا يُضْرَبُ المَثَلُ

وقوله[٥] :

لم أَنْسَ ليلةَ زارنِى والبدرُ يجنَحُ للغُروبْ
ثَمِلاً يميلُ كأنمــا عَبِثَتْ به رِيحُ الجَنُوبْ
ولرُبَّما جاد البَخيلُ ورُبَّما صدقَ الكَذُوبْ.[٦]

---

(١) خلاصة الأثر ١/١٣٨ .
(٢) فى خلاصة الأثر : « يحاذر بأسها الأسل » .
(٣) فى م : « لأن شط المزار بها » والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى ا ، م : « مواطئ نعلها القبل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) من هنا إلى آخر الترجمة ساقط من : ب ، ج .
(٦) فى ا : « ولربما صدق الكذوب » .

فَنَهَضْتُ إجــلالاً له ‏ ‏ والقلبُ باللُّقيـا طَرُوبْ
وفرَشْتُ خَدِّى مَوْطِئًا ‏ ‏ فمشَى عليهِ ولا لُغُوبْ
وضَمَمْتُـــــه ولثَمْتُ فَا ‏ ‏ هُ ألذَّ من كأسٍ وَكُوبْ
حتى بدَا الإصْباحُ وهْـ ‏ ‏ وَ لدىَّ مِن أذهَى الْخطوبْ
ولَوَى به مِن حيثُ جا ‏ ‏ ءَ ومُقْلتِى عَبْرَى سَكُوبْ
هذا الذى أهْـــواهُ إذ ‏ ‏ حازَ البهاءَ على ضُروبْ
مـلأَ المسامِـعَ والخـوا ‏ ‏ طِرَ والنَّواظرَ والقُلوبْ

وقوله[1] :

وشِربٍ أدامُوا الوِرْدَ من أكْؤُسِ الطِّلا ‏ ‏ وقد أنِفُوا الإصْـــدارَ عن ذلك الوِرْدِ
سَقَطْنا عليهم كَى نَلَذَّ لديهـــمُ ‏ ‏ سُقوطَ النَّدى عند الصَّباحِ على الوَرْدِ

وقوله[2] :

عاطَيْتُه حَلَبَ العصيرِ ولا سِوَى ‏ ‏ زُهْرِ السَّماءِ تجاهَ زَهْرِ المجلسِ[3]
أنظُرْ إليــــهِ كأنه مُتَبَرِّمٌ ‏ ‏ ممَّـا تغـازِلُه عيـونُ النَّرْجِـسِ
وكأن صَفْحَةَ خــدِّه ياقُوتةٌ ‏ ‏ وكأنَّ عارضَه خَمِيلةُ سُنْدُسِ

وأصلُه لابن هَانِئٍ الأنْدَلُسِيّ[4] :

عاطَيْتُه كأساً كأنَّ شُعـاعَها ‏ ‏ شمسُ النَّهارِ يُضِيئُهُ إشْراقُهَا

---

(١) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .
(٢) خلاصة الأثر ١/١٣٧ .
(٣) فى خلاصة الأثر : « تجاه حول المجلس » .
(٤) نقل المحبى هذه الأبيات ، ونسبها لابن هانئ أيضا فى خلاصة الأثر ١/١٣٧، وليست فى ديوانه، كما أنى لم أجدها فى شرح ديوانه ، تبيين المعانى .

أنظرْ إليه كأنَّه مُتَنَصِّلٌ   بجُفونِه مما جَنَتْ أحداقُها
وكأنَّ صفْحةَ خدِّه وعِذارَهُ   تُفَّاحةٌ حَفَّتْ بها أوْراقُها

وقوله[1] :

خالَسْتُه نظَراً وكان مُورَّداً   فازْدادَ حتى كاد أن يتلهَّبا[2]
أنظُر إليهِ كأنَّهُ مُتنصِّلٌ   بجُفونِه من طُولِ ما قد أذْنَبا[3]
وكأن صفْحَةَ خدِّه وعِذارَه   تُفَّاحةٌ رُمِيَتْ لتقْتُل عَقْربا

⁂

---

(١) ديوانه (بيروت) ١٦ ، وتبيين المعانى ٨٢ ، ٨٣ ، وخلاصة الأثر ١/١٣٧ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « عاطيتـه نظرا » ، وهى رواية توافق مافى تبيين المعانى ، ورواية الريحانة توافق الديوان ، وفى الديوان ، وتبيين المعـانى : « فاحمر حتى كاد أن يتلهبا » . وبعد هـذا البيت فى الديوان ، والتبيين :

هـذا طِرازٌ ما العيونُ كتَبْنَهُ   لـكنَّه قبل العيون تـكتَّبا

(٣) فى الديوان ، والتبيين : « بجفونه ولقد يكون المذنبا » .

ومن أربابها المُدْلجين إلى منازِل الفَناء ، السائرين عند وصولى بهاإلى دار البقاء ، الأمْجد الأوْحد ، العلَم المُفرَد[1] :

٣٨

عبد الحق الشَّامِىّ ، المعرف بالحِجازِى*

وهو ، كما أُخبِرت به ، ذو فضلٍ جَسِيم ، والسَّابقون السابقون أولئك المُقرَّبون فى جنَّات النَّعِيم .

أما الفصاحةُ فهو من الغُرِّ المُحجَّلين يوم رِهانِها .

وأما الفضائل فهو من السَّابقين فى حَلْبة مَيْدانِها ، المُرتضِعين درَّ المعالى فى حُجور الفضائل ، المُرْتَدِين بُرُود المكارِم وشَمْلَة الشمائل ، العاكِفين فى حَرَم العَفاف ، المُقتَطِفين لَجنَى المجد الغضِّ القِطاف .

فمن ثِماره المُتفتِّح عنها[2] عيونُ أنوارِه ، الدَّالةِ[3] على طِيب المَغْرِس وزكاء المَنْبَت ، قولُه من قصيدةٍ طويلة :

سقَى الرَّبْعَ هَطَّالٌ من المُزْنِ ساكِبُ ... وجادَتْ عليه السَّارياتُ السَّوارِبُ

---

(١) فى ج : « العالم » .

(*) عبد الحق بن محمد بن محمد الحمصى الدمشقى الحجازى الشافعى ، زين الدين .
ولد سنة اثنتين وستين وتسعمائة ، وخرج فى شبيبته إلى حلب مغاضبا لوالده ، ثم رجع ، وسافر إلى الروم.
وقد أخذ عن أبيه مكانه فى مدارس دمشق.
وكان أديبا متمكنا من فنون كثيرة ، جيد الفكرة ، لطيف المعاشرة .
أقعد بالفالج سنتين ، ثم توفى سنة عشرين بعد الألف .
تراجم الأعيان لوحة ٢٩٢ ا ، خبايا الزوايا لوحة ٦٣ ب ، خلاصة الأثر ٢ / ٣١٠ .

(٢) ساقط من : ب ، ج ، وفى ا : « عن » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « الدال » .

هَدِيَّةُ رَجَّــافِ العَشِيِّ كأنه ... كتائبُ تقفُو إثرَهُنَّ كتائبُ[1]

وكلِّ صَـدوقِ الـبَرْقِ دانٍ رَبابُه ... تنُوءُ فُوَيقَ الأرض منه الهَيادِبُ[2]

تُزجِّيـه أنفـاسُ الشَّمالِ وتمْترِى ... ضُروعَ عَزَاليه الصَّبا والجَنائبُ[3]

يُرَوِّى بها فى سَيْبِه باطِنَ الثَّرَى ... وتُمْحَى لسُقْياها المُحُولُ اللَّوازِبُ[4]

كأنَّ هديرَ الرعــدِ فى جَنَباتِه ... هديرُ قُرومٍ هيَّجَتْها الضَّــوارِبُ

كأنَّ دموعَ المُزْنِ وهْىَ سواكِبٌ ... دموعُ مُحِبٍّ فارقَتْه الحبائبُ[5]

فذاكَ الحيَا لا زال فى أرْبُعِ الحِمَى ... مَرِيئاً بِهِ منها الزُّلالُ الخضارِبُ[6]

فتُصبِح منـه الأرضُ مُخْضَرّةَ الرُّبى ... مُجلَّلَةً بالرَّيْــطِ منها الأهاضِبُ[7]

ويُصبحُ منثُوراً بهــا رَيِّقُ الحَيَا ... كما نَثرتْ من جِيدها السِّمْطَ كاعِبُ

خمائـــلُ فيها للظِّباءِ مسـارِحٌ ... وفيهـــا لأذْيالِ الرياحِ مساحِبُ

وفيهـا لأطْرافِ الغصونِ ونَوْرِهـا ... عيونٌ علَتْ من فوقِهنَّ حواجِبُ

كأن ثُغورَ النَّوْرِ وهْىَ بواسِمٌ ... بأرْجائِهَا القُصْوى نجـــومٌ ثَوَاقِبُ

تَهادَى ظِباءُ الوحْشِ فى عَرَصاتِها ... كما تَتَهادَى فى القصورِ المَرَازِبُ[8]

كأن الرُّسومَ الدَّارساتِ تَصَبُّرِى ... عَشِيَّةَ حُفَّتْ بالقَطِين الرَّكائِبُ

فوا أسفاً لا القلبُ من سَكْرةِ الهَوى ... يُفِيقُ ولا من غَيْبَةِ الشَّوق آيِبُ

فمن لى بحفْظِ العهدِ من ذِى صَبابةٍ ... أضاعَتْ هواهُ المُذْنباتُ العواتِبُ

---

(١) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من : ا .

(٢) الهيدب من السحاب : المتدلى الذى يدنو من الأرض وتراه كأنه خطوط عند انصباب المطر .

(٣) العزالى : جمع العزلاء ، وهو مصب الماء من القربة ، وهو يشير إلى شدة وقع المطر .

(٤) فى م : « فى سيبها » ، ولزب الطين : لصق وصلب .

(٥) فى ا : « كأن عيون المزن » ، وفى ا ، ب ، ج : « وهى سوائل » ، وفى ج : « وهى سوابل » .

(٦) ماء خضارب : يموج بعضه فى بعض ، ولا يكون إلا فى غدير أو واد . القاموس (خضرب) .

(٧) فى ا : « بالريط منه » .

(٨) المرزبان : الرئيس فى الفرس .

تَهُبُّ معى من هَجْعةِ العجْزِ رُبّمـا تُنَالُ بأشْفاعِ الجُـــدودِ المطَالِبُ
فقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهْىَ فوائِتٌ وقد تَصْدُقُ الآمالُ وهْىَ كواذِبُ

* * *

وقوله : « هدية رجَّاف » المراد بالرجّاف : الماء الجارى ، (١)وأصل معناه(١) المُتحَرِّك المضطرب ، ولهذا سُمِّى البحرُ رجَّافا ، كما قاله أهل اللغة .

ولهذا أجاد القائلُ فى مُرتَعِش اليَد :

ما هَزَّ راحتَه سِوى فيْضِ النَّدَى والبحرُ مِن أسْمـائِه الرَّجَّافُ

وقوله : « وفيها لأطْرَاف الغصون » البيت ، كقول ابن نُباتَة السَّعدىّ ، من قصيدةٍ له[٢] ، مطلعها :

رضِينا ولم تَرْضَ السيوفُ القواضِبُ نُجاذِبُها عن هامِهِمْ وتُجاذِبُ[٣]

ومنها :

خلَقْنا بأطْرَافِ القَنا فى ظُهورِهمْ عُيونًا لها وَقْعُ السُّيوفِ حَواجِبُ[٤]

وتابعه أبو إسحاق إبراهيم الغَزِّىّ ، فقال :

خلَقْنالهم فى كلِّ عـــيْنٍ وحاجبٍ بسُمْرِ القَنا والبِيضِ عَيْناً وحاجِبَا

وهنا لنا فائدة نفيسة ، وهى أن من أهل المعانى مَن ادَّعى أن بيْتَ الغَزِّىّ أبدعُ[٥] ،

---

(١) فى ا : « ومعناه » .
(٢) يتيمة الدهر ٢/٣٨٦ ، وأمالى ابن الشجرى ٢/١٨٣ .
(٣) فى اليتيمة ، والأمالى : « رضينا وما ترضى . . . . عن هامكم . . » .
(٤) فى اليتيمة ، والأمالى ٢/١٨٧ : « لظهورهم » .
(٥) نسب المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٣١٤ هذا الرأى إلى المترجم ، فى جواب سؤال رفع إليـه ، أى إلى المترجم ، فى الفرق بين بيتى ابن نباتة السعدى وأبى إسحاق الغزى ، نقلا عن الشهاب الخفاجى .

لما فيه من الطِّباق بين السُّمر والبِيض ، ورَدِّ العَجُز على الصَّدر ، واللَّفّ والنَّشر ، ومراعاةِ النَّظير .

وادَّعى أنه يجوز أن يُراد بالعيْن فيه الرَّئيس ، وبالحاجب مَن يتْبَعُه وحُجَّابُه ، والمعنى أن رماحَنا وسيوفَنا نالتْ الحاجِب والمحجوب ، والرئيس والمرءوس ، مع اشتماله على التَّورِية والاسْتعارة ، وهو جميعه ممَّا خَلا عنه البيت الأول ، مع ما فيه من الافْتخار بقتال الأعداء الثَّابتين ، دون المُنْهَزِمين ، فإنه لا يُفْتَخَر بمثلِه .

وبهذا عِيب البيتُ الثانى أيضا ، وإن ذكر صاحبُ « إيضاح المعانى[1] » أنه أبلغُ لاشتمالِه على زيادة معنًى ، وهو الإشـارة إلى انْهِزامِهم ، وأطال[2] فيه وأسْهَب ، وبَعَّد وقَرَّب .

والحقُّ ما ذهب إليه[3] خطيبُ المعانى ، فإن الفضل للمتقدِّم ، وبيت القُبَّانِيّ ، أحْلَى لما فيه من التَّشْبيه البديع ، بجَعْـل أثر الطَّعنة المستديرة[4] من الرمح[4] عيْناً ، وشَطْبة السَّيف فوقها حاجِباً ، والإغراب بجَعْـل الظَّهْر محلَّ العيْن والحاجب .

وأما انهزامُهم فلا يدلُّ على عـدم شجاعتِهم ، حتى يُخِلَّ بالفخر ؛ فإن الشجاع ينْهَزِم ممَّن هو أشْجَع منه ، ولهذا قالوا : « الفِرار ممَّا لا يُطاق من سُنَن المُرْسَلين[5] »

(١) ذكر الخطيب القزوينى هذا فى آخر كتابه إيضاح المعانى ، فى الباب الذى عقده للسرقات . انظر شروح التلخيص ٤/٤٨٦ .

(٢) الضمير فى « أطال » غير راجع إلى الخطيب القزوينى ، ولعله راجع إلى المترجم ، كما يدل عليه سياق الـكلام فى خلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « صاحب الإيضاح » .

(٤) ساقط من : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى خلاصة الأثر ٢/٣١٥ : « الأنبياء » .

كما فرّ موسى حين همّ به القِبْط[1] .

وما ذكَره من[2] معْنَى العين والحاجب سخِيف، وتخيُّل ضعيف ، [3] مع أن جعْلَ الضَّرب[4] فى العين والحاجب من العجائب[3] .

وقد مَرَّ لى ما نحوْتُ فيه نحو ابن نُبَاتَة بعينِه وحاجبه ، وهو :

وتنْظرُه فى قلبِىَ الصَّبِّ أعينٌ عليْها لمَحْنِىِّ الضُّلوعِ حواجِبُ

وما ذُكِرَ من النَّقد عليه نقلَه ابن الشَّجَرِىّ فى « أماليه »[5] عن الشَّريف المُرْتَضَى، وقال : إنه عابَ عليه قوله : « بظُهورِهم »[6] وقال : لو قال : « بصُدورِهم »[7] كان أمْدَح[8] ؛ لأن الطعنَ والضَّرب فى الصُّـدور[9] أدلُّ على الإقْدام والشَّجاعة للطَّاعن والضارب ، والمطعون والمضروب ، لأن الرجلَ إذا وَصف قِرْنَه بالإقْدام مع ظهورِه عليه ، كان أمْدَحَ من وصْفِه بالانْهزام[10] ، كما قال أبو تَمَّام[11] :

---

(١) يعنى قوم فرعون . وقد ذكرهم النويرى باسم القبط أيضا عند سياقه الخبر . انظر نهـاية الأرب ١٣/١٨٣ .

(٢) فى ا : « فى » .

(٣) وردت العبارة فى خلاصة الأثر ٢/٣١٥ نقلا عن الخفاجى هكذا : « علىأن جعل العين والحاجب بمعنى الرئيس والمرءوس فن العجائب » .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « القبر » .

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢/١٨٧ .

(٦) فى الأمالى : « لظهورهم » .

(٧) فى ب ، ج ، م : « بصدورهم » ، والمثبت فى : ا ، وأمالى ابن الشجرى .

(٨) فى أمالى ابن الشجرى : « أمدح له من وصفه له » .

(٩) فى ا : « الصدر » .

(١٠) جاء بعد هذا فى أمالى ابن الشجرى : « كما قال الأول :

فلسْنا على الأعْقابِ تدْمى كُلومُنا ولـكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدِّمَا »

ولم يذكر بيت أبى تمام ، وسياق الرواية فى خلاصة الأثر ٢/٣١٥ يماثل مافى الريحانة .

(١١) ديوان أبى تمام (بشرح التبريزى) ٢/٢٢٢ .

حَرامٌ على أرْماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ وتندَقُّ في أعْلَى الصُّدورِ صُدورُهَا

ولذا قال بعضُ المحققين : القولُ بأن قدْ للتَّكْثير في قوله[1] :

قد أتْرُكُ القِرْنَ مُصفرًّا أنامِلُه كأنَّ أثْوابَهُ مُجَّتْ بفِرْصادِ[2]

لمناسَبةِ مقامِ المدح، مِنْ قصورِ الفهْم .

* * *

ثم لم أزلْ أتوكَّأُ على البيْضاء والصَّفراء ، وأقِيل تحت قِباب الخضْراء والزرقاء ، حتى قذَفَتْني لَهَواتُ المَهَامِه إلى حلَب الشَّهباء ، والناس بين مُقوِّضٍ وراحِل ، وما هـذه الأيَّام إلا عُقَب[3] ومَرَاحل ، إذ ذهبَ الذين يُعاشُ في أكْنافهم كلَّ مذْهَب ، وبقِيتُ في خَلَفٍ كجِلْدِ الأجْربِ ، إن تركْتَه أذى جسَـدَك ، وإن حكَـكْتَه أدْمَيْتَه ولوَّثتَ يدَك .

على أنَّني مِن بعد ذلك كلِّهِ وللهِ منِّي الحمدُ عِرْضِيَ أمْلَسُ

فألقَيْتُ فيها عصَا التَّسْيار ، عن كاهِل العزائم ، لمـا تفتَّحتْ بها عن زَهْرةِ المسَرَّة خُضْرُ الـكَمَائِم ، فإذا هى روْضةٌ مُخضَرَّةُ الأفْنان ، أو قِطعة من الفِرْدَوْس أهدَتْها لنـا الجِنانِ .

---

(١) ذكر ابن منظور هذا البيت فى اللسان (ق د د) ٣٤٧/٣ للاستدلال على أن قد تـكون مع بعض الأفعال بمعنى ربما ، ونسب البيت للهذلى ، ولم يعينه ، ونقل عن ابن برى أن البيت لعبيد بن الأبرص . ونقل الزبيدى هذا كله وأضاف إليه نقلا عن الزمخشرى ، فى تاج العروس (ق د د) ٤٦٢/٢ .

(٢) فى ا : « قد أترك القرم » . والفرصاد : عجم الزبيب والعنب ، وهو أيضا : التوت . اللسان (ف ر ص د) ٣٣٣/٣ .

(٣) العقبة : النوبة .

وكأنّما الخضراء من طَرَبٍ بها نثَرتْ كواكبَها على الأغصانِ

ولها حِصْن كأنّه وَكْرٌ لنَسْر السّماء، أو هَامةٌ مُعمَّمةٌ بسحابة دَكْناء[1].
أرضُها مفروشة بديباجِ نبْتٍ مُرصّع بالزُّهور، وحِيطانُها مُجلّلةٌ بستائر البَهاء والنُّور.

نسيمُها أعطرُ من عَرْف شَمِيمها، وأهلُها ألطَفُ وأرقُّ من نسيمها، من كل فاضلٍ مُلِئتْ بالفضل ثيابُه، وما جدٍ قد حُشِي بالكرم إهابُه، وأديبٍ رقَّتْ[2] شمائلُه.

* فلولا البُرْدُ يُمْسِكُه لسالَا[3] *

وعَذُبَتْ كلماتُه ورسائلُه.

* فأرْشَفَنا على ظمإٍ زُلالا[4] *

فكان ممّن لمعَتْ بوارقُ بِشْرِه، وباحَت خواطِرُ نسيم لُطْفِه بأسْرار نَشْرِه، الفاضلُ الكامل، المُرتَدِي بِحِبَر الشّمائل، العاكف فى[5] حَرَم الإفادة، الطالع نجمُه مِن[6] أُفُق السّعادة:

---

(١) فى ا: «بكل ساحة دكناء»، وفى ب: «سحابة دكناء»، وفى ج: «سحابة وكفاء».
(٢) فى ا: «راقت»، وفى ج: «رقت بالفضل شمائله».
(٣) أخذ هذا من قول أبى العلاء المعرى:

يُذِيبُ الرُّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغِمْدُ يُمسِكُه لسَالَا

شروح سقط الزند ١/١٠٤.
(٤) صدر بيت لأبى نصر أحمد بن يوسف المنازى، وعجزه:

* أرقَّ من المدامةِ للنَّديمِ *

انظر معجم البلدان ٤/٦٤٩، معاهد التنصيص ١/٨٥.
(٥) فى م: «على». (٦) فى م: «فى».

٣٩

أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهَّاب الشَّافِعِيّ ، العُرْضِيّ الحَلَبِيّ*

(١) فلقِيَنِي منه حَبْرٌ مَجِيد ، وشاعر مُجِيد ، وأديب يضَع القِلادة فى الجِيد .

له فضلٌ لم تَنْظُر عينُ الدهرِ لمُنافِيه ، بل كلما أجالَ طَرْفَه رأى كلَّ المُنَى فِيه ،

فإذا وادٍ خصِيبُ النَّوَى والثَّمر ، وحديقةٌ مُنَمْنَمةُ الأطْراف والطُّرَر ، سقَتْها غمائِمُ نَداه(٢) ، وباكَرَها صَيِّبُ جَدْواه ، بلا مِنَّةٍ لحوامِلِ السَّحائِب ، ولا انتظارٍ لقوافِلِ الصَّبا والجنَائِب .

صرَف نَقْدَ أوقاتِه ، ورأْسَ مالِ عُمْرِه وحياتِه ، فى تحْصيلِ رِبح الفضلِ والعِبادة ، (٣) وترك فضْلَ العيْشِ وفُضول الناس لما رأى فى ترْكِهما من السعادة(٣) ،

(*) أبو الوفاء ابن عمر بن عبدالوهاب بن إبراهيم الشافعي الحلبي العرضي.

مفتي الشافعية بحلب ، وابن مفتيها ، وأحد أعيان العلماء فى المعرفة والإتقان والحفظ والضبط .

اشتغل بالتدريس ، والتصنيف ، والإفتاء .

كانت ولادته سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، وتوفى سنة إحدى وسبعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٠٨ ، تراجم الأعيان لوحة ٣٧٩ ب ، خبايا الزوايا لوحة ٦٦ ب ، خلاصة الأثر ١/١٤٨ .

وفى م : «الفرضى» ، فى هذا الترجمة وفيما يليها ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، ومصادر الترجمة .

وعرض ، التى ينسب إليها المترجم ، بضم أوله وسكون ثانيه : بليد فى برية الشام ، بين تدمر والرصافة الهشامية . يقول ياقوت : يدخل فى أعمال حلب الآن . معجم البلدان ٣/٦٤٤ . وانظر استدراك ابن الأثير على ابن السمعانى . اللباب ٢/١٣٢ .

(١) نقل الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٣١٢ من هنا إلى قوله : «لنطرز حلله بطراز المأثور . والسلام» الآتى صفحة ٢٧٢ عن : م .

(٢) فى ا : «يداه» ، وفى ج : «نداه» ، والمثبت فى : ب ، م .

(٣) ساقط من : ا .

(١ ورأى فى ١) كلِّ بُكْرةٍ وعَشِيَّة ، حُبْلَى جَنِين نوائبهما(٢) فى مَشِيمة المشِيَّة .

ولما شِمتُ كرمَه وسَيْبَه ، ورَدْتُ ربيعاً زَرَّ عليه جَيْبَه ، انتَدَب لملاقاتى ، وابتَدَر وخيرُ أنوار الربيع ما بَكر .

وكتب إلىَّ مادحاً ، ولزَنْد فِكرى قادحاً قوله :

أرَى الشَّهْباءَ للعَلْيــا قِباباً ... ألم تَر أُفْقَها أبْدَى شِهــابا
وقبلُ كَسَتْ معالِمَها الدَّياجِى ... مُسَرْبِلةً ذُرَاهــا والهِضابا
وكدَّرَ صَفْوَ منهلِها قَتامٌ ... أحالَ شرابَها الصَّافِى سَرابا
وجرَّعَها كُؤوسَ الجَوْرِ صِرْفاً ... ولو سُــقِىَ الغرابُ بها لشَابا
وكان الجهلُ مُتَّسِعَ الفَيافِى ... يَضِلُّ الألْمعىُّ بهــا الصَّوابا
وضاق العلمُ ذَرْعاً حين سُدَّتْ ... مناهجُه وضاق بهــا رِحابا(٣)
تُعلِّلُها المطامِــعُ كاذباتٍ ... وكم عادتْ سحائبُها ضَبابا(٤)
إلى أن حَلَّهــا رُوحُ المعالِى ... وطَوَّقَ عِقْدَ مِنَّتِه الرِّقابا
إمامُ العلمِ بحثاً واكْتِساباً ... مُشِيدُ الفضلِ إرْثاً وانْتِسابا
فَواصَلها بغــيرِ سِباقِ وَعْدٍ ... وفاجَأَهــا بنِعمتِه احْتِسابا
فأهْلاً بالذى منــه استَنارَتْ ... معالُمها وقد عزَّتْ جَنــابا
وقد وَطِئتْ على هَامِ الثُّرَيَّا ... ونظَّمتِ النُّجومَ لهــا نِقابا
فقَرَّ بها وقَرَّ بهــا وِداداً ... وقَرَّ عُيونَ أهْليهــا اقْتِرابا

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « لما رأى كل . . . » .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « نوائبها » .
(٣) فى ا : « الرحابا » .
(٤) فى ا : « تعللها المطالع » .

وقد ظَفِرتْ بِكَنزِ المجدِ حتّى ... أحالَ التِّبْرَ للذَّهبِ التُّرابَا (١)

وفاضَ بحارُ كفَّيْهِ علوماً ... وأتْبَعها بمَنْطقِهِ عُبابَا

ونَضَّر وجْهَ روض الفضل لمَّا ... سقاهُ من فوائدِهِ رَبابَا (٢)

قد ازْدحَمتْ بمَوْرِدِه عُفاةُ الْ ... فضائلِ حين ما سَال انْصِبابَا

وقد ملأُوا رَكاياهُم ورَامُوا ... ذخائرَه انْتهازاً وانْتِهابَا (٣)

إذا جال السُّؤالُ بفكرِ شخْصٍ ... قُبَيْلَ النُّطقِ لَبَّاهُ جوابَا

فيا ذُخْرَ العلومِ فدَتْك نفْسِي ... ونادَتْك العُلا تَبغى الثَّوابَا (٤)

أقِلْ قلَمِى عِثاراً زلَّ فيه ... فما وَفَّى المديحَ ولا أصابَا

وكنتُ نبَذْتُ شِعْرِى فى قِفارٍ ... نسيتُ الأُنْسَ منه حين غابَا (٥)

إذِ الأيَّامُ قد رفَعتْ بُغاثاً ... فخالَتْ أنَّها تُرْقِى العُقابَا

وظنُّوا أنهمْ كنَزُوا علوماً ... وأيْمُ اللهِ ما ملَكوا نِصابَا

أأمْدحُ مَن بنَظْمِى ليس يَدْرِى ... حَبيباً قد أردْتُ أم الحُبابَا (٦)

وكان القصدُ من قَصْدِى تُجازَى ... من الممدوحِ لو فهِم الخِطابَا

ولولا أنَّك السَّامى مقاماً ... له الأفلاكُ طَأْطَأت الرِّقابَا

وكان بمَدْحِك العالى افْتِخارِى ... لما ذَهَّبْتُ بالمدحِ الكِتابَا (٧)

---

(١) فى ا : « أحال الترب » .

(٢) فى ج : « من فرائده ربابا » ، وفى م : « من مواهبه ربابا» ، والمثبت فى : ا ، ب . والرباب: السحاب الأبيض ، واحدته ربابة.

(٣) الركايا : جمع الركية ، وهى البئر تحفر ، اللسان (ر ك ى) ١٤/٣٣٤ ، ولعله أراد بالركايا جمع الركوة ، وهى شبه تور من أدم ، تتخذ للماء . وجمعها ركاء وركوات .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « وفادتك العلا . . . . » .

(٥) فى ا : « نسيت الأنس فيه » .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « أو الحبابا » .

(٧) فى م : « لما أذهبت بالمدح الكتابا » .

فدُمْ يا زينــــةَ الدُّنيا بمجْدٍ　　　تقنَّعتِ العُلا منه احتجاباَ[1]

ثم كتب بعدها :

لقد طفَحت أفئدةُ العلماء بِشْرا[2] ، وارتاحُت أسرارُ الـكامِلين سِرًّا وجَهْرا ، وأُفْعِمَت[3] من المسرَّة صدورُ الصُّدور ، وطارت الفضائلُ بأجْنحة السُّرور ، بيُمْنِ قُدوم[4] من اخْضرَّت رياضُ التَّحقِيق بأقْدامِه ، وغرِقت بحارُ التَّدقيق من سحائبِ أقْلامه ، وتلألأت غُرَرُ المباحثِ إشراقاً ، وأُجْرِيت[5] مسائلُ الطَّالبين فى ميادين التوضيح سُبَّاقاً .

أعنى به جُهَينةَ أخبارِ العلوم ، وخازنَ أسْرار المنْطوق والمفهوم ، المُؤسِّس لدعائِم الأحكام فرعا وأصلا ، والسابق فى مِضمار التَّحْقيقات[6] منذ كان طفلاً .

وقد خدمتُه بهذه القصيدة التى كتبْتُها عَجِلاً ، وكنت أضْمَرت ألا أفُوهَ بكلمةٍ منها خَجَلا ، [7] لـكن ظنَنْت [7] بالمولَى كلَّ جميل ، ورأيتُ سَتْرها بذَيْـلِى[8] السَّماح والصَّفح [9] من فضلِه [9] الجزيل .

هذا ، وإن العبدَ كتب تاريخاً سماه « معادن الذهب ، فى الأعيان [10] المُشرَّفة بهم حلب [10] » سيعرض بعضَه عليكم ، ويُؤْتَى[11] بأُنْموذج منه لديكم ، وجُلُّ القصد أن تـكتبُوا الى نسَبِـكم وأشياخـكم ، ومَقْرُوآتِـكم ، وبعض شىء من المنظوم والمنْثور ، لِنُطرِّز حُلَله بطِراز المأثور . والسلام .

---

(١) فى ا : « تقنعت العلامنه حجابا » .　　(٢) فى ا ، ب : « بشرى » .

(٣) فى ا : « وفعمت » ، وفى ب : « وأنعمت » .

(٤) ساقط من : ا .　　(٥) فى ا ، ب ، ج : « وأجرت »

(٦) فى ا : « التحقيق » .　　(٧) فى ج : « لـكن الظن »

(٨) فى ا : « بيد » .　　(٩) فى ا ، ب ، ج : « بفضله » .

(١٠) فى ب : « المشرقة بحلب » .　　(١١) فى م : « ويأتى » .

وأنشدنى من شِعرِه قولَه[1] :

بوَرْدِ الخدِّ رَيحـانٌ مُحِيطٌ وتَرْكِى حُبَّـه لا أستطِيعُ
وقلتُ النفسُ خَضْرا يا عَذُولى كما قد قلت والزَّمن الرَّبيعُ[2]

وهذا مثَل عامِّىٌّ ، يقولون : « النفس خَضْراء ، تشتهى كلَّ شىء » .

وقولهم : « تشتهى » إلخ ، جملة مُفسِّرة لخضراء .

وكأنَّ أصله ما ورد فى الحديث : « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيـور خُضْرٍ[3] » .

⁂

(١) إعلام النبلاء ٦/٣١٠ ، خلاصة الأثر ١/١٥٠ . ونقل الطباخ والمحبي تعقيب الخفاجى على البيتين .

(٢) فى خلاصة الأثر : « كما قد قيل . . . » .

(٣) بعد هذا فى خلاصة الأثر : « ترتع فى الجنة » ثم عقب على هذا المحبي بقوله : « والأصوب أن يقال : إن أصله ، ثلاثة تذهب عنك الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن . ومعنى أن النفس خضراء ، أى تميل إلى الخضرة بالطبع » ، وقد نقل الطباخ هذا أيضا فى إعلام النبلاء .

٤٠

أخوه محمد بن عمر العُرْضِيّ *

فاضلٌ نجيبٌ حسِيب ، صحِبَنى وبُرْد شبابِه قَشِيب ، وغصنُه فى رياض المعالى رطِيب :

إذ غُصنُ ذاك الشبابِ مُعتدِلٌ لم تطمَعِ الحادثاتُ فى ميَلِهْ

ومخايِلُ النَّجابة عليه لائحة ، وطيور البلاغة فى قفَص سُطور خطِّه صادِحَة ، بكلّ ما هو أسَرُّ من التَّهانِى ، وأمانِ الظَّافرِ بالأمانِى ، وحُلَلُ فضلِه زاهٍ بآدابه طِرازُها ، وعِداتُ الدهرِ فيه قد [1] حانَ إنجازُها ، وقد يجود البخيلُ الشَّحيح ، وكم لاح تحت الرَّغوة من لَبَنٍ صَريح .

فلم تَضِلَّ فيه الظُّنون ، لمَّا قضَتْ ما فى ذِمَّتِها من الدُّيون ، وفكَّت ما عندها من مُغلَقات الرُّهون .

فأنشدنى من مُقطَّعاتِه ، وأهدَى إلىَّ من مُخبَّآتِه قولَه [2] :

لم أزلْ من صَحيفةِ القلبِ أُملِى فى دُجَى الاغتِرابِ سَطْرَ مِثالِكْ [3]

(*) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبى .
يقول فيه المحبى : كان من الفضل فى مرتبة الآحاد ، ومن الأدب فى مرتبة لاتنال بالاجتهاد .
ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، ثم ولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم .
وحين مات أخوه أبو الوفاء المتقدم أخذ مكانه فى إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .
توفى سنة إحدى وسبعين وألف ، وبلغ من العمر نحو ستين سنة .
إعلام النبلاء ٦/٣١٨ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤/٨٩ .
(١) ساقط من : م ، وهو فى : ا ، ب ، ج . (٢) خلاصة الأثر ٤/١٠١ .
(٣) فى ا ، ب : « لم أزل فى صحيفة القلب أملى » ، والمثبت فى : ج ، م ، وخلاصة الأثر .

ناصباً هُدْبَ جَفْنِ عيْنى شِباكاً ... فعسَى أن أصِيدَ طَيْفَ خيالِكْ[١]

وقوله[٢] :

ياليــــلةً طَالَتْ على عاشقٍ ... باتَ من الوجْـــدِ على جَمْرِ
كليلةِ الميلادِ فى طُولهـــــا ... تسِــحُّ فيها العينُ بالقَطْرِ[٣]
كأنها ثَــكْلَى جَنِينٍ لهـــا ... أغرٌ قــــد سمَّتْه بالفجْرِ

وقوله أيضا[٤] :

ارْفقُوا فالْفــؤادُ ليس بجَـلْدٍ ... وارْحَموا ذلَّتى وطولَ عَوِيلِى[٥]
أنا شحَّاذُ حُسنِـكم وعيونِى ... يا غُناةَ الجمالِ كالـكَشْـكُولِ[٦]

وقوله أيضا[٧] :

قال لى الحِبُّ لِمْ وضعْتَ على الأَنْـ ... ـفِ عُيوناً وفى عُيونِك مَقْنَـعْ
قلتُ مذ خَطَّ كاتِبُ الحسنِ نُوناً ... فوقَ ثغْرٍ كحاجبيْن وأبْدَعْ[٨]
فجعلْتُ العيـــونَ أرْبعَ عَلِّى ... أن أرَى يا رَشاً حواجبَ أرْبَعْ

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « لعسى أن أصيد » ، والمثبت فى : م ، خلاصة الأثر وفى ا ، ج ، خلاصة الأثر : « طير خيالك » ، والمثبت فى : ب ، م .

(٢) خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « تسبح فيها العين » تصحيف .

(٤) خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

(٥) فى أصول الريحانة : « وارحموا زلتى » ، والتصويب من خلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر : « إن شحاذ حسنكم » .

(٧) خلاصة الأثر ٤/١٠١ ، وفيه : « وله فى العيون المستعارة للنظر » .

(٨) فى خلاصة الأثر :

قلتُ مُذْ خَطَّ كاتبُ الحسن فى ... ثغرِكَ نوناً كحاجبيْن وأبْدَعْ

وقوله أيضا[(١)] :

ما قَصُرتْ تلك الليالى التى | فى جُنْحِها بِتُّ سَمِيرَ المِلاحْ
لـكنَّ أشواقِى لذاك الرَّشا | قد عاجَلَتْنِى خوْف وَشْكِ البَراحْ[(٢)]
شقَقْتُ جَيْباً كالدُّجَى حالِـكاً | عن صَدْرِه فانجابَ عنه الصَّباحْ[(٣)]

وقوله أيضا :

قد رَمانى بالهُونِ ساقِى زَمانِى | فـكأنِّى دِرْدِيُّ كاسِ المُدامِ
فأرَاقَتْنِىَ النَّدامى بظُلْمٍ | فى الزَّوايا ومَوْطِئِ الأقْدامِ

وقوله أيضا[(٤)] :

عاب قومٌ شُرْبَ المُدامِ ولم يَدْ | رُوا بأنَّ التَّعْييبَ عَيْنُ العُيوبِ[(٥)]
جَبْرُ قلبِ الأقْداحِ بالرَّاحِ خَيْرٌ | فى اعْتقادِى من كسْرِ كاسِ القلوبِ

وقوله[(٦)] :

إن ذاكَ الرَّشَأ الخِشْفَ الذى | مات عنـه وَالِدٌ فهْوَ كَظِيمْ[(٧)]
زادَه مَوْتُ أبيـهِ قِيمَةً | كان دُرًّا فغَدا اليومَ يتيمْ

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٠١ ، ١٠٢ ، وقبله قوله : « ورجع إلى وطنه ، فأخذ يندب أوقاته الماضية ، فما قاله فى ذلك المعرض » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « قد عاجلتنى فوق وشك البراح » ، وفى خلاصة الأثر : « ماعاجلتنى خوف وشك البراح » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « عن صدره فانجاب لى عن صباح » .

(٤) خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

(٥) فى خلاصة الأثر :

عاب قومٌ شرْبِى المدامَ ولا يد | رون أن التعييبَ عينُ العُيوبِ

(٦) خلاصة الأثر ٤/١٠٠ ، وفيه : « وله فى يتيم » .

(٧) الـكظيم : المكروب .

وقوله أيضا :

قد زَهِدْنا عِشْقاً لدينارِ خَــدٍّ ... سَبَكَتْهُ حُسْناً يمينُ البَارِى

وتركْتُ النَّوالَ والمالَ علِّى ... أن أرَى فيه مَالِكَ الدِّينارِ

وقوله أيضا[1] :

كان عهدِى بالرُّوم فيها يَضُوعُ الـ ... ـعِلْمُ والآن ضاع فيها العُــلومُ

شيَّبتْ فَوْدَ سيِّدِ الرُّسْلِ هُودٌ ... ولقد شيَّبتْ فؤادِى الرُّومُ[2]

وقوله[3] :

كأنى وآمالى إذا ما تقهقَرتْ ... وبَرْقُ أمانِيِّ سَرابٌ وخُلَّبُ

عَروسٌ تُجيد الرَّقْصَ حيناً إلى وَرَا ... وحيناً أماماً وهْىَ بالبَيْنِ تلْعَبُ

وقوله مُضمِّناً :

السَّيفُ لمَّــا حكاه لَحظُ ناظِرِه ... ناديْتُه بلِسانٍ فى الهوَى لَهِجِ

لكَ البِشارةُ فاخْلَعْ ما عليك فقد ... ذُكِرت ثَمَّ على مافيك من عِوَجِ

وقوله[4] :

أيُّها الرِّيمُ هل تَرِيمُ بنَظْرَهْ ... عَلَّ يصحُو الفؤادُ مِن بَعْدِ سَكْرَهْ

بأبى أنْتَ غُصنُ بَانٍ تثَنَّى ... وغــدَا يمزُجُ الدَّلالَ بخَطْرَهْ

---

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١٠١/٤ البيت الثانى فقط ، وذكر قبله : « ولمــا طال مــكثه بالروم قال » .

(٢) يشير بهــذا إلى ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم فى جواب أبى بكر رضى الله عنه ، حين قال يارسول الله ، قد شِبْتَ ! فقال : « شَيَّبَتْنِى هُودٌ ، والوَاقِعَةُ ، والمُرْسَلاتُ ، وعَمَّ يتساءَلُونَ ، وإذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » . وفى رواية : « شَيَّبَتْنِى هُودٌ وأخواتُها » .
انظر تفسير القرطبى ١/٩ ، تفسير ابن كثير ٤٣٥/٢ .

(٣) سقطت هذه المقطوعة والتى تليها من : ب ، ج .

(٤) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٩٢/٤ الأبيات الخمسة الأولى .

أَلِفُ القَدِّ زانَهـــا نُقْطةُ الخَا ل فأضْحَى وواحدُ الحسنِ عَشْرَهْ(١)

عارِضٌ أخضرٌ وبِيـــضٌ ثَنايَا سَوَّدَا وجهَ عِيشَتى بعد خُضْرَهْ(٢)

أنت زَهرٌ غضٌّ وقلـــبى كَمامٌ فلمـاذا أوْقَدْتَ بينَكَ جَمْرَهْ(٣)

زرَعتْ مقلتِى بخـــدَّيْكَ وَرْداً فأَبِحْنِى قِطـــافَ زَرْعِى زَهْرَهْ

يا أبا عُـذْرةَ الملاحـــةِ إنى بين مَوْتَى هَواكَ من حَىِّ عُذْرَهْ

كَعْبـةُ الحسنِ كلَّ وقتٍ إليها فى ركابِ المُـــنَى أحُجُّ بفِـكْرَهْ

⁂

---

(١) عقب المحبى على هذا بقوله : « قلت هى حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « شارب أخضر . . » .

(٣) فى ا : « وقلبى كمامه » .

ووالد هذين الفاضليْن الحَبْرُ ، علامة زمانِه ، شيخ الإسلام:

٤١

عمر بن عبد الوهَّاب العُرْضِيّ*

نسيجُ وَحْدِه ، وفريد فضلِه ومجدِه .

بحرٌ لا تُكدِّره الدِّلاء ، ولا تُنْزَف بعضُ مواردِه المِلاء .

لم يزلْ صَدْراً للإفادة والإفتاء بحلب ، ترعَى فى ربيع فضلِه سَوائِمُ الطَّلَب .

وتآليفُه وتصانيفه تنقُلها الرُّكبان ، وتقِف دونَها سوابقُ الحُسْن والاسْتحسان .

حتى رَقِى شَرَف السَّبعين ، وصعَد إليها بدرجات السِّنين ، رافِلاً فى حُلَل الغِنَى ، حتى جَرَّ الدهر عليه أذْيالَ الفَنا .

وهو آخر مَن صنَّف بحلَب ، وأفاد ، وأجاد .

ومن أجَلِّ مصنفاته « شرح الشِّفاء » فى مجلدات ، ولنا عليه اعْتراضات ، بيَّنَّاها فى « شرحنا » .

(*) عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضى الحلبي الشافعي .
ولد بحلب سنة خمسين وتسعمائة .
قرأ على والده ، ثم لزم الإمام محمود بن محمد البابي الحلبي المعروف بابن البيلوني ، والملا إبراهيم بن محمد البياني ، وغيرهم .
وكان أوحد وقته فى فنون الحديث والفقه والأدب ، وهو مفتى حلب وواعظها ، وله مؤلفات كثيرة .
توفى سنة أربع وعشرين وألف
إعلام النبلاء ٦/٢٠٠ ، تراجم الأعيان لوحة ١٣٠٠ ، خبايا الزوايا لوحة ١٦٠ ا ، خلاصة الأثر ٣/٢١٥ ، سلك الدرر ٢/٧٨ .

وله نظم ونثر ، كقوله فى « شرح[1] الـكافية للجامى[1] » ، وله عليه « حاشية جليـلة »[2] :

لِلّهِ دَرُّ إمامٍ طالمـا سَطَعتْ أنوارُ أفضالِه من عِلْمِه السَّامى[3]
ألفاظُه أسْـكرتْ أسماعَنا طَرَباً كأنها الخمرُ تُسْقَى من صَفَا الجَامِ[4]

ولشيخِه[5] محمد بن الحَنْبَلِىّ فيه أيضا[6] :

لِـكافيةِ الإعراب شرحٌ مُنقَّحٌ ذَلولُ المعانى ذُو انتسابٍ إلى الجَامِى
معانِيهِ تُجْـلَى حين تُتْـلَى كأنمـا هى الخمر تبدُو شمسُها فى صَفَا الجَامِ[7]

ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشرىّ[8] :

لِلّهِ شَرْحٌ به شَرْحُ الصُّـدورِ لنا كأنَّه الدُّرُّ أو أزْهـارُ أكْمامِ[9]
قد أسـكرَ السَّمْعَ إذ تُتْـلَى عجائبُه والسُّكرُ لاغَرْوَ معروفٌ مِن الجَامِ[10]

☆☆☆

(١) فى م : « الجامى على الـكافية » . (٢) خلاصة الأثر ٣/٢١٦
(٣) فى م : « طالما طاعت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى م : « تسقى فى صفا ... » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى : ا ، ب وخلاصة الأثر : « صفا الجامى » ، والمثبت فى : ج ، م .
(٥) فى ج : « ولشيخنا » ، وفى ا بعد هذا زيادة : « العلامة » .
(٦) خلاصة الأثر ٣/٢١٦ ، والمقدمة ، والبيتان بعدها مما سقط من : ب . وانظر إعلام النبلاء ٦/٢٠٤ .
(٧) فى ا : « من صفا الجامى » ، وفى خلاصة الأثر : « يبدو جرمها من صفا الجامى » .
(٨) خلاصة الأثر ٣/٢١٦ ، ٢١٧ ، وسيترجم الخفاجى الشيخ عبد الله الدنوشرى فى قسم مصر .
(٩) فى م : « فى أزهار أكمام » ، وفى ب : « أو أزرار أكمام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصـة الأثر .
(١٠) فى ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « من الجامى » ، والمثبت فى : ج ، م .

٤٢
صلاح الدين الكُورَانِيّ الحَلَبِيّ *

فاضل ، شاعر ، ناظم ، ناثر ، مُكثِر ، مُسهِب ، مُطرِب ، مُعجِب .

رأيتُه بحلَب يُعانِي حِرْفةَ الوِراقة ، ويكتُب للقُضاة الوثائقَ التى شَدَّت وِثاقَه ، وقد قيَّده الكِبَر ، وعاقَه الدهرُ أبو العِبَر [1] ، فحَجَل بين الغرائِب والرَّغائب ، وفَتَل بيدِ فكرِه فى الذِّرْوَة والغارِب ، وهو فى مهد الخُمول راقد ، فمرَّت به النوائِب وهو على طريقِها قاعد .

وقد كان امْتدَحنِي بعِدَّة قصائد ، منها قولُه :

شِهابُ المعالى قد أضاءتْ به الشُّهْبَا ... وقد أطْلَعتْ من غُرِّ أفكارِه الشُّهْبا [2]

ومن قبلُ أخبارُ الثَّناءِ تواتَرتْ ... وقد ملأَتْ أسماعَنا لُؤْلُؤاً رَطْبا

وكان التَّمَنِّي أن يُطابِقَ سَمْعُنا ... نواظِرَنا واسْتغرقَتْ قلبَنا حُبَّا

وقد أغْربتْ ألفاظُه مَعْ تأخُّرٍ ... عن السَّبْقِ حتى فاقَتِ العرَبَ العرْبا

فمن منطقٍ عذبٍ وفضلٍ مُوجِّهٍ ... إلى المدح إيجاباً وللحاسدِ السَّلْبا

(*) صلاح الدين الكورانى الحلبى القاضى.

من مشاهير الأدباء ، له شعر مطبوع ، ونظم مصنوع ، مع مشاركة فى فنون عديدة ، وخبرة بمفاهيم عجيبة ، وكان مكثرا من قول الشعر .

وكان رئيس الكتاب بمحكمة قاضى قضاة حلب .

توفى بحلب ، سنة تسع وأربعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢٥١ ، وقد نقل الطباخ كل الترجمة بتصرف ، تراجم الأعيان لوحة ٢٣٧ ا ، وهو فيه خطأ « مجد الدين » والباب معقود لحرف الصاد ، خبايا الزوايا لوحة ٦٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢٥٢.

وكوران ، التى ينسب إليها ، من قرى أسفراين . معجم البلدان ٤/٣١٩ .

(١) فى ا : « أبو الغير »

(٢) فى ا : « من غر أبكارها الشهبا » ، وفى ب : « من نحو أبكاره الشهبا » . وفى ج « من غر أبكاره الشهبا » .

بَنِى غُرَّ أنجاثٍ له قد تأسَّسَتْ ... فلم يستطِعْ باغِى الجوابِ لها نَقْبَا
إذا كان منه الفهمُ فى البحْثِ سابقاً ... وذلك منـه لا يفارِقُه دَأْبَا
فأهْلاً بمَن يحْيـا به مَشْرِقُ العُلا ... وقد كان كالعَنْقاءِ جاوَزتِ الغرْبَا
ومن حلَبٍ كان الفِطامُ من الُمنَى ... فقد يبِسَتْ منها ضُروعُ الُمنَى حَلْبَا (١)
إلى أن أتاحَ اللهُ بعضَ بقيَّةٍ ... من الحَزْم حتى زَاحَمُوا المَنْهَلَ العَذْبَا
فتبًّا لمن قد زاغَ عن وُدِّه وقدْ ... تبَدَّى ثبُوتَ القولِ إذا أظْهَروا الحرْبَا (٢)
ومُذ قد أتَى هـذا الزَّمانُ بمثْلِهِ ... لبيباً علِمْنـا أنه قد حَوى لُبَّا
قدِ اغْدَوْدَقتْ يُمْناه من برْقِ بِشْرِه ... وقد سحَبتْ غُرُّ المعالى له سُحْبَا (٣)
وأسْقَت أيادِى فضْلِه سُحُبَ النَّدى ... وقد غرَستْ من حُبِّه فى الحشَا حَبَّا
له قلمٌ إنْ ينفُثِ السِّحْرَ نافعاً ... فمـا ضَرَّهُ أن لا يغادِرَه عَضْبَا
فيامَن له فى مصرَ والشام هِمَّـةٌ ... وباعٌ طويلٌ يَبْهَر الرُّوم والعرْبَا
على حلَبٍ لمَّـا قدِمْتُم تبسَّمَتْ ... ثغورُ مبانِيهـا وتاهَتْ بكم عُجْبَا
وأبناؤُها القـومُ الذين مُرادُهمْ ... وِدادٌ ولا يبْغُون مالاً ولا كَسْبَا
على ذا مضَى عهدُ الأخِلَّاءِ والذى ... يرُومُ خِلافَ الوُدِّ يستَوْجِبُ السَّبَّا
وأشكُو إليكَ الدهرَ عَبْـدَكَ إنَّنا ... نُسائِلُه سِلْماً يجاوبُنـا حَرْبَا
وكم قعَدتْ عن سبْقِهـا كلُّ صافِنٍ ... تُسابِقُها العرْجاَ وتَلْحَقُها الحدْبَا (٤)
وإنِّى على فِعْـلِ الزمانِ لواجِدٌ ... بُكاءً على الخنْساء فى صَخْرِها أرْبَى
وقد زَعَمُوا أن الدُّخانَ مُجَفِّفٌ ... فداوَيْتُ دَمْعى فى تناوُلِه شُرْبَا

(١) فى ا ، ج : « فقد يئست منها ضروع الهنا حلبا » .
(٢) فى ب : « بثوب القول » وفى ا ، ب ، ج : « إذا ظهرت حربا » .
(٣) فى ا ، ب : « غر المعانى » .
(٤) الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم .

وفى كلِّ معنًى فيـــه قد رَقَّ رِقَّةٌ أُعلِّلُه مَن كان سارَقَه غَصْبا (١)
وعبـــدُك ذيَّاك الصَّلاحُ مُقصِّرٌ بمدْحِك لـكن لا يقولُ به كِذْبا (٢)
ولو لم يكن قيْدُ الـكتابةِ عائقى وثقلةُ توقيعى الوثائقَ والـكُتْبا (٣)
لحاولْتُ من عَجَّاج فِـكرِك قَطْرةٌ كما يشْرَبُ العُصفورُ من مائِه عَبًّا (٤)
فـكيفَ وقد أصْبحتُ عبداً مُـكاتَباً ولا عِتْقَ لى حتى أرَى اللَّحْدَ والتُّرْبا
فلا زلتَ فى أعْلَى مقـامٍ إذا حـدَتْ حُداةُ حِجازٍ فى السُّرَى تُطْرِبُ الرَّكْبا

وأنشدنى له :

لَعمرُكَ لم أشْرَبْ دُخاناً لأجْـلِ أنْ تُسَرَّ به نفسٌ تدَانَى خُروجُهَا
ولـكن زنابيرُ الهمـــوم لَسَعْنَنِى فدَخَّنْتُ حتى يسْتَبِين خُرُوجُهَا (٥)

ولما أنشدنى هذا ، أنشدتُه قِطَعاً لى فى معناه .

منها قولى :

ماشرِبْتُ الدُّخانَ إذ سِرْتُ عنكُمْ لِتَلَهِّ به عن الأحْزانِ
أحْرَقتْنى الأشواقُ فالقلبُ منهـــا صار بالوجْـــدِ مَخْزَنَ النِّيرانِ
نخشِيتُ الأنفاسَ تَفْضَحُ حالِى فلهذا سَتَرْتُهـــا بالدُّخانِ (٦)

⁂

---

(١) فى ب : « أعلله من كاسه رقة غصبا » .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « لانقول » . (٣) فى ب : « وثقل تعويق الوثائق والـكتبا » .
(٤) فى ا ، ب : « من عجاج مدحك قطرة » . (٥) فى م : « حتى يستبين عروجها » .
(٦) فى ا : « تحرق حالى » .

٤٣

السيد أحمد بن النَّقِيب الْحَلَبيّ *

سيِّدٌ عُجِنت طِينتُه بماء الوحْى والنُّبُوَّة ، وغُرِست نَبْعَتُه فى ساحةِ الفضل والفتُوَّة، له مناقِبُ هى الوَشْى حُسناً وبَهْجَة .

* إذا نُشِرتْ كانت مُمَسَّكةَ النَّشْرِ *

وغرائبُ رَغائِبُ فى الكرم واضحةُ المحَجَّة .

* يظَلُّ بها مُستعْبِدَ النَّظمِ والنَّثْرِ [(١)] *

اجتلَيْتُ بحلَب مُحيَّاه ، فأكرمنى بجُودِه ونَداه ، ومدحتُه شكراً لما أوْلاه :

وكذا الهاشِمىُّ مثلُك لا يُمْـ ـدَحُ إلا بهاشِمىِّ الكلامِ

فاستعار « ديوانى » ، واشتغل بمطالعتِه وانتخابه ، وفى أثناء ذلك دَعَوْتُه فلم يجِبْ ،

(*) السيد أحمد بن محمد الحسنى ، المعروف بابن النقيب الحلبى .
ولد بحلب ، وبها نشأ ، ورحل إلى القسطنطينية .
ولى القضاء ، ونيابة القضاء بالقدس ، وحلب .
وله منزلة عظيمة فى النظم والنثر ، وألف « حاشية » على « الدرر والغرر » فى الفقه .
توفى سنة ست وخمسين وألف ، وعمره ثلاث وخمسون سنة .
إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ، وقد نقل الطباخ عن الريحانة كل الترجمة ، خبايا الزوايا لوحة ١٧٠ ا ، خلاصة الأثر ١/٣١٧ ، وأكثر المحبى فى ذكر أشعاره وآثاره ، هدية العارفين ١/١٦٠ .
وقد سقط من : ب صدر الترجمة حتى قوله : « هى الوشى حسنا وبهجة » .

(١) فى ا ، ب ، ج : « مستعبد الشكر والشعر » .

ثم لاقيتُه فاعتذَر بعد عتابه، بأن اشتغاله بالديوان (١ منع مِن المُلاقاة ١) ، وأنشدنى له(٢) هذه الأبيات :

وحقِّك لم أترُكْ زيارةَ سيِّــدِى ... لِلَوٍّ يَعُوقُ النفسَ عنـه ولا لَيْتِ

ولـكن بديوانٍ له قمتُ خادماً ... وقد كان فـكْرِى قبلَ ذلك كالميْتِ

فأدْهَشَنى حُسْنٌ به ظَلْتُ حائراً ... فأدْخلُ فى بيْتٍ وأخرجُ من بَيْتِ

⁂

(١) فى ا ، ب : « منع الملاقاة » ، وفى ج : « منعه الملاقاة » .
(٢) ساقط من : م .

القِسمِ الثانى

فى محاسن العصريّين من أهل المغرب

وما والاها

٤٤

مولاى أحمد أبو العباس المنصور بالله *

ابن الخليفة أبي عبد الله المهديّ بن عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسَنيّ :

مِن جَوهرٍ منه النبيُّ محمدٌ فعليه من نُورِ الإلٰهِ بَهاءُ

مَلِكُ الآن ، المطوِّق بفضائله وفواضلِه جِيدَ الزَّمان ، أنام الأنام بيقظة حِراستِه فى حَرَم ، فقَالُوا[1] فى ظلٍّ ظليلٍ تحت رياض السَّعد والكرَم .

وعطاياه تَمائِمُ الفقرِ واسمُه عُوذَة النِّقَم[2] ، وبِشْر مُحيَّاه لكل نَدًى وجودٍ سلَم .

وله شرفٌ تحسُده الشمسُ فى الشَّرَف ، وجَوْدُ[3] جُودٍ إذا وكَف أقلع السَّحابُ عن مجاراتِه وكَفّ .

مَعدِن مجدٍ وحسَب ، وجوهر سيادةٍ ونسَب ، جمع بين نِزارِه ومَعَدِّه ، باعٌ تمُدّ به النبوّةُ والخلافة قبلَ مَدِّه :

نسَبٌ تحسَب العُلاَ بحُلاهُ قلَّدتْها نجومَها الجوزاءُ[4]

(*) أحمد بن عبد الله بن محمد ، أبو العباس المنصور ، ابن الخليفة المهدى .

اشتغل فى أول أمره بالعلم ، وأظهر أنه غير طالب الملك . حتى إذا تولى ابن أخيه ، وعزم على قتل من بقى من أعمامه ، حاربه وهزمه ، واستولى على المغرب ، وحسنت العلاقة بينه وبين سلاطين آل عثمان ، وحكم ثمانية وعشرين عاما .

وكان سلطانا عادلا ، عظيم القدر ، حسن التدبير ، أديبا ، له شعر جيد .

توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٥/ ٨٩ وما بعدها، خبايا الزوايا لوحة ١٦٥ ب ، خلاصة الأثر ١/ ٢٢٢، نزهة الحادى ٧٨ .

(١) فى م : « فناموا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى الأصول ماعدا ا : « النعم » .

(٣) الجود : المطر الغزير .

(٤) فى ا : « قلدته نجومها » ، والمثبت فى سائر الأصول .

بدرٌ اتّخذ أُفقَ المغربِ هالَة ، وبحرٌ أفاض على كل واردٍ [1] نوَالَه .

له كتائبُ آراءِ الألبابُ سَلَبُها ، وبوادرُ [2] هِمَم ليس إلا الأرواحُ طَلَبُها .

لا تزال تخاطبُه ، من كل أمرٍ عواقبُـه ، بكلام بين عَبيدٍ ولَبِيد [3] ، وحَبِيبٍ والوليد [4] .

أخبرنا الأديب الفِشْتالىّ ، بقُسْطَنْطِينيَّـة ، أنه لما دعت والدَه شَعُوب [5] ، ووفدَتْ عليه بوارحُ الخطوب ، وجلس أخوه الأكبر فى مَسْنَدِ الخلافة وسريرِها ، وظلَّ مُتنزِّهًا فى روضتِها وغديرِها ، أظهر أنه للمُلْك غيرُ طالب ، وأنفق رأسَ عمرِه فى فتْح كنوز العلم والمطالِب .

فلما مات أخوه قام ولدُه فى مَحلّه ، واستولَى عليه الغرورُ بخَيْلِه ورَجْلِه ، فأرْخى عليه الشباب ، سِتارةً حجبَت عنه الصَّواب ، وأشار عليه بعضُ خُدَّامه ، بقتْل مَن بقِيَ من أعمامِه ، ليُصْفِي من قَذَى الأكدارِ وِرْدَه ، ولم يدْرِ أن مَن شَرِبَ وحده غَصَّ وَحْـدَه ، فمدَّ شِباكَ مكائده ، وهِيَ من أعظمِ مصائِده ، كالحافرِ بظُلْفِـه ، على مُدْيَةِ حَتْفِه .

وأنَّى تُنجِّيهِ من الشرِّ حِيـــلَةٌ ... وقد طال ما أوْدَتْ بمُحتالِها الحِيَلْ

فلما علم بذلك مولاى أحمد وجَف مع أخيه بجيْشٍ من الرُّوم وجيشٍ من عندِه ، قائلاً : إن ينصُرْكم الله فلا غالبَ لـكم من بَعْدِه ، فتمّت على ابن أخيه الهزيمة،وعُلِّقت

---

(١) فى م : « على وارده » والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « وبرد » .
(٣) فى م : « بنى عبيد أو لبيد » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج . وهو يعنى : عبيد بن الأبرص ، ولبيد ابن ربيعة .
(٤) يعنى بحبيب أبا تمام ، وبالوليد أبا عبادة البحترى .
(٥) شعوب : هى المنية .

على جِيد تدْبيرِه من الخِذْلان تَميمَة، فأصبح لعِنان عزْمِه ثانيا ، وذهب لملك الفِرنْسِيس فأمدَّه بما رجعَ به للحرْب ثانياً .

فلمـا التقت الـكتيبةُ السَّوداء بالـكتيبة الخضراء ، أقلعت سحابةُ النَّقْع بعد ما أمطَرتْ دِيمَةَ الدِّماء الحمراء ، فـكم أسيرٍ فى غُلٍّ نَدَمِه ، وقتيلٍ طلَع بدرُه فى شَفَق دمِه .

* فما أ كثر القتْلى وما أرْخصَ الأسْرَى *

فولج البحرَ وأغرق نفسَه فى مائه الغَمر ، وقال لقَصِير عُمْرِه بيَدِى لا بِيَدِ عمْرو[1] .

فقلَّصت السعادةُ عنه ظِلَّها ، وعقَد النَّحسُ له عُقْدةً لم يذكُر عاقدُها حلَّها ، وملَّه الملَوان ، وضحك على أملِه الخِذْلان ، فتبرَّجت لأحمدَ عروسُ تلك الممالك مُهنَّأةً بالرِّفاء والبَنِين ، وأمْسَتْ ثغورُها لِنُور مُحيَّاه ضواحِك متهلِّلةً بالفتح المُبين .

فما ألمَّ بتلك الثغور قَلَحٌ[2] إلَّا جَلاه بمساوِيك الرِّماح ، ولا نبَض عِرقُ كفرٍ إلَّا فصَده بمباضِـع الصِّفاح .

مع دخولِه بيوتَ الفضْلِ من أبوابِها ، وتحلِّيه دون ملوكِ الزَّمان بحَلْى آدابِها ، حتى إنه كان يحضُر دُروسَها ، ويُحيِي بمنطقِه الرَّائِقِ دَروسَها ، [3] ويُطْلِـع فى سماءِ ديوانِه شُموسَها[3] .

وله شعر وإنْشا ، بهما طِرازُ المجدِ مُوشَّى ، فهو ربُّ السيفِ والطَّيْلَسان ، والقلم المسدَّدِ والسِّنان .

لا زال المغربُ به كامل الأهلَّة ، والشمسُ تسعى له لتَخْدِم بالسَّعد مَحَلَّه .

---

(١) يشير إلى قصة قصير بن سعد اللخمى ، وعمرو بن عدى بن نصر ، ابن أخت جـذيمة الأبرش ، حينما أرادا أن يثأرا لمقتل جذيمة من الزباء ، فقتلت نفسها قائلة : بيدى لا بيد عمرو . انظر مجمع الأمثال ١ /١٥٧ والمعارف لابن قتيبة ٦١٨ ، ٦٤٦ .

(٢) القلح : صفرة تعلو الأسنان .

(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .

فمن عِقْده المنظوم ، ورحِيق أدبه المختوم ، قولُه[1] :

حرامٌ على طَرْفٍ يراهُ منـــامُ   وحَلٌّ لجسمٍ قد جفاهُ سِقامُ[2]
وكيف بقلبٍ فى هواهُ مُقلَّبٌ   وأنَّى له بين الضُّلوعِ مُقامُ[3]
فياشادِناً يرْعى الحشَا أنتَ بالحشَا   أما لِمَحَلٍّ أنتَ فيـــــه ذِمامُ

وأحسن [4]من هذا[4] قول الأَرَّجَانىّ ، فى معناه[5] :

يرْمِى فُؤادِى وهْوَ فى سَوْدائِه   أتراهُ لا يَخْشَى على حَوْبائِهِ
ومن البليَّةِ وهْوَ يرْمِى نفسَــه   أن يطمعَ المُشتاقُ فى إبْقائِهِ[6]

وها هنا نـكتة أدبية ، وهو أن الأَرَّجَانِىّ أخذ هذا المعنى من قولِ الحماسِىّ[7] :

قوْمى همُ قتـــلُوا أُمَيْمَ أخِى   فإذا رميتُ يُصيبُنى سَهْمِى[8]

إلا أن هـذا لا يُعَدُّ سرقة ، وإنما هو توْليد وانتقال من معنًى لآخر يضاهِيه ، وهو من سحر البلاغـة ، واستخراج مُخبَّآت كنوز المعانى ، وقلَّ من يهتْدِى إليه لِدقَّتِه .

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٢٢٣ .   (٢) فى ج :

حرام على طرف يراك نـام   وحـل لجسم قد شفاه سقـام

والمثبت فى سائر الأصول ، وخلاصة الأثر ، ورواية الخلاصة توافق مافى ج فى عجز البيت .
(٣) فى خلاصة الأثر : « وأين له بين الضلوع مقام » .
(٤) فى م : « منه » ، والمثبت فى سائر الأصول .
(٥) ديوان الأرجانى ٨ ، وخلاصة الأثر ٢/٢٢٣ .
(٦) فى الديوان :

ومن الجهالةِ وهْو يرشُق نفسَهُ   أنْ يطمع العُشَّاقُ فى إبقـائِهِ

والمثبت فى الأصول ، وخلاصة الأثر .
(٧) ديوان الحماسة (شرح المرزوقى) ١/٢٠٤ ، والبيت للحارث بن وعلة الذهلى.
(٨) فى المرزوقى : يقول ، قومى ، يا أميمة ، هم الذين فجعونى بأخى ووترونى فيه .

وكانت بعضُ حظَايَاه عليه غَضْبَى[1] ، وهى[2] مُجَرِّدَةٌ عليه من صَوارِم هجرها عَضْبَا ، فأهْدَى له حَرَسِيٌّ[3] وردةً من بستانِه ، وحيَّاه بَشِير الربيع بنشرها قبل أوانِه ، فأرسلَهـا إليها مع أبيـات يسْـترْضِيها ، ويستعطِفُ غصنَ قامتِها بنسـيم العتابِ ويَسْتَعفِيها[4] :

وافَى بها البستانُ صِنْوُكِ وردةً ... يقْضِى بها لمـا مطَلْتِ عهودَا
أهْدَى البَهَارَ محاجِراً وأتى بها ... فى وقتِه كيما تـكونَ خُدودَا[5]
فبعثْتُهـــا مُرتادَةً بنسيمها ... تُدْنِي من الرَّوضِ النَّضيرِ قُدودَا

وهو فى هـذا كمن أهْدَى للبحر الدُّرَر ، بل للرَّوض الزَّهَر ، ولا أقول التَّمْر لِهجَر .

وقوله أيضا[6] :

لا وطرفٍ عـــلَّم السيفَ فقدّ ... فى قَوامٍ كقَنا الخطِّ مَيَدْ[7]
ووميضٍ لاح لمَّا ابْتسمَتْ ... من ثنَايَا مثْلِ دُرٍّ أو بَرَدْ
ما هلالُ الأُفقِ إلا حاســدٌ ... لعُلاها وبَهاهـــا والغيَدْ
ولذا صـــار ضئيلاً ناحِلاً ... كيف لا يفْنَى نحُولاً مَن حَسَدْ[8]

---

(١) ساقط من : ا ، ب .
(٢) ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٣) الحرسى : الواحد من حرس الملك ، وهم أعوانه .
(٤) خلاصة الأثر ٢/٢٢٥ .
(٥) البهار : نبت طيب الريح ، قال الجوهرى : البهار : العرار الذى يقال له عين البقر ، وهو بهار البر ، وهونبت جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع ، يقال له: العرارة . اللسان (ب ه ر) ٤/٨٤ .
(٦) خلاصة الأثر ٢/٢٢٤ .
(٧) فى خلاصة الأثر : « لا ولحظ . . . . وقوام . . . » .
(٨) فى خلاصة الأثر : « عليلا ناحلا » .

وللقطب المكّىّ على مِنْواله :

لا وفَرْعٍ كدُجَى الليلِ غَسَقْ وجبينٍ ضَوؤُه ضوء الفَلَقْ
ومُحيًّا كَلِف البدرُ به وخدودٍ من حَوالَيْها شَفَقْ[1]
ما أرى الغِزلان إلا سرَقَتْ منكِ جيداً والْتِفاتاً وحَدَقْ
ثم خافَتْ فتولَّتْ شُرَّداً كيف لا يَشْرُدُ خوفاً مَن سَرَقْ

ومما نسجْتُه على مِنْواله :

لا وغصنٍ راقَ للطَّرْفِ وَرقّ وعليه حُلَلُ اللطفِ وَرَقْ
وشموسٍ لم تغِبْ عن ناظرى والشعورُ الليلُ والخدُّ الشَّفَقْ
وعُيونٍ حرَّمتْ نومِى وما حللَّتْ لى غيرَ دمْعِى والأَرَقْ
ما احْمِرارُ الرَّاح إلا خَجَلاً من رُضابٍ سكِرتْ منه الحَدَقْ[2]
والذى قد حسَبُوه حَبَباً فوقَ خدِّ الكاسِ قطراتُ العَرَقْ

﴿ تنبيه ﴾

هذا القِسَم عدَّه أهلُ البديع من المُحسِّنات كقول عبد الله بن المُعْتَزّ[3] :

لا ورُمَّانِ النُّهودِ فوق أغْصانِ القُدودِ
وعناقيدَ من الصُّدْ غِ ووَرْدٍ من خُدودِ[4]
ورسولٍ جاء بالمِيعادِ من غيرِ وَعيدِ[5]

---

(١) فى م : « كلف الدهر به » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ا ، ج : « إلا خجل » ، والمثبت فى : م ، ب

(٣) ديوانه ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) بعد هذا فى ديوان ابن المعتز :

ووجوهٍ من بُدورٍ طالعاتٍ من سُعودِ

والبيت أيضا فى خلاصة الأثر ١ / ٢٢٤ ، وفيه : « طالعات بالسعود » .

(٥) فى الديوان : « بالميعاد من بعد الوعيد » .

ونعـــيمٍ من وِصالٍ   فى قفَا طُولِ الصُّدودِ[١]
ما رأتْ عينى كعِيدٍ   زارَنى فى يوم عِيدِ[٢]

وقد أشار إليه فى « الكشاف » ولم يفهمْه كثيرٌ من الأدباء ؛ لأنه من المعانى الوَضْعية ، فلا وجه لجعلها مُحسِّنة .

وقد بيَّنه الإمام المَرْزُوقىّ[٣] بما لا مزيد عليه ، فى شرح قوله :

بَقَّيْتُ وَفْرِى وانحرفتُ عن العُـلَا   ولَقِيتُ أضْيافِى بوجْـــهِ عَبوسِ
إن لم أَشُنَّ على ابن حربٍ غارةً   لم تَخْلُ يوماً من نِهابِ نُفُوسِ[٤]

فأشار إلى أنه جعل ما يُذَمّ به من الصِّفات ، سواءٌ اتُّهِم اتِّصافُه بها أم لا ؛ لغايةِ تنفرِّه عنه ، بمنزلة المصائب العظيمة عنده ، ثم يُجعل[٥] مُقسَماً به ، تأكيداً لعَظِيم فظاعتِه ، ففيه كناية على كناية ، أو كناية مُرتَّبة على المجاز ، وهو كثير ، كقوله :

لئن كان ما بُلِّغتَ عنِّى فلامَنِى   صديقى وَشَلَّتْ من يَدَىَّ الأناملُ[٦]

وهذا هو القَسَم المعدود من المُحسِّنات ، وكذلك إذا أقسم على الشَّىء بنفسه ، أو

(١) فى الديوان :

ونعيمٍ فى وصـالٍ   حَلَّ من طولِ الصُّدودِ

وفى خلاصة الأثر : « وشقا طول الصدود » .
(٢) فى الديوان « مارأت عينى كظبي » ، وفى خلاصة الأثر :

مارأتْ عينى كغِيدٍ   زُرْنَنى فى يومِ عيدِ

(٣) حماسة أبى تمام (بشرح المرزوقى) ١٤٩/١ ، والبيتان للأشتر النخعى .
(٤) فى شرح التبريزى للحماسة ٧٦/١ أنه يعنى بابن حرب معاوية بن أبى سفيان .
(٥) فى م : « جعل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٦) فى ا : « فإن كان » ، وفى ب : « وإن كان » .

بمُساوِيه ، كقوله[١] :

* وثَنَاياكِ إنها إغْرِيضُ[٢] *

وقد ذكره الزَّجَّاج ، وفيه مباحِثُ أُخَر ، ليس هذا محلَّها .

وأخبرنى الأديب الفِشْتالىّ ، أنه أنشده يوماً قول الأبِيوَرْدِىّ[٣] :

ولو أنِّى جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربْتُ إلَّا بالسُّؤالِ

فقال[٤] صاحب الترجمة[٤] : لو كان[٥] الشعرُ لى لقلتُ[٦] :

ولو أنِّى جُعِلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربْتُ إلاَّ بالنَّوالِ[٧]

وفى معناه قولى فى بعض الرَّسائل : أعزُّ حصون العباد ، ظهورُ المُطَهَّمَة[٨] الجِياد ، وخيرُ من ذَبَّ عنك العِدى ، مَن ملَكْتَ قلبَه بالنَّدى .

ونحوه قولى :

بنَيْتُ حصوناً تصُون العُلاَ إذا ما بناه الملوكِ انْهَدمْ

حصوناً من العدلِ من حولها خنادقُ فيها مياهُ الكرمْ[٩]

---

(١) صدر بيت لأبى تمام وعجزه :

* ولآلٍ تُومٌ وبَرْقٌ وَمِيضُ *

ديوانه (بشرح التبريزى) ٢/٢٨٧ .

(٢) قال التبريزى : « المعروف أن الإغريض الطلع ، وقيل : إن البرد يسمى إغريضا » .

(٣) ليس فى ديوانه ، وهو فى خلاصة الأثر ١/٢٢٤ ، وبعده قوله :

لأنَّ الناسَ ينْهزِمُون منهُ وإنْ ثبتوا لأَطْرَافِ العَوَالى

(٤) زيادة من : م ، على ما فى : ا ، ب ، ج . (٥) فى ا : « أن » .

(٦) خلاصة الأثر ١/٢٢٥ .

(٧) فى خلاصة الأثر بعد هذا : « قال الخفاجى : وأين كلام سائل مل السؤال ، من كلام ملك يملك القلوب بالنوال » .

(٨) جواد مطهم : تام الحسن .

(٩) فى ا ، ب ، ج : « حصون من العدل » بالرفع .

ولابن الرُّومىّ ، من قصيدة له[1] :

وحاربَ مِن نَعمائِه رَيْبَ دهْرِهِ   من البرِّ والمعروف جُنْدٌ مُجنَّدُ

ولما بلغه « شرح توضيح ابن هشام » ، الذى صنَّفه الأستاذ الخال ، فى مجلدات ، أرسل إليه عطيّةً جزيلة ، ورجا منه إرسال نسخةٍ منه .

وصورة ما كتبه إليه :

من عبد الله المجاهد فى سبيله ، الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ، الشريف الحَسَنىّ ، أمدّ الله بعزيز نصره أوامرَه[2] ، وظفَّر بنصْرِه عساكرَه[3] .

إلى الفاضل الذى إذا نحا من العلوم نحواً رفع علَمه توضيحاً ، وجاز[4] تالياً وهو المُقدَّم ، ما تمحَّض من الخلاصة تنْقيحاً ، وشرَح ماخفِيَ إبانةً وتصريحاً ، الفقيهِ المثِيل ، النَّبيه النَّبيل ، المُتقِن المتفنِّن ، لا زال يُعمِّر من دَسْتِ العلم مِنَصَّه ، يُعمِل فى مَيْدانِها وَخْدَه ونَصَّه[5] .

سلامٌ عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ١/ ٢٢٥ أن هذا البيت لمولاى أحمد بن الرومى ، من قصيدة مشهورة طويلة ، ذكر منها هذين البيتين :

له صورةٌ مُستَكِنَّةٌ فى سَكِينَةٍ   كما اكْتَنَّ فى الغِمْدِ الجُرازُ المُهنَّدُ

بِجهْلٍ كجهلِ السيفِ والسيفُ مُنْتضًى   وحِلْمٍ كحلمِ السيفِ والسيفُ مُغْمَدُ

ثم قال : « قال الخفاجى : انتقدت عليه أنه كرر السيف أربع مرات ، وثلاث منها محل الإضمار ، ومثله يخل بالفصاحة . ثم قال : ورد بأنها كدعائم الخبا ، لو رفعت واحدة منها انهدم ؛ ووجهه أن تغاير الصفات منزل منزلة تضاد الموصوفات ، وكذا تغاير أوقاتها ، وكررت هنا لتدل بطريق الكناية الإيمائية على ذلك ؛ حتى كأنه السيف ، ودلالة اللفظ عليه فى كل حال بمنزلة دلالة المشترك على معانيه . وهذا نقله الشيخ فى دلائل الإعجاز عن الصاحب . انتهى ملخصا » .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « أوامرهم » .   (٣) فى ا ، ب ، ج : « عساكرهم » .

(٤) فى ا : « وجاز » ، وفى م : « وجاء » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) وخد البعير : أسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام ، ونص البعير : استخرج أقصى ماعنده من السير .

أما بعد حَمْدِ الله الذى ألهم تثقيفَ أَوَدِ اللِّسان ، وفتَق منه بالبيان رَتْقاً ، وصرَّف حِكمَةَ الإعْراب على ألسنة الأعراب ، فامتدّ شأْوُها فى مجال الإبانة طَلْقاً ، وأجرى جياد مَقاييسِه المُطَّرِدة فلم يتخلّف لاحقٌ عن متقدِّمٍ سَبْقاً .

والصَّلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أرْصَده سبَباً للسعادة سفيراً ، ودحَض به قوادِمَ الشِّرك فأصبح مَهِيضاً كسيرا ، وأعاض جمْعَه من السَّلامةِ تكْسيراً ، والرِّضا عن آلِه وأسرتِه الغُرِّ الزُّهْر الذين ينِمُّ شَذا ذكرِهم عَبيراً ، ويروق طِرازُ مجدِهم حَبِيرا .

وعن أصحابه الأعلام ، الذين فضُّوا حَلَقَ الضّلالةِ المسْرُودةِ ، ولقِيَتْ من عاصف بأسِهم مُبيداً مُبيراً .

وصِلة الدُّعاء لعليِّ هذا المقام الأحمدىّ المنْصورِىّ الحسَنِىّ بنصرٍ عزيزٍ يقطِف من الفتْح زهَراتِ الكمائم ، وسعدٍ جديد لا يزال قَرِينَ عَزَماته الماضية ما انقدح برْقٌ فى فى مُشكَةِ الغمائِم ، فكتبْناه لكم من حضرة مَرَّاكُش ، حاطَها اللهُ ، وصنائعُ اللهِ تعالى لهذا الجناب النَّبوىّ الكريم المَوْلَوِىّ مُطَّرِدة اطِّراد كُعوب الذّابل [١] ، وأمْدادُ عنايتِه المُطيفة المُحْدِقة بهذه الإيالةِ [٢] العليَّة واكِفةُ الغمائِم الوابل .

هذا ، وإنه قد اتَّصل بنا ماتعرَّفْنا به حُسنَ مَنابِكم ، وإرسالكم [٣] لعليِّ هذا المقام ، وأنكم ممَّن ارْتَشف مُجاجَةَ لَثَتِه [٤] المِسْكيَّة الختام ، واستوْفَى إيماضَ عنايته البازِغَةِ الشَّارق ، وشَام حَيَاها [٥] الواكِف غيْرَ خُلَّبِ البَارِق ، ليُقَمَّص من قُمُصِها [٦]

---

(١) الذابل : الرمح الدقيق . (٢) الإيالة : السياسة ، والبلاد تحت ولاية وال .

(٣) فى ا : « وأسبابكم » ، وفى ب : « وأسبالكم » .

(٤) فى ا : « نسيبه » ، وفى ج : « تشييعه » ، والكلمة ساقطة من : ب .

(٥) فى ا ، ب ، ج : « حماها » . (٦) فى ا ، ج : « عصبها » .

المُوشَّى أنيقَ الشَّارَة ، ويستشِفَّ [١] في حِزْب من حَلَّ منها عُلْوِيَّ دارَة .

وإلى هذا فتعرَّفُوا أن أمثالَكم من حَمَلةِ المعارف ، المتفَيِّئين لظِلِّها الوارِف ، مُتمَّم لهم في هذا الجَناب قِسْطُ النَّباهةِ بين وِترٍ وشَفْع ، ونداءُ أعلامِهم في هذا الباب لم يزل نداءَ رَفْع ، وجَنَى الكرامةِ دانِي الاهْتِصار ، وحظُّهم منها الإسْهابُ الذي لا يُخِلُّ به اقْتِضابٌ واقْتِصار ، وفِئتُهم المتحيِّزة إلى هذا المقام لم تزلْ بالعنايةِ محفُوفة ، تتعرَّف من تنْويهِ المقدار مَزِيَّتَه وشُفوفَه .

وأمَّا الغرضُ الذي يَمَّمْتُم ، والقصدُ الذي به ألْمَمْتُم ، من خِدْمة خِزانتِنا العليَّةِ بتصْنيفِكم المُنقَّح الفُصول ، المُحرَّرِ الفروع والأُصول ، « شرح توضيح العلامة [٢] ابن هشام » ، الذي [٣] أبرَزَ منه مكنُونَه حَتَّى اسْتنَار بعد اكْتِتام [٣] ، وترَكَ ذِكْرَ خالدٍ [٤] غيرَ خالد ، ونسخَ من صِيتِه الطَّريفَ والتَّالِد ، فلكم التَّصريحُ في الحقيقة ، والتَّفرُّد بمُسْتترِ الإضْمار ، وسابِقُ الحَلْبةِ إنَّما يُعرَف آخرَ المِضْمار ، فقد وقع [٥] من محلِّنا [٥] الكريم موقعَ القَبُول ، وهَبَّ له من إيثَارِنا [٦] كلُّ صَبًا وقَبُول ، وتوفَّرت داعيةُ رغبتِنا في إتْمامِه ، وإطْلاع جَنَى زهراتِه من أكْمامِه ، ليَتَّسِق [٧] إن شاء الله تعالى في سِلْكِ خِزانتِنا العليَّةِ اسْمُه ، ويثبُتَ بحمدِ اللهِ في فهارِسِها الكريمة رَسْمُه .

---

(١) في ا : « ويشف » ، وفي ب : « وينسف » ، وفي ج : « وينشق » .

(٢) ساقط من : ا ، ب .

(٣) في م : « أبرز من مكنونه خفي استتار واكتتام » ، وفي ا ، ج : « أبرز من مكنونه جنى استتار واكتتام » ، والمثبت في : ب .

(٤) يعني زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري ، من أهل جرجا ، بصعيد مصر ، نشأ بالقاهرة ، وعلى علمائها أتقن العربية حتى صار من أعلام النحاة ، له مؤلفات نحوية كثيرة . توفي سنة ٩٠٥ هـ . الضوء اللامع ٣/١٧١ ، الكواكب السائرة ١/١٨٨ .

(٥) في م : « في مجلسنا » .

(٦) في م : « إيسارنا » ، وفي ب : « اختيارنا » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) في م : « لينتسق » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

والله تعالى يسدِّد لكم فى غَرَض التَّوفيق مَرامِياً ، ويجعلُ قِسْطَكم من التَّسْديد زاكِياً ونامِياً .

والسلام[1] .

☆☆☆

﴿ فصـــــل ﴾

المكتوب له هذا المنشور العالى ، هو[1] أستاذِى وخالى ، علاَّمة العصرِ فى سائر الفنون ، وسِرُّ الدَّهرِ الذى كان فى ضميرِه عن النَّقْصِ مَصُون .

سِيبَوَيْه عصرِه ، وشافِعِىُّ زمانه (١ فى مِصْرِه ١) .

تُحفةَ عُطارِد ، وهديّةُ الفلَكِ لكل ماجد .

صاحبُ الحسَب والنَّسب ، الزَّاهد العابِد ، الذى لم تَمْضِ له طَرْفةُ عينٍ فى غيرِ طلَب الفوائِد .

تخرَّج على والدى ، ثم لازم العلاَّمة أحمد بن قاسم ، والعلاَّمة[1] الشَّمس الرَّمْلِىّ .

ثم بعدهما انتهَتْ إليه الرِّياسةُ العلميَّة ، وصَدْرُ الإفادة والتَّأليف والتَّصنيف .

وبِهِ تخرَّجت ، وبعلمه وبركةِ دعائِه انتفعت .

قدَّس الله تعالى رُوحَه ، وجاد بسُحُبِ الرَّحمةِ ضريحَه :

---

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج . وشمس الدين الرملى ، هو محمد بن أحمد بن حمزة ، ذهب جماعة من العلماء إلى أنه مجدد القرن العاشر ، توفى سنة ١٠٠٤ . وسيذكره المؤلف عند ذكر شيوخه آخر الكتاب . انظر خلاصة الأثر ٣/٣٤٢ .

٤٥

أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين

القطب، الرَّبَّانِىّ، الشَّنَوَانِىّ ، الوَفَائِىّ .

وجدّه الأعلى ابن عمٍّ السيد على الشريف الوَفَائِىّ ، التُّونِسِىّ منشأً ومولدا .

بحر العربيَّة الذى استمدَّتْ منه جداولُ الفضائل ، ورَوْضُ الكمال الذى قامت له الأغصانُ على سُوقِها فى الخمائِل .

لو رآه المُبَرِّد بَرَّد به الغليل ، أو أحمدُ لقال : أفْدِى « بالعين » هذا الخليل .

فكم قرَّط وشنَّف ، وألَّف وصنَّف .

لم أدْرِ أماءُ الحياة أحْلَى أم بِحارُ رَاحاتِه ، أم ماجرَى فى ظُلمات نِقْسِه[1] المُكتحِل من عَيْن دواتِه .

أما ترى القلمَ بغيْرِ رُوحٍ مَسَّه فمَشَى ، وطَرَّز حُلَل القراطِيس ووَشَّى .

(*) فى م : « أبو بكر إسماعيل بن شهاب الدين » ، والتصويب من : ا ، ب ، ج ، وخبايا الزوايا .
وهو :
أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشنوانى ، نسبة إلى شنوان ، بلدة بالمنوفية ، وبها ولد .
تخرج فى القاهرة على علماء عصره فى جميع الفنون ، وكان إماما فى النحو ، تشد إليه الرحال ؛ للأخذ عنه ، والتلقى منه .
وقد اشتغل بالتأليف ، وخرجت له مؤلفات كثيرة ، أهمها « شرح توضيح ابن هشام » ، ويذكر المحبى أن هذا الشرح فى مصر معدوم ، ويقال إنه لايوجد إلا بأرض المغرب ؛ فإن نسخته غار عليها بعض المغاربة ، فذهب بها معه إلى المغرب .
ابتلى أبو بكر بالفالج ، وتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٦٩ ب ، خلاصة الأثر ١/٧٩ ، ديوان الإسلام لوحة ١٥١ ا .

(١) النقس : المداد الذى يكتب به .

في طِرْسِه جداول تشعَّبتْ أنهارُها ، ونبتَ من السُّطور على حافاتِها رياضُها وأزهارُها [١] وأنوارُها [٢] :

فكأنَّ الزُّهورَ فيها شموعٌ ولِذا قيل إنها أنوَارُ

وهو لَعَمْرِى ممن تشرَّفتْ [٣] الصِّفات بذاتِه ، ولذا سُمِّيتْ بالتَّوابع ، وتحيَّرتْ العباراتُ في بديع صفاتِه ، إذ رأتْ مالم ترَه عيونُ المطامِع .

وهو والدى وأستاذى وخالى ، ومن التَّامِّ في زمن الطَّلب به شَعَثُ حالى .

وهو كما سمعتُه تَلْمَذ لأبى وتخرَّج بابن قاسم [٤] ، وهو الرُّحْلة العلَّامة الذى هو لعِقْد الفضل في جِيد الدَّهر ناظم .

وله تصانيف كثيرة شهيرة كـ « شرح التوضيح » الذى قرَّط به آذانَ الدَّهر ، وتوَّج به رأسَ الكمالِ وهامةَ الفخْر ، ونظَم به في جِيدِ الفضل قلائدَ السُّطور ، فافْتضَحتْ حلاوةُ « القطْرِ » [٥] وانتَثرتْ طلاوةُ « الشُّذور » [٥] :

تلكَ آثارُنا تدلُّ علينَا فانظُروا بعدَنا إلى الآثارِ [٦]

وكنتُ كتبتُ إليه مكاتيبَ بعد رحلتى ، وأسْرِ الزَّمان لى [٧] في طُول غُرْبتِى ، [٨] منها مكتوب صورتُه [٨] :

وجَد الصَّبا للعاشقين رسولَا فشَفى بإهْداءِ السَّلام عليلَا

---

(١) ساقط من : ج .

(٢) ساقط من : ا ، ب . (٣) في ا ، ب ، ج : « تتشرف » .

(٤) هو أحمد بن قاسم الصباغ الأزهرى ، شهاب الدين من كبار علماء مصر ، توفى بمكة مجاورا ، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة .

تراجم الأعيان ، للبوريني ١/٦٢ ، شذرات الذهب ٨/٤٣٤ .

(٥) في ا : « طلاوة الشذور » ، وفي ب : « وانتشرت طلاوة الشذور » ، وفي م : « وطلاوة الشذور » ، والمثبت في : ج .

(٦) في ا ، ب ، ج : « إن آثارنا » . (٧) ساقط من : ا .

(٨) في ب : « منها مكتوب هذه صورته الجميلة » ، وفي م : « منهاماصورته » ، والمثبت في : ا ، ج .

قُل للأحِبَّـــةِ أنتمُ مذ غبْتمُ　　لم ألْقَ وجهاً للسُّلُوِّ جميـــلاَ
نخلعْتُ أيَّامَ الوِصالِ قصـيرةً　　وابِسْتُ ليلاً للهُمومِ طويلاَ

حرس اللهُ تلك الذات التى بَدْرُها لا يُخْشَى سِرارُه ، لا زالتْ مُشرقةً فى سماء المعالى أنوارُه ، وكَلأ منها روضَ كمالٍ المجدُ أوراقُه وثمارُه ، وسقاها من وَسْمِىِّ النَّعماءِ كلَّ صَيِّبٍ مُغْدِق ، بَل مِن وَلِيٍّ [1] سَجاياه ماينْهُــو به خِصْب كل ربيع ويُورِق ، وحيَّا الله ذلك المُحيَّا ، وروَّى مواطنَ مواطئِه التى يفاخِرُ بها ثَراهُ الثُّرَيَّا .

لا زالت الفضلاء لا تنصرِف عن ناديه ؛ لأنه [2] مُنتَهَى جُموعِهــا ، ولا برحت الفضائلُ من سُحبِ بَنانِه مُخْصِباً ربيعُ ربُوعِها ، كما قلتُ فى قصيدةٍ تمسَّـكتْ بأذيالِ أفْضالِه ، وتمسَّـكتْ بعَبيرِ نسَماتِ إقْبالِه :

فرائدُ تزْهُو فى تَرائِبِ مدْحِـــهِ　　وعنــدِىَ لولا الجيــدُ ماحَسُنَ العِقْدُ
سَقَى اللهُ هاتيكَ الرُّبَى سُحْبَ راحةٍ　　لهـــا نسماتٌ من عواطِفِـه تحْدُو
وإنَّ بِقَاعاً قـــد سقاها بَنانُه　　لينْبُتُ فى أرجائِهـــا الفخْرُ والمجْدُ

وأنا أسألُ اللهَ تعالى أن يُطفِئَ من البُعدِ ضِرامَ صَدَاه ، بمُشاهدةِ ذلك الوجه الذى يقطُر منه ماء بِشْرِه ونَدَاه ، ويُحَـكِّمَ فى عاتِق الفِراق ، سيوفَ التَّدانِى والتَّلاق ، فإنَّ العبدَ مادام فى أسْرِ البُعْــد ، فِـكرُه محبوسٌ فى سجن الغرامِ والوجْــد ، مُتعلِّقةٌ به أشْراكُ النَّوى والنَّوائب ، فهو جازِمٌ بألا يُرفَع حِجابُ همِّه النَّاصب .

وكيف لا ، وإناء القلبِ مملوء بولائِك ، وثوبُ الحياة [3] لُحْمتُه وسَداه [3] منسوجٌ بيدِ نَعْمائِك ، فأنتَ [4] نُور حَدَقةِ الزَّمان ، ونَوْرُ حديقةِ الجنان ، والسلام .

---

(١) الولى : المطر يسقط بعد المطر .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « فإنه » .
(٣) فى م : « لحمة وسداء » .
(٤) فى ا ، ب ، ج : « فإنك » .

فكتبَ إليَّ ، رحمه الله [1] :

سلامٌ شَذَاهُ يملأُ الأرضَ نفْحةً ... تُبلِّغُها منِّى إليكَ يدُ الصَّبا [2]

وتحملُها هُوجُ الرِّياحِ إلى العُلاَ ... وتنشُرها فى الأرضِ شرقًا ومغربًا [3]

وسَقَّى ديارَ الرُّوم والجوّ عابسٌ ... رَذاذ كمالٍ حلّ فيها وطَنَّبا [4]

وردَّ عليه الغيْمُ لؤلؤَ حَلْيه ... ففضَّض هاماتِ النَّباتِ وذهَّبا [5]

لئن كان عن مِصْرٍ توارَى شِهابُها ... فقد لاح فى دارِ الخلافةِ كَوْكبا [6]

وما كان تأخِيرى جوابَك عن قِلًى ... ولٰكنَّ ضَعْفى للقريحةِ شَيَّبا [7]

وشرَّقنِى دمعُ الأسَى وأهاضَنِى ... على أنَّ قلبى مِن فِراقِك غَرَّبا [8]

نأتْ بك ياقُسَّ الفصاحَةِ بلدةٌ ... وخلَّفْتنِى بعدَ الفِراقِ مُعذَّبا

فليتَ الذى شقَّ القلوبَ يرُمُّها ... وليتَ الذى ساق القطيعةَ قرَّبا

سلامٌ كعَرْفِ الرَّوْض جرَّ عليه النَّسيم ذيلَه ، بعدما باتَتْ كؤوسِ القطرِ تُدار عليه نهارَه وليلَه ، فأشرقَتْ شمسُ نهارِه على الرَّوابى والبِطاح ، وأقبلتْ ترشُف رِيقَ الغَوادِى من شِفاه الشَّقيق وثَنايا الأقَاح ، ونشَر [9] كافورُ الطَّلِّ مِسْكىَّ الشَّذَى على مجامرِ [10] الجُلَّنار ، ونُصِبتْ على نَدِىِّ النَّدى سُرادِقاتٌ من مُخيَّمات الأشْجار .

---

(١) خلاصة الأثر ١ / ٨٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « يملأ الأرض نكهة » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « وتحمله هوج الرياح . . . وتنشره . . . » .

(٤) فى م : « ويسقى ديار » ، والمثبت فى ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى ب : « وسق ديار القوم » ، وفى ، ج :

وسقى دِيارَ القومِ والجوُّ عابقٌ ... وزاد كالًا حلّ فيها وطَنَّبا

وفى خلاصة الأثر : « والجو عايس » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « لؤلؤ طله » .

(٦) فى ا : « لئن فى سما مصر . . . » .

(٧) فى خلاصة الأثر : « عن سدى » .

(٨) فى خلاصة الأثر : « وشرقنى دمع الأسى وأهاننى » .

(٩) فى م : « ونشرت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(١٠) فى ا : « محاجر » .

يُهدَى إلى من أَلقتْ إليه العلومُ مقاليدَها ، وملَكَ من التَّحقيقاتِ الفِكْرِيَّة طارِفَها وتَلِيدَها ، أفصحُ مَن وَشَّى وجوهَ الطُّروس بخُطوط المعارف ، وأسْبلَ على عرائس الألفاظِ فواضِلَ المطارِف .

لا زالتْ عوارفُ المعارفِ عليه مُنْهَلَّة ، وذيولُ مجدِه من بِحار المكارم مُبتَلَّة .

وبعد ، فقد ورد علينا[1] المشرِّف الكريم ، فألقيْنا عليه عصاَ التَّسليم ، واجتَنَيْنا من قُطوفِه الدَّانية بَاكُورَة التَّسْجيع ، وتصيَّدْنا من غُصون هَمَزاتِه حمائمَ التَّرجيع ، ورأيْناه قد اشتمل على عَتْبٍ أرقَّ من دَمْعةِ الكئِيب ، وألطفَ من مُعاتَبةِ الحبيب للحبيب .

غيرَ أن عُذرِى مقبولٌ لا يُرَدّ ، وطُولَ الأسَى رَفِيقٌ لا يوَدّ ، فإن المرض لازَمنى منذ سنواتٍ ملازمةَ النُّجوم الأفْلاك ، ونصَب لصيْد الصِّحَّةِ فِخاخَه والشِّباك ، لا يُفارِقُنى إلا مفارقةَ الجفْن للعَيْن ، كأنه غريمٌ مُلِحٌّ له علىَّ دَيْن .

كأنَّ السُّقْم مُحتاجٌ لجسْمِى ... فما ينفَكُّ عنه قِيْدَ شِبْرِ

إن أردتُ القيامَ من مَضْجَعِى فلا بُدَّ من مُعِين ، وإن مشَيْتُ فلا أَسْتغنِى عن عصاً وقَرِين .

رفضَتْ يدى القلمَ وطالمَا حملَتْه ، وجفَا يَمِينى بعد ما أرْضعَتْه من جداول النَّوال وغَذَّته .

وارتَعَشَتْ اليدُ لِفراقِه أسفاً وندماً ، وصار وُجْدان الطُّروس بعده عدَماً ، وأصبحتُ كأنِّى من أهل الكهف والرَّقيم[2] ، لا أعرف كم لِبثْتُ من السِّنين ، وإن كان عندى المُقْعِد المُقيم[3] ، والسلام .

---

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٢) الرقيم : لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم ودينهم ، وممن هربوا . معانى القرآن ٢/١٣٤ . وانظر اختلاف المفسرين فى معناه ، فى تفسير القرطبى ١٠/٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وتفسير ابن كثير ٣/٧٣ .

(٣) فى ا ، ج : « والمقيم » .

وما شَــكاه فى كتابه ، فالِج رماه بأوْصابه ، فى دهْر [١] أثقلَه بمصائبه [١] ، وعضَّه [٢] بأنياب نوائبه [٢] ، فـكساه لِباسَ البَأْسِ والضرّ ، وخلَع ثوبَ الحياةِ ، فقال [٣] :

* فثوباً لَبِسْتُ وثوباً أجُرّ *

وقلتُ لما أتى نَعِىُّ وفاتِه ، مُضمِّناً [٤] :

رحمَ اللهُ أوْحـدَ الدّهرِ مَن قد كان من حِلْيةِ الفضـائل حَالِى [٥]

ذاكَ مَن قلتُ سَلْوةً إذ نَعُوه ليْسَ حىٌّ على المَنُونِ بخَـالِ

والمصراع الأخير شاهدٌ لتَرْخيم خالد ، كما ذكره النُّحاة [٦] .

ولما جاء نَعِىّ الخال ، أُخْبرت بموْتِ الوالد أيضاً ، فقلتُ فى مرثيّةٍ له :

كأنّ الليـالى غالطَتْنى ولم أكُنْ أُقدِّرُ أن أغْـترَّ بالمـكْرِ والحِيَلْ

فقالتْ إذا أعطيْتُكَ الأمْنَ عاجلاً من الرُّزْء هل ترْضَى فقلتُ لها أجَلْ

فجـاءتْ بفَقْدِى للّذين أحِبُّهمْ وقالتْ لهذا كنتُ أعْنِى فلا تسَـلْ

لأنِّىَ لا أخْشَى مُصاباً بُعَيْدَ ذَا فلِله رَيْبُ الحـادثاتِ وما فَعَلْ

وهذا معنًى مشهور فى كلام فصحاء العرب ، ولـكنّنى تصرّفتُ فيه ، مع تسْمية النوع ، تصرُّفا يعرِف حسنَه من ذاق حلاوةَ الأدب .

وفى هذا المعنى يقول الصُّولِىّ :

كنْتَ السَّوادَ لمُقْلةٍ تبـكى عليكَ وناظرُ [٧]

---

(١) فى ا : « أثقله عصائبه » ، وفى م : « أثقلته عصائبه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى م : « وعضته بالأنياب نوائبه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٣) عجز بيت لامرىء القيس صدره : * فلمّا دنَوْتَ تسدَّيْتُها *
شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسى ٩ ، وروايته : « فثوبا نسيت » .
(٤) خلاصة الأثر ١/٨١ .
(٥) فى م : « فى حلية الفضائل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٦) انظر حاشية الصبان على الأشمونى ٣/١٨٤ .
(٧) فى م : « يبكى عليك الناظر » ، وفى المواهب اللدنية (الزرقانى على المواهب) ٨/٢٨٧ : « فعمى عليك الناظر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

مَن شاء بعدَكَ فليَمُتْ فعليكَ كُنتُ أحاذِرُ

وهو رِثاءٌ فى ابنٍ له ، وأخطأ صاحب «المواهب اللَّدُنيَّة» إذ زعم أنه رِثاء فى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعَزاه لغيرِ قائله[1] .

وفى معناه قولُ الآخر :

فكلُّ ما كنتُ أخشَى قد أُصِبْتُ بهِ فليس بعدهمُ مِن فائتٍ جَزَعُ[2]

وقال آخر :

اعتَضْتُ باليأسِ منه صَبْراً واعتدَل الحُزْنُ والسُّرورُ
فلستُ أرجو ولستُ أخْشَى ما أحدَثَتْ بعدَه الدُّهورُ
فليَجْهَدِ الدَّهرُ فى مُصابِى فما عسى جَهْدُه يُضِيرُ[3]

وقال أشْجَع[4] :

فما أنا مِن رُزْءٍ وإن جَلَّ جازِعٌ ولا بسُرورٍ بعد مَوْتِكَ فارِحُ

وقال غيرُه :

لَعَمْرِى لئِن كُنَّا فقَدْناكَ سيِّداً يحِقُّ لنا طُولُ التَّحزُّنِ والهَلَعْ[5]
لقد جرَّ نفْعاً فقْدُنا لكَ إنّنَا أمِنَّا على كلِّ الرَّزايَا من الجَزَعْ

وقيل لأمِّ الهَيْثَم[6] — وهى امرأة مع بلاغتِها لها علم باللُّغة ، والأزهَرِىّ كثيراً ماينقل عنها فى « تهذيبه » — لما مات ابنُها : ما أسرعَ ماسلَوْتِ عن الهَيْثَم !

فقالت : أمَا واللهِ ، لقد رُزِئْتُه كالبدر فى بهائِه ، والسَّيفِ فى مَضائِه ، والرُّمح فى

---

(١) عزاه صاحب المواهب اللدنية إلى حسان بن ثابت .
(٢) فى م : « فليس من بعدهم » .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « فما عسى جهده يصير » . (٤) زهر الآداب ٧٩٤ .
(٥) فى ا ، « لعمرى وإن كنا » ، وفى ج : « لعمرى لقد كنا » .
(٦) خبر أم الهيثم فى زهر الآداب ٧٩٨ ، وفيه أنها أم الهيثم السدوسية .

رُوائِه [١]، واللهِ، لقد فُرِيَتْ كبدِى [٢]، وتصدَّع قلبى لفَقْدِه وبُعْدِه [٣]، وما اعتَضْتُ به إلا [٤] الأَمْنَ من الرَّزايا بَعدَه [٤].

وقد أوضح هذا المعنى القائل [٥]:

ومَن سَرَّهُ أن لا يرَى مايسوءه فلا يتَّخِـذْ شيئًا يخافُ له فَقْدَا

وهو بابٌ واسع، لو أردنا نظائِرَه سحبْنا ذيلَ المقال، على أثَرِ المَلال، فلْنقتصِر على مقدار الـكِفاية منه.

⁂

(١) فى زهر الآداب: «والرمح فى استوائه».

(٢) فى زهر الآداب: «ولقد فتتت مصيبته كبدى».

(٣) زيادة من: م.

(٤) فى ا: «أمنى من الرزايا بعده»، وفى ب، ج: «أمن الرزايا من بعده»، وفى زهر الآداب: «أمن المصائب لفقده».

(٥) التمثيل والمحاضرة ١٠٤، خاص الخاص ١٠٦، نهـاية الأرب ٣/٩٧، والقائل هو عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر.

٤٦

محمد الفِشْتَالِىّ*

وزير مولاى أحمد .

أديبُ فَاس، ورَيْحانة فضلائِها الأكْياس .

تقدَّم فيها مُتقلِّداً قِلادةَ إنْشائِها ، فائقاً برسائلِهِ على سائر أُدبائِها .

وكان فى عصرِه من أجَلِّ وزرائِها، رافِلاً فى حُلَل الحُبُور ، تَبْسَم له الدولةُ الأحْمَديَّة بثُغور السُّرور .

وعاد إلى القُسْطَنْطِينِيَّة رسولًا من ملِك الغرب والعَوْدُ أحْمد ، مُعَيَّناً للسِّفارة وهل أحَـدٌ أوْلَى بالرِّسالة من محمد ؛ لأنه ممَّن ألْقَى إليـه مقاليدَ النُّهَى البشَر ، وسلَّمتْ إليه يدُ التَّدبير مفاتيحَ الرَّأْى والحَذَر .

وكان بها كثيراً مايجلُو علىَّ كأسَ أُنْسِه ، ويُسامِرُنى بلَيْل سَمَرِه ونِقْسِه ، ونحن فى مِضْمار المُحاورة نتجارَى ، حتى مضَى لنا معه أُوَيقاتٌ أقصرُ من إبْهامِ القَطاة والحُبارَى، وأقصرُ من عُمْرِ تَلاقِى الأحْباب ، بل سَالِفَةِ [١] الذُّباب ؛ لأنه ممَّن أحكم عُرَى المجد ، وجذَب عِنان الشِّعر وأحكم الحَلَّ والعَقْد .

فـكنتُ إذا جاذبْتُه أهْـدابَ الآداب ، وأجلْتُ فى نادِيه قِداحَ الخِطابِ ، كأنِّى جاثٍ [٢] بين يدَىِ الفرَزْدَق أو جَرير [٢] ، لأنه بصيرٌ بعوْرات الـكلام خَبِير .

(*) ذكره الخفاجى فى خبايا الزوايا لوحة ١٧١ ب ، والسلاوى فى أثناء الجزءالخامس من الاستقصاء باسم محمد بن على الفشتالى ، وعلى أنه كاتب مولاى أحمد ، لا وزيره .

(١) فى ا ، ب ، ج : « بسالفة » ، والسالفة : مقدم العنق .

(٢) فى ا ، ب ، ج : « بين الفرزدق وجرير » .

ولما ورد الرُّوم ، كتبتُ له مُهنِّئاً بالقُدوم :

قُدومٌ له هٰذِى الثُّغورُ بواسِمُ ... وليس له غـــيرُ الزُّهورِ مَباسِمُ (١)

مَسرّاتُ إقْبـــالٍ وعزْمُ قوادِمٍ ... عليها لِطَيْرِ اليُمْن رَفَّتْ قوادِمُ (٢)

على فَتْرةٍ وافيْتَ للرُّومِ مُرسَلاً ... فضاءتْ بنُورِ العلم منهـــا المعالِمُ

فهــل أهْـــدَتِ الأيامُ أعيــادَها لنَا ... ففِى كلِّ وقتٍ مذ قدِمْتَ مواسِمُ

هذا هناءٌ عرائسه على الألباب مجْلُوّة ، وآياتُه المُحكَمة بلسان الزمان متْلُوّة ، سُرَّت به الليالى والأيَّام ، حتَّى كأَنَّه فى فمِ الدنيا ابْتِسام .

ولَعَمْرِى لقــد أبان هــذا الرسولُ من المُرسِل كمالَه ، ولا غَرْوَ أن خُصَّ محمد فى زمانِنا بالرِّسالة .

قُدومٌ ذهَّبَ الأفقَ فى البُـكُر والآصــال ، وهبَّتْ على رياضِ مجــدِه نَسَماتُ الإقْبال .

وقد جريْتُ فى هــذه التَّهنئةِ من الأدب على سَنَنِه ، وأردتُ أن تُحْيَى بهــا (٣) فرائضُ مذْهبِه ومُؤكَّداتُ (٣) سُنَنِه .

فمِن مولانا تُجتَنى (٤) ثمراتُ الألباب ، وتُطرَّز (٤) حُلَل المعارِف والآداب .

فهذا زمان طلَعت فيــه (٥ شمسُ الفضْلِ ٥) من مغرِبها ، فإن فتح مولانا كنوزَ فِـكْرِه فالعبدُ أحقُّ بطَلَبِها ، والسلام .

---

(١) فى ا : « هذى الثغور مباسم » .
(٢) فى ا : « وعز قوادم » .
(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٤) فى ب ، ج : « نجتنى . . . ونطرز » .
(٥) فى م : « الشمس » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج.

فأجاب بقوله :

جُذيْلُ حِكاكٍ قد رمى بعظيمةٍ ... كثالثةِ الأثْفى وهُنَّ عظائمُ [1]

وذكَّرنِي الظَّعْنَ الذى قد نسيتُه ... فتًى مُبْشِرٌ بل مُنْذِرٌ لا يُقاوَمُ

كأنِّىَ بالفضلِ الذى هو أهلُه ... يُغطِّى عِراقًا وهو بالنَّقْصِ عالِمُ [2]

طالعتُ ، أبقاكم الله ، السَّحاة [3] التى لو رآها الفَتْح [4] لما انفتح له إلى الإحْسان باب ، ولو طالَعها البديعُ [5] ما ارتدَى من تَميِسه بجلْباب .

أُقسِم بتلك الفِقَر والقوافى ، وهُنَّ القوادِمُ فى جَناح الإحْسان والخوافِى ، لقد سقَتْنى [6] من الأُنس بعد الصَّحْو كأساً دِهاقاً [7] ، وملأتْ فكْرِى وهو المظلِم بتنائى السَّكن إضاءةً وإشْراقاً .

وإنى لتارِكٌ لعِتابِ اللَّيالى ، إذ جمعَتْنا فى [8] هذه الدِّيار بأمْثالِكم ، لا زِلتُم تُقيمون رسومَ المعالِي ، وتجمعون فى المكارم بين المقدَّم والتَّالى ، بمَنِّه وطَوْلِه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وله ماءُ شِعْرٍ تشربُه أفواهُ الأسْماع ، ورياضُ منْثورٍ تُغرِّد حمائمُ قوافِيه بمُطرِب الأسْجاع .

---

(١) الجذيل المحكك : الذى ينصب فى العطن لتحتك به الجربى ، وأنا جذيلها المحكك : أى يشتفى برأيي . وثالثة الأثافى : القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنان ، ليوضع عليها القدر ، ورماه بثالثة الأثافى ، أى بالشر كله ، جعل الشر أثفية بعد أثفية ، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية . القاموس (أ ث ف) ، وهكذا جاء « الأثفى » فى البيت ، وجمع الأثفية أثافى .

(٢) العراق : الخرز المثنى فى أسفل المزادة ، والراوية . انظر القاموس (ع ر ق) .

(٣) السحاة : ما أخذ من القرطاس . اللسان (س ح ى) ١٤/٣٧٢ .

(٤) يعنى الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان الكاتب المؤرخ ، توفى سنة ٥٢٨ هـ . انظر معجم الأدباء ١٦/١٨٦ ، نفح الطيب ٤/٦١٨ .

(٥) يعنى البديع الهمذانى ، أحمد بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٩٨ هـ . معجم الأدباء ٢/١٦١ ، يتيمة الدهر ٤/٢٥٦ .

(٦) فى ا ، ج : « سقيتنى » .

(٧) كأس دهاق : ممتلئة .

(٨) فى ا ، ب ، ج : « من » .

فما دَار بيْنِي وبينَه من كُؤوس المخاطَبـة ، وجال من جيـاد القَوْل فى مِضْمارِ المُـكاتَبة ، وأنا مسجونٌ بالرُّوم ، وليس لى غـيرُ القضاءِ والقدر سَجّان ، فى ديارٍ ترى العربىَّ فيهـا غريبَ الوجْهِ واليدِ واللِّسان ، قَوْلِى مُلغِزاً فى حَبّات الأحْقاف ، المُلْتَفَّة تحتَ أغْصان المعاطِف على كُثُب الأرْدَاف :

أيا رَوْضاً له ظِـلٌّ ... وشمسُ معارفٍ تعلُو
ويامَن قولُه فَصْلٌ ... وعُنْصُر ذاتِه فَضْلُ
أبِنْ لى ما مُقَيَّـدةٌ ... بردْفٍ مالَهُ وَصْلُ
بلا قلبٍ مُحجَّبةٌ ... ومنهـا العَقْـدُ والحَلُّ (١)
على بابِ المَسَرّةِ أوْ ... على كنْزِ الهوَى قُفْلُ
ويحسنُ عَقْـدُها لٰـكن ... إذا حلَّيْتَهـا تحْلُو

فأجاب ، وأجاد :

وفِـكْرٍ طَـلُّهُ وَبْـلُ ... لندْبٍ فضْـلُه أصْلُ
ونظمٍ أرْفَعُ الشُّهبِ ... لأدْنِى قَدرِه نَعْـلُ
أَهٰـذِى فَتْـكَةٌ بِـكْرٌ ... عتَا فى بدْئِهـا نَصْـلُ (٢)
وحُزْتُم قصَبَ السَّبقِ ... فلم يَعُدْ لـكم خَصْـلُ
وفُزْتُمْ من ثنًا جَزْلٍ ... بما ليس له مِثْـلُ
فلا زِلْتُمْ ولا زالَتْ ... بـكمْ ساعَاتُنـا تحْلُو

وكتبتُ له مُلغِزاً أيضا :

أيُّهـا المفرَدُ الذى صار جمعاً ... فى المعالِى ورَقّ لفظاً وطَبْعا
أىُّ شىءٍ لدى السَّمٰوات يُلْفَى ... وهْوَ فى الأرض بالجَراءة يَسْعَى

(١) فى م : « وفيها » .
(٢) يعنى التـكة.

ذُو ثلاثٍ وأربعٍ إن عَـدَدْنَا ... وتراهُ إذا تحققْتَ سبعاَ
فأجِبْنِي بجوْهرٍ من نِظَـامٍ ... كى أُحَـلِّى به لسانًا وسَمْعاَ

فأجاب ، وأجاد :

يابديعاً حاز المحاسِنَ طَبْعاَ ... وكريمًا له المحامِدُ تَسْعَى
لِىَ لُغزاً أهديتَه فى بُرودٍ ... من مَعانٍ كأنَّهـا وَشْىُ صَنْعاَ[1]
حاكَه فِـكْرُ ماهرٍ قـد تناهَى ... فى ضُروبِ البيان أصْلاً وفرْعاَ
خامسٌ من بُروجِ دائرةِ الشَّمْـ ... ـسِ وفى الغابِ بالضُّبارِمِ يُدْعَى[2]
لميَادِين فِـكْرِه تتبارَى ... سُبَّقٌ عنـدها السَّوابِقُ صَرْعَى
شُقْرُ ذاك اليَراعِ مع دُهْمِ نِقْسٍ ... شُهْبُ طِرْسٍ يُرضِيه حُسْنًا ووَضْعاَ[3]
يُسعِد الـكفَّ ساعِـدَاها القويَّا ... نِ وما للطِّعـانِ ضاعَفْتُ دِرْعاَ
والقوافى تَمِيلُ مَيْـلَ الغوانِى ... للفتى حين يُشْبِـعُ الشيخُ صَفْعاَ
إن عَهْدِى بالرَّمْىِ عهـدٌ قديمٌ ... أنْتَ أقْوَى على قِسِيِّكَ نَزْعاَ

وهذا يُشير إلى قول أبى حَيَّةَ النُّمَـيْرِىّ[4] :

رمَتْنِى وسِتْرُ اللهِ بيْنى وبيْنَهَـا ... عَشِيَّةَ أحْجار الـكِناسِ رَمِيمُ[5]

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « لى لغز » .
(٢) يعنى الأسد ، وهو الخامس من بروج الشمس ، وهو أيضا الضبارم . انظر القاموس (ضبرم) .
(٣) فى ا : « يرضيه جنا » ، وفى ب : « خيا » ، وفى ج : « حيا » ، وهواضطراب . وبين هذا البيت والذى قبله تقديم وتأخير فى : ج ، وفيها : « شعر ذاك اليراع » .
(٤) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة ، شاعر ، راجز ، من أهـل البصرة ، وصف بالجبن والـكذب والبخل ، كان له سيف ، يقال : لم يكن بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه لعاب المنية ، توفى آخر خلافة المنصور العباسى.
سمط اللآلى ٩٧ ، المؤتلف والمختلف ١٤٥ .
والبيتان فى البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، والـكامل ١/٢٩.
(٥) فى الأصول : « رميت وستر الله . . » ، ولا يتفق هذا مع ما أراده المصنف من إيراد البيتين . والتصويب من : البيان والـكامل ، وفيهما : « عشية آرام الـكناس رميم » .

ألا رُبَّ يومٍ لو رمَتْنِي رمَيْتُهـــا ولٰـكن عهْدِى بالنِّضالِ قديمُ [1]

وأنشدنى قصيدةً هنَّأ فيها بفتح ، فمما اخترتُه منها قوله :

بُشْرَى تُزَفُّ من الزمان المُقْبِلِ بمَنصَّةِ الجذَلِ الذى لم يَرْحَلِ
يا نجلَ فاطمــةٍ وكلِّ مُفاخِرٍ فهو المُفــاخِر دُرَّكُمْ بالجَنْدَلِ
لولا ضِيــاء المَشْرَفيَّةِ والقنَا ضلَّتْ كتائبُهم بليلٍ ألْيَــلِ
بعساكرٍ رمِدتْ بعِثْــيَرِ نَقْعِها عينُ الغزالةِ فى الرَّعِيل الأوّلِ
خطَبتْ سُيوفُك فى منابرِ هامِهِمْ خُطَبًا تُذيقُهمُ نَقِيعَ الحنظَلِ

ومنها ، فى ختامها :

هاكُمْ أميرَ المؤمنين قوافيًا فاحَتْ مجــامِرُ طِيبِها بالمَنْدَلِ
بمديح أهْلِ البيتِ هزّتْ مِعطَفًا هُزُؤًا بمدْح جَرِيرِهِمْ والأخْطَلِ

وقوله فى جواب اللُّغْز الســابق : « حين يشبع الشيــخ صفعا » من مَزْج الجِدّ بالهَزْلْ .

وعليه فانظر قولى فى النُّتَف ، التى سمَّيْتُها « بالشُّهب السَّيارة » ، وهو :

قيل إن كان فى الشباب سرورٌ فبَياضُ الوجوه خَــيرُ وَقارِ
قلتُ رُدُّوا الشَّبابَ لى واصْفَعونى واجْعَــلونى سُخْرِيَّةً للصِّغارِ

والشىء بالشىء يذكر .

---

(١) ذكر المبرد هذين البيتين فيما يفضل لتخلصه من التـكلف ، وسلامته من التزيد ، وبعـده من الاستعانة ، وقال بعد أن أوردهما : « يقول : رمتنى بطرفها ، وأصابتنى بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولـكن قد تطاول عهدى بالشباب »

وأجاد التَّعاوِيذِىّ[1] فى قوله[2] :

وعُلُوُّ السِّنِّ قد كسَّر بالشَّيْبِ نشاطِى
كيف سَمُّوه عُلُوًّا وهْوَ أخْذٌ فى انحِطاطِ

وقوله : « بعساكر رمدت » إلى آخره ، كقول الأَرَّجانىّ[3] :

والشمسُ فَرْطُ سَناهُ أرْمَدَ عينَها فكحَلْتَها أيدى الجِيادِ بإثْمِدِ

ومنه قولى فى النُّتَفِ أيضا :

وليلٍ زارَنى والسعدُ وافَى على رغمِ المُنافِقِ والمُداجى
رَأى ليلِى عيُونَ الشُّهْبِ رُمْدًا فعصَّبَها بمُسْوَدِّ الدَّياجِى

وأنشدنى من قصيدةٍ له ، قالها وقد دعاه داعى النجاح ، وأسفَرتْ له شمسُ الظَّفَر من خلف سِتارة الفلاح ، وأنشدَتْه المسرَّةُ ، قولَ شيخ المَعرَّة[4] :

ابْقَ فى نعمةٍ بقاءَ الدُّهورِ نافذَ الأمر فى جميع الأمورِ

وقد قدِم من غَزاةٍ صدَع بها شملَ الكفر أىَّ صَدْع ، بعد ما خَطَّ على صُحُف البسيطة سطورَ جيشٍ مُتَرَّبةً بالنَّقْع ، غَصَّ بعِثْيَرِها الوِهاد ، وسُرَّ بها الفضاء فتضمَّخ من دم الأعداءِ بالجِساد[5] ، والربيعُ قد نقَّط تلك الصحفَ ووشَّاها ، وخطَّ فى جوانبها النباتَ وحشاَها .

وكسا الأرض خِدمةً لك يا مو لاىَ دون الملوكِ خضْرُ الحريرِ
وغَدت كلُّ رَبْوةٍ تشْتهى الرَّقْ صَ بثوبٍ من النباتِ قصيرِ[6]

---

(١) التعاويذى هو محمد بن عبيد الله ، يقال له ابن التعاويذى ، وسبط التعاويذى ، شاعر بغدادى ، عمى فى آخر عمره ، توفى سنة ٥٨٣ ﻫ .
نكت الهميان ٢٥٩ ، والنجوم الزاهرة ٦/١٠٥ .

(٢) نكت الهميان ٢٦٢ . (٣) ديوانه ٩٥ .

(٤) شرح التنوير على سقط الزند ١/٧٠ ، وشروح سقط الزند ١/٢٢٤ .

(٥) الجساد : الدم اليابس . انظر القاموس (ج س د) .

(٦) فى م : « وغدت كل روضة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

فهِىَ تختالُ فى زَبَرْجَدةٍ خضْ ... ـراءَ تُغْذَى بلُؤْلؤٍ منثــورِ[1]

فقدِم وله عن ذنوب الدَّهر صَفْح ، والقِلاعُ تُعرِب عن رفعِ عزْمِه بعد ما بناها على الفتْح ، فى يومٍ عُدَّه عيدَ السرور ، فهو مِلْءُ العيون مِلْءُ الصّدور .

فقام بين السّماطَيْن ، وهو إذاً رأس كُتّابه ، وناظمُ عقود[2] الجوهر فى سِلْكِ خِطابِه ، مُهنِّئاً ومُنشِداً ، وفى رياض ناديه مُغرِّداً ، بقوله أيضا[3] :

قَسَماً بالجفون فى سَطوةِ المُلْ ... ـكِ وقد أيَّدتْ بحُسن الفُتورِ

وظُباهـــا التى بها تحتمِى فى ... حَوْزَةِ الصَّوْن بارقاتُ الثُّغورِ

وبخــدٍّ يُكْنَى أبا لَهَبٍ تُذْ ... كِى يدُ الحسن نارَه فى الضَّميرِ

وبرَوْضٍ تدِبُّ شوقاً إليــهِ ... عَقْربُ الصُّدْغ فى ليالى الشُّعورِ

لَهجرْنا المنــامَ حتى تناستْ ... نحوَنا للخيالِ طُرْقُ المَسِيرِ[4]

يا ظِبــاءً سنَحْنَ مُلتفِتاتٍ ... مُتْلِعاتٍ أجْيادَهــا للنُّفورِ

أمَّنَ اللهُ رَوْعَكُنَّ فإنى ... أرتجى وَقْفةً بوقْتٍ يَسيرِ[5]

ومنها :

نَسْمــةٌ فى باب الإمالةِ تُبْ ... دى عِلَلَ اللِّين فى القضيبِ النَّضيرِ[6]

ما عهِدْنا رِيمَ الفـلا وغصـوناً ... يُشرِقُ الحسنُ فى بُرودِ البُدورِ

رافضاتٍ عهْدَنا هلْ لوصْــلٍ ... مِن رجاءٍ يطْفى لقلْبى الحَرُورِى[7]

---

(١) فى م : « خضرا وتغذى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ا ، ب : « عقد » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « منها » .

(٤) فى م : « بيننا للخيال » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٥) فى ا : « آمن الله » ، وفى م : « بوقت مسير » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٦) فى م : « تبرى علل اللين » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٧) فى ا ، ج : « رافضيات عهدنا » ، وهو هنا يشير إلى المقابلة بين الرافضة والحرورية ، أتباع نجدة بن عامر الحرورى . انظر الكامل للمبرد ٣/٢٤٤ وما بعدها .

ذابَ شوقاً وأنفق العمرَ سَعْياً　　في رِضاكُمْ وماله من شُعورِ
كان خدِّى مَجْرَى السَّوابق شُهْباً　　بادِياتٍ في لونِهـــا المُستنيرِ
فاسْتحالَتْ حُمْراً وتَـكْمُن طوراً　　من أخاديدِ جَرْيِها في حَفـيرِ
باعتـكافٍ يحْـكى جهادَ جِيادٍ　　مُدمِناتٍ على السُّرَى والبُـكُورِ

ومن مديحها :

يانسيباً أنت المُقدَّم في المدْ　　حِ فلسنا نرَى لـكم من نَظيرِ
كم نَظَمْتُمْ للحقِّ عِقْدَ اعْـتزازٍ　　ونَـثَرْتُم بالحَـلِّ نظمَ الفُجورِ
وبضَرْبِ الهِندىِّ كم قد طرَحْتُمْ　　من ضُروبِ العِدى بجَمْعِ الـكُسورِ
وأدَرْتُم عليهِــمُ للمنَايا　　أكؤُساً لم تزَلْ بكفِّ المُديرِ
دام في العزِّ مُلـكُـكمْ وبيمْنَى　　عزْمِـكم للفتوحِ سيفُ الظُّهورِ
ما جرَتْ أفْرُسُ الدَّرارى بمِضْما　　رِ مَيادِينِها بطُولِ الدُّهـــورِ

قوله : « يانسيباً » إلخ ، كقول بعضِهم مُضمِّنا من قصيدةٍ نبويَّة :

له النَّسبُ العالى فيا مادِحَ الورَى　　إذا كان مَدْحٌ فالنَّسيبُ المُقدَّمُ[1]

ولله دَرُّ ابن خَفاجة ، في قوله[2] :

مَليكٌ تبسَّمَ بِشْرُ المُـــنَى　　بمَرْآهُ وامتدَّ خَطْوُ الأمَل.[3]
فـلم أدْرِ والحسنُ صِنْوٌ له　　أأبْدأُ بالمـدحِ أم بالغزَل.[4]

---

(١) عجز البيت تضمين لصدر بيت المتنبي :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ　　أكلُّ فصيحٍ قال شعراً مُتيَّمُ

ديوانه ٢٩٠ .

(٢) ديوان ابن خفاجه ١٠٢ .

(٣) في الديوان : « تبسم ثغر المنى » .

(٤) سقط هذا البيت من : ا .

وكتب إليّ وقد أصابتْه حُمّى فافتصَد ، يذكُر اشتياقَه ، ويشكو ما منَعه من مُلاقاتِي وعاقَه .

أنا في غُربتي وعِلَّتي ، ونارِ خليلٍ لم تبَلَّ بملاقاتِه غُلَّتي ، لا أظنُّ نِسْيانَ الإخوان ، وأعتذر لتقْصِير الزَّمان .

كأنَّ زماني خاف لَحْناً فلم يكُن ليجمعَ بين السَّاكِنَيْن بأوْطانِ[1]

فكتبتُ إليه :

كفاكَ اللهُ ما تخْشَى وغطَّى عليك بظلِّ نِعْمتِه الظَّليلِ

أعزَّ اللهُ تعالى أنصار الكرم الفيَّاض والحسَب ، وحفِظ بحِمايتِه معالمَ الفضلِ العامرة بالأدَب ، ببقائِك محروساً من هجوم الخُطوب ، محفُوفاً بسُورٍ منِيعٍ من إحاطة القلوب ، وأصْواتُ جرَسِ[2] الدعاءِ به مَرْفُوعة ، وسُدَّتُه بحِجابِ الصَّنائِع ممْنُوعة ، وله من عِطر الثَّناءِ نَشْرٌ انتَشر ، فلا يَمَلّ حتى يَمَلَّ نسيمُ السَّحر .

والدَّهْرُ وإن كان ذا غِيَرٍ ، مَن تفكَّر فيه اعتَبر ، فكيف يتسلَّط عليه بآلامِه ، وهو لا يتسلَّط على أيادِي إنْعامِه ، فإن همَّ به ونِعَمه[3] سابغةٌ عليه ، فقد ورَد : « اتَّقِ شَرَّ مَنْ تُحْسِن إليْه » .

أتُهْدِي له الأيامُ سُقْماً وإنما مساعِيهِ في أعْناقِهِنَّ قَلائدُ

فإن اعْتلَّ فإنما اعتلَّ الكرَمُ والكمال ، وإن مرِض فقد مرضتْ الأماني والآمال ، والقلوبُ والأرْواح ، وإن دعَوْنا له فإنما ندعُو لأنفُسِنا بالصَّلاح ، ورُبَّ

---

(١) في ا ، ج : « فإن زماني » .

(٢) في ا : « حرس » ، وفي ب ، ج : « خرس » .

(٣) في م : « ونعمته » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج .

مريضٍ لا يُعاد ، ولا يُحرَم الأجرَ مريضُ الفؤاد ، فلا أقول :

يا ليتَ علِتّه بى غير أنَّ له … أجرَ العليلِ وأنى غيرُ مأجُورِ

وقد بلغَنى فَصْدُه الباسَليق[1] ، وأنه قد بكَى دماً عِرْقُه العريق .

وباتَ اعتلالُك يبْكى دمًا … وتضْحكُ فى جِسْمِك العافِيَهْ

وعِرْق الصِّحّة له فى كل مَنْبتِ شَعْرةٍ عينٌ باكية ، تبكى بدُموع العِرْق على فِراق العافية ، وليس ببكاءٍ وإنما مَن اسْتَغرب فى الضَّحك قد تدْمَع عيْناه ، كما أن الحزين قد يضحكُ دَهْشةً ممَّا دهاه .

فأضْحكَ اللهُ تَعالى ثغرَ فصاحتِه ، كما ضحكتْ تباشيرُ صِحَّتِه ، وهنَّأ الله تعالى الوجود ، بسلامة الكرم والجود ، وأطْلَع كوكبَ سعْدِه فى أُفُق الإفاقةِ والإقْبال ، فإن لكلِّ زمانٍ مُقْبِل غُرَّةً وهِلال .

والسلام .

* * *

﴿ فصل ﴾

دعانا مرَّةً داعِى الصِّبا ، فحرَّكَ مِنَّا ما حرَّكَتْه من عَذَبَات البَان أنْفاسُ الصَّبا ، إلى روضٍ أنيق ، ووادٍ تزُورُه السَّرَّاء من كلِّ فَجٍّ عميق .

نبَّهتْ عيونَ أزْهارِه أكفُّ نسيمِ السَّحَر ، ونِيطَت على قُدود قُضْبِه بعد اخْضِرارِ عارِضِ نباتِه تمائمُ الزَّهَر .

والرِّيحُ تجْذِبُ أطْرافَ الغُصُون كما … أفْضَى الشَّقِيقُ إلى تنْبيه وَسْنانِ

(١) الباسليق : عرق فى الذراع . شفاء الغليل ٤٠ ، وانظر فقه اللغة ٩٢.

فى مجلسٍ سكِرتْ فيه أباريقُ الصَّهباء[1] ، فرجَّعَتْ أصــواتَها ترْجيعَ تمتَام وفأفاه[2] .

مع خِلاَّن ، وخُلَّص إخْوان ، كلٌّ منهم قرَّة ، فى عُيون المسرَّة .

فيه طِراز حُلَل اللَّيالِى ، وروضةٌ تُنبِت أنوارَ المعالى .

تتحاسَد عليه القلوبُ والعيون ، وتُختَم به صُحُفُ الطُّرَف وخِتامُه مِسْكٌ يتنافسُ فيه المتنافِسون .

قام لديهم ساقٍ كألفٍ على سين أعطى قافَه للإبريق ، أو غصن عبَثتْ به الصَّبا فكاد يُعقَد من اللين ذيلُ حواشى لُطفِه الرَّقيق .

لولا كثيفُ[3] كثيبِ رِدْفِه ، القائمُ عليه هيَفُ عِطفِه .

لولا سِهامُ جفونِه انتَظَمتْ عُقِدَتْ على وجَناتِه القُبَلُ[4]

فنادى : حيَّ على الصَّبوح ، هَلُمُّوا إلى رَيْحانة الرُّوح ، شقيقةِ نفسِ الإنسان ، صابونِ دَرَنِ الأحْزانِ ، دِرْياق[5] ملْسوع الغُموم ، مَطيَّةِ لَهْوٍ تُرْتحـل بها من منازِل الهُموم ، بازٍ له دستبان[6] من ذهبٍ ، يصطاد به سوانحَ الفرَح والطَّرَب ، حيث لا يُسمَع صُرَاخٌ لغـير الأوْتارِ ، ولا بـكاء إلا للقَنانى ولا رقبـاء سِوى[7] عيونِ الأزْهار .

---

(١) فى م : « المدام » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ب ، م : « وفافا » ، وفى ج : « ترجيع تمتام ووفاء » . والمثبت فى : ا .
(٣) ساقط من : ا .
(٤) فى ا : « عقد على وجناته » ، وفى ب ، ج : « عقدا على وجناته » .
(٥) الدرياق والترياق بمعنى ، وهو علاج للسموم .
(٦) فى الألفاظ الفارسية المعربة ٦٤ الدستان : النغمة ، والدستاوان : تعريب دستانبان ، ومعناه : الضارب بالدستان .
(٧) فى ا ، ب ، ج : « غير » .

فلم يزَل يُحكِّم فيهم الكَاسات ، ولا يسمعون من عَذْب ألفاظِه غيرَ خُذ وهَات ، في يومٍ شابَتْ ذوائبه ، من قبلِ ما طرَّ بالعَشيَّة شاربُه .

فلمَّا دنا المَسِير ، وغاب بدرُ الكَاسِ المُنير ، قام بعضهم ثَمِلاً سكْران ، وذهب حافياً رَجْلان ، فنسِيَ نعلَه ، وأودَع عند الخمَّار عقلَه ، فكأنَّما فرَّ هاربا لمّا طرَح أحمالَ أحْزانِه ورمَاها ، وألقى صحيفةَ فكْرِه والزَّادَ حتى نعلَه ألقاها .

فكتبتُ إليه أُعزِّيه فيها ، وأُخفِّف عنه مصائبَ الدَّهرِ وأرْثيها ، بقَوْلى على لسانِه مُداعِباً ، ومفاكِهاً له مُطايباً .

لقد خانَنا دهرٌ وكنَّا به نعْلُو ... يوَدُّ هِلالُ الأُفُقِ لو أنه نَعلُ

وقد كان لى نعلٌ فشتَّتَ شملَها ... وما الدَّهرُ أهلٌ أن يدومَ له شَمْلُ[1]

وكانتْ تقِي بالنفْسِ رِجْلى فأصبحتْ ... تُفارِقُها من بعد ما آذنَ الشُّكْلُ

وقد كنتُ ذا بِشْرٍ فأصبحتُ حافياً ... وكم حزنتْ من بعدها الكَعْبُ والرِّجلُ[2]

فكم صحِبَتْنى فى سرورٍ وشِدَّةٍ ... ولم تتخلَّف عن مُرادِى ولم تَعْلُ

ونقَّلَتِ الأقْدامَ للرَّاحِ سُخْرةً ... فعُدْتُ ولا عقلٌ لدىَّ ولا نَعْلُ

كذلك عاداتُ الشَّراب وفعلُه ... فما اخْتاره مُضْنًى به ولَه عَقْلُ

وأنْشَدتُ خِلِّى حين ضاعتْ ولم يكنْ ... ليَنْفعنِى فى ذلك الحادِثِ الخِلُّ[3]

وإنَّ أخِلاَّءَ الزَّمانِ غَناهمُ ... قليلٌ إذا الإنسانُ زَلَّتْ به النَّعْلُ[4]

فأنشَدنى بيْتًا يُثبِّتُ مُهجَتى ... لكَيْما فؤادى عن محبتِها يسْلُو

(١) فى م : « وقد كان لى شمل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) يشير فى صدر البيت إلى بشر بن الحارث الحافى ، زاهد ورع ، محدث ثقة ، توفى سنة ٢٢٧ هـ . تاريخ بغداد ٧/٦٧ ، حلية الأولياء ٨/٣٣٦ ، طبقات الصوفية للسلمى ٣٩ .
(٣) فى م : « ليسعفنى فى ذلك الحادث الخل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٤) فى ج : « عتادهم قليل » .

تزَوَّدْ من الدنيا متاعاً لغــيرِها ... فقد شمَّرَتْ جِيْدَاءُ وانْصَرَمَ الحَبْلُ[1]

فلَهفِي عليها حين أمْسَت شهيدةً ... وقد جادَها بالدَّمــعِ قَطْرٌ له هَطْلُ

وأضْحَتْ على وجهِ الثَّرى دون دافنٍ ... ولـكن بكفِّ السُّحْبِ أمسى لها غُسْلُ[2]

فلما سمعها الفِشْتالِيّ استظرْفها جدًّا[3]، وكتب له :

رأيتُ أديباً واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ إذْ للهمُوم به شُغْلُ

فقلتُ له هل بَان إلفٌ أوَتْ به ... نَوًى قَذَفٌ أم لا يُرجَّى له وَصْلُ[4]

فقــال علِمْتُم أن جاريَتى يدِى ... وراحِلتى فى كلِّ نائبــةٍ نَعلُ

خرجتُ مع البازِى لِحَانِ مُدامــةٍ ... رجاءَ سرورٍ والطَّريقُ بها وَحْــلُ

فأُبْتُ وبى من حادثِ الدَّهرِ لَسْعَةٌ ... بخُفَّىْ حُنَينٍ لا ثراءٌ ولا عَقْــلُ

نأَتْ عن أديمِ الأَخْمَصَيْنِ وِقايةً ... ومابى شُعورٌ إذ تخطَّفَها الوَبْلُ

كذا فلْيَجِلَّ الخطبُ فى وَثَباتِهِ ... بكلِّ كريمٍ لا يفارِقُه فَضْــلُ

وفى كلِّ قلبٍ للخُطوبِ مآتِمٌ ... يحِقُّ لأَرْبابِ القريضِ بها شُغْلُ

فقلتُ له إن العِيافَةَ تَقْتضِى ... بتصْحِيفِ نَعلٍ أنّ قدرَكم يَعْـلُو

تعـوَّدَ دهرٌ جُودَكُمْ وأتى له ... فألْقَتْ إليه عند ذَا نَعْلَها الرِّجْـلُ

وكتب إليه الأديب زين الدِّين الإشْعافِيّ الحَلَبِيّ[5] :

تَعزَّ أخى إن كنتَ ممَّن له عقــلُ ... ولا تُبْدِ أحزاناً إذا ذهبَتْ نعْـلُ

---

(١) فى ا ، ج : « شمرت حدا » ، وفى ب : « شمرت جدا وانقطع الحبل » .

(٢) فى م : « وأمست على وجه الثرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، ب .

(٤) القذف : البعيد .

(٥) سبق أن ذكرت فى حاشية صفحة ١٦٦ هذه الأبيات نقلا عن المحبى ، وعن إعـلام النبلاء ، وذكرت حينئذ أنى لم أجد هذا النص فيما بين يدى من نسخ الريحانة ، فليصحح .

ولا تعْتِبِ الدَّهرَ الخؤونَ فدأْبُه ... لعَقْدِ اجتماعِ الشَّملِ دون المدَى حَلُّ[1]
لَحَى اللهُ دهــــراً لا يزال مُولعاً ... بتــكْدِيرِ صَفْوِ العيشِ ممَّن له فَضْلُ
يُفرِّقُ حتى شَمْلَ رِجْلِي ونَعْلِهــــا ... أشدَّ فِراقٍ لا يُرَى بعدَهُ شَمْلُ[2]
فمـا شئْتَ فاصْنَعْ ما اللبيبُ بجازِعٍ ... ولا تاركٍ صَفْواً إذا زَلَّتِ النَّعْـلُ[3]
بحقِّكَ قُم نَسْعَى إلى الرَّاحِ سُحْرَةً ... نُجدِّدُ أفراحاً لـكلِّ صَـــداً تجْـلُو
إلى دارِ لذَّاتٍ وروضِ مَسرَّةٍ ... برَحْبِ فِناها من غُصونِ المُنَى ظِلُّ[4]

ولابن قَلاقِس، وقد سُرِقَتْ نعله[5]:

قُلْ لنجْمِ الدين يامَن نهتَدِي ... من مُحيَّاهُ بأسْنَى قَبَسِ[6]
ما الذي أَوْجَب عَوْدِي راجلاً ... بعد أن وَافيْتُــكمْ ذَا فَرَسِ[7]
خلَعوا نعْلِيَ لَمَّــــــا عِلمُوا ... أنَّنِي من رَبْعِــكم فى قُدُسِ

﴿ تَتِمَّـــــة ﴾

يُقال فى المثل للمُتَساوِيَيْن فى الخير: فَرَسا رِهان.

وهذا كما أفاده بعضُهم باعتبار ابتداء الجَرْى؛ لتساويهما حين الإرسال، وأما فى المُنْتَهى فيغلِب سَبْقُ أحدهما، فكيف يُجعَلان متساوِيَيْن، وقد ضربتُ أنا المثل للمتساوِيين فى الدَّناءة بفَرْدَتَى النَّعل، وثَوْرَىِ الحرَّاث[8]؛ فإنه لا يُنتَفع بأحدهما دون الآخر، فقلت:

وثَقِيلَيْن هما ما افْتَرقَا ... منهما الدَّهرُ أبو الغَدْرِ اسْتَغاثْ

---

(١) فى خلاصة الأثر ٢/١٩٠ : « دون الورى ».
(٢) فى م : « وصل »، والمثبت فى ا، ب، ج، وخلاصة الأثر.
(٣) فى خلاصة الأثر : « ولو زلت النعل ». (٤) فى خلاصة الأثر : « لرحب فناها ».
(٥) ديوان ابن قلاقس ٥٧، وقد سقط البيت الأول منه.
(٦) فى ا، ب، ج : « بأذكى قبس ». (٧) فى الديوان : « بعد ماوافيتــكم ».
(٨) فى ج : « المحراث ».

فكأنَّ اللُّؤمَ قـــد صاغَهما   فَرْدَتَىْ نَعْلَيْهِ أو ثَوْرَىْ حِرَاثْ[1]

وقد ضربَت العربُ المثلَ فى هذا برِجْلَىِ النَّعامة ، فقال الشاعر[2] :

وإنى وإيَّاها كرِجْــــلَىْ نَعامةٍ   على كلِّ حالٍ مِن غِـنًى وفَقِـيرِ[3]

قال القالِىّ فى « أماليه »[4] : أى أننا فى اتِّفاقنا لا نختلف ؛ لأنه مامن بَهِيمةٍ تنـكسِر إحدى رِجْلَيْها ، إلا وتنتفِـع بالأخرى غيرَ النَّعامة . انتهى

ولما قدِم رغِب فى صُحبَتى ، وخطَب راغباً مودَّتِى ، ووَدَّ انقطاعِى عمَّن سِواه ، فلما رأيتُ كفاءَتَه[5] وصِدْقَ مُدَّعاه ، كتبتُ له :

سَلاَ بَانَةَ الوادى لدَى المَنْزِلِ الرَّحْبِ   متى فقَـدتْ غُرَّ المنـاقبِ من صَحْبِى

فهل فى حِماها نَفْحــــةٌ عَنْبرِيَّةٌ   قد استَوْدعَتْها الرِّيحُ من نفَسِ الرَّكْبِ

وهل بين أطْلالِ الرسومِ ونُؤْيِهـــا   حمائمُ بَانٍ فى الرُّبَى طَيَّرتْ لُبِّى[6]

وهل من عُهودٍ قد تقضَّتْ بَقِيَّـــةٌ   يُوَفَّى بها حقِّى ويُقْضَى بهـــا نَحْبِى

سقَى اللهُ عهـداً للأحبَّـــةِ صَيِّباً   من الطَّرْفِ تغنيه عن الوابلِ السَّكْبِ

وهَيْفَ غُصونٍ جادَهـا هاطِلُ الغنى   فتُنْبِتُ أوراقاً من الشَّجرِ القَضْبِ[7]

وكلُّ خليـــلٍ رَقْرَق الوُدَّ صافياً   فـكلُّ مَلامٍ فى محبَّتِــــه يُصْبِى

---

(١) فى م : « فردتى نعـل وثورى الحراث » وفى ج : « فردتى نعل وثورى حـراث » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) نسبه الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٥٢ إلى أعرابى يخاطب امرأته ، فى أبيات . وانظر أمالى القالى ٢/١٨٨
(٣) فى م : « فى غنى وفقير » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وثمار القلوب ، والأمالى . وفى ثمـار القلوب : « وإنى وإياه » وقال فى تفسير ذلك : « وكانت امرأته تجفو أخاه دحية وتطرده ، فأخبر أنه وأخاه كرجلى نعامة إن أصاب أحدهما شىء بطلت الأخرى » .
(٤) أمالى القالى ٢/١٨٨ ، وتصرف الخفاجى فى عبارته ، والأبيات برواية تخالف رواية الثعالبى .
(٥) فى م : « محبته » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٦) فى ا : « حمام أثاف فى الربى أطربت لبى » ، وفى ب ، ج : « حمام أثاف فى الربى طيرت لبى » .
(٧) فى ا : « فأنبت أوراقا من الخز والعصب » ، وفى ب : « فأنبت أوراقا من الخز والقضب » ، وفى ج : « فأنبت أوراقا من الشجر والعصب » .

أُصدِّق فيه الظَّنَّ من ضِنَّتِي به ... على كلِّ شيءٍ قد عرفْتُ سِوى قَلْبِي
وما ذاك من سُوءِ الفِعالِ جِبِلَّةٌ ... فكم جاءَ سُوء الظَّنِّ من شِدَّةِ الحُبِّ

هذا معنًى غيرُ ماقاله المُتنبِّي [1] :

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنُونُه ... وصدَّقَ مايعْتادُه مِن توَهُّمِ

والحديثُ شجُون .

ومنها :

إذا غاب بَدْرُ التِّمِّ ظَلْتُ مُراقِباً ... لمَطْلَعِه من مشرِقِ العيْنِ والغرْبِ
ولكنَّ شمسَ الحُسْنِ من وَجْهِ مُنْيَتِي ... لقد برَزتْ للنَّاظرين بلا حُجْبِ
كذاك بشَمْسِ الغَرْبِ أشرقَ شرقُنا ... بفضلٍ له قد شاعَ فى العُجْمِ والعُرْبِ
وقد كنتُ قِدْماً تُبْتُ عن كلِّ خُلْطةٍ ... تُنَكِّدُ عَيْشِي وهْى من أعْظَمِ الذَّنْبِ [2]
فلمَّا صفَى منه الودادُ ومَشْرَبٌ ... يرُوقُ لِظَامٍ ذِيدَ عن مَوْرِدٍ عَذْبِ
نقَضْتُ على حُكْمِ المُرُوءةِ تَوْبَتِى ... وقد طلَعت شمسُ المعالى من الغَرْبِ

وبعد الشِّعر فصل :

مولاىَ أحمد [3] قد ملأ فضلُه الجبال والوِهاد ، فسدَّ على حُسَّادِه طُرقَ الجَحْد ، وحاز السِّيادة من ساعةِ الميلاد ، فإنَّك مَهْدِيٌّ إليها من المَهْد .

وهو يعلم أن عَقائِلَ الوِداد فى خُدور [4] الخُمُولِ كَمِينَة ، وأنها لا تنْجَلِي [5] لغيرِالمُحْرِم ولايُبْدِينَ زِينَة ، فإن الزَّمانَ مُشتقٌّ من الزَّمانَة ، والإخوانَ لتقلُّبِ قلوبِهم من الخِيانَة ، وإن أطْلَعَ السِّباخُ النَّخْلةَ الفَيْنانَة ، فقد ينْبُت المرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى ، وتَقْطع

---

(١) ديوان أبى الطيب ٤٥٦ . وقد سقطت هذه المقدمة والبيت حتى أول الأبيات التالية من : ج .
(٢) فى ا ، ب : « وهو من أعظم الذنب » . (٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٤) فى م : « خدود » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٥) فى م : « لاتتحلى » ، وفى ا : « لما تنجلى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

الأَزْرارُ مالَها من ضَيِّق العُرَى ، وما كلُّ جوهرٍ له مُشتَرِى ، وما كلُّ صاحبٍ يعْرِف قدْرَ العَسْكَرِى .

فلذا نفَرْتُ حتَّى عن ظِلِّى ، وقاطعْتُ حتَّى ولَدِى وأهْلى ، لكنَّ مالكَ من حُسْنِ الأخْلاق ، جذَب لك [١] مودَّتِى بالأطْواق ، والسلام .

قولى : « وما كلُّ صاحبٍ » إلخ ، إشارة إلى ماذكره ياقوت فى « مُعْجَمه » [٢] ، من أن الصَّاحبَ ابن عبَّاد تمنَّى لقاءَ أبى أحمد العَسْكَرِىّ ، فكاتبه فى الحضورِ له ، فتعلَّل بكِبَر السِّنّ ، فلما يئِس منه جذَب السلطانَ لذلك الصَّوْب ، وسار معه ، فحين أتى عَسْكَرَ مُكَرَّم ، كتب له :

ولمَّا أبيْتُم أن تزورُوا وقلتُمُ ... ضَعُفْنا وما نَقْوَى على الوَخَدانِ [٣]

أتيْناكُمُ من بُعْدِ أرضٍ نزورُكمْ ... على منزلٍ بِكْرٍ لنا وعَوَانِ [٤]

نُسائِلُكمْ هل من قِرًى لنَزِيلِكمْ ... بِمِلْءِ جُفونٍ لا بِمَلْءِ جِفانِ

فأجاب ، بنثر ، ونظم منه :

أرومُ نُهوضاً ثم يَثْنِى عزيمَتِى ... تَعوُّذُ أعْضائِى من الرَّجَفانِ [٥]

فضَمَّنْتُ بيتَ ابن الشَّرِيد كأنَّما ... تعمَّد تشْبِيهِى به وعَنانِى [٦]

أُهمُّ بأمْرِ الحزْمِ لو أسْتطِيعُه ... وقد حِيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

فلما قرأه اسْتَحسَنه ، وقال : لو خطَر ببالى هذا المَثَل ، ما أرسلتُ ذلك الشِّعر ، لكنِّى ذَهَلْت عنه [٧] .

---

(١) ساقط من : ا ، ب .

(٢) معجم الأدباء ٨/٢٤٨ – ٢٥٥ .

(٣) الوخدان : ضرب سريع من السير .

(٤) فى معجم الأدباء ٨/٢٤٩ وديوان الصاحب ٢٩٤ : « وكم منزل » .

(٥) فى ا ، ب ، ج : « ثم يكنى عزيمتى » ، والمثبت فى م ، ومعجم الأدباء ٨/٢٥٣ ، وفى الأصول : « تعود أعضائى » ، والمثبت فى معجم الأدباء .

(٦) يعنى صخرا ، أخا الخنساء ، وقد تقدم التعريف به فى صفحة ٢٥٠

(٧) تصرف الخفاجى فى عبارة الصاحب . انظر معجم الأدباء ٨/٢٥٠ .

ثم إن العَسْكَرِىَّ قصده بجَمٍّ (١) غفيرٍ من تلامذتِه ، فى ساعةٍ لا يصلُ إليه أحدٌ فى مثلِها ، فحَجَبه الحُجَّاب ، فرفع صوتَه ، يقول (٢) :

مالِى أرى القُبَّةَ الفَيْحاء مُقْفَلَةً دُونِى وقد طال ما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَها (٣)
كأنها جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً وليس لى عَمَلٌ زَاكٍ فأدْخُلَها

فناداه الصَّاحبُ : ادْخُلْها يا أبا أحمد ، فلك السَّابِقة (٤) .

فبادر له الخدمُ ، وحملوه حتى جلس عنده ، فأقبل عليه ، ورفعه إلى أرفع مجالسٍ ، ثم تحادث معه ، وسأله عن مسألة ، فقال له : الخبيرَ صادفْتَ .

فقال له : (٥ مازِلْت ٥) تُغْرِب فى كلِّ شىء حتى فى المَثَل السَّائر .

فقال : تفاءلْتُ عن السُّقوط للحَضْرة .

فأدرَّ عليه ، وعلى مَن معه بصِلاتٍ كانوا يأخذونها إلى أن تُوُفِّىَ .

فانظُر مافى هذه القصة من لطائف الآداب، وما للصَّاحب مع جلالة قدره من مكارم الأخلاق ، الذى طيَّر ذكرُه فى الآفاق ، وخلَّدَه فى صحائفِ الدُّهور ، وهكذا فلتَكُن الصُّدور .

ولما أراد العَوْدَ إلى المغرب ، قال لِى : عندى أمانةٌ من مولاىَ أحمد ، لا أرى غيرَك لها أهْلاً ومَحَلاًّ ، فطال العهدُ ولم أرَ لها مَحِلاًّ ، فقلت :

---

(١) فى م : « مع جم » . والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) ذكر ياقوت ٨/٢٠٤ أن البيتين لأبى تمام ، وهما فى ديوانه ٢٣٦ ، وشرح التبريزى ٣/٤٨ من أبيات له يمدح بها مالك بن طوق .
(٣) فى الديوان : « مالى أرى الحجرة البيضاء » ، وفى التبريزى « مالى أرى القبة البيضاء » ، وفى الديوان والشرح : « مقفلة عنى » .
(٤) فى م : « السالفة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، ومعجم الأدباء ٨/٢٠٥ .
(٥) ليس فى معجم الأدباء .

* إنَّ مَحلاً وإن مُرْتَحلا [1] *

فلما أزِف الرَّحيل كتبتُ له رُقعةً فيها :

أطال الله عُمرَكَ طُولَ مَواعِيدِك ، وجعل آمالَنا الكَمُّونيَّة مُورِقةً من سحائب جُودِك .

ولَعَمْرِى ، لقد طال المِطالُ فعُرْقُوبُ [2] لا يبلغُ عُرْقُوبَه ، وزاد العَتْب على الإلْحاح والعَتْب بغَيْر جُرْم عُقُوبَة ، ولو لم يكن أمَلِي أضعفَ من الذُّباب ، ما ارْتَبط بحِبالِ العنْكبوت على هذا الباب ، فلِلَّه أنتَ ما أحْلَمك وأصبَرك على كثْرةِ السُّؤالِ والجواب ، ولم أرَ مثلَك فى الجُود ، إذ بذَلْتَ لِى أنوفَ ألُوفٍ من الوعود ، ولم تَلُمْنِى على مقابلتِها بالكُفْران ، وها أناذا تائبٌ شاكرٌ لهذا الحِرْمان ، إذ لم يكن لِمثْلِك علىَّ مِنَّة ، وأحمدُ اللهَ على كلِّ حالٍ مُتَّبِعاً للسُّنَّة .

وقد كان يعجبنى قولُ أبى محمد الحكيم :

لُبْسُ الثِّيابِ وتشْيِيدُ القصورِ وفى تلك الثِّيابِ رأينا أنفساً خَرِبَهْ

لَأضْرِبَنَّ رجائى ألْفَ مَقْرَعةٍ فِيكُمْ وأصْلُب آمالِي على خَشَبَهْ

فلما رأيتُ بُعْدَ العهود ، وطولَ حِبال الوُعود ، قلتُ :

طالتْ مواعيدُك ياسيِّدِى والعمرُ قد يقْصُر عن ذَا المِطالْ [3]

فخِلْتُ آمالى لها دُرْبَةٌ قد علَّمَتْها المشْىَ فوق الحِبالْ

---

(١) صدر بيت للأعشى ، وعجزه :

* وإنَّ فى السَّفْرِ مامضى مَهلاَ *

ديوانه ٢٣٣ .

(٢) عرقوب : جاهلى عرف بخلف الوعد . انظر قصته فى : ثمار القلوب ١٠٢ ، المعارف ، لابن قتيبة ٦١٢ ، معجم البلدان ٤/١٠٠٩ .

(٣) فى ا : « والعمر يقصر عنه هذا المطال » ، وفى ج : « والعمر قد يقصر عند المطال » .

ولو ترَى مِثْلاً لهـــا ربمّا   جرَتْ على فرْجتِها بالنّوالْ (١)

واللائقُ بالعارف بالزّمان ، أن لا يعتِب على أحـدٍ من الإخوان ، فإن الدهرَ خَرِف وهَرِم ، ولو سأل شَقِيقٌ شقيقَه دِرْهماً لقال : أوْدَى دَرِم .

فرحِم الله الـكِرام ، وعلى الُجود الرحمةُ والسّلام .

وهذه رقعةٌ قصدتُ بها المَزْحَ والمجُون ، ورياضةَ الطّبع الحَرُون .

وقولى : « أوْدَى دَرِم » مثلٌ .

قال الأعْشَى (٢) :

ولم يُودَ من كُنْتَ تسْعَى له   كما قِيلَ فى الحرْبِ أوْدَى دَرِمْ (٣)

قال السُّـكَّرِىّ فى « شرح ديوان الأعْشَى » : درم هو دبّ بن مُرّة بن ذُهْل ، وكان النُّعمان يتطلّبه ، فجهّز له سَرِيّة ؛ فلما ظفروا به مات فى أيديهم ، قبل وصوله للنُّعمان ، فلما سأل عنه ، قالوا : أوْدَى دَرِم. فذهبَتْ مثلاً . انتهى .

وقصدتُ به الدِّرهم ؛ لأن الدرهم فارسِىّ مُعرّب ، وأصله دَرِم ، وقد يُتلفّظ به على أصلِه (٤) .

ومثلُه قولى فى الرّجل الجليل ، يكون خاملاً لا يُواسِيه أحد ، فإذا مات عظّموه ، وتأسّفُوا عليه :

بكى الخلقُ ذا الفضْلِ لمّا مضَى   وقالوا ألا لَيْتَه لو سَــلِمْ

ولو كان يسْألُهمْ دِرْهَماً   لقال له النّاس أوْدَى دَرِمْ

(١) فى م : « على فرحتها » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) ديوانه ٣٩ .

(٣) فى ا ، ب : « أسعى له » ، وفى الديوان : « كما قيل فى الحى أودى درم » .

(٤) انظر المعرب ١٤٨ .

﴿ فصـــل ﴾

ذكر لى يوماً أنه مشتاقٌ لِلقائى ، مُستوحِشٌ لظُلْمة التّنائى ، فقلتُ : ما جوابى لك غيرُ قول أبى العَيْناء للمُتوكِّل ، وقد قال له : قد اشْتَقْت لك يا أبا العَيْناء .

فقال له : يا سيِّدى ، إنما يشتدُّ الشوْقُ على العبد ؛ لأنه لا يصِل إلى مَوْلاه ، وأما السَّيِّد فمتى أراد عبْدَه دعاه .

وما أكذبَ الشوْقَ بالمقال ، إن لم تَقُمْ عليه شواهدُ الإقْبال .

وقد شرَح حالَنا فى التّنائى والتّدانى ، قولُ ناصِح الدِّين الأرّجَانىّ[1] :

وإذا رأيتَ العبْدَ يهْرَبُ ثُمَّ لَمْ يُطْلَبْ فمَوْلَى العبْدِ منه هارِبُ

فاهتزَّ عِطفاً ، وتاهَ[2] رِقَّةً ولُطْفاً .

ثم قال لى : مِن[3] أىِّ معنًى[3] أخذ هذا ؟

قلتُ : لا أدرى .

فقال : هو من قول المُتَنبِّى[4] :

إذا ترحَّلْتَ عن قومٍ وقد قدَرُوا أن لا تُفارِقَهم فالرّاحِلون هُمُ

فأبْدأ[5] وأبْدَع ، وأعْلَمَ أنه من الأدب بمَرْأًى ومَسْمَع .

ومنه أخذ القائل :

ليس ارْتحالُك ترْتادُ الغنى سفَراً بل المُقامُ على بُؤْسٍ هو السَّفَرُ

والمتنبِّى أخذَه من قول الطّائىّ[6] :

---

(١) ديوانه ٥٣ .

(٢) فى ا ، ب : « وثار » .

(٣) فى ا : « أين »

(٤) ديوان أبى الطيب ٣٢٥ .

(٥) أبدأ : جاء بالبدىء ، أى البديع .

(٦) ديوان أبى تمام ٤٧٥ .

وما القَفْرُ بالبيدِ الفضاءِ بل التى نبَتْ بى وفيها ساكِنُوها هى القفْرُ(١)

ولمَّا رأى وزراء الروم ، وما هم عليه من دارِس الرُّسوم ، من تَكَبُّرٍ بلا نفع يُرجَى ، وتَبخْترِ كلِّ دابةٍ منهم حتى العَرْجَى ، قال : أهؤلاء عنَى الغَزِّى(٢) بقوله :

مِن آلة الدَّسْتِ ما عند الوزير سِوَى تَحْرِيكِ لِحيتِه فى حالِ إيماءِ(٣)

فهْوَ الوزيرُ ولا أزْرٌ يَشُدُّ به مِثْلُ العَروضِ له بَحْرٌ بلا ماءِ(٤)

فذيَّلته بديهةً له ، وقلتُ :

عسى تدورُ عليهمْ دائراتُ رَدًى تُقَطِّعَنَّهمُ تقْطيعَ أحْشائى(٥)

فقد شابَهَ الرئيسُ المرءوس ، وقام على جُرْب الأبْدان قُرْعُ الرُّءوس ، وما هذه الدُّوَل ، إن لم يَعرُها الآن خلَل ، إلا كسَقْف السَّماء ، وقُبَّةِ الخضْرَاء ، قائمةٌ بلا عُمُد ولا أطْناب ولا وَتِد ، فهى كبيوت الأشعار ، لا تُظِلُّ فى حضَرٍ ولا أسْفار .

كما قلتُ :

جيوشٌ ما لها فى المُلْك نَفْعٌ حكَتْ صُوَراً تُصوَّرُ فى كتابِ

رأيتُ قتالَهمْ من غيْرِ نَبْلٍ كمثْلِ الضَّربِ فى كُتُبِ الحسابِ

---

(١) فى الديوان : « وما القفر بالبيد القفار » .

(٢) إبراهيم بن عثمان ، أبو إسحاق ، كانت له الرحلة إلى العراق وخراسان ، ومدح آل بويه ، توفى سنة ٥٢٤ هـ . وفيات الأعيان ١/٤١ . والبيتان فيه ١/٤٢ .

(٣) فى م ، ج : « ماعند الأميرى سوى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى وفيات الأعيان : « لم يعط الوزير » .

(٤) فى م : « بلا أزر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، ووفيات الأعيان .

(٥) فى ا : « تقطعهم » ، وفى ب : « تقطعنهم مثل ماتقطيم أحشائى » .

وعلى بحر العَروض يعجبنى هنا قولُ الأَرَّجانى[1] :

راعَ الفؤادَ نَوَى الخليطِ ولم يكنْ قبل النَّوى من حادثٍ بمَرُوعِ
وأرى فؤادى فى الزَّمانِ كأنَّه بيتُ العروضِ يُراد للتَّقْطيعِ

وللحَظِيرىّ :

وعِرْضٍ بلا ذنْبٍ يُقطَّعُ دائماً كبيتِ عَروضٍ والحوادثُ أطْوارُ

وقلتُ فى معناه :

دوائرُ أفلاكٍ تلوحُ بُحورُها بأصْفارِ نجْمٍ قابلتْها بتَصْريعِ
كما خُطَّ فى رَسْمِ العَروضِ دوائرٌ جميعُ الذى فيها مُعَدٌّ لتقْطيعِ

وقلتُ أيضا :

وإنِّىَ فى تضْييعِ ما قد جمعتُهُ لأجْلِ الذى يُولِى الوزيرُ من الغِنَى
كبائعِ بيتٍ كان فيه مَقَرُّهُ يقول كفانى بيتُ شِعْرِىَ مَسْكَنا

⁂

(١) ديوانه ٢٥٦ ، والبيت الأول ترتيبه فى القصيدة السادس ، والثانى هو الثانى عشر .

٤٧

محمد بن إبراهيم الفاسى*

نزيل مصر

شمس فصاحةٍ طلَعتْ فى آخر الزّمان من المغرب ، لو رآه ابن سَعِيد[١] لنَسِىَ بفاكهة مُفاكهتِه[٢] ذكْر « المُرقِص والمُطرِب » .

ما كنتُ أظنُّ المغرب تُنْجِب له بمَثِيل ، إن الزّمان بمثلِه لبخيل .

ارتحل لمصر ، واختلط بناسِها ، وميّزَ حال فُصولها وأجْناسِها .

ولما قدِم كتبتُ له خاطباً لعقائلِ ودادِه ، جالياً كئوسَ المُؤانسَة على فؤادِه :

أيا شمسَ أهلِ الغربِ شرّفْتَ مِصرَنا ... وقلّدتَه عِقداً نفيساً من الأُنسِ

فصار رَبيعاً باعتدالِ قُدومِكم ... ولا بِدْعَ فيما قلتُ فى شرَف الشّمسِ

وكانت حالى معه حالِيَة ، وموارِدُ أُنْسِى به من قَذى الكَدر[٣] صافِيَة ، أُراضِعه ثُدِىّ الآداب ، وأتخذه ممّن مودّتُه تدخُل بيتَ القلبِ بغير إذنٍ وحجاب .

(*) محمد بن إبراهيم ، بديع الزمان الفاسى.
كان فاضلا ، لسنا ، فصيحا ، شاعرا ، له نظم رائق ، ونثر فائق ، حسن الإيراد ، مقبول الإنشاد ، جمع بين رقة الحضارة ، ودقة البداوة .
رحل من المغرب إلى المشرق ، وجال فى البلاد ، ودخل قسطنطينية ، واجتمع بعلمائها .
وانتهى به المطاف إلى مصر ، وبها توفى سنة ست بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ١٧٦ ب ولقبه الخفاجى فيها بالممتع ، خلاصة الأثر ٣/٣١١ .

(١) على بن موسى بن محمد ، المعروف بابن سعيد المغربى ، أديب ، مؤرخ ، شاعر ، ولد بالأندلس ، وزار مصر والشام والعراق ، وتوفى بتونس سنة ٦٨٥ هـ .
بغية الوعاة ٢/٢٠٩ ، فوات الوفيات ٢/٨٩ ، نفح الطيب ١/٤٥٣ .

(٢) فى ا ، ب : « بفاكهته مفاكهة » ، وفى ج : « بمفاكهته مفاكهة » .

(٣) فى م : « الأكدار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إلى أن ارتحل إلى المحَـلَّة[1] ، وجعل كرمَ قاضيها مقرَّ أملِه ومَحِلَّه ، وفارق أخِلاَّءه وصَحْبَه ، لِما كابَدَه من صُحبتِه الأَمَرَّيْن الفقرِ والغُرْبة ، فانعطَفَتْ عليه أغصانُ المسرَّةَ والهَنا ، وأقام في رياضِ المـكارم تحت ظِلال المُنَى .

إلى أن حالَت الحال ، وأذِنتْ شمسُ حياتِه بالزَّوال ، فجاد بنفَسه ، وغاب في مغرِب رَمْسِه ، بعد ما وقف على أطْلال الهِمَم ، باكياً على دارِس رسوم الـكرَم .

وكان مُغرَماً معي بالْمِزاح ، لابساً للخلاعة وبُرْدُ الجدِّ عنه غيرُ مُزاح .

وأنشدني له يوماً قولَه :

حـكَيْتُ إبليسَ خَنَاً وصُــورةً مِن عَوَرِهْ
ياسائلِي عن العَمَى عنـدِي نِصْفُ خَـبَرِهْ

فقلتُ له : قد سبقك إلى هذا الباَخَرْزِىّ ، في قوله[2] :

فلا تحسَبُوا إبْليسَ علَّمني الخنَا فإنِّىَ منه بالفضـائح أبْصَرُ
وكيفَ يرى إبْليسُ مِعْشارَ ماأرَى وقد فُتِحتْ عيْناىَ لِي وهْوَ أعْوَرُ

وهو من قول الآخر :

وكنتُ فتًى من جُنْدِ إبْليسَ فارْتقَى بِىَ الحالُ حتى صار إبْليسُ من جُنْدِي
ولو مات مِن قَبْلِي لأحْيَيْتُ بعـدَه طرائقَ فِسْقٍ ليس يُحسِنُها بَعْدِي

وكان إذا أغار على معنًى أغار ، ولا يُبالى بأنه يُرَى مَغزاه إذا انجلى الغُبار ، تبَعاً لمذهب القائل :

فإنَّ الدرهمَ المضروبَ باسْمِي أحَبُّ إلىَّ من دينارِ غَيْرِي

---

(١) المحلة : مدينة بالديار المصرية . انظر معجم البلدان ٣/٤٢٨ .
(٢) الملتقط من ديوان الباخرزى ٥١ .

كقوله :

يا تاركاً شُرْباً لقهوتِنـــا التى ... تجلُو صدَا القلبِ الـكئيبِ العانى
فى تركِكِ مثلكَ شُربَها لِيَ راحةٌ ... توفيرُها وطهـــارةُ الفِنْجانِ

وهو من قول ابن الرُّومىّ (١) :

يا لائمى فى الرَّاحِ غــيرَ مُقصِّرٍ ... مازال ظنُّكَ سيِّئاً فى الرَّاحِ (٢)
فأقلُّ مافى تَرْكِ مِثْلِكَ شُرْبَها ... توفيرُها وطهارةُ الأقْداحِ

ولم يزل باللَّهو معروفا ، وبغِزْلان النَّقَا مشغولاً مشغُوفا ، لا سيَّما إذا تفتَّح عن وَرْد الخدُود أكمامُ العِذار ، وشاهدَ صُنْعَ اللهِ الذى يُولِــج الليلَ فى النَّهار .

وقالُوا أتَتْ كُتْبُ العِذارِ بعزْلِهِ ... فقلتُ لهم لا تعْجَلوا فبهـــا وُلِّى

ويقال إن هــذا الأمرَ أذهَب خُــبْرَه وخَبرَه ، ومحَا بيدِ الفنَا عيْنَه وأثَرَه ، حتى عصفَتْ رياحُ (٣) المنِيَّةِ برَوْضِه القشِيب ، وهصَرتْ يدُ الرَّدَى يانعَ غُصْنِه الرَّطيب ، فاحتُضِر واخْتُضِر (٤) ، بأمر الملكِ المُقتدِر .

لا زال جَــدَثُه روضةً من رياضِ الجِنـان ، ولا بَرِح مجْرَى لجـداولِ الرحمةِ والرِّضوان .

فمن العَنْبر الذى أذْكَتْه مجامرُ فِــكْرِه ، وقذَفتْه فى سواحل المُحاورةِ بحُورُ شِعْرِه ، ما أنشدَه لِى من قوله مُضمِّناً :

قُل للقضيبِ ورَاحُ الرِّيحِ تعطِفُــه ... أثنـــاءَ بُرْدٍ من الأزْهار مُنْتسِجِ

---

(١) ديوان ابن الرومى ٢٨٨ .

(٢) فى الديوان : « لازال ظنك » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « أرواح » .

(٤) فى ب : «فاحتصر واحتضر» ، وفى ج : « فاختصر واحتضر » وفى م: « فاحتضر واختصر » ، والمثبت فى : ا . واختضر: مات شابا .

أشْبَهت قامةَ من أهْـواهُ لو طلَعت ... أعْلاكَ شمسٌ وفُقْتَ المِسْكَ فى الأرَجِ [(١)]

لكَ البِشارةُ فاخْلَعْ ماعليك فقــدْ ... ذُكِرتَ ثَمَّ على مافيكَ من عِوَجِ [(٢)]

ولابن أبى حَجَلة [(٣)] مُضمِّنًا :

قل للهـــلالِ وغَيْمُ الأُفْقِ يسْترُه ... حكَيْتَ طَلْعـةَ من أهْـواهُ بالبَلَجِ

لكَ البِشارةُ فاخْلَع ماعليك فقــدْ ... ذُكِرْتَ ثَمَّ على مافيك من عِوَجِ

وأنشدنى له أيضا مُضمِّنًا :

أأسْلُو فى الهـــوَى طعْمَ الهوانِ ... ورَبْعُ الحسنِ مَأْهُـــولُ المغانى

ومَن أهــــــواهُ واصَلنِى جِهاراً ... وصِرتُ من الرَّقيبِ على أمانِ

وقد حلّ العِذارُ بوجْنَتيْهِ ... بمَنْزِلَةِ الرَّبيعِ من الزَّمانِ [(٤)]

وأنشدنى قصيدةً ، منها :

أتُسِيلُ دمْعِى ثم تسألُ ماجرَى ... عجبًا لعَمْرِك ما رأيتُ وما أرَى

هٰذِى دِمَا نفْسٍ هواكَ أذَابَهـــا ... فهمَتْ على خَـــدِّى نجيعًا أحْمرَا

ومنها :

مَن كان يقْبِضُـه جـلالُ الحبِّ عن ... بَسْطِ الجمالِ فلم يزَلْ مُتحيِّرَا [(٥)]

فأنا جمَالِيُّ الغرامِ وهكذا ... وِرْدُ الجمـــالِ لن تَراه مُكَدَّرَا

---

(١) فى م : « من نهواه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) ذكر المحبى لهذا البيت تضمينا آخر فى خلاصة الأثر ٣/٣١٤ .

(٣) أحمد بن يحيى التلمسانى ، المعروف بابن أبى حجلة ، شاعر ، متصوف ، وله مع فريق من الصوفية اعتراضات ، امتحن بسببها . توفى سنة ٧٧٦ هـ .
الدرر الكامنة ١/٣٢٩ .

(٤) ضمن عجز بيت المتنبى ، وصدره :

* مَغانِى الشِّعْبِ طِيبًا فى المغانِى *

وهو من قصيدة له فى عضد الدولة البويهى ، ويصف شعب بوّان . ديوانه ٥٥٧ .

(٥) فى ا : « جمال الحب » .

ومنها فى حسن الختام :

وإليكها والحسنُ بعضُ صفاتِها ... بِكْراً تُحاكِيها الملاحةُ منظرَا
قد زفَّها فكرى إليك ومهرُها ... نَقْدُ القبولِ وحقُّها أن تُمْهَرَا
حاشاكَ تُهمِلُها ويعرفُ قدرَها ... من قد ترى بين الثُّريَّا والثَّرَى (١)
ختمَ البيانُ بها فكلُّ سليمِ طَبْـ ... ـعٍ صار من عَجَبٍ بها مُتحيِّرَا

وله فى الهجاء مُضمِّناً (٢) :

لقد قلتُ للطُّورِىِّ لمَّا بدَا لنا ... كجُلمودِ صخرٍ حطَّهُ السَّيلُ من عَلِ (٣)
بوجهٍ كليْلِ الهجْرِ أسودَ طائلٍ ... ألا أيُّها الليلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِ

ومما أنشدَنيه لنفسه قوله :

ولمَّا دار بالخدَّيْن نَبْتٌ ... حكَى عصرَ الصِّبا قبلَ المشيبِ
تيقَّنْتُ الوِصالَ وليس وَعْدٌ ... هناكَ ولا خُلُوٌّ من رقيبِ
ولٰكن دَارَةُ القمرِ اسْتَتمَّتْ ... فدلَّتْنا على مطَرٍ قريبِ

وأنشدتُ له قولى فى معناه :

على خدِّه مُذ لاح نَبْتُ عِذارِه ... جرَتْ أدمُعِى فى الخدِّ ذاتَ صَبِيبِ
إذا ما اسْتدارَتْ دَارَةُ البدْرِ حولَه ... فإنَّ وقوعَ القَطْرِ غيرُ عجيبِ

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « وتعرف قدرها » .
(٢) ضمن بيتى امرئ القيس المعروفين .
(٣) فى ا : « للطودى » . وهو خطأ ، والطورى ؛ هو : عبد القادر بن عثمان ، مفتى الحنفية بمصر . كان موجودا فى سنة ست وعشرين وألف . انظر خلاصة الأثر ٢/٤٤٢ .

ومما أنشدَنيه قوله من لفظه مُضمِّناً :

ياسالبَ الغصْنِ حُسْنَ القدِّ والمَيَـلِ ... ومُلْبِسَ الشمسِ ثوبَ الحُزنِ والخجَلِ [1]

ماشأن خــدِّك نبْتٌ بل صفاً فترا ... ءتْ في سَناهُ ظِلالُ الهُدْبِ والمُقَلِ

فاثْبُتْ على حُبِّــه ياقلبُ تحظَ بهِ ... فهل سمعْتَ بظِـلٍّ غــيرِ مُنتقِـلِ

ومعنى البيت الثانى مما سُبِق إليه ، كقول الأَرَّجَانِيّ [2] :

أعِـدْ نظراً فمـا فى الخـدِّ نبْتٌ ... حَماهُ اللهُ من رَيْبِ المَنُونِ

ولٰـكن رَقَّ ماء الخدِّ حتَّى ... أراكَ خيالَ أهْدابِ الجُفونِ [3]

ومما قلتُه فى معناه مُضمِّناً :

صَقِيـلُ خُـدودِهِ مِرْآةُ قلبى ... وماء الحسنِ رَقَّ به ورَاقَا

تُحيطُ به العيونُ إذا تبدَّى ... وهل طَرْفٌ يُطِيقُ له فِراقَا

فَخَالُوا رِقَّةَ الأهْــدابِ فيه ... عِــذاراً قد كَساَ بدْراً مُحاقَا

وظَلْنا نجْتلِي منــــه مُحيًّا ... كأنَّ عليه من حَــدَقٍ نِطاقَا

وكان يهوَى بمصرَ غلاماً وقد دبَّ ظِلُّ العِذار على وَرْد خَـدِّه ، وجعَل حارسُ الحسن بَنفْسَجَه سِياجَ وَرْدِهِ ، هامَ به هِيام سعد بن أُنَيس بورْدِه ، ووَهَبه رُوحاً له لابسة حُلَل المودَّة ، فـكان لا يُسَرُّ إلا إذا اصْطَبح [4] مِن عِذاره بالآس [5] ، ثمَّ لمَّا أدْركَه الغرقُ من الوجْد والبَاس ، عمِل فيـه مُزْدَوَجة لم يُدْرِكْها مُدْرِك ، فـكان ذلك سبباً

---

(١) فى م :

ياسالب الغُصْن لِينَ القَدِّ والمَيلِ ... ومُلبسَ الشمسِ ثوبَ الحزنِ مِن خجلِ

والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) ليس فى ديوانه ، وهذه المقدمة والبيتان بعدهما مما سقط من : ا .

(٣) فى ج : « أراك مثال أهداب الجفون » .

(٤) فى ا ، ب ، ج « أصبح » .

(٥) الآس : الريحان .

لصَدِّه المُهلِك ، فارْتحل لافتِضاحِه للمَحلَّة الكُبْرَى ، فكَتبْتُ له إذ ذاك قصيدةً ، لأُجدِّد له الذِّكْرَى .

منها :

مَن لم يُدِمْ ذكرَ الحبيبِ النَّاسِى ومعاهداً فيهـــا فليس بناسِ
بِى مَن كسا جسْمِى السِّقامَ وَعلَّنى بمُدَامِ دمْعِى يالَهُ من كاسِ
فى نُقْطةٍ من خالِه يرجُــو الوفَا دمعٌ زيادتُه بغيرِ قِياسِ
لمَّا خشِيتُ على الكرَى من مَدْمعِى أوْدعتُه فى طَرْفِه النَعَّاسِ
يقسُو علىَّ فؤادُه ياليْتَه يعْدِيه لِينُ قَوَامِه الميَّاسِ
تاللهِ ماحُبِّى لعارضِ خَــدِّه كالوَرْدِ بل حُبِّى له كالآسِ

ومنها :

ياجوهراً المجْدِ صار مُجرَّداً ما أنتَ إلَّا الرُّوحُ للْأكْياسِ
لو لم تُحدِّثْ عن شمائِلك الصَّبا لم تكْتسِب ذَا الطِّيبَ فى الأنفاسِ
ياراحِــلاً عنِّى ومُجْرِىَ أدْمُعِى مافى وُقوفِكَ ساعةً من بَاسِ[1]
عِقدٌ على جِيــدِ الزَّمانِ مُنظَّمٌ روْضٌ له ظِــلٌ على الجُلاَّسِ
لم أسْتطِعْ وصْفِى لهيبَ صَبابتِى مَن يُودِعُ النِّيرانَ فى القِرْطاسِ

ومنها :

فاسْتَجْلِها بِكْراً نتيجةَ ليْلةٍ صَهْباءَ سالبةً عُقولَ النَّاسِ
لازال يا إنْسانَ عيْنِ العصرِ مِن ذِكْرِى بسالفِ عهْدِكَ اسْتِئْناسِى

---

(١) فى م : « ومجرى مدمعى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج . وعجز البيت تضمين لقول أبى تمام فى مدح أحمد بن المعتصم :

مافى وُقوفِك ساعةً مِن بَاسِ نقْضِى ذِمامَ الأرْبُعِ الأدْراسِ

ديوانه ١٧٢ .

مولایَ ، أما الشوقُ فقد اشتعَل ضِراما ، وكاد عذابُه أن يكون غَراما ، حتى قال فَمُ الجَفْن (١) بلسان الدَّمعِ : یانارُ کونی برْداً وسَلاما .

فإنِّي أُلْقِيَ إلىَّ كتابٌ كريم ، فاح منه شميمُ عَرارِ نجْدٍ ومابعد العَشِيَّة من شَمِيم ، فَمُتِّعْتُ بما هو أحْلى من الوصلِ بعد الهجر ، ومِن الأمْن بعد الخوفِ ، ومن البُرءِ بعد السُّقم ، ولم أدْر أطَيْفُ مَنام ، أو زائرُ (٢) أحْلام ، أم قُرْب نَوًى بعْدَ البِعاد ، أم حبيبٌ وافَى (٣) بلا مِيعاد ، من أديبٍ أشرق بدرُ مجدِه ساطِعا ، وأَلبسنِي بُرْدَ المسَرَّةِ أخْضَر يانِعا .

أهُمُّ بِبَسْطِ حِجْرِى لالْتقاطٍ   إذا حاضَرْتَ بالدُّرِّ النَّسيقِ

فحَدانى أن أحُثَّ مَطِيَّ الهِمَم ، إلى نحو كَعْبة الفضلِ والكرَم ، فحرَّكْتُ مِجْمَر الطَّبع حتى عَبَق عَنْبراً ونَدًّا ، وهزَزْتُ قُضُبَ اليَراعِ على خَدِّ (٤) الطِّرْس فانتثَر (٥) أقاحاً ووَرْدَا .

وقد كنتُ ممَّن زجَر عن هذه الصِّناعة طبْعَه ، فإنها كما قيل كالياَسمين لا يُساوِى جَمْعَه .

ولسانُ التَّقصير ، كما قِيل قصِير ، لا سِيَّما والجُود عبدٌ أنتَ سيِّدُه ، والفضلُ عِقْدٌ أنتَ مُقلِّده ، والبلاغةُ سِوار ليس (٦) لغيْرِك عليه يَد ، ورِداء المعارفِ مُستَعار منك ، وإن كان لا يُسْتَرَد ، وللفصاحة ماءٌ لا يجْرِى فى غيرِ ناديك ، ويَنْبُوعُه لا يتدفَّق إلا من أيادِيك .

---

(١) فى م : « الجفون » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ا ، ب : « وزائر » .
(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .   (٤) فى ب ، ج : « غدير » .
(٥) فى م : « فانتثر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٦) فى ب : « عليه لغيرك » .

ولو صوَّرْتَ نفسَك لم تزِدْها على مافيكَ من كرَمِ الطِّباعِ[1]

وزمانُ الأُنس غابتْ عنِّي أسْرارُه ، وطريقُ المجدِ أظلمَ دوني ليلُه ونهارُه ، وانطَوى عنِّي دُجاه وضُحاه ، فسامرْتُ نَسْرَه[2] ونعائِمَه[3] ، ونفَضْتُ بعَصا التَّسْيار نُجودَه وتَهائِمَه ، وعُود الهوَى ، قد يبِس وذوَى ، وعهْدِي قديمٌ بالنِّضال ، وإنِّي فى السَّبْقِ وقد أثقلني قَيْدُ الكَلال .

ولا يُنْكَر من القرائح جُمودُها ، ولا مِن نِيرانِ الذّكاء خمودُها ، وقد غاضَ الكِرام ، وفاض اللِّئام ، والحرُّ لا يُسْتَعْبَد بغير الوِداد ، ولسانُ المرءِ من خَدَمِ الفؤاد .

ولولا ابتِسام ثغرِ المُنَى ، وامتدادُ خطِّ الأمل لنا ، لملَّ كلُّ قلبٍ عَانٍ ، يقتات السَّوْفَ[4] والأمَاني .

فقد صرَفْتُ عن كلِّ شيءٍ وجْهَ مَيْلِي ، لمَّا نفَر عنِّي كلُّ شيءٍ حتى صُبْحُ ليلي ، واستوحشْتُ من كلِّ شيءٍ حتى ظِلِّي ، وملَلْتُ حتى المَلَل فقُلت مَن لِليَلى[5] ومَن لِي .

إنَّ دهراً يلفُّ شَمْلِي بسُعْدَى لَزمانٌ يهُمُّ بالإحْسانِ

وفى المثل : « أُعْطِيَ العبدُ كُراعاً[6] ، فطلب ذِراعاً » .

---

(١) البيت لأبى تمام ، وهو آخر بيت فى قصيدة يمدح بها مهدى بن أصرم . ديوانه (بشرح التبريزى) ٢/٣٤٠ ، وفيه : « فلو صورت نفسك » .

(٢) النسر : كوكبان ؛ الواقع ، والطائر .

(٣) النعائم : من منازل القمر .

(٤) فى م : « بقيات الشوق » ، وفى ا : « بقيات السوف » ، وفى ب : « يقتات السيوف » ، وفى ج : « يقتات التشوق » ، ولعل الصواب ماأثبته .

(٥) فى ا ، ب ، ج : « لى » .

(٦) الكراع من البقر والغنم : هو مستدق الساق العارى من اللحم ، ومعنى « أعطى العبد كراعا فطلب ذراعا » أنه يطمع فى الأفضل ؛ لأن الذراع فى اليد ، وهو أفضل من الكراع فى الرجل . انظر اللسان (ك ر ع) ٨/٣٠٧ .

فعسى أن تُمنُّوا بسُطور ، هى سلالِم يُترقَّى بها إلى السُّرور .

لا زِلْتَ ترفُل فى ثوب بقاءٍ بالصِّحَّة مُعْلَم ، وتَقِيل فى ربيع مسرَّةٍ حِماه عن الأكْدار مُحرَّم ، ألْمَى الظِّلال عذْبِ المشارِب ، تُسطَّر محامِدُه بين دَفَّتَي المشارق والمغارب ، ما حنَّ صديقٌ إلى صديق ، وصُرِف بدراهم[1] النجُوم دينارُ الشمس الأنيق ، والسلام .

فأجاب بقوله :

أسَقِيطُ طَلٍّ فى حديقة آسِ ... أم ذا حبابٌ دار فوق الكاسِ

أم دُرُّ ثَغرِ الأُقْحُوانةِ باسِمٌ ... أم دمعُ طَرْفِ النَّرْجِس النَّعَّاسِ

أم جَنَّةٌ جُنَّ النَّسيمُ بحُسنِها ... أغْصانُها من ذاك فى وَسْواسِ

أم هذِه زُهْرُ النجومِ تزيَّنتْ ... منها السماء هِدايةً للنَّاسِ

أم ذا هو السِّحرُ الحلالُ حَلَاأم الْ ... عذبُ الزُّلالُ وكلُّ عُضوٍ حاسِى[2]

أم رُقعةٌ رفعتْ لواءَ بيانِها ... فأتى البديعُ لها ذليلَ الرَّاسِ

نطقَتْ بكلِّ فضيلةٍ ظلَّتْ لها الْ ... أحداقُ بين مُحقِّقٍ أو خاسِى[3]

الشِّعرُ فاخَرَ أنْجُمَ الشِّعْرَى بها ... والجوُّ قال الفضْلُ لِلقِرْطاسِ

مَن ذا يُطاوِلها ومطْلَعُ نُورِها ... أُفُقُ الشِّهابِ وظُلمةُ الأنْقَاسِ

وافَتْ فما وفَّيْتُ بعضَ حقوقِها ... إلّا ببَذْل النَّفْسِ والأنْفاسِ

طار الفؤادُ لها فقال وَقارُها ... ما فى وقوفِك ساعةً من بَاسِ

جاءتْ تُحدِّثُ عن محاسنك التى ... شُدَّتْ إلى حُسنِ الثَّنا بِمِراسِ[4]

أمّا الفصاحةُ صحَّ أنَّكَ قُسُّها ... بالرَّغم من غِمْرٍ حسودٍ قاسِى

---

(١) فى ا : « بدرهم » .

(٢) فى ا : « الحلال أم العذب » .

(٣) خسأ البصر : كل وأعيي .

(٤) المراس : الشدة والقوة .

لِلّهِ دَرُّ عَقِيلَةٍ أَبرَزْتَها عقلتْ بِبَهْجتِها عقولَ النَّاسِ
مِن كلِّ بيتٍ كاد يُشبِه لفظُه معناه كلٌّ دَقَّ عن إحْساسِ
شَرحَتْ لِىَ الوُدَّ القديمَ وذَكَّرَتْ قلباً فَدَيْتُك لم يَكُنْ بالنَّاسِى
ما أخطأتْ رَشَداً وإن تكُ أبْطَأتْ خيرُ اللِّقا ما كان بعدَ اليَاسِ
فالُحبُّ أن أرْضى بما ترْضى وهَا حُبِّى وحَقِّك راسخٌ بأساسِ[1]
كُنْ كيفَ شئْتَ فشيمَتِى حِفظُ العُهُودِ وإنَّنى طَوْدُ الوفاءِ الرَّاسِى
يا مَن زهَا حرُّ القريضِ بلفظِه وغَنِى به الإنْشاء من إفْلاسِ
ومَن اسْتَنَارتْ منه مصرُ وأفْقُها لَمَّا كساها الفضلُ خيرَ لِباسِ
ومَن انمَحَى ذنْبُ الزَّمانِ لأجْلِه وغدَتْ به الأيامُ كالأعْراسِ
دُمْتَ الُمقدَّمَ فى الجادةِ والإجادةِ والإفادة والنَّدى والبَاسِ
وإلَيْكهَا وهى الملاحةُ نَفْسُها والحسنُ بالأنْواع والأجْناسِ
فإذا أصاخَ لها الحسودُ حسِبْتَه ما بين كأس أو ظِباءِ كِناسِ
عذْراء تبسطُ عُذْرَ تقْصيرى ومن داءِ التَّطاوُل فهْىَ نِعمَ الآسِى
أنَّى لمثْلِى أن يجِىء بمِثْلِ ما تأْتِى وأين الشَّمسُ مِن نِبْراسِ
لٰكنَّهَا ردُّ السَّلامِ سلكْتُ فيه الطُّولَ قدْرَ زيادةِ اسْتِئْناسِ
فعلَيْكَ من أوْفَى السَّلام أبَرُّه مِمَّن يُكابِد بُعْدَه ويُقاسِى
حَلَّ المُحلَّةَ جسمُه والقلبُ فى مصرٍ لديكَ وأهلُه فى فاسِ

بعد تقْبِيلِ ثُرَيَّا ذلك الثَّرى ، الذى عَبِق فى المَشَامِّ[2] عَنْبرا ، وقلد جِيدَ الزَّمان دُررا .

(١) فى م : « راسخا بأساس » على النصب ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) فى ب ، م : « الشام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لا زال مَنْبَعَ البيان ، ومُنْتَجَع الأعْيان ، ولا بَرِحَ جوهرُ حصبائِه يفَضِّله العَيان ، على قلائِد العِقْيان .

هذا ، وقد وصل إلىّ ، وصَل[1] اللهُ لك[2] أسبابَ العُلا ، وألبسَك رائقَ الحُلَى ، كتابُك الخطير فى رُقْعةٍ من محاسنِ لفظِك الرّائق الجِلْباب ، المُزْرِى برَوْنَق رَيّق الشباب ، وبَهْجةٍ من بدائعِ خَطِّك المستوقِف للناظِر ، المُخْجِل بحُسْنِه الوَشْىَ الفاخِر ، والرّوضَ الناضِر ، فأجْناني ثمرَ البرِّ يانعا ، وجلّى علىّ وجْهَ الوُدِّ أبيضَ ناصِعا .

وأرانى كيفَ انقِيادُ القَوافِى   فى زِمامِ البيانِ سَمْعاً وطَوْعاَ

وفتح للمُخاطَبة بابا ، طالما كنتُ له هَيَّابا ، ورفع حِجابا ، ترك القلبَ وَجَّابا[3] .

ما زِلتُ أغازِلُها أمَلا ، فلا أطِيق لها عَمَلا ، وألاحِظُها أمَدا ، أذوب دونه كمَدا .

وفى تَعَبٍ من يحسُدُ الشمسَ نورَها   ويزعُم أن يأتى لها بضَرِيبِ[4]

لا جَرَم أنه اقْتضانى خالصَ وُدّ ، وصحيحَ عهْد ، لم يلتفت منّى إلى معذِرة ، ولم يكْلأنى إلى ما فى الوُسْع من المقدرة ، وقد يعود على عِلْمك بحرُ القريحة ثَمَدا[5] ، وحُسامُ الذِّهن مُعْضَدا .

فتكلّفْتُها بحكم هذا الغرام تحت حَصَر ، ونازِح بصَر ، فإن سَمَحتَ بالإغْضاء ، وسامحْتَ فى الاقْتضاء ، سلِمتْ لك اليدُ البَيضاء ، وظهرتْ لشكرِك[6] بالقضاء .

---

(١) فى م : « أوصل » .

(٢) فى ج ، م : « إليك » .

(٣) قلب وجاب : كثير الخفوق .

(٤) البيت لأبى الطيب المتنبى ، فى ديوانه ٣١٧ .

(٥) الثمد : الماء القليل ، يتجمع فى الشتاء وينضب فى الصيف ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر .

(٦) فى ا ، ب : « لشكوك » .

وأما العذرُ الذى توخَّيتَ ـ ولا عُدِمت ـ شَرْحَه ، وحَمَيْتَ بقوَّة الـكلام سَرْحَه ، فأنت غنىٌّ عن تـكلُّفاتِ إيضاحِه ، ومَدِّ أوْضاحِـه ، فالذى يثبُت فى النفوس ، من الوُدِّ المَصون المحروس ، لا يُخْشَى عليه من تسلُّطِ الطُّموس والدُّروس .

ولا أقول إن وُدِّى لك كالتِّبْر ، إذ لا يصفُو ما لم يَشُبْهُ لهيبُ الجمْر ، ولا كالرَّاح ، حيث يفتقِر فى الرِّقَّة إلى مَرّ المساء والصَّباح .

بل أقول : إنَّ ودِّى لك ـ أَبيْتَ اللعنَ ـ كالفُرات العذب ، يشْفِى غليل القلب ، ويُطفِى لهيبَ الصَّبّ ، يحُلّ بالأرض الميِّتة فيُحيِيها ، ويمرُّ بالروضةِ الذَّابلة فيتَوِّجُها بالأزهار ويَحْلِيها .

وأنت ـ أعزَّك الله ـ لا تَـثْريب عليك إذ كلٌّ يعمل على شاكلته ، ويجرى فى أمورِه على مُقتَضى مَرْتبتِه[1] ، فإنَّ حُنُوَّ السيد ـ وأنت ذاك ـ يُستـكْثَر قليلُه ، وإخلاصَ العبدِ ، وهو أنا ، يُستَحْقَر ، كما علمتَ ، جليلُه ، والحقُّ أغْلَب ، و معرفة المرءِ نفسَه أصْوب .

وإن تفضَّلْتَ بالاسْتفسار عن أحوال العبد ، فالحالُ فى خير ، والمَـآلُ يعلمه الله تعـالى .

وبالجملة ، فسهمُ المصيبة إن سدَّده الدهرُ فعلى مثلِه وقَع ، والتألُّم بمثل هذه الحالةِ قد ارْتفع .

ولم أرَ مثـلَ الصَّبْرِ أما مذاقُهُ فحُلْوٌ وأما وجهُه فجميلُ[2]

وكذلك كلُّ من دعا الصَّبر لمـا شاء أجاب ، وأراه من نَشْره الأفق المُنْجاب ، وأقامه بين مَبرَّاتٍ وألطاف ، وأعطاه ممَّا أحبَّ جَنَى قِطاف .

---

(١) فى ا ، ب : « رتبته » .

(٢) البيت فى البيان والتبيين ٣/ ٢٤٤ ، وفيه: « ولم أر كالمعروف »، وفى ب: « أما مذاقه * فر » .

ولله دَرّ القائل[1] :

يعيشُ المرء ما استغنَى بخيرٍ ويبْقَى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحاء[2]

وهو الدهْرُ لا يُرَدّ عن مُرادِه ، ولا يُصادَر فى إصْدارِه وإيرَادِه .

فيومٌ علينَا ويومٌ لنَا ويومٌ نُساء ويومٌ نُسَر[3]

على أن طولَ الغَيْبة ليس لشىء ، علم الله ، آثرتُه على لُقْيا كم ، إذ أستبْدله[4] طوعاً لكنه ارتكابٌ للأخفِّ من الضَّرَريْن ، واختيارٌ للأهْوَن من الشَّرَّيْن .

عسى غلطاً يُثْنِي الزمانُ عِنانَه بدَوْرِ أمورٍ والأمورُ تدورُ

فتُدرَك آمالٌ وتُقْضى مآربٌ ويحدثَ من بعدِ الأمور أمورُ

فلذلك قنعْتُ من البحر بالوَشَل[5] ، وسرَحْت فى رياض المُنَى بين عسَى ولعلَّ ، فقد قيل : إذا دار الفلَك ، فعلَيْك أو فلَك ، ولله فى خلقِه أمرٌ لا تُدرِك العقولُ حِكْمتَه ، ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَاقَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[6] .

وما اجتلَيْتَهُ فى كتابك الخطير ، وروضِ خطابك المَطِير ، استدْعَى شيئاً من نظمِ العبد ونثْرِه ، والتَّنويه[7] بذلك من خامل ذِكْرِه .

فلا عَدِمْتُ منك مولًى على الإحسان مُثابرا ، وحكَماً لكَسْر الكَسِير الخاطر جابرا .

مع تشتُّتِ الحال لبُعْد مَزارِك ، ونَأْىِ دارى عن دارِك .

---

(١) هو أبو تمام . ديوانه ٤٨٥ .

(٢) فى الديوان : « ماستحيي بخير » .

(٣) البيت للنمر بن تولب العكلى . التمثيل والمحاضرة ٥٦ .

(٤) فى ا : « استبدلته » .

(٥) الوشل : الماء القليل ، يتحلب من صخر أو جبل .

(٦) سورة الشورى ٢٨ ، وقد سقط من : ا ، ب (من بعد ماقنطوا) .

(٧) ساقط من : ا .

وأقسِم أنى صَمَّمتُ على التَّغافل عن الجواب ، وهو الأَوْلى بالصَّواب ، إذ ليس بلبيبٍ مَن يقِيس الشِّبْرَ بالْباَع ، والجبانَ بالشُّجاع ، وكيف لا ، وكلُّ مَن تكلَّف فوق طاقتِه، افْتَضح لساعتِه ، لكن عدمُ الامْتثال محذُور ، والُملْجأُ إلى مالا يُطاق معذور .

فتكلَّفْتُ مايُعْرَض عليك من الُمسمَّطات[١] ، سوى القصيدة المشار إليها بذكر بعضِها ، فإنها متقدِّمة على وُرود مُشرِّفتِكمْ .

فمثلُكَ مَن سدَّ الخلَل ، وتجاوَز عن الزَّلَل .

والله يُبْقِيك ، ومن كلِّ سوء يقِيك ، والسلام .

قوله فى القصيدة : « حلَّ المحَلَّة » إلخ ، كقول ابن الخازِن[٢] :

يوماً بحُزْوَى ويوماً بالعقِيق ويو ... ماً بالعُذَيْبِ ويوماً بالُخلَيْصاءِ[٣]

ولأبى تمّام[٤] :

بالشَّام أهْلِي وبغداد الهوَى وأنا ... بالرَّقْمتَيْن وبالفُسْطاطِ إخْوانِى

وللأمير أبى فِراس الَحمْدَانىّ :[٥]

ياهل لصبٍّ بِكَ قد زِدْتَه ... على بَلايَا أسْرِه أسْرَا[٦]

قد عدِمَ الدنيا ولذّاتِها ... لكنَّه ماعدِمَ الصَّبْرَا

فهْوَ أسيرُ الجسم فى بلدةٍ ... وهْوَ أسيرالقلبِ فى أُخْرَى

---

(١) فى ا ، ب : « السمطات » ، والمسمط : أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافى الأبيات . انظر القاموس (س م ط) .

(٢) هكذا فى الأصول ، ونسب ياقوت هذا البيت إلى عبد الله بن أحمد بن الحارث ، شاعر بنى عباد . معجم البلدان ٢/٤٦٧ .

(٣) فى معجم البلدان : « يوم » فى المواضع الأربعة.

(٤) ديوانه ٣٢٣ .

(٥) ديوانه ١٥٦ .

(٦) فى الديوان : « ارث لصب » .

ولابن عبدربِّه الأنْدلُسىّ [١] صاحب « العقد »[٢] :

الجسمُ فى بلدٍ والرُّوحُ فى بلدٍ ياوَحْشةَ الروح بل ياغُرْبَةَ الجسَدِ
إن تَبْكِ عيناكَ يامن قد كَلِفْتُ به مِن رحمةٍ فهماسهْمانِ فى كَبِدِى[٣]

ولابن الفارِض[٤] :

كيفَ يلْتَذُّ بالحيـاةِ مُعنًّى بين أحْشائِه كوَرْيِ الزِّنادِ[٥]
فى قُرَى مِصْرَ جسمُه والأُصَيْحا بُ شَـآماً والقلبُ فى بغدادِ[٦]

وقلتُ أنا [٧] فى مثله[٧] :

شُتِّتَ النَّوْمُ والأحبَّـةُ عنى مع تأليفِ أدْمُعِى ووُلوعِى
أنا فى بلْدةٍ وأهْلى بأُخْرَى وحبيبى بغـير تِلكَ الرُّبوعِ
فـكأن الزَّمانَ منى اشْتَرى الصَّفْوَ بنَقْدٍ أسالَهُ من دمُوعِى

وقوله فى المنثُور : « وُدِّى لك » إلخ ، كقول [٨]أبى محمد بن سُفْيان[٨] من شعراء « القلائد » :

كتبتُ وما عندى أصْفَى من الرَّاح ، وأضْوء من سِقْط الزَّنْدِ عند الاقْتِداح .

وقول [٩] أبى محمد بن القاسم[٩] الوزير ، فى جوابه :

(١) ساقط من : ا ، ب .
(٢) ساقط من : ب ، ج ، والبيتان فى : المطرب من أشعار أهل المغرب ١٥٣ ، بغية الملتمس ١٣٨ .
(٣) فى المطرب والبغية : « فهما سهماك فى كبدى » . وفى البغية : « إن تبك عينك لى يامن كلفت به » .
(٤) ديوانه ٢/١٠٥ ، ١٠٦ . (٥) بعد هذا فى الديوان قوله :
عمْرُه واصْطِبارُه فى انتقاصٍ وجَواه ووَجْدُه فى ازديادِ
(٦) فى الديوان : « والقلب فى أجياد » .
(٧) زيادة من : ب .
(٨) فى الأصول : « محمد بن سفيان » ، والمثبت فى قلائد العقيان ١٣٦ .
(٩) فى الأصول : « محمد بن القاسم » والمثبت فى قلائد العقيان ١٣٨ .

كتبتُ عن ودٍّ لا أقول كصَفْو الرَّاح ، فإن فيها جناحا ، ولا كسِقْط الزَّنْد فربَّما كان شَحَاحا[١] ، [٢] ولـكن أصفى[٢] من ماء الغَمام ، وأضْوءَ [٣] من القمر ليـلةَ التَّمام [٣] .

فراجعه بقوله : كتبتُ — دام عزُّك — عن وُدٍّ كماء الوَرْد نَفْحهُ ، وعهدٍ كصفائه صَفْحُه ، ولا أقول أصْفَى [٤] من ماء الغَمام [٤] فقد يكون معه الشَّرَق ، ولا أضْوءَ من قمر التَّمام ، فقد يدرِكُهُ النَّقص ويُمْحَق .

وليس ماوقع فيه الاعْتراض مُختصًّا بصَفْوِ الرَّاح ، ولا بِسَقْطِ الزَّند عند الاقْتِداح ، فإن أمورَ هذا[٥] العالَم هــذه سبيلُها ، وجيـادُ الـكلام تجول كيْفما أرْسلَها [٦] مُجيلُهـا .

وعلى ذكر القِصَّة قلتُ :

إن الصفِىَّ الذى قد كنتُ أعهَدُه عنـد المُلمَّاتِ ذُخْراً للوداد مُـذِقْ
وقد يغَصّ بخيْرِ الزَّادِ آكلُه وقد يكون من المـاء الزُّلالِ شَرَقْ

وقلتُ أيضاً :

إن كنتَ تُوجعنى باللّوم فى زَلَلِى وظَلْتَ تُبْرِئُ منى الدّاءَ بالدَّاءِ
فقـد يسوغُ بضَرْبِ الظَّهر غُصةُ مَن قد اسْتغاثَ فلم يُنْجِدْه بالمـــاءِ

---

(١) فى ا : « سجاحا » ، والشحاح : البخيل .
(٢) فى قلائد العقيان ١٣٨ : « ولـكن أقول أصفى » .
(٣) فى قلائد العقيان : «من القمر متوافى التمام » .
(٤) فى قلائد العقيان : « من صوب الغمام » .
(٥) ساقط من قلائد العقيان .
(٦) فى قلائد العقيان : « شاء » .

﴿ فصـــــل ﴾

كنتُ فى عُنْفوان الشباب أهوَى الهزل والخلاعة ، مع هـذا الأديب ، لـكثرة ماعنده من الأهواء ، فـكتبتُ له يوماً ، وقد رأيتهُ (١ يتحدث مع١) بعض الأحْـداث :

مابالُ مولاىَ مُغْرًى بتقْديم الذكور على الإناث(٢) ، ومرتَـكِباً لأثامٍ تُطَلَّق بهـا حُورُ الجِنان بالثَّلاث ؛ وذلك لأن الرجلَ خـيرٌ من المرأة بالاتفاق ، فلذا تخلَّفَ عن الخِلَاق(٣) ، وشقَّ جَيْبَ الشِّقاق ، كما قلتُ :

أديبٌ مالَ عن حبِّ الغوانى ... وبالغلْمان أصبح ذا اكتراثِ
أقُلْتَ برأْى أرْبابِ المعانى ... فغلَّبْتَ الذُّكـورَ على الإناثِ

وما سواه على خِلاف القياس ، وإن لم يَخْـلُ مثلُه عن لُبْسٍ والْتِباس ، وأيْرَان(٤) تحت لحاف خَطَر(٥) .

وممن خالَفَ المعانى ، الأديبُ الأصفهانى ، حيث قال :

هاتيكَ حبيبتى ازْدَهَتنى طِيباً ... أوْسَعتُ بها ابنَ هانِىءٍ تكْذيباَ
لو أمْعَنت النُّحَاةُ فيهـا نظراً ... لم تدْعُ إلى المذكَّر التَّغْليبــــاَ

والتغْليب باب واسع الموارِد ، كثيرُ المصائِد والأوابِد ، فَلْيُنْظَر الصَّواب ، ولا يُرسَل البازُ فى الضباب .

⁂

(١) ساقط من : ا ، وسقط من ب : « يتحدث » .
(٢) ساقط من : ج .
(٣) الخلاق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزائه الزعفران .
(٤) فى م : « دائرين » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٥) فى م : الخطر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

٤٨

الوزير عبد العزيز الثَّعالِبيّ الأديب *

ساحرٌ تخلِبُ نفثاتُه العقول ، وفاضلٌ الأيامُ من فضله غُررٌ وحُجول .

إن ذُكِر رِقَّةُ طَبْعِه فما الشَّمْأَل والشَّمول ، أو شِعْرُه فما أبياتُ غيرِه إلا دارِسات رُسومٍ وطُلول .

إذا طَرَّز بكلامه بُرودَ المجد ، تخالُه ممَّن جاورَ سُكَّان تِهامةَ ونَجْد .

قُدَّت من أدِيم المجد خِلالُه ، ففضَح الرِّياض وسحَر السِّحر أقوالُه .

دِيمَةُ مجدٍ أمطَرت سحائبُه ، وسماءُ فضلٍ شرَّف كواكبَها مناقِبُه .

شمائلُ لاجَيْبُ الزَّمانِ مُعطَّراً حكاها ولا خَدُّ الشَّمولِ مُورَّدَا

أطلَع فى رياض[1] المغرب وَرْدَه وسَوْسَنَه ، وأصبح للفِقْه مالكاً فضائلُه فى صحف الدَّهر « مُدوَّنة » .

بمثلِه بطونُ الإمكان عقِيمة ، فلو رآه الثَّعالِبىّ توَّج به « تَتِمَّةَ اليتيمة » .

إذا جَلَى كواعبَ كلماتِه فضَحتِ الكواكبَ نُورا ، وإذا أنْشأ عُدَّ نثرُ سواه هباءً منثورا .

ولما قدِم قُسْطَنْطِينِيَّةَ الرُّوم اجتَمع به الأفاضل ، وعظَّمه مَن بها من الصُّدور والأماثِل ، فكتبتُ إليه مادحا ، ولعَذْب أدبه مائحا ، بقولى من قصيدة :

وافَتْ وطَرْفُ النَّجم مكحُولُ الحَدَقْ وعارِضُ الظلماء فى خَدِّ الشَّفَقْ

سكْرانةَ الألحاظِ من خمر الصِّبا تعثُر فى ذيلِ ظلامٍ وفَرَقْ

---

* ذكره الخفاجى فى خبايا الزوايا لوحة ١٨٤ ا ، وسماه « عبد العزيز بن محمد الثعالبي » .

(١) فى ا : « بلاد » .

واستعْجلَتْ فى خَطْوِها تَكاد أن ... تسبِقَ طَيْفَ آمَلٍ لها طَرَقْ

مائسةٌ تفضَحُ أغصانَ النقَا ... لها من الحَلْىِ ثِمارٌ ووَرَقْ

فأبْصَرتْنى للسَّقام لابساً ... ملابساً من وَشْىِ أفكارِى أدَقّ

فابْتَسمتْ فكاد مِن بارِقِها ... فَحْمُ الدُّجى يَحْرِقُه ضوْءُ الفلَقْ

مااهتزَّ غصنُ البانِ إلَّا فَرَقاً ... لأنَّه لِهَيَفِ القَدِّ سَرَقْ

ومنها :

ماءُ الجمال فى رياض خدِّها ... راقَ لناظِرى وُرُودُه وَرَقْ[(١)]

ماذُقْتُه وماءُ صَفْوِى كدِرٌ ... بَهجْرِها فكيف لى منه شَرَقْ

وِرْدٌ بأفْواهِ المُنَى مُستَعذَبٌ ... كوِرْد بحرٍ قد نَفَى قَذَى المَلَقْ

عبدُ العزيز مَن بعِزِّ مَجْدِه ... أحيى زماناً فيه للفضْل رَمَقْ

رَوْضٌ سحابُ الفضل جادَ نَوْرَه ... حتى زهَا مُقْتَطَفاً ومُنتَشَقْ[(٢)]

للفضلِ مالكٌ وفى مِضْمارِه ... من أشْهبٍ بقَصَب السَّبْقِ أحَقّ

خُذْها عروساً لبست ثوبَ البهاَ ... سعَتْ إليك بين خَبٍّ وعَنَقْ[(٣)]

لو صُرَّ دُرٍّ طَرَقَتْ أسماعَه ... أهْدَى لها دُرَّ الثَّناء فى طَبَقْ[(٤)]

قد وصف السِّحرَ لسانُ طِرْسِها ... بعارِضٍ خُطَّ على خَدِّ الورَقْ

حتى غَدا العنبرُ يُلْقى نفسَه ... فى النَّار من غَيْظٍ لديه وحَنَقْ

---

(١) فى ا : « ورده ورق » ، وفى ب ، م : « وورده ورق » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى م : « جاد نوءه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) خب الفرس فى عدوه : إذا راوح بين يديه ورجليه ، أى قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة ، والعنق : سير الدابة السريع .

(٤) صردر ، هو على بن الحسن بن على البغدادى ، شاعر مجيد ، مدح القائم العباسى ، ووزيره ابن المسلمة ، كان يلقب بلقب أبيه صربعر ، حتى لقى نظام الملك فقال له : أنت صردر ، لا صربعر ، ، فلزمه . توفى سنة ٤٦٥ هـ . وفيات الأعيان ٣ / ٦٥ .

ومدحه صاحبُنا الأديب أبو المعالى الطَّالُوِىّ بقصيدة أنشدنيها ، منها :

لعبدِ العزيز الأوْحــدِى الثَّعالِـبى ... بدائعُ فاقتْ مُبْدَعاتِ الثَّعالِـبى
فمـا بعـدَها فى الدَّهرِ تُلْفَى يتيمةٌ ... ولا قبلَهـــا وَشَّتْهُ أقلامُ كاتبِ
سَوادُ سطورٍ فى بياضِ مَهارِقٍ ... وشَامٌ على خـــدٍّ لحسناء كاعبِ
وإلَّا لَمَّى وَسْطَ الشِّفاهِ يُعَلُّ مِن ... جَنَى النَّحلِ ممزوجاً بماء المذَانِبِ (١)
وإلَّا رياضٌ قد كسَتْهـــا يدُ الصَّبا ... طرائفَ وَشْيٍ من نسيجِ السَّحائبِ (٢)
كأنَّ عليهـــــا عَبْقَرِىٌّ مَطارِفٍ ... ومن حُلَلِ الدِّيباجِ وَشْىُ عصائبِ
فكيف ترَى عينٌ يتيمةَ دهْرِها ... وأمُّ سجَاياهُ وَلودُ الغرائبِ
فللَّهِ مولًى قد شهِدْنا بمـــا وَشَى ... مُـكاتبةَ الصَّادَيْنِ صابٍ وصاحبِ (٣)
وحَـكَّمَ فى نظْمِ القريضِ خواطراً ... أبتْ غيرَ نظمِ النَّيِّراتِ الثَّواقبِ
فما يَشْكُرِىُّ القومِ يوماً وإن شدَا ... بنظْمِ القوافِى عنـده غيرَ ناعبِ (٤)
فكم بنت فكرٍ قد جلاها بنَانُه ... علينا وما غـــيرُ الأديبِ بخاطبِ
كأنَّ صَبَا دَارِينَ فَضَّتْ عشيَّةً ... على عِطْفِها الميَّاسِ مِسْكَ الحقائبِ (٥)
ومرَّتْ بوادى الشِّحْرِ مجتازَةَ اللِّوَى ... لِوَى الرَّملِ فيه البانُ مُرْخَى الذَّوائبِ (٦)
تُجاذِبُ من نجْدٍ شَمِيمَ عَرارِهِ ... فيرْنُو لها الحَوْذانُ من لَحْظِ غاضبِ (٧)

---

(١) فى ا : « ولا لمى » . والمذنب بكر الميم وسكون الذال : سيل الماء ، والجدول إذا لم يكن واسعا

(٢) فى ا : « ولا رياض » .

(٣) يعنى أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى ، والصاحب إسماعيل بن عباد .

(٤) يعنى المنخل بن مسعود اليشكرى .

(٥) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/٥٣٧ .

(٦) الشحر : صقع على ساحل بحر الهنـد من ناحية اليمن ؛ إليه ينسب العنبر الشحرى . معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

(٧) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلهـا صفرة ، وورقته مدورة . انظر اللسان (ح و ذ) ٣/٤٨٨ .

وَوَافتْ حِمَى الزَّوراءِ ليلاً فساجلَتْ ... على الكرْخ داراً بالدُّموعِ السَّواكبِ
والمغْربِ الأقْصَى ثنَتْ من عِنانِها ... تَؤمُّ حِمَى البيْضاءِ عزَّتْ لِطالبِ
بحيث تَرى البيْتَ الإماميَّ معتلى ... تطوفُ به الأمْلاكُ من كلِّ جانبِ [1]
مَجَرُّ العوالِي السَّمْهريَّةِ والقنا ... ومجْرَى الجيادِ المُقْرَباتِ السَّلاهِبِ [2]
عليها أسودُ الإنْسِ فى يوم سِلْمِها ... وفى الحرْبِ تُلْفَى داميات المَخالبِ [3]
بها يكْلأُ اللهُ الخلافةَ فى حِمَى ... مليكٍ قصِيِّ العزْمِ دانى المواهبِ
حِمَى الملكِ المنْصورِ مولاىَ أحمدٍ ... إمامِ الهدى رامِي العِدى بالمقانِبِ [4]
أُسودٌ على مَتْنِ السَّراحِيبِ غابُها ... من الأَسَلِ الخطِّيِّ دامِي الثَّعالبِ [5]
تلوَّى بأيْدِي الدَّارعينَ كأنَّها ... صِلالُ نقاً مَذْعورةٌ فى مساربِ
تَرى السَّرْدَ نِهْياً والقَتيرَ حَبابَهُ ... فتكْرعُ فى حوضٍ من الدَّمِّ راغبِ [6]
مُؤيِّدُ دينِ اللهِ مُشْتجِرُ القَنا ... ومُعترِكِ الهَيْجا بماضِي القواضِبِ
سليلُ الوغَى إن ينْتضى يومَ مَعْرَكٍ ... وفيه المنايا مُزِّقتْ فى الكتائبِ [7]

ومنها :

فيا ابْنَ الأُلَى هٰذِى مناقبُ فخرِهِمْ ... وهل بعد هٰذا الفخرِ شأْوٌ لطالبِ
لَعِنْدى على بُعْدِ الدِّيارِ ونأْيِها ... قلائدُ نظمٍ كالنُّجومِ الثَّواقبِ
ولكن قوافِي الشِّعرِ كيف أُجيدُها ... وفيكمْ أتَى التَّنْزيلُ يا آلَ طالبِ

---

(١) فى م : « تطوف به الآمال » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) المقرب من الخيل : الذى يقرب معلفه ومربطه لكرامته ، والسلهب : الطويل .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « عليها أسود أنس يوم سلمها » والمثبت فى : م . وفى م : « وفى الحرب تلغى» ، وفى ا ، ب : « تلفى » ، والمثبت فى : ج .
(٤) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .
(٥) السرحوب : الطويل المتناسب الأعضاء . والثعلب : طرف الرمح الداخل فى جبة السنان .
(٦) السرد : الدرع ، النهى ، بالفتح والكسر : الغدير . والقتير : رءوس مسامير الدرع .
(٧) فى ا : « إن ينتهض يوم معرك » ، وفى ج : « إن ينقضى يوم معرك » .

وإنّى لأهْوَى أن أكونَ مع الصَّبا رسولًا إلى البيْضاءِ تُقْضَى مآربى
لدَى ملِكٍ دانى النَّوالِ وكَفُّهُ لراجيهِ أنْدَى من غُيوثٍ سَواكِبِ
على كلِّ خطٍّ من أسرَّةِ وجْهِه دليلٌ على أن الرَّجا غـــيرُ كاذبِ
لِسُدَّتِه مأْوى العُفاةِ بعَثْتُهـــــا قوافٍ عسى عنِّى تقومُ بواجبِ
عليها من المدْحِ الإمامِىّ جوْهرٌ ترَقْرَق ماءً فى متونِ القواضبِ

وأنشدنى الفاضل عبد العزيز بقُسْطَنْطِينيَّة قصيدةً ، منها :

زُجاجةُ الفجْرِ أبدتْ خَمْرَةَ الشَّفَقِ ولُجَّة الصُّبحِ أخفَتْ نَرْجِسَ الأُفُقِ
فبات فى زُهُرِ الأقْداحِ زَهْرُ طِلاً وليس غيرُ دخانِ النَّدِّ من غَسَقِ
والليلُ قد قلَّد الإصْباحَ حين بدَا كأسْودٍ لابسٍ طوْقاً من الورِقِ
وما محَا الصُّبحُ نِقْسَ الليلِ واسْتَترتْ سَوْسانةُ الفجْرِ يوماً وَرْدةَ الشَّفَقِ
لـكن دمُ اللَّيلِ لمَّا سالَ عَنْدَمُه أتَتْ لتقْطعَـــــــه كافورةُ الفلَقِ
فى روضةٍ أودعَتْها السُّحْبُ سِرَّ شَذاً فنَمَّ وَفْدُ الصَّبا عن نَشْرِه العَبِقِ
فيها لـكُمْتِ كؤوسِ الرَّاحِ مُعْترَكٌ وليس غيرُ احْمرارِ الوردِ مِن عَلَقِ
حيثُ الأسِنَّةُ زُرْقٌ من بَنَفْسَجِهِ وخُضْرُ أوراقِهِ فيهنَّ كالدرَقِ
وللشَّقيقِ احْمـــرارٌ فى جوانبِهِ كأنَّهن جِراحاتٌ على نَسَقِ
والرِّيحُ فوق مُتُونِ الماءِ طالعةٌ بيضاً على زَرَدٍ مفْـكوكة الحَلَقِ
والرَّوضُ مثلُ أبى حفْصٍ وبهْجَتُه كـخُلْقِه وشـــــذا ريَّاهُ كالخلقِ
نَجْـلُ السَّرِىِّ أبى العباس من ظَهَرتْ آياتُ سُؤْدِدِه فى وجْهِه الطَّلقِ

وعلى مِنْوالها قولُ الحِلِّىّ (١) :

فَيْرُوزَجُ الصُّبحِ أم ياقُوتَةُ الشَّفَقِ بدَتْ فهيَّجتِ الورْقاءَ فى الورَقِ

---

(١) ديوانه ٥٢ ، والبيت افتتاحية قصيدة له فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبيت الشَّقيق من قول القاضِي عِياض [١] :

انظُر إلى الزرْعِ وخاماتِه ... تحكى وقد ماسَتْ أمامَ الرِّياحْ

كَتيبةً خضراء مهزومَةً ... شقائِقُ النُّعْمانِ فيها جِراحْ [٢]

ولابن الزَّقَّاق الأَنْدَلُسِيِّ [٣] :

نُثِر الوَرْدُ فى الغدِيرِ وقدْ ... درّجَه بالهُبوبِ نَشْرُ الرِّياحْ [٤]

مثل دِرْعِ الكَمِيِّ مزَّقَها الطَّعْـ ... ـنُ فسالتْ بهِ دِماءُ الجراحْ

☆☆☆

---

(١) قلائد العقيان ٢٢٤ .

(٢) فى القلائد : « كتائبا تجفل مهزومة » .

(٣) ابن الزقاق الأندلسى : هو على بن عطية بن مطرف البلنسى اللخمى ، شاعر غزل ، توفى سنة ٥٢٨ . مقدمة ديوانه . والبيتان فى ديوانه ١٣١ .

(٤) فى الديوان : « نشر الورد » .

٤٩

العلامة محمد دكروك المغْربيّ *

عابد زاهد ، فهو مِشْكاةُ نورٍ تعلَّق قلبُه بالمساجِد .

فأحاديثُه مصابيحُ الأنْوار ، وذاتُه مِشْكاةُ العلومِ والأسْرار ، وآثارُه مُشْرِقةٌ بالكمال ، وحِماهُ مَرْتَعٌ لسَوارِح الطَّلب والآمال .

تَعبَق أرواحُ العُلا من حلاه النَّادّ ، وتفُوح فى مجامِر الذَّكاء الوقَّاد ، وتُبشِّر بالنَّجاح ، وتُنادى: حَيَّ على خيْر الفَلاح .

مع صِيتٍ هو المِسْك الفَتِيق ، والروضُ المثمِرُ الأَنيق ، وخُلُقٍ بكلِّ ذكرٍ جميل خَلِيق ، فلا يُدرِكُه مُبارٍ خلْفَه جرَى ، هيهات هيهات فات ذَا أثراً .

وكنتُ وأدْهَمُ الشَّبيبة طَرِب العِنان ، ووَرَقُها خَضِرٌ مائِس الأفنان ، ووُرْقُ مُطَّوقةٌ بروائع [١] الافتِنان [٢] ، أرُودُ مساقِطَ النَّدى ، حتى عَلِق به حَبْلُ الرَّجا ، وأنا فى إبَّان الطَّلب ، أتَّجِر فى بِضاعة الأدَب ، فنزلْتُ بساحتِه ، وحطَطْتُ رَحْلى على ماءِ سماحتِه ، كما قال الكِنْدِيّ :

وحطَطْتُ رَحْلِي فى بنى ثُعَلٍ إن الكريمَ للكريمِ مَحَلّ

فورَدْتُ مَنْهَل إفادتِه [٣] الصَّافِي ، وقرأتُ عليه عِلْمَيِ العروضِ والقوافِي ، وهو شِفاءُ الغليل ، لا سِيما فى علم الخليل ، فقد تخَرّج به طُلاَّبُه ، وضُرِبَتْ به أوْتادُه وامتدَّتْ

(*) ذكره الخفاجى أيضا فى خبايا الزوايا لوحة ١٨٧ ا، وهو فيها : « محمد ركروك المغربى » .

(١) فى م : « ببدائع » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى ا : « الأفشنان » ، وفى ب ، ج : « الامتنان » .

(٣) فى ا : « إرادته » .

أسبابُه ، حتى قامَت به الأدِلَّة ، وسلِمَتْ بلا فاصلةٍ من كلِّ عِلَّة ، وجرَتْ فى بحارِه مياهُ الفضائل ، حتى كاد أن يكذب القائل[1] :

* مثلُ العروضِ له بحرٌ بلا ماء *

فكم وَشَّى رِداءَ الآدابِ ووَشَّع ، وردَّ شمْسَها من المغرب كما رُدت ليُوشَع ، ولكل عصرٍ يُوشَعُ يَردُّ شمسَ الفضلِ بعد الأُفول ، وتشرِق شمسُ العصْرِ على القصْرِ والطُّلول .

يُقْرِى وفودَ الطَّلب بيانا ، ويُقِرُّ عيونَ الأمل حُسْناً وإحْسانا .

وله فى المعالى أَرُومة ، وفى مغارِس الفضْل جُرْثُومة .

غُذِّىَ بلِبانِ الفضْلِ وليدا وعُدَّ لَبيد إذا قِيس بفصاحتِه بَليدا .

رَاق فى جِيدِ دهْرِه قِلادَةُ الأوْصاف ، وتَحلَّتْ بعَذْبِ مدائحِه أفواهُ الرُّواة من سائرِ الأطراف ، حتى تَهادَتْه الدُّوَل ، تَهادِىَ لَذيذِ الكَرَى للمُقَل .

فهو أندَى على الأكْباد من قَطْرِ النَّدى ، وألَذُّ فى أفواهِ الأجْفانِ من كُحْلِ الكَرَى .

فالكونُ إمَّا ناطِقٌ فمُعظِّمٌ حُرُماتِهِ أو ناطقٌ فمُسبِّحُ

ثم إن الدهرَ اقتطف ثمرةَ فؤادِه ، وقطَع فِلْذَةَ كبدِه ببعض أولادِه ، فهاجر إلى طَيْبَةَ وقال بها فى ظِلال النَّعيم ، إلى أن دعاهُ لِجوارِه المولى[2] الكريم .

وكنتُ كتبْتُ إليه أُسلِّيه ، وأُصبِّره فى بَنِيه وأُعزِّيه :

كُنِ المُعزِّى لا المُعزَّى بهِ إن كان لابُدّ من الواحدِ

لعل اللهَ يُخلِف ما أخذ من بَنِيك ومالِك، ويجعلُ الباقىَ منهم كما قيل فى المَثَل : فَتًى ولا كمالِك . وأنت لا تعدِم أجْرَ الصبرِ على كمالِك .

---

(١) سبق فى صفحة ٣٣١ .

(٢) فى م : « الملك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

فكم نبتَ من (١ غصنٍ غصون ١) ، وطلع من حبَّةٍ سنابلُ حبّاتُها دُرٌّ مَكْنون .

وفي الله الخلَفُ من كل ضائع ، وما المالُ والأهْلون إلا ودائِع .

والسلام .

وكان أملَى علىَّ من أشعاره ، وبدائع فوائدِه وآثاره ، ماحسَدنى عليه الدهرُ فمزَّقه أيْدِى سَبَا ، وهجم عليه الضَّياعُ والنِّسيان فنَهَب وسَبَى .

* وسهمُ الرَّزايا بالنَّفائسِ مُولَعُ [٢] *

⁂

﴿ تتمَّة وفائدة مهمَّة ﴾

فى تفسير هذا المثل ، قال ابن خالَوَيْه فى كتاب « ليس » [٣] :

ليس أحدٌ سمَّى نواة النَّخلة جَرِيمَةً إلا أوساً الأنْصارىّ ، فى حديثٍ له ، وهو أن أوسا [٤] بن حارثة لم يكن له ولد إلا مالِك [٥] ، ولأخيه خمسةُ أولاد ، فلما حضَره الموتُ ، قال له قومه : كنَّا نأمرُك بالتَّزوُّج فى شبابِك فلم تفعل !

فقال : لم يهلِك هالك ، ترك مالِك ، وإن كان الخزرجُ ذا عَدَد ، فليس [٦] كمالكٍ وَلَد .

---

(١) فى ا : « غصن غض غصون » .

(٢) عجز بيت للخريمى ، إسحاق بن حسان ، وصدره :

* وأعْدَدْتُه ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ *

التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، وفيه : « بالذخائر مولع » .

(٣) لم أجد هذا النقل فى كتاب ليس المطبوع . وانظر بعض الخبر فى اللسان (وثم) ، ٦٢٩/١٢ .

(٤) فى ا ، ب ، ج : « أوس » .

(٥) ذكر المبرد فى الكامل ٩/١ ، ١٤٩/٢ ، أن مالك المعنى فى المثل هو مالك بن نويرة .

(٦) فى ا ، ب ، ج : « وليس » .

فلعل الذى استخرج النَّخلةَ من الجَرِيمة ، والفارَ من الوَثِيمة ، أن يجعل لمالِكٍ نسْلا ، ورجالا بُسْلا .

يامالكُ ، المنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّة ، والعقابُ قبل العِقاب ، والتجلُّد لا التَّبلُّد .

واعلم أنَّ القبرَ خيرٌ من الفقر .

وشَرُّ شاربٍ المُشْتَفّ [١] ، وأقبحُ طاعمٍ المُقْتَعِفُ [٢] .

وذَهابُ البصر ، خيرٌ من كثيرٍ من النَّظر .

ومن كَرَم الكريم ، الدِّفاع عن الحريم .

ومَن قلَّ ذَلّ ، ومن أَمِر فَلّ .

وخيرُ الغِنى القناعة ، وشرُّ الفقر الضَّراعة .

والدهرُ يومان ، فيومٌ لك ، ويومٌ عليك ، وكلاهما مُستَحذَر [٣] ، [٤] وإنما تَعُزُّ مَن ترَى ، ويغرُّك مَن لا تَرَى [٤] ، ولو كان الموتُ يُشْتَرَى ، لسلِم منه أهلُ الدنيا .

الشَّريفُ : الأبْلَج ، واللَّئيم : المُعَلْهَج .

والموتُ المَقِيت ، خيرٌ من أن يُقال هَبِيت .

وكيف السَّلامة ، لمن ليست له إقامة .

وشرٌّ من المُصِيبة سوءُ الخلُق ، وكل مجموعٍ إلى تلَفٍ ، حبَاكَ إلهُك .

قالوا : فكان مِن نَسْل مالك بعدَد الخزْرَج ، أو نحوهم .

---

(١) اشتف ما فى الإناء : شربه كله .

(٢) فى ا : « المثقف » ، وفى ب ، ج : « المقتف » ، والمثبت فى م . وقعف ما فى الإناء : أخذ جميعه واشتفه .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « سيحسر » .

(٤) فى ا ، ب : « وإنما يعز من ترى ، ويعزك من لا ترى » ، وفى ج : « وإنما يعز من ترى ، ولا يعزك من لا ترى » .

تفسيره :

الجريمة : التمرةُ تُسمَّى بها النَّواة ؛ لأنها منها .

والوَثيمة : حجَر القَدَّاحة .

وأمِر بمعنى [(١)] : كَثُر .

والهَبِيت : الضعيف الجبان .

والأَبْلج : السيد الوَضَّاح .

والمُعَلْهَج : المختلِط النسب .

⁂

(١) في م : « يعنى » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج

﴿ خاتمـــة ﴾

اعلم أنِّى كنتُ فى رحلتى مُتَّجِراً فى بضائع الفوائد ، مُغرَماً بصَيْد الشَّوارِد وقَيْد الأوابِد ، واسْتِعلام خبرِ مَن لم أرَه من الأدباء والفضلاء ، فسألتُ مَن لقِيتُه من المغرب عمَّن قرُب عهدُه بها من الأعيان ، وعن خَبايا الدَّفائن التى ادّخروها وهم أقلُّ من القليل ، والدَّهرُ حَسود بخيل .

⁂

فمِمَّن تعطَّرتُ بِطِيب أخْبارِه ، وتفـكَّهْتُ بباكورَةِ ثمارِه ، بالمغرب :

٥٠

حسام الدِّين بن أبى القاسم الدَّرْعِيّ المغْرِبِيّ *

أديبٌ حُسامُ طَبْعِه مُرهَف ، ومَشْرِفِيُّه بحُلَى الآدابِ والعلمِ مُشرَّف .

قدرُه أعْلَى من النُّجوم الزَّاهية ، ومِسْك مدادِه يُرخِص شَذاهُ الغالِيَة .

فاخَرت الأرضُ السماءَ بمطالعِ شمْسِه ، وعَلِم قُطْرُه به أن يومَه خيرٌ مِن أمْسِه .

فهو رَوْضٌ تُقَبِّل الأرضَ فيه ثغورُ الزُّهور ، وتُطرَّز بُرودُ الآداب بماله من المنظومِ والمنْثور .

أخبرنى صاحبُنا محمد بن إبراهيم الفاسِيّ ـ لا زال فى رَوْح ورَيْحان ، ولا برِح

(*) هكذا فى الأصول ، والخبايا : « ابن أبى القاسم » .

وهو :

حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد ، حسام الدين ، المغربى ، المالكى ، العتيق ، الدرعى .

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، بوادى درا .

تلمذ للمنجورى ، والحميدى ، والزفورى ، والقدومى ، وأكثر عن أبى العباس ابن القاضى .

قدم دمشق بعد أن زار بلاد الروم ، ثم خرج منها حاجا ، وقطن بمدينة العلا ، فى طريق المدينة من الشام .

وأحبه أهلها ، فجعلوه لهم إماما ، وخطيبا ، ومعلما للأطفال ، ومفتيا لهم على مذهب مالك .

توفى سنة إحدى عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٨٢ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢ ١٠ .

ودرعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، من جنوبى الغرب ، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ ، ودرعة غربيها .

معجم البلدان ٢/٥٦٧ . وانظر خلاصة الأثر ٢/١٠٤ .

جَـدَثُه روضـة من رياض الجنـان ـ أنه أنشـده لنفسِه مُضمِّنـا ، يخاطب محمد بن يعقوب الأندَلُسِيّ [١] :

ولى صاحبٌ قد هَذَّبتْ لى يدُ الصَّفا مَودَّته فى غيبـة وعَيانِ [٢]
ولـكن هَوائى مَعْ هواهُ تخالفا تخالُفَ رُؤيا السِّجْنِ للفَتيانِ [٣]
فيَهْوَى بنى نجْدٍ ولِينَ خُصورِهمْ وأهْوَى بناتِ الغَوْرِ طولَ زمانى
يُذكِّرُنى حالِى وإيَّاهُ قولَه رَفيقُك قَيْسِىٌّ وأنْتَ يَمـانى

☆☆☆

(١) نقل المحبى هذه الأبيات عن الفيومى فى « منتزهه » . خلاصة الأثر ٢/١٠٣ .
(٢) فى خلاصة الأثر : « هذبته يد الصبا » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « ولـكن هواه مع هواى تخالفا » ، ويعنى بـ « تخالف رؤيا السجن للفتيان » ماورد فى قوله تعالى ، فى سورة يوسف ٣٦ : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْراً﴾... الآيات . وانظر القصة فى تفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٧ .

٥١

عبد العزيز الفِشْتَالِيّ *

أديبٌ عَذْبُ اللِّسان ، ماضى شَبَا السِّنان .

له دَمَثُ أخْلاق وشمائِل ، تجرُّ وراءها ذُيولَ الصَّبا والشَّمائِل .

ألطفُ من وَجَنـاتِ وَرْدٍ عِـذارُها الآس ، وأسحرُ من عيون الغِيـد إذا غازَلها النُّعاس .

إن خَطَّ زَيَّن بُرْدَ البلاغةِ ووَشَّاه ، وتغايَر على أخْذِ الرِّقَّةِ لفظُه ومعْناه :

فيَطرَب السَّمعُ لألْفاظِه ويَرقُص القلبُ لمعْناهُ

بهمَّةٍ هى خِدْن القَضَا ، ولُطفِ طبعٍ ألذَّ من ذنْبٍ محاه الرِّضا .

فريدٌ هِمَّتُه إلى هضَبات (١) الهِمَّةِ ناظِرَة ، وحيـدٌ تقفُ دون اشْتهارِه الأمثالُ السَّائرة .

عبَثَت بالبيان راحاتُ فكرِه السَّاحرة ، فأيقظَتْ من مَهْـدِ الألفاظِ عيونَ المعانى الفاترَة .

(*) عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالى ، أبو فارس .

كاتب الملك المنصور مولاى أحمد ، الذى تقدمت ترجمته صفحة ٢٨٩ .

يقول فيه الملك المنصور : « إن الفشتالى نفتخر به على الملوك ، ونبارى به لسان الدين ابن الخطيب » .

توفى سنة ثلاثين ، أو إحدى وثلاثين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٢/٤٢٥ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٦ ب ، وأكثر السلاوى فى النقل عنه أثناء الجزء الخامس من الاستقصاء . سلافة العصر ٥٨٢ ، نزهة الحادى لوحة ٦٧ أ ، ب .

(١) فى ا « هضاب » .

وكان قبلَ ماجرَّ عليـه الدهرُ ذُيولَه قام لإقْبالِه ، وقرَّبه فى (١) الدولة العلَويَّة الأحْمدية على أمْثالِه .

فممَّا ارتشَفَـه فمُ (٢ السمع والآذان ٢) ، ورِوىَ بنَمِـيرِه العــذبِ ظامِئُ الأذْهان ، قولُه (٣) :

حين أزْمعتُ عنــد خوفِ البعادِ وعَـــدَتْنِى من الفِراقِ العوادِى
قال صَحْبِى وقـــد أطلْتُ الْتِفاتى أىَّ شىءٍ تركْتَ قلتُ فؤادِى (٤)

⁂

(١) فى م : « من » ، والمثبت فى ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٢/٤٢٥ .
(٢) فى م : «سمع الآذان» ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٣) خلاصة الأثر ٢/ ٤٢٥ .
(٤) ذكر المحبى بعد هذا له أبياتا أخرى ، نقلها عن عبد البر الفيومى ، فى « منتزهه » ، وقد ذكر الفيومى اعتراض الخفاجى على هذه الأبيات ، وتعرض له فى كلام طويل . انظر خلاصة الأثر ٢/٤٢٥،٤٢٦ .

٥٢

عبد السلام بن سَنُوس المَغْرِبِيّ *

أديب فَاس ، ومِسْك غِزْلان ذلك الكِناس ، ورَيْحانُه أهْدَى نفحُه خبرَه إلى الصَّبا الطيِّب الأنفاس .

فلِلّه طيب الأخْبار ، وما أهْداه لى من المَسارّ ، مِن كلِّ حديثٍ هو لِعيْن الفخرِ قُرّة ، وفى وَجْهِ دُهْمِ الليالِي غُرّة .

ألفاظُه (١) تضحكُ على ثُغورِ الأنوار ، الضاحكة لبُكاء الأمْطار .

أنشدنى له بعضُ الأدباء :

وبدرٍ لاح من تحتِ السلاهمْ يقولُ لكلِّ قلبٍ قد سَلاهُمْ
لئن خُشُنَتْ ملابسُه عليهِ فقد خشُنَتْ على الوَرْدِ الكمائِمْ

السلاهم : جمع سلهامة ، وهى بلغة أهل المغرب بُرْنس أبيض خشِن .

وأنشدنى عبد العزيز الثّعالِبيّ شعراً له فى القمر ، منه :

دَعْ ذَا وقل للناسِ ماطارقٌ يطرُقُهمْ جَهْراً ولا يتّقِي
ليس له رُوحٌ على أنهُ يركبُ ظهرَ الأدْهَمِ الأبْلَقِ
شيخٌ رأى آدمَ فى عصرِه وهو إلى الآن بخَدٍّ نَقِي
وهو بوَسْط البحر معْ قومِه لايَنْثنِي عن نَهْجِه الضَّيِّق (٢)
هذا ويمْشِي الأرْضَ فى ليْلةٍ أعجِبْ به من مُوثَقٍ مُطْلَقِ

(*) فى م : « عبد السلام بن سوسن المغربى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، خبايا الزوايا ١٨٧ ا .

(١) فى ا ، ب ، ج : « ألفاظ » .

(٢) سقط هذا البيت ، والبيتان التاليان له من : ا ، ب ، ج .

فتــارةً ينزلُ تحت الــثَّرَى   وتارةً وَسْطَ السَّما يرْتقِى
وتارةً يُبْصَرُ فى مغربٍ   وتارةً يبْصَرُ فى مشرِق[١]
وتارةً تُبْصِرُه ســـــابحاً   يجْرِى بشاطِئِ البحْر كالزَّوْرق[٢]
وتارة تحسَبُه وهْوَ فى   ضَيْعَتِــه والبعضُ منــه بقِى
ذُبابةً من صــارمٍ مُرْهَفٍ   بارزةً من جَفْنِه المُطْبَق
يدْنُو إلى عُرْسٍ بهَا حُسْنها   يَخْتطِفُ الأبصــارَ بالرَّوْنَقِ
حتى إذا جامَعَها يرْتدِى   بحُــلَّةٍ ســوْداءَ كالمُحْرَق
وهْــوَ على عادتِه دائماً   يُجامِــعُ الأنــثَى ولا يَلْتَقِى
ثُم يجُــوبُ القفْرَ من أجْلِهــا   مُشْتمِلاً فى مِطْرَفٍ أزْرَقِ
حتى إذا قابَلهــا ثانياً   تشــكُّه بالرُّمْحِ فى المَفْرِق
وبعــد ذا تُلْبِسُــه خِلعــةً   يا حُسْنَها فى لَونِهــا المُونِق
فجِسْمُه من ذهبٍ جامــدٍ   وجِــلْدُه صِيــغَ من الزَّنبَق
ثم يُرَى فى حال إتمامِــهِ   مثلَ مِجَنِّ المِحْرَبِ المُلْتقِى[٣]
وهْو إذا أبْصَرْتَه هــكذا   أحسنُ مِن صاحِبَةِ المَفْرِقِ

[٤]وقد نُسِبَ هذا لغيره .

⁂

(١) فى ا ، ب ، ج : « فتارة يبصر فى مغرب » .
(٢) من أول هذا البيت إلى آخر القصيدة ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٣) المحرب : صاحب الحرب ، والشجاع .
(٤) قبل هذا فى ا زيادة : « وهى طويلة » .

٥٣

السيد عبد الخالق الفاسيّ

أديبٌ تَجْتَنِي منه الألبابُ يانِعَ ثمراتِها ، وسماءٌ لم (١) تخرُج بدُورُ (١) كمالِه عن هالاتِها .

فرعٌ من شجرةِ النُّبوّة ، المَسْقِيَّة بماءِ الوَحْي والفُتُوَّة .

فعَلاَ وسَماَ ، فأصلُه ثابت وفرعُه فى السَّما .

فطِرازُه مُذْهَب على كُمِّ المجْد ، لأنه من ذُؤابةٍ تَنُوس بين تِهامة ونَجْد .

عِقْدٌ على صدْرِ المناقب العليَّة ، وتاجٌ معقودٌ برأسْ العصابة العَلَوِيَّة .

تَوَلَّد بين المصطفى ووَصِيِّهِ ولاغَرْوَأن تزْكُو هناك الغَرائِسُ

شَمَّامةٌ (٢) فى يدِ الأدب ، ورَيْحانة من رياحِين العرب .

لم تزل سيَّارةُ المسائل تَلقَّط أخبارَه ، ورُكْبانُ الأخبار تتزوَّد وتَمْتار أشعارَه .

فمما أنشدنى له الأديب محمد الفاسيّ :

إذا ما رُمْتَ نُصْحَ النَّاسِ طُرًّا تحرَّ المُقْبِلين ذوِى الإيَابِ

فلا تُسْمِعْ سِوى مَن كان حَيًّا وإلا لا خَراجَ على خَرابِ

⁂

(١) فى ا : « يخرج بدر » .

(٢) الشمامة : كل ما يشم من الروائح الطيبة .

٥٤

السيد يحيىٰ القُرْطُبيّ *

هو فيما بلَغنى روضٌ مُخصِب ربيع ، من وادٍ بالفضل مَرِيع .
مِن فُرُوعِ الدَّوْحَةِ العَليّة العلَوية ، وثمراتِ تلك الشجرةِ النبوية ، الباسِقة بما سقَاها من ماءِ الندى ، والمُورقة المُثْمرة بالعلم والهُدَى .

فَخارٌ لو أنَّ الشمسَ تُكْسَى سَناءَهُ لمـا غشِيَتْها الُمظْلِماتُ الدَّوَامِسُ(١)

أُسِر بالأنْدلس فى وَقعـةٍ أسَرَتْ أفراحَ القـلوب ، وشَقَّت قـلوبَ المؤمنين قبـل الُجيوب ، فأصبحَ فى حالٍ تعُـدُّ المنَايا أمانياً ، ويَرى لضَعْفِ الدِّين الموتَ طبِيباً شافيا .

إذ عَثُرتْ خيولُ الفِتَن والنِّقَم ، بذَوِى المروءةِ والنِّعَم ، فأرسلَ قصيدةً نَعَى بها الإسلام ، ونادى ملوكَ الرُّوم وعلَماءها الأعْلام ، فلم يجد بها صَفِيّا ، يقول له لقد أسْمعْتَ لو ناديتَ حَيّا ، وذلك فى عهد السلطان سُلَيمان(٢) ، الذى دخل فى خبر كان ، وهى هذه :

لـكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نُقْصانُ فلا يُغَرُّ بطيبِ العيش إنسانُ
هىَ الأمور كما شاهدْتَها دِوَلٌ مَن سرَّه زمنٌ ساءتْه أزْمانُ
وعالَمُ الـكونِ لا تبْقَى محاسنُه ولا يدومُ على حالٍ لها شَانُ

(*) ترجمة الخفاجى أيضا فى خبايا الزوايا لوحة ١٨٢ ب .
(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .
(٢) السلطان سليمان بن سليم العثمانى ، ولى سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وتوفى سنة أربع وسبعين وتسعمائة . شذرات الذهب ٨/٣٧٥ .

يُمزِّقُ الدهرُ منَّا كلَّ سابغـةٍ إذا نَبَتْ مَشْرَفيَّاتٌ وخُرْصانُ(١)
وينتَضِي كلَّ سيفٍ للفناءِ ولو كان ابنَ ذِي يزَنٍ والغِمْدُ غُمْدانُ(٢)
أينَ الملوكُ ذوو التِّيجانِ مِن يَمَنٍ وأينَ منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأين ما شادَه شَدَّادُ من إرَمٍ وأين ما سَاسَهُ في الفُرْسِ سَاسانُ
وأين ما حازَه قارونُ من ذهبٍ وأين عادٌ وشَـدَّادٌ وقَحْطانُ
أتى على الـكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له حتى قَضَوْا فكأنَّ الـكُلَّ ما كانُوا
وصار ما كان مِن مُلْكٍ ومِن مَلِكٍ كما حكَى عن خَيالِ الطَّيْفِ وَسْنانُ
دار الزَّمانُ على دَارَا وقاتلِه وأمَّ كِسْرَى فما آواهُ إيوَانُ
كأنَّما الصَّعْبُ لم يُسْهِل له سببٌ يوماً ولم يَملِكِ الدُّنْيا سُليمانُ
فَجائِـعُ الدَّهرِ أنواعٌ مُنوَّعةٌ وللزَّمانِ مَسرَّاتٌ وأحْزانُ
وللمصائبِ سُـلْوانٌ يُهوِّنُها وما لِمَا حلَّ بالإسْلامِ سُلْوانُ
دَهَى الجزيرةَ خَطْبٌ لاعَزاءَ له هَوَى له أُحُدٌ وانْهدَّ ثَهْلانُ
أصابَها العينُ في الإسْلامِ فامْتُحِنتْ حتّى خلَتْ منه أقْطارٌ وبُلْدانُ
فَسَلْ بَلَنْسِيَةً ماشَأْنُ مُرْسِيَةٍ وأين قُرْطُبَةٌ أم أين جَيَّانُ(٣)

---

(١) الخرص : الرمح القصير ، والسنان .

(٢) غمدان : قصر باليمن ، في صنعاء ، قيل بناه سليمان بن داود عليهما السلام لزوجته بلقيس ، وقيل بناه يشرخ بن الحارث بن صيفي بن سبأ ، جد بلقيس ، بناه بأربعة وجوه ؛ أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعا . تاج العروس (غ م د) ٤٤٦/٢ . وانظر معجم البلدان ٨١١/٣ .

(٣) بلنسية : مدينة ، متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار ، وتعرف بمدينة التراب . معجم البلدان ٧٣٠/١ .

ومرسية : من أعمال تدمير ، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها . معجم البلدان ٤٩٧/٤ .

وقرطبة : مدينة عظيمة ، وسط بلاد الأندلس ، بينها وبين البحر خمسة أيام . معجم البلدان ٥٨/٤ ، ٥٩ .

وجيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة إلبيرة ، مائلة عن إلبيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا . معجم البلدان ١٦٩/٢ .

وأين حِمصٌ وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرُها العذبُ فيّاضٌ ومَلآنُ(١)

كذا طُلَيْطُلَةٌ دارُ العلوم فكَمْ ... من فاضلٍ قد سَمَا فيها له شانُ(٢)

وأين غَرْناطَةٌ دارُ الجهادِ وكَمْ ... أُسْدٍ بها وهُمُ في الحربِ عُقْبانُ(٣)

وأين حَمْراؤُها العَلْيا وزُخْرُفُها ... كأنَّها من جِنانِ الخُلْدِ عَدْنانُ(٤)

قواعِــــدٌ كُنَّ أركانَ البلادِ فما ... عسى البكاء إذا لم تبقَ أَرْكانُ

والماءُ يجْرِى بساحاتِ القصورِ بها ... قد حَفَّ جدْولَها زَهْرٌ وريْحانُ

ونهرُها العذبُ يحكي في تَسَلْسُلِه ... سيوفَ هِنْدٍ لها في الجوِّ لَمعانُ

وأين جامعُها المشهورُ كم تُليتْ ... في كلِّ وقتٍ به آيٌ وفُرْقانُ

وعالِمٌ كان فيه للجَهُول هدًى ... مُدرِّسٌ وله في العِلْمِ تِبْيــانُ

وعــابدٌ خاضعٌ للهِ مُبْتَهِلٌ ... والدَّمعُ منه على الخدَّيْنِ طُوفانُ

وأين مَالَقَةٌ مَرْسَى المراكِبِ كَمْ ... أَرْسَتْ بساحتِها فُلْكٌ وغِرْبانُ(٥)

وكم بداخِلِها من شــاعرٍ فَطِنٍ ... وذِى فُنونٍ له حِـذْقٌ وتِبْيانُ

---

(١) حمص : هى أشبيلية ، سميت بذلك لأن بنى أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها ، سموا عدة مدن بها بأسماء مدن الشام ، وقيل : دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس ، فسكنوا أشبيلية ، فسميت بهم . معجم البلدان ٢/٣٣٨ .

وأشبيلية : مدينة عظيمة ، كانت قاعدة ملك الأندلس ، وهى غربى قرطبة ، بينهما ثلاثون فرسخا ، وهى على شاطئ نهر عظيم ، قريب فى العظم من دجلة أوالنيل ، تسير فيه المراكب المثقلة ، يقال له وادى الكبير . معجم البلدان ١/٢٧٥ .

(٢) طليطلة : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة ، وهى غربى ثغر الروم ، وبين الجوف والشرق من قرطبة . معجم البلدان ٣/٥٤٥ .

(٣) غرناطة : هى أقدم مدن كورة إلبيرة ، من أعمال الأندلس ، وأعظمها ، وأحسنها ، وأحصنها ، بينها وبين إلبيرة أربعة فراسخ ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا . معجم البلدان ٣/٧٨٨ .

(٤) يشير إلى حصن الحمراء ، الذى بناه محمد بن يوسف ، ابن الأحمر الخزرجى ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ انظر الإحاطة ٢/٥٩ .

(٥) مالقة : مدينة عامرة ،من أعمال رية ، سورها على شاطئ البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية . معجم البلدان ٤/٣٩٧ . والغراب : سفينة من سفن البحر القديمة .

وكم بخارجها من منزه فرج ... وجنة حولها نهر وبستان
وأين جارتها الزهرا وقبتها ... وأين يا قوم أبطال وفرسان[1]
وأين بسطة دار الزعفران فهل ... رأى شبيها لها فى الحسن إنسان
وكم شجاع زعيم فى الوغى بطل ... بدا له فى العدى فتك وإمعان
كم جندلت يده من كافر فغدا ... تبكيه من أرضه أهل وولدان
وواديا من غدت بالكفر عامرة ... وردّ توحيدها شرك وطغيان[2]
كذا المرية دار الصالحين فكم ... قطب بها علم غوث له شان[3]
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر تبكى وهى عيدان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما ... بهن إلا نواقيس وصلبان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة ... إن كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... ومالها مع طويل الدهر نسيان
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها فى مجال السبق عقبان[4]
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها فى ظلام الليل نيران

(١) الزهراء : مدينة صغيرة ، قرب قرطبة ، بينهما ستة أميال وخمسة أسداس ميل ، اختطها عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ ، وعملها متنزها له ، وأنفق فى عمارتها من الأموال ما تجاوز حد الإسراف ، وجعل للنفقة عليها ثلث جباية البلاد . معجم البلدان ٢/٩٦٢ .

(٢) ووادياً : كذا بالأصول

(٣) المرية : مدينة كبيرة ، من كورة إلبيرة ، من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/٥١٧ .

(٤) فى ا : « عتاق الخيل مضمرة » .

وراءَ النهرِ من دعةٍ لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأٌ من أمر أندلسٍ فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث صناديد الرجال وهم أسرى وقتلى فلا يهتز إنسانُ
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكمُ وأنتمُ ياعبادَ الله إخوانُ
ألا نفوسٌ أبياتٌ لها هممٌ أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ
يامن لنصرة قومٍ قسموا فرقاً سطا عليهم بها كفرٌ وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكاً فى منازلهم واليوم هم فى قيود الكفر عبدانُ
فلو تراهم حيارى لادليل لهم عليهمُ من ثياب الذل ألوانُ
فلو رأيتَ بكاهم عند بيعهمُ لهالكَ الأمرُ واستهوتك أحزانُ
يارُبَّ طفلٍ وأمٍّ حِيلَ بينهما كما تفرَّق أرواحٌ وأبدانُ
وغادةٍ ماراتها الشمسُ بارزةً كأنما هىَ ياقوتٌ ومرجانُ(١)
يقودها العلجُ عند السبىِ صاغرةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حرّانُ(٢)
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمانُ
هل للجهادِ بها من طالبٍ فلقد تزخرفتْ جنةُ المأوى لها شانُ
وأشرفَ الحورُ والولدانُ من غرفٍ فازتْ لعمرى بهذا الخير شجعانُ
ثمَّ الصلاةُ على المختارِ من مضرٍ ماهبَّ ريحُ صباً واهتزَّ أغصانُ(٣)

☆☆☆

---

(١) فى ا : « الشمس طالعة » .
(٢) فى ب ، م : « والقلب حيران » ، والمثبت فى : ا ، ج . والعلج : الرجل من كفار العجم .
(٣) فى م : « ريح الصبا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

﴿ فصـــــل ﴾

هنا[1] تُسكَب العبَرات ، لتُطفِئ نِيران الحَسرات .

فهذه الأندلس دارُ الإسلام ، ملـكها الـكُفّارُ وبُدِّل نورُها بالظَّلام .

وجوامعُها صارت كنائِس ، وأسودُها لـكِلاب الـكفرةِ فرائِس .

وجامعُ قُرْطُبَةَ الـكبير مملوء بالـكتُب مســدُودُ البـاب ، ومأْوًى للحشَرات ومَرْقَدٌ للـكِلاب .

وأسطولُ الرُّوم يُنْفَق عليه الأموال ، فتخرجُ رؤساؤهم بعُدَد الحرب والرِّجال ، ويأخذون الجِزْيةَ من فقراء المسلمين ، فإذا عادوا عَدُّوا أنفسهم غُزاةً غانمين .

ولولا أهلُ المغرب[2] والجزائِر ، لم يكن للدِّين مُعِين ولا ناصر[3] .

وقد سلَّط الله عليهم بنى الأصْفر ، فصار عَيْشُهم أسودَ بالموْتِ الأحْمر .

وسلَّط على قُسْطَنْطِينيَّة دوامَ الطَّاعون الجـارِف ، فقلوبُهم راجِفة وعيونُهم بالدِّماء[4] ذوارِفِ .

وتَرى حريقَ تلك الدِّيار ، لا يخْمُد فى ليلٍ ولا نهار ، لما بِها من ظَلَمة الوُزَرا ، وإنَّما طَغَوْا بعُلماء سوءٍ[5] وقضاةٍ عمَّ جهلهُم سائر الورَى .

لعمْرُكَ قد عمَّ الحريقُ ببَلْدَةٍ ... بها علماءُ الرُّوم فى الجهل والعَمَى[6]

ومن مالكٍ وافَى رسولُ حريقهمْ ... دعاهُم إلى نارِ الجحيم جَهَنَّمَا

فقال اقفِلوها واقبضوا أُجْرَةً لها ... فإن هُدِمت يُبْنَى بهاما تهدَّمَا[7]

---

(١) فى م : « هنا لك » ، وفى ا : « هناك » والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب ، م : « الغرب » .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « وناصر » .

(٤) ساقط من : ا .

(٥) ساقط من : ج .

(٦) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من : ا .

(٧) فى ا : « فقالوا اقفلوا » .

فطالبَهمْ خُزّانُها بوَقودِهـا   وما صَرفوهُ فى زمانٍ تَقدَّمَا
فأفتَاهُمُ المفْتِى بأنَّ ضَمانَهُ   عليهمْ وأن الغرْمَ للبُطْءِ مَغْنَمَا[1]
ومن كَثْرةِ الدَّيْنِ المحيطِ بمالِهمْ   أباح رِشاً قد كان رَبّىَ حرَّمَا

فهـذه إنْذارات ثلاث ، جرت عادةُ الله بعدَها بالخراب ، واسْتِئْصال مَن بهـا بأشدِّ العـذاب والعِقاب ، كما قال الله تعالى[2] : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْـلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً .

وهذا المعنى فى الحريق ظَنَنْتُ أنِّى لم أُسبَق إليه ، ثم رأيتُه فى شعر أبى الحسن المنجِّم[3] ، حيث قال :

أقولُ و قد عاينْتُ دارَ ابْنِ صورةٍ   وللنَّار فيهـا مارجٌ يتضَرَّمُ
كذا كلُّ مالٍ أصلُه من نَهاوشٍ   فعمَّا قليل فى نَهابرَ يُغرَمُ[4]
وما هُو إلا كافرٌ طالَ حَبْسُه   فجـاءتْه لمَّا اسْتَبْطأتهُ جَهَنَّمُ

ومثله قول الآخر ، فيمن انـكسَرت يدُه .

قالوا فلان على مافيهِ من عِبَرٍ   قد أصْبَحَتْ يدُهُ مَذْمومَةَ الأَثَرِ
تأخَّرَ القطْعُ عنها وهْىَ سارِقةٌ   فجاءها الـكسْرُ يسْتَقْصِى عن الخبرِ

وقوله « يستقصى » إلخ فيه لُطف ، يعرفه من له شَمَّة من الأدب[5]

---

(١) فى ا : « بأن ضمانهم عليـه » ، وفى ب : « بأن ضمانهم عليهم » ، و « مغنما » هكذا بالنصب فى الأصول ، لضرورة القافية .

(٢) سورة الإسراء ١٦ .

(٣) يعنى على بن هارون بن على ، من أسرة لها مكانتها فى الجاه والأدب ، كان راوية ، شاعرا ، أديبا ، متكلما ، حبرا ، توفى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .
معجم الأدباء ١٥/١٢ ، يتيمة الدهر ٣/١١٩ .

(٤) النهاوش : المظالم والإجحافات بالناس . القاموس (ن هـ ش) . والنهابر : المهالك . القاموس (ن هـ ب ر) .

(٥) ساقط من : ج .

ذكر مكة المشرّفة ومن بحِماها، صانها الله وحَماها
وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما

لمَّا امْتطَيْتُ مطايَا الهِمَم ، ووجَّهتُ وَجْهَ عزْمى إلى قِبْلة الأُمم ، ورَعيْتُ بالأحْداق حدائقَ [١] تلك المسارح ، وقد سالَتْ بأعْناق المَطىِّ الأباطِح ، فى وَفْدٍ ركب عزمُهم غارِبَ المَسرَّة وامْتطَى ، وهدَتْهم النُّجُبُ إلى أَوْدِيةٍ يضلُّ فيها القطَا ، فقطعُوا مَهامِهَ وأطْلال ، يخاف أن يَسْرِى بها طَيْفُ الخيال .

فكم لاحَتْ جداولُ مواردِ النُّوق جُسُورُها ، وسارت بهم سفائِنُ بَرٍّ والسَّرابُ [٢] بحُورُها .

فكأنَّها أَشْجار ، يحرِّكها صَبا الأسْحار .

تَسْقيها من السُّرى غمائِمُه ، وتزهو على نَوْرِ الخدودِ كمائِمُه .

بليلٍ يُعاطَى [٣] فيه الرَّكْبُ من خَمْر النُّعاس ، راحاً لم تذُقْ نشْأتَها مراشِفُ كاس ، والشَّمالُ تحْدُوهم بمِسْكِىِّ الأنْفاس ، والسماءُ حديقةُ نَرْجَس بين رَيْحان وآس .

حتى الْتَقط كفُّ [٤] الصَّباحِ زُهورَ زُهْرِه ، وقطفَتْ بَنفْسَجَ الظَّلْماءِ راحةُ فجْرِه ، ووَرَد سِرْحانُه غديرَ الصَّباح ، [٥] ونادَى القُمْرِىُّ على منارِ الدَّوح [٥] : حىَّ على الفلاح .

ولم أزل أدْأَبُ فى التَّسْيار ، إلى أن نفضْتُ عن [٦] منكِب المشقَّة غُبارَ الأسْفار ، فنزلتُ بجوار بيْت الله الحرام ، وتطيَّبْتُ بمِسْك تراب الحطِيم والمقَام .

وقلتُ :

بمكَّةَ لى غَناءٌ ليس يفْنَى ... جِوارُ اللهِ والبيتِ المُعظَّمْ
ففيها كيمياءُ سعادةٍ قد ظَفِرْتُ بها من الحجر المُكرَّم .

---

(١) ساقط من : ا

(٢) فى م : « السراب » .

(٣) فى م : « يتعاطى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٤) ساقط من : ا .

(٥) فى ا : « ونادى القمر على منابر الدجى » .

(٦) فى ا : « من » .

فلما أفضْتُ من تلك المناسِك بتلك البِقاع ، طُفْتُ بها بل بالمسَرَّة طَوافَ الوَداع، وخرجتُ من أحَبِّ البلاد ، والله لا يدعُو إلى دارِه[1] إلا مَن استَخْلصَه من العباد .

وما دَرَى البيتُ أنى بعــد فُرْقتِه ... ما سِرْتُ من حرَمٍ إلاَّ إلى حرَمِ

قاصداً طَيْبَةَ الطَّيِّبة[2] المُطَيِّبَة ، وارداً موارد آمالى المُسْتَعْذَبة .

وقد قيل فى زُرْقِ العيونِ شآمَةٌ ... وعِنْدِى أن اليُمْنَ فى عيْنِها الزُّرْقَا

فـكلَّما سَرى فى الصَّبا نَشْرُ بطاحِها ، وَدِدْتُ لو أعارَتْنى العُقابُ خِفافَ جناحِها ، إلى أن لمعَتْ أنوارُ الهدَى ، من سماءِ العُلا وقِباب الحِمَى .

لِمَهْبِط الوحْى حقًّا ترحلُ النُّجُبُ ... وعند هـذا المُرَجَّى ينْتَهِى الطَّلَبُ

فنزلْتُ أعتنِقُ الأراكَ مُسلِّما ، وكِدْتُ ألْثَمُ أخْفافَ الرَّواحل ، إذ أوْصَلتْنى إلى أعذبِ المناهِل ، ولم أقُلْ على قلَق الوَضِين[3] ، أشْرَقى بدَم الوَتين[4] .

فإذا المَطِىُّ بنا بلَغْنَ مُحَمَّداً ... فظُهُورُهنَّ على الرِّجالِ حَرامُ[5]

قرَّبْنَنَا من خيرِ مَن وَطِئ الثَّرىَ ... فلَهــا علينَا حُرْمَــةٌ وذِمامُ[6]

فحلَلْتُ فى أرفعِ مَقام ، تُفاخِر فيه الرُّءوسَ[7] الأقْدام ، ويشهَد نَشْرُ المِسك بفضل غُبارِه ، وتُقِرُّ الجواهرُ بأنَّها دون حَصاه فضْلاً عن أحْجارِه .

---

(١) فى ا ، ب : « لداره » .

(٢) ساقط من : م ، وهو فى : ا ، ب ، ج .

(٣) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، أو لا يكون إلا من جلد . القاموس (و ض ن) .

(٤) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبـه . القـاموس (و ت ن) . والشهاب يشير إلى قول الشماخ :

إذا بلَّغتِنى وحملْتِ رحلى ... عَرَابَةَ فاشْرَقِى بدمِ الوَتينِ

من قصيدة له يمدح بها عرابة بن أوس . ديوانه ٩٢ .

(٥) البيتان لأبى نواس فى ديوانه ٦٤ ، وقد ذكرهما أبو هلال العسكرى ، والمرزبانى فى اعتراض لأبى نواس على بيت الشماخ السابق . انظر كتاب الصناعتين ٢١٠ ، ٢١١ ، الموشح ٩٥ ، ٩٦ .

(٦) فى الصناعتين والموشح : « من وطئ الحصى » .

(٧) فى ا ، ج : « الأرجل » .

* وفاخَرتِ الشُّهْبَ الحصَى والجنادِلُ *

فلذا صحّ رَمْىُ الجمار، بحَصْبائِها الصِّغار، ولم يصِــحّ بالجواهِرِ والدُّرَر، وما ذاك إلا لِشَرَفٍ خصَّه بها خالقُ القُوَى والقُدَر.

فنزَّهْتُ[1] عيونَ أملِى فى روضةٍ ذاتِ أنْوار، وعلِمتُ وهى من رياض الجنَّة أنِّى لا أدخلُ بعدَها النَّار.

وأنا الآن منتظِرٌ لألْطاف رَبِّى، وهو[2] فى كلِّ الأمورِ حسْبِى، أن يُعيــدنى لجوارِه، واجْتلاء نُورِ حَبِيبه ومُخْتارِه، به إليه مُتوسِّلا، وفى نَيْــل رجائى مُتوكِّلا لا مُتَّكِلا.

وقد تأمَّلْتُ دعوةَ أبى الأنبياء إبراهيم، وقولَه: [3] ﴿فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إلَيْهِمْ﴾ إذ لم يقل: اجْعل الناسَ تَهوِى إليهم؛ لأن المرادَ أنَّ الشوق يجذبُهم إليه، ويُعلِّق مِشْــكاة قلوبهم بسلاسلِ أنوارِه؛ حتى يراهم بغيرِ اختيارٍ له مُتوجِّهين، [4] وهم على تحمُّلِ المشاقِّ بوَعْثاء السفر غيرُ متضجِّرين [4].

كأنمــا هو مِغْناطيسُ أنفسِنا ... فحيثُما كان دارَتْ نحوَهُ الصُّوَرُ

ولذا جعل الطائِفُ البيتَ على يَسارِه؛ لأن القلبَ فى جِهةِ اليَسار، وقد كان قبل الوُصولِ مائلاً إليه، فلما وصل دام على ما كان عليه.

كما قلتُ:

قل لِمَن لامَ على سَعْيِى له ... قصِّرِ اللَّوْمَ وإن شئْتَ لُمِ
مَن أتى قلْبِى إليه ساعِياً ... كيف لا يسْعَى إليه قدَمِى

⁂

(١) فى ا: «فتنزهت».
(٢) فى ا، ب، ج: «وذاك».
(٣) سورة إبراهيم ٣٧.
(٤) فى ا: «وعلى تحمل المشاق بوعث السفر غير متضجرين».

ذكر الدولة الحَسَنيَّة (١)

ومن بها من بَقِيَّة العلمــــاء والشعراء والأعيان

هو بيتٌ أُسِّسَتْ عُمُدُه على الخِلافة ، وقُطِّرت من شَعْبِ شجَرتِه مياهُ اللَّطافة ، وغرِست بين أثلاثِ المجدِ أعوادُه ، فاستراحَتْ عنده الآمالُ وتعِبتْ حُسَّادُه .

قَصْرُ مَعالٍ يردُّ الطرفَ كليلا ، ونسيمَ الشمالِ عَليلا .

* أعْلَى الممالكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ (٢) *

فهو سُورُ الُخطوب ، وخليفةُ أخْلاق الصَّبا والَجنوب .

تُقصَد بتُحَفِ المدائح ، فيشترونَها بنَقْد المنائح .

فعندهم مَحَطُّ الرُّكْبان من الأطْراف ، وربحُ المحامِد مَتْجَرُ الأشْراف .

فإذا كان الدَّهرُ قاتِمَ الأعْماق ، مُسْوَدَّ النَّواحِي ، فوجوهُهُم نُجومِي ووَضَّاحُ غُرَرِهم صَباحِي .

فـكم راضُوا الزمنَ بعد الحِرَان ، فأصبحَ سَهْلَ القِيادَ رخِيَّ العِنان .

---

(١) في م : « الحسينية » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج . وقد ذكر الفاسى ، في العقد الثمين ١/١٨٠ ولاية الشريف حسن بن عجلان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، وذكر الولاة من بعده حتى ولاية الشريف بركات ، سنة تسع وعشرين وثمانمائة . وأكمل ابن ظهيرة ، في الجامع اللطيف ٣١٨ وما بعدها ، صنيع الفاسى ، حتى وصل بالولاة إلى أبي نمى الآتى ذكره وابنه أحمد ، حين كان يكتب كتابه هذا ، سنة خمسين وتسعمائة . كما ذكر أحمد بن زينى دحلان ، في خلاصة الكلام ٣٦ ، وما بعدها ، ولاية الشريف الحسن بن عجلان ، وسرد الوقائع ، وذكر رجال الريحانة ، من أهل هذا البيت ، حتى صفحة ٦٤ .

(٢) صدر بيت المتنبي ، من سيفية له ، وعجزه :

* وَالطَّعْنُ عندَ مُحِبِّيهِنّ كَالْقُبَلِ *

ديوانه ٢٦٥ .

تتحلّى بذكرِهم الأفْواه ، (١ ويفوحُ نَشْرُ الطِّيب خالطَتْه الأفْواه١) .

وغُرَرُهم فى جِباه اللّيالى والأيام ، يعجَزُ عن وصفِها أفْواه الدُّوِىّ وألْسنةُ الأقلام .

فى سماءِ مَعالٍ ماء مَجرّتها مَورُود ، ينبتُ فى حافاتِه(٢) شقائِقُ الشّقيقِ مُتورّدةَ(٣) الخدود .

فاكتحلَتْ بالسحرَ مُقْلَةُ دياجِيها ، وقُلِّدتْ بجواهر النُّجوم لَبّاتُ لياليِها .

☆☆☆

إلى أن أُدِّيتْ أمانةُ المُلْكِ إلى :

---

(١) ساقط من : ا . والأفواه : ما يعالج به الطيب ؛ كما أن التوابل ما تعالج به الأطعمة ، وقيل : الأفواه ما أعد للطيب من الرياحين . اللسان (ف و ه) ١٣/٥٣٠ .

(٢) فى ا : « حافاتها » .

(٣) فى م : « متورد » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

٥٥

أبي نُمَيّ بن بَرَكات *

فهطلَتْ منه على رياضِ الحرمَيْن سحائبُ البركات .

وله شعرٌ بليغٌ نفحاتُه ذكِيَّة ، وفصاحتُه عَلِيَّةٌ عَلَوِيَّة ، كقوله في المقام اليُوسُفِيّ بمصر والأداهمِ أحْجال ، والقُيود كما قيل خلا خِيلُ الرِّجال ، وقد لمعَ بَرْقُ الحِجاز فكاد يطيرُ شوقًا لحِمَى حجَبه النَّوَى والحِجاز (١) :

ما يلْمعُ البرقُ من تِلْقا ديارِهمُ   إلا ولِي مدْمَعٌ بالسَّفْحِ هَطَّالُ
واللهِ لولا قيـــودٌ في قوائمنا   من الجميل وفي الأعْناقِ أغْلالُ
لـكان لي في بِلادِ اللهِ مُتَّسَعٌ   وفي المـــلوكِ لُباناتٌ وآمالُ
لِي حُرْمةُ البيتِ والجارِ القديمِ ومن   أتاكُمُ وكُهولُ الحيِّ أطفالُ
أتيتُـكُمْ وجلابيبُ الصِّبا قُشُبٌ   فـكيفَ أرحلُ عنكمْ وهْيَ أسمالُ (٢)

وفي البيت الأخير معنى لطيفٍ ، وهو كقولي :

تاللهِ ما فارقْتُ لي وطنًا به   بُرْدٌ جررْتُ من الشبيبةِ زَاهِي
إلا لأنِّي أستحِي من رَدِّهِ   خَلَقًا أُرقِّعُـــه بعُذْرٍ واهِي

⁂

(*) الشريف أبو نمى محمد بن بركات .
ولد سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، بمكة .
وتولى بعد وفاة أبيه سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ، وعمره عشرون سنة .
وكان ذا همة عالية ، ذا جد وإقبال ، وكان أبوه يضع يده على ناصية ابنه أبي نمى ، ويقول : لم تزل الأكدار على متوالية ، حتى ظهرت هذه الناصية .
صمد للإفرنج حينما غزوا جدة ، وندب الناس لقتالهم ، وأنفق نفقة عظيمة ، ولما بلغ الإفرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين .
توفى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة .
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ١٦٧ ، الجامع اللطيف ٣٢٤ ، خبايا الزوايا لوحة ١٨١ ا ، خلاصة الكلام ٤٩ ، ٥٢ – ٥٦ . شذرات الذهب ٨/٤٢٢ .

(١) في ا : « النوى والأحجاز » ، وفي ب : « النوى والإجلال » ، وفي ج : « النور والإجلال » .
(٢) في م : « أتيتكم في جلابيب » ، والمثبت في : ا ، ب ، ج . وفي الأصول : « وهي أثمال » » ، والصواب ما أثبته .

ومن فحول شعرائه المقلِّدين جِيدَ محبَّتهم بطَوْقِ ولائِه :

٥٦

شهاب الدين أحمد الفيّوميّ

أديبٌ نَسَق من جواهرِ كلامِه أكاليلَ دُرٍّ ما لمَنْظومِها سِلْك ، وجرَت مياهُ البلاغة فى رياضِ نِظامِه فذابَتْ كذَوْب التِّبْر أخْلَصَه السَّبْك .

إذا امتدَّ خَطْوُه إلى المجدِ وكرَم الخِيم ، فهو أسرعُ من رَجْع يدِ الذِّئب وأوْسع من خَطْو الظَّلِيم .

جمعَتْ له الحظُوظُ من تِلادِها ووِهادِها ، وقيدَت له القلوب بأزِمَّةِ ودادها .

وأنشده يوماً قصيدةً بائيَّة ، امتدَحه بها ، فلما وصل إلى قوله فيها :

يهْتزُّ من تحت السِّلاحِ كأنَّه رَيْحانةٌ لعِبتْ بها رِيحُ الصَّبَا

جثَى على رُكبتيْه ووثَب ، وتطايَر من أحداقِه شَرَرُ الغضب ، وكاد أن يُكلِّمه بألسنةِ السُّيوف ، ويخلعَ عليه خِلعةً حمراءَ بلا أَزْرار فصَّلَتْها يدُ الحتوف ، فلما قال بعده :

فى كلِّ مَنْبِتِ شَعْرةٍ من جسمِه أسَدٌ يمُدُّ إلى الفريسةِ مِخْلبَا

قال : عفوتُ عمَّا فات ، أولئك يُبدِّل اللهُ سيِّئاتِهم حسَنات .

« وديوان » شعره مشهور ، ودُرُّ بَراعتِه فى نادى الأدب مَنْثور .

ولما ارْتحل إلى القاهرة ، قال مُتشوِّقاً بأُمِّ القُرى معاهدَه ومآثرَه :

يا ربِّ لا وَصْــلٌ ولا سَلْوةٌ   لا زَوْرةٌ مِن طَيْفِهم لا لِقَا
إن لم يــكنْ فى وَصْلِهمْ مَطْمَعٌ   فلا تُعــــذِّبْ مُهجتِى بالبَقَا

وله فيه مدائح عديمةُ الأمثال ، سائرة فى الآفاق سَيْرَ الأمثال ، منها قصيدته التى عارض بها قصيدة [(١)صَفِيِّ الدِّين[١)] الحِلِّىّ ، التى مطلعُها [(٢)] :

أذابَ التِّبْرَ فى كأسِ اللُّجَيْنِ   رَشاً بالرَّاحِ مَخْضُوبُ اليَدَيْنِ

وأوّلهـا :

بدَتْ فأرَتْكَ شمسَ المَطْلَعَيْنِ   فتاةٌ أسْهرتْ بالمَطْلِ عَيْنِى

وعلى مِنْوالها قصيدة الشِّهاب المَنْصُورِىّ ، أحد الشُّهب السَّبعة ، وأوّلها :

بــكيْتُكَ يا غزالَ الأجْرَعَيْنِ   وقد رِبحتْ عليْكَ الأجْرَعَيْنِى [(٣)]

ومن شعره قوله مُضمِّنا :

لقد عذَلْتُ فلانَ الدِّين حين علا   عليه عَبْدٌ فقال اقْلِلْ من العذَلِ
فإن عَلانِىَ مَن دونى فلا عجَبٌ   لِى أُسْوةٌ بانْحاطِ الشَّمسِ عن زُحَلِ

وله أيضا :

أواخِرُ الخمرِ فيهـــــا   على الأوائلِ فَضْــلُ
تمُرُّ دَوْراً فَـــدَوْراً   وكلَّمـــا مرّ يَحْلُو

وله فى مَن اسمه حسين :

تركْتَ جَفْنِى واصلاً والــكَرَى   راء فجُدْ بالوَصْل فالوصلُ زَيْنْ [(٤)]

---

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .   (٢) ديوانه ٢٥٧ .

(٣) « الأجر عين » الأولى : تثنيــة الأجرع ، وهى بلفظ التثنية : علم لموضع باليمــامة . انظر معجم البلدان ١/ ١٣٤ . والثانية مركبة من لفظين: « الأجر » ، وهو الثواب ، و « عينى » ، وهى : الباصرة.

(٤) يشير إلى واصل بن عطاء ، وتعذر نطقه الراء .

ولا تُجِبْنِي عن سؤالِي بلَا فالقلبُ يخشَى كَرْبَ لَا يا حُسَين[1]

وفى قوله : « زين » إيهامٌ غيرُ زَيْن ، لأن العامَّة تقول فى حروف الهجاء زين ، والصحيح فيها زَاء بالمدّ والقصر ، ويقال زَىْ بزنة كَىْ ، كما قاله ابن جِنِّى[2] .

وأما هذه فتحريف قبيح .

وله أيضا :

حَجَّ للبيْتِ اختِلاساً وفَساداً للأَنامِ
مُذ رآهُ النَّاسُ قالوا حَجَّ للبيْتِ الحَرامِ[3]

٭٭٭

---

(١) يشير إلى مقتل الحسين بن على ، بكربلاء .

(٢) انظر لسان العرب (ز و ى ، ز ى ى) ١٤/٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٣) « الحرام » فاعل « حج » وليست صفة للبيت .

٥٧

السيد حسن بن أبي نُمَيّ*

ثم خلفه ابنه حسن ، ومَن حديثُ مناقِبه مستفيضٌ حسَن .

* وما محاسِنُ شَيْءٍ كلُّهُ حَسَنُ *

فقد سارتْ[1] بمآثره الرُّكبان ، وتحلَّى بذكرِه كلُّ لِسان .

فالحِلّ يعرفُه والحَرَم ، والمجدُ ينطِقُ بمحامدِه والكَرَم .

وإنما المرءُ حديثٌ بعدَهُ فكُنْ حديثاً حَسناً لمن وَعى

فقد خَفَقتْ في الخافِقَيْن راياتُ مَكارمِه ، ونُصِبتْ على أعلام كُماتِها بين مَعالِمه ، وسرَتْ سحائبُ كرمِه ولها من غُرَّته بَريق ، وتفرَّقت أنهارُ جُودِه في كلِّ فَريق ، حتى طفَت على هضَباتِ العُذَيْب والعقيق .

وله فَضْلُ قضاءٍ عَلَوِيّ حلَّ بين الرِّفْقِ والبَاس ، وأيِسَ عن إدْراكِ حَدْسِه[2] فيه إياس[3] ،

(*) حسن بن أبي نمي محمد بن بركات الحسني .

ولد سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة .

واستقل بسلطنه الحجاز بعد موت أبيه أبي نمي ، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، فقام بها خير قيام .

وكان صاحب فضل باهر ، وأدب غض ، ومحاضرة فائقة ، واستحضار غريب . توفي سنة عشرة بعد الألف

خبايا الزوايا لوحة ٨٢ ب ، خلاصة الأثر ٢/٢ ، خلاصة الكلام ٥٦ – ٦١ .

(١) في ا : « بمحاسنه » .

(٢) في ا : « خدمته » ، وفي ب : « حديثه » .

(٣) أبو وائلة إياس بن معاوية المزني ، قاضي البصرة ، يقول فيه الجاحظ : « كان فقيه البدن ، دقيق المسلك في الفطن ، وكان صادق الحس نقابا ، وكان عجيب الفراسة ملهما » . توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة .

البيان والتبيين ١/٩٨ – ١٠١ ، ثمار القلوب ٧٢ ، ٧٣ ، وفيات الأعيان ١/٢٢٣

بين حماسةٍ وسماحة ، وفصاحةٍ وصَباحة .

إذا زان قوماً بالمناقبِ واصِفٌ ذكَرْنا له فضْلًا يَزِينُ المناقِبا

وجلالةُ هيْبةٍ لا تُريد حاجِباً ، وشِيَمٌ شُمٌّ لو تجسَّمت كانت بوجهِ الدَّهر عَيْناً وحاجِبا .

فكم أوردَ النَّجِيعَ سيفَه المجرَّد عن العلائق ، وأصدَرَه ناثرا على غَدِير لامَتِه من الدِّماء شقائِق .

مِن فِتْية إذا تصافحوا بالصِّفاح ، تهلَّلتْ ضاحكةً بالنَّجِيع ثُغورُ الجراح .

حَلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ فَكَّ حِزامَهُ وَقُوفٌ ولو كان الوُقُوفُ على جَمْرِ

مع محاضراتٍ لو سمع بها الرَّاغب[1] سعَى لها راغِبا ، وأبكارُ أفكارٍ لا يكافِئها إلا مَن كان بمتاع الحياةِ خاطِبا .

ماعُذْرُ مَن ضربَتْ به أعْراقُه حتَّى بلغْنَ إلى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ[2]

أنْ لا يَمُدَّ إلى المكارم باعَهُ وينالَ غاياتِ العُلا والسُّؤْددِ

مُتخلِّقاً حتَّى تكونَ ذيُولهُ أيْدِي الزَّمانِ عمائماً للفرْقَدِ

بلَغنى أن بعض بنى عمِّه ورَد نَدِيَّه ، جارًّا لِذيْل التِّيهِ والحَمِيَّة الهاشِمِيَّة ، فتصدَّر عليه شخصٌ فى ذلك النَّادِي ، فتجعَّدتْ أساريرُه وسيفُ حِدَّتِه من غِمْد التَّصَبُّر بادِي ، فلما فطِن لذلك قال : إنه ليقودُنِى زِمامُ العجَب ، ويهُزُّ عِطْفَ أرْيَحِيَّتِى ساعِد[3] الطَّرب ، بقصيدةِ المُتنبِّى ، التى أوّلها[4] :

---

(١) يعنى الحسين بن محمد الأصفهانى ، المعروف بالراغب ، صاحب محاضرات الأدباء ، توفى سنة ٥٠٢ . انظر بغية الوعاة ٢/٢٩٧ ، تاريخ حكماء الإسلام ١١٢ ، روضات الجنات ٢٤٩ .

(٢) سقط هذا البيت والبيتان بعده من : ا ، ب ، ج .

(٣) فى ا : « ساعة » .

(٤) افتتاحية قصيدة يمدح بها أبا الحسن المغيث بن على بن بشر العمى . ديوانه ٩٢ .

فؤادٌ ماتُسلّيهِ المُدامُ وعُمْرٌ مثل ماتَهبُ اللِّئامُ

فتسلّى بذلك وتعلّل، وتبسّمَ وجهُ مسرَّتِه بعد القُطوب وتهلّل ، إذ فهم تلويحه ، لقوله فيها[1] .

ولو كان المكانُ له عُلُوٌّ لطارَ الجيشُ وانْحَطَّ القتامُ

وفى معناه قولى ، من فصل :

لو كان الشَّرفُ بالمكان ، ما انحطَّتْ النارُ وعَلا الدُّخان .

وقولى من قصيدة :

لم أدرِ يومَ الحربِ هل ثار الثَّرَى أم خَيْمةٌ نُصِبتْ عليه وقد سَرَى

أم نالَهُ شرفٌ بِمَسِّ نِعالِه فعَلَا رُءوسَ عِداهُ حين تكبَّرَا

أم راح مُشْتكِياً إلى خَلَّاقِه دَوْسَ الجيادِ عليه حتَّى يُنْصَرَا

ومما يحسُن إيراده هنا قول أحمد المعرِّىّ :

قل للرَّئيس أبى محمَّدٍ الرِّضَا قولَ امرئٍ أبلاه حُسْنَ بلاءِ

مِن حوْلِ برْكتِك البهيَّة سادةُ الْـعلماءِ والفضلاءِ والرؤساءِ

لو أنْصفوك وهم قِيامٌ أشْبَهَتْ أشخاصُهم أمْثالَها فى الماءِ

ومنه أخذ الأرَّجانِىّ قوله[2] :

هذا الزمانُ على مافيه من كَدَرٍ يحْكِى انْقلابَ لياليهِ بأهْلِيهِ[3]

---

(١) رواية الديوان ٩٢ :

ولو لم يَعْلُ إلّا ذو مَحَلٍّ تعالَى الجيشُ وانْحطَّ القتامُ

وفى خلاصة الكلام : « ولو أن .... تعالى الجيش » .

(٢) ديوانه ٤٣٦ .

(٣) فى الديوان : « هذا زمان على ما فيه من كدر » .

غـدِيرَ ماءٍ تراءَى فى أسافِله خَيالُ قومٍ تمَشَّوْا فى نَواحِيهِ [١]
فالرِّجْلُ تُنْظَرُ مرفوعاً أسافِلُها والرأسُ يُنْظَرُ منكوساً أعاليهِ [٢]

وقوله « على مافيه من كدر » من حَشْوِ اللَّوزِينَج ، أما ترى قول المعرِّىّ [٣] :

والخِلُّ كالماءِ يُبْدِى لى ضمائِرَهُ مع الصَّفاءِ ويُخْفِيها معَ الكَدَرِ

وأحسن من هذا كله قولى :

خليلَىَّ ذِى الدنيـا الدَّنِيَّةُ لم تزَلْ تُعادِى فتًى حُرًّا شريفَ المنـاقبِ
أسافِلُهـا تعـلُو أعالِيَها كما يَراهُ لبيبٌ عارفٌ بالعـواقبِ
إذا صُوِّرتْ للنَّاسِ معكوسـةً بدَتْ فلا تَعْجَبَنْ والدَّهرُ بَحْرُ العجائبِ [٤]

عَوْدٌ إلى سيرة ابن سيِّد النَّاس ، [٥] الذى تسير [٥] الصَّبا بعَبِير لطفه طَيِّبَةَ الأنفاس :
كنتُ قبل أن تُعرِّى أفراسُ الصِّبا ، ويتفرَّق شمْلُ الأيام أيْدِى سَبَا ، لمَّا ارْتحلتُ مع والدى لذلك المُمَجَّد ، لنجْتلِىَ وجهَ المليحةِ فى الخِمارِ الأسْود ، رأيتُه وقد أبْيَضَّ عَنْبَرُ لِمَّتِه ، وثقَب الشيبُ مِغْفَرَ هامتِه ، وقد علا هامَ السِّتِّين ، وترَقَّى شرَفَ السَّبْعين .

وإن امرأً قد سار سبْعينَ حِجَّةً إلى مَنْهلٍ من وِرْدِهِ لَقريبُ

مُشمِّراً لِخَاضِها [٦] ، واقفاً على حِياضِها ، بفِكْرةٍ ما كانت النِّيرانُ تخْمُدُ لو رُزقتْ بعضَ ذكائها ، وبِكْرِ هِمَّةٍ إذا جُلِيتْ لا يُعَدُّ غيرِ المجدِ من أكفائِها .

---

(١) فى الديوان : « خيال قوم قيام من أعاليه » .
(٢) فى الديوان :

فالرِّجْلُ تُنْظَرُ مرفوعاً أخامِصُها والرَّأْسُ يُوجَدُ منكوساً أعاليهِ

(٣) شرح التنوير على سقط الزند ١/٤٢ ، وشروح سقط الزند ١/١٣٢ .
(٤) فى ا : « إذا صور » ، وفى ب ، ج : « إذا صوروا » .
(٥) فى ا : « التى تصبر » ، وفى ب ، ج : « التى تسرى » .
(٦) فى ا ، م : « لمضاضها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قد قَلَّمَتْ يدُ عزائِمـه أظفارَ الخطوب ، وكادت لا تطأُ الحرمَ بغيْرِ إذْنِه الصَّبا والَجنوب .

يسوق[1] لأعْدائِه جُنودَ الحُتوف ، ويرى وُجودَهم ذنبًا لا يعتذِرُ عنه غيرُ ألسنةِ السُّيوف .

فـكل حديث[2] صدَر منهم وحَدَث ، لا يرفعُه إلا التَّيمُّم بتراب الجَدَث .

وَلِى صَوارِمَه تـكْذيبَ قولِهمُ   فهُنَّ ألْسِنةٌ أفْواهُها القِمَمُ[3]

إذا تربَّعَ رأيهُ فى نادٍ واحْتَبَى ، قامتْ بين يدَيْه الِهمَمُ وحُلَّت الُحبَى .

يَضْطرب لِهَيْبتِه إذ هبَّت رياحُ النَّصْر سُمْرُ الرِّماح ، وسالَت بسوابِح الجُرْدِ وأعْناق المطايا الوِهادُ والبِطاح .

وكان من سُنَّةِ سلَفِه ، ومَن خَلَفهم مِن خير خَلَفِه ، أن يُقدَّم للإمامة مَن قدَّمَتْه الأيَّام ، وفى المَثَل : « أكبرُ منك بيومٍ أعرفُ منك بعام » .

⁂

وكان يليه سِنًّا ذُو الرَّأْى الصَّائب ، أغرُّ السَّعْد والوجهِ والمناقب :

---

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « بها » .

(٢) فى ب ، م : « حدث » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « أفواهها القسم » .

٥٨

أخوه السيد الأجلّ ثَقَبَة *

مَن لو وَجَّه لدُرِّ الـكوا كب سِنانَ هِمَّـته ثقبه .

ومِشْـكاةُ بصيرتهِ مُشْرِقَةٌ بنُور اليقين ، وكلامُه ينثُر على الفصاحـة نِثارَ الجوهر الثَّمين .

وكُلّ مَن نَسَله يُحدِّث نفسَه بالإمامَـة ، وأن يتْلُوَ فى صحفِها [١] آياتِ مجدِهِ أمامَه .

فمنهم من جعل لذلك وَسيلتَه ، الدُّخولَ فى حواشِيـه ومُصاهرتَه ، ولسانُ حالِه يُنادِى فيما يُبْدِئُ ويُعيد [٢] : ﴿ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ .

☆☆☆

(*) ذكره الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، والمحبى ، فى خلاصة الأثر ، عند ذكر أخيه حسن المتقدم ، وابن زينى دحلان ، فى خلاصة الـكلام ٦١ ، وذكر أن وفاته كانت سنة ثمان بعد الألف. وذكر صاحب الخلاصة طرفا مما وقع بين ثقبة وأخيه حسن .

وانظر فى ضبط ثقبة حاشية العقد الثمين ٣/٣٩٥ .

(١) فى ا ، ب ، ج : « صفوفها » .

(٢) سورة هود ٧٩ .

فلما برع :

٥٩

حسين *

وترعْرَع ، ولبِس لَامَةَ النَّجابةِ وتدرَّع .

وهو بحرُ نَوالٍ أمواجُه الهِمَم ، وروضُ سيادةِ الفخْرِ والكَرَم .

لم يزَل يرسلُ له هدايا وتُحَف ، و يتضرَّع له بمودةٍ بأنواع الخلوص تُحَفّ .

فقال له والده يوما [(١)] فى أثناء الكلام : إيذَن لحسين فى أن يلِىَ الرِّفادة فى هذا العام .

فقال له : تريد أن تُضِيف السِّباع ، وهذه ضِباع المُنْحَنَى جِياع !

فلما علم مافى هذه الكناية ، صرع [(٢)] من النِّكاية ، صرَّح اليأسُ بجوابِه ، وهجم على قلبه همٌّ أحلَّ تباريحَ الجوَى بِه .

فرجع بخُفَّىْ حُنَين ، وشاهد منه كَرْبَلاء حسين ، حتى ذاق بسيفِ الحسرة طعمَ الشَّهادة ، ولبِس عليه الدَّهرُ من دياجِيه حِدادَه .

فسقَى قبرَه رَيِّقُ الغوادى الباسمةِ البُروق ، وإن كان فيه بحرُ كرمٍ يَعذُب فى أفواهِ الأمانىّ ويَرُوق .

⁂

(*) الشريف حسين بن حسن بن أبى نمى .

ذكر الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، وابن زينى دحلان ، فى خلاصة الكلام ٦١ .

(١) فى ا . ب ، ج : «مرة» .

(٢) فى ا : « صرح من النكاية » وفى ج : « تصريح فى الكناية » وهو ساقط من : ب .

ثم نهض أخوه :

٦٠

مسعود *

على قدمِه ، طالعاً بدرُه المسعود بين نجوم أتْباعِه وخَدمِه .

وهو إذ ذاك فى المعرفة عَلَم ، وفى طريق المجد ثَبْتُ القلب ثابتُ القَدَم .

يتبسَّم لغُرّتِه وجهُ النَّهار ، ويُناجِيه السَّعدُ بما فى ضمائرِه من الأسْرار .

وله حسنَاتُ شعرٍ ماخُطَّ فى مجموع الدَّهرِ مثلُها ، ولا سجَعت وُرْقُ الفصاحةِ بلحْنه فى ذُؤابةٍ هاشميةٍ قبْلَها .

ومسعود لو مَسَّ عوداً بسعْدِه أوْرَق ، لِما جال فى بِشْر مُحيَّاه من ماء النَّدى وتَرقْرق .

مع شجاعةٍ يرتعد لها الأسدُ والأَسَل ، ويَعُدّ الطَّعنَ فى الهيْجاء كالقُبَل .

كما قلتُ فيه :

قومٌ غزوتَهمُ رأيتَ جسومَهمْ … مُقَلاً لهنَّ إشارةُ المتكلِّمِ

من كلِّ مُقْلةِ طَعْنةٍ نجْلاءَ مُذْ … نظَرتْ فِراقَ الرُّوحِ تبْكى بالدَّمِ

رمِدتْ فكحَّلها مَراوِدُ سُمْرِه … من إثْمِدِ النَّقْعِ المُثارِ المظْلِمِ

وكأنَّما رمَدتْ لخوفِ قواضِبٍ … صَلَّتْ فتسجُدُ وهْىَ ذاتُ تيمُّمِ

(*) ذكره الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٨٣ ب، وابن زينى دحلان ، فى خلاصة الكلام ٦٢ ، وذكر أنه كان موصوفا بالشجاعة والقوة ، لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا ، فتوفى وهو شاب .

فلم يزل يخطُب من المُلْك كواعبَ أبكارِه ، حتى أدركه الغرقُ فى حِياضِ ثمانِه المُترَعَة من بحارِ أفكاره . فأرسَى بسواحل شَعُوب ، وأنشدتْه الحالُ بلسان الخطوب [1] :

* عَياءٌ به مات المحِبُّونَ مِن قبلُ *

فبلغ فى سفينة أملِه وفاتَه ، وسبقه الأجلُ كما سبق السَّيفُ العَذَل وفاتَه . فرأيت جَنازتَه والدموع حوله طُوفان ، وقد أرسَت سفينةُ تابوتِه على جُودِيِّ الفَناء والأحزان .

⁂

(١) عجز بيت المتنبى ، وصدره :

* عَزيزٌ أسًى مَن داؤه الحَدَقُ النُّجْلُ *

ديوانه ٣٩ .

فلما بدَّل الأُمْنيَّة بالمنِيَّة ، وسقاه الدهرُ كأسَ المَنُون رَوِيَّة ، قام مقامَه :

٦١

أبو طالب *

مترشِّحا لأمرها ، مترقِّبا بعد موت ثَقَبَة لاجْتلاء بدرِها .

وكان قبلُ لا يرِد مورداً من مناهل آمالِه ، إلا وقد غَصَّ بقَذَى رُقبائِه وعُذَّاله :

لم ترِدْ ماءَ حسنِك العينُ إلَّا شَرِقتْ قبل رِيِّهـــا برقيبِ

فأراد والدُه أن يقلِّده بصارِمِها ، ويجعلَ هيا كلَ جِيادِه في أجْيادها مُقامَ تمائِمها ، فأرسل الأميرَ بَهْرام ، فَرَطاً (١) يستسْقِي (٢) له ماءَ المَرام ، وهو منتظِرٌ لها انتظارَ ليلةِ القَدْر ، راجياً أن يحُلَّ منها محلَّ القلب من الصَّدر .

فنثَر على ذلك الرسول ، جواهرَ الإحسان والقَبُول ، وأهدى له مع كتاب العهد

(*) أبو طالب بن حسن بن أبي نمى ، الشريف الحسنى .

ولد سنة خمس وستين وتسعمائة .

آلت إليه إمارة مكة بعـد أخيه الشريف مسعود ، نيابة عن أبيـه ، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز أن يلبسوه الخلعة الـكبرى ، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية ، واستصدر من السلطان محمد خان بن مراد ، تقريرا بذلك ، فأجيب إلى ملتمسة ، وسترد صورة هذا الرسوم أثناءالترجمة . ولما مات والده ، ولحقه أخوه عبد المطلب استقل بالملك .

وكان حسن الهيئة ، شديد الهيبة ، كريما .

توفى سنة اثنتى عشرة بعـد الألف ، بمحل يقـال له العشة ، من جهـة اليمن ، وحمل إلى مكة ، ودفن بالمعلاة .

تراجم الأعيـان ١/٢٤٥ ، خبـايا الزوايا لوحة ٨٣ ب ، خلاصة الـكلام ٦٢ ـ ٦٤ ، خلاصة الأثر ١/١٣١ ـ ١٣٥ .

(١) الفرط ، بالتحريك : المتقدم قومه إلى الماء .

(٢) فى ا : « يستق » .

خِلَعاً حِسانٍ ، أزْهَى مما توشَّحت به معاطفُ الكُثبان ، وألبستْه عطايا الربيع قدودَ الأغصان .

فكان كما قيل :

قرَّت عيونُ المجد والفخرِ ... بخِلْعة الشمسِ على البدرِ

زَرَّ عليه الملكُ فَضْفاضَها ... وإنما زَرّ على البحرِ

ماهو إنعامٌ ولكنَّه ... ماخلعَ الغيثُ على الزَّهرِ

فأُفيضَت عليه خِلعةٌ مُعْلَمة ، وأصبحت قلائدُ الجود فى جِيد السِّيادة مُنظَّمة .

مما تقَرّ به عينُ الزَّهْرا ، ويرفع الله به لآلِ البيتِ ذِكْرا .

وأمرُه بالدهر عابث ، وأغصانُ المنابر بِاسْمِه مُورِقة أثائث [١] .

وأمطَر عليه عِهاد [٢] الكرَم وَسْمِيًّا وَوَلْيًا ، وتلَى منشورَه المُعرِب عن أنه أصبح لأبيه وَلِيًّا .

فتبوَّأ صدرَ الخلافةِ والجلالة ، وورِثها عن أبيه حيًّا لا عن كَلالة [٣] .

فأقرّ بعهْدِه لساناَ السيفِ والقلم ، ونُودِىَ هذا الذى تَعرِف البطحاء وطْأتَه والحِلّ والحرَم .

قام فطاف بالبيت شُكْراً لذلك الإنْعام الجسيم ، فكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِه لما استلم الرُّكنُ والحطِيم .

وصورة منشورِه [٤] ، وهو مما أنشأتُه بأمر رئيس الكُتَّاب :

---

(١) أث النبت : كثر والتفت .

(٢) العهد : أول مطر الربيع .

(٣) الكلالة : من لا والد له ولا ولد . انظر القاموس (ك ل ل) .

(٤) نقل المحبى ، فى خلاصة الأثر ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ قسما من هذا المنشور ، كما فعل ذلك ابن زينى دحلان ، فى خلاصة الكلام ٦٢ .

« الحمد لله الذى نشر على الخافقَيْن أعلامَ عدْلِه ، وزيَّن حُلل الوجود بجُوده وفضلِه .

ونشكره شكراً تطوف وُفود الإخلاص حولَ كعبتِه ، وتقصر الفصاحةُ بعد التَّحليق فى أفق البلاغة عن أن تكون مُزدَلِفةً من شُكْر نعمتِه ، وتسجد له الأقلام فى كعبة الطِّرْس المكسُوِّ بسَواد مِدادِه ، وتسعى للصَّفا فى مواقف إصْدارِه وإيرادِه .

وصلاتُ الصَّلاة المِسْكيَّة النَّسيم ، العَنْبَرِيَّة الشَّمِيم ، تتَوالى توالِى القطر المُكرَّر على تلك الأقْطار ، والمَثْوَى الذى تُرابُه إثْمِد البصائر والأبْصار :

حيَّاكِ ياتُربةَ الهادِى الرسولِ حَيًا ... بمنطقِ الرعدِ بادٍ من فمِ السُّحُبِ

ضممْتِ أعْظَمَ مَن يُدعَى بأعْظَم مَن ... يسعَى إليه أخو فضلٍ ولم يخِبِ

وحُزتِ أوضحَ مَن يَهْدِى وأفصحَ مَن ... يُبْدِى وأرجحَ مَن يُعزَى إلى نَسَبِ

محمدٍ المرسَل بكتابٍ تمسَّك بأهْداب سِحْر البلاغة والإيجاز ، واستَوْثَق دون بُلغاء العرب بعُرَى الإعجاز ، فرَمى قلوبَ المعارضين بجمَراتِه ، وكحَل بصائرَ المُطيعين بمِيل الهداية فأقرُّوا ببيِّنات آياتِه .

وعلى آلِه وصحبِه ، وجُندِه وحِزْبه ، أولياء عهده ، والخلفاء من بعده ، ماجُرِّدت صوارمُ البُروق من أغْماد الغمائم ، وسرَى نسيمُ نجد فابتَسمتْ له ثغورُ النَّوْر فى الكمائم .

هذا ، وقد أظهر اللهُ عزَّ سلطانه كنزَ سرِّه المكنُون ، بقوله (١) : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ، فعُلم به سِرُّ الأمْر ، فى قوله (٢) : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴾ .

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٢) سورة النساء ٥٩ .

فإنه ليس بعد النُّبوّة والرِّسالة إلا مراتبُ الصَّلاح ، ولهذا كانت الرّعايا بلا سلطان كالأجْسام بلا أرْواح .

وما الشَّريعةُ إلا روضةٌ زاهيةُ الثِّمار ، مُتفتِّحة الأنوار ، تجرى من تحتها الأنهار ، والسلطان مُتعهِّد لها بالحراسة ، يحميها من كل جَانٍ بشَوْكة السِّياسة .

وإذا كان ظلَّ اللهِ في أرضهِ ، وشمسَه المتَّضِحَ بأنوار سَنَن سُنَّته وفرْضِه ، فعلى مَن طلَعت عليه الشمس أن يجنحَ لظِلِّه ، ويَقِيل في دَوْحَة إحسانِه وفضلِه .

فإنه الشمسُ الذى تضىء بدورُ الـكواكب بأنْواره ، والبحرُ الذى تستمد جداولُ الأمراء من أنهاره .

والسماء الذى تتَمنْطَق الجوزاء لخدمته ، ويخافُ الأسدُ أن يَمُدَّ إليها يدَ سَطْوته .

والجنَّةُ التى تحت ظِلال السُّيوف ، والمُتقرَّب إليه بمحاسن الأعمال ، والمُستَجار به من الصُّروف .

والحرمُ الذى يأمَن فيه الخائف ، وكعبة اللَّطائف البادية لـكلِّ طائف .

والربيعُ الذى اعتدلتْ أيامُه بالعَدالة ، فصدَحتْ حمائمُ الثَّناء على أغصانِها المَيَّادة الميَّالة .

وتهْتزُ أعوادُ المنابرِ باسْمِـهِ   فهل ذكَرتْ أيَّامَها وهْيَ أغْصانُ

ومِمَّا ينبغى أن يُرسَم فى صحائف الأفكار ، ويُجعَل طِرازاً على كعبةِ المحاسن والآثار ، أنه من أهمِّ مايهْتمُّ به مَن جعَل الحِجا[١] زِيَّه ، خِدمةُ طَيْبَةَ الطَّيِّبة ، ومكّةَ المُشرَّفَ بها سائرُ الأقطار الحِجازيّة ، مَعدِن جوهرِ النبوّة ، ومهبِط آيات الوحْيِ المتلوَّة ، ومشرِقُ شموس الأنوار المحمَّديّة ، ومظهَر الآثار[٢] العُلْويّة العَليَّة .

---

(١) الحجا : العقل .

(٢) فى ا : « الأسرار » .

ومثوى مَن شرَّف الله به نوعَ الإنسان ، والأُنموذَج الذى صاغَه الله[1] تمثالاً للجنان ، كما ورد فى السُّنَّة[2] : « مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » .

وكذلك أوَّلُ بيتٍ وُضِع للنَّاس ، وأُسِّس على التَّقْوى منه الأساس .

كأنَّمـا هو مِغْناطِيسُ أنفسِنا ... فحيثُما كان دارتْ نحوَه الصُّوَرُ

وكان أوْلَى مايقلِّدُه الإنسانُ عقودَ جواهر الإحسان ، ويجتهد فى تقليده ، وتأْبيد تأْبِيده ، ويتَوَّجُه بتاج التَّكْرِيم ، ويُعمِّمه[3] بحُلَل التَّبْجيل والتَّعْظيم ، ويُجزِل الصِّلَة لجنابه الموصول ، ويُضمِر له فى القلوب القَبول ، بدُورَ فلك السعادة ، وصُـدورَ مُسنَد السيادة ، السادة[4] الأجلاء[5] الأشراف ، فخر آل عبد مناف .

وكيف لايزدادون حُبًّا ، بعد قوله[6] : ﴿ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى ﴾ .

كلُّ مَن لم يرَ فرضـاً حُبَّهمْ ... فهوَ فى النَّار وإن صلَّى وصاما[7]

وبالجملة ، فإن مادحَهم كمن قال للأســد : ما أشدّ شجاعتَـك . وللبحر المحيط : ماأوسع ساحتَك .

لاسيما طَوْدُ المجد الشَّامخ المُنِيف ، المرفوعُ عليه[8] علَمُ العِزِّ والنَّسب الشريف .

---

(١) ساقط من : ا .

(٢) أخرجه مالك ، فى موطأه (باب ما جاء فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، من كتاب القبلة) ١٩٧/١ ، والبخارى ، فى صحيحه (باب فضل ما بين القبر والمنبر ، من كتاب الصـلاة فى مسجد مكة والمدينة) ٧٧/٢ ، ومسلم ، فى صحيحه (باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، من كتاب الحج) ١٠١٠/٢ ، ١٠١١ ، والجميع بلفظ : « ما بين بيتى ومنبرى » ، وانظر شرح النووى على مسلم ١٦١/٩ .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « ويعمه » .

(٤) سقط من : ا .

(٥) سقط من : ا ، ب ، ج .

(٦) سورة الشورى ٢٣ .

(٧) سقط هذا البيت من : ا ، ب ، ج .

(٨) فى ا : « على » ، والكلمة ساقطة من : ب .

تاجُ هامة بنى الحسن والحسين الجناب العالى ، مَغْرِس ثَمرات المعانى والمعالى .

العريق الحسيب ، الأصيل النَّسيب .

ذُخْرُ الأنام ، فخرُ اللَّيالى والأيام .

زهرة الشَّجرة العَلوِيَّة ، فرع الدَّوْحة النَّبويَّة .

إذا وجهُه أو رأْيُه أو فِعـالُه تبلَّجْنَ فى ليـلٍ تجلَّتْ غياهِبُهْ

صارمُ الخليفة المُغْمَد فى رقاب أعدائِه ، ورحمتُه المُطِرة دُرَرَ سحابِها على أوليائِه .

الحسنُ الذّات والصِّفات ، أبو المحاسن حسن بن أبى نُمَىّ بن برَكات ، أيَّده الله

بنصرٍ لا يَبْلَى جديدُه ، ولا تَنْتثِر(١) بيد الحوادث عقودُه ، آمين .

وقد ورد من جانبه(٢) رسول ، تلقَّاه من سُدَّتِنا نسيمُ القَبول .

إذ جاب الفَيافِىَ من حَزْنها وسَهْلها ، وأدَّى الأماناتِ إلى أهلها .

وكان كالميل سلَك بين الجفُون فأجاد ، ومتَّع العيونَ بإثْمِد الصَّلاح والسداد .

ومعه مَنْشورٌ أرقّ من نسيم السَّحر ، مُعرِب عن العيْن بالأثَر .

فأخبر أنَّ مرسِلَه أراد الفراغ ، وما على الرَّسولِ إلا البلاغ .

وتضمَّن مَنْشورُه المذكور ، أنه أراد الاسْتراحة من نَصَب المناصب ، والتَّقاعدَ عما

بها من المراتِب ، رغبةً عن زُخْرُف الحياة ، إلى خدمة سيِّده ومولاه .

وأن نجلَه النجيب الجليل ، الحسيب الأصيل .

النَّاشئ فى حِجْر الشَّرف الباهر ، المُستَخرَج من أكرم العناصر .

لَيْثَ غابةِ بِيض الصِّفاح ، وسُمْرِ العسَّالة الرِّماح .

---

(١) فى ا ، ب : « ينثر » .

(٢) فى م : « جنابه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

عليه أمارةُ الإمارة ، ومخايلُ النَّجابةِ والصَّدارة :

بلغ السِّيادةَ فى ابتــــداءِ شبابهِ   إن الشَّبابَ مَطِيَّةٌ للسُّؤدَدِ

وسأل أن نقــلِّدَه (١) صــارمَ إمارة تلك الديار ، وما يَتْبعُهــا من البُلدان والأقطار .

على ماجرَتْ عليه عادةُ سلَفِه الذى سَلَف ، وقانونُ مَن خَلْفَهم من الخلَف .

فأجبْناه إلى مَرامِه ومُرادِه ، وأمددْناه بإسْعافِه وإسْعادِه ؛ لأنه إنما نزَع صارِمَهامن يدِه الأخرى ، وجعل خاتَمَها بعد يُمْن اليُمْنَى فى يَسار اليُسْرَى .

فسارت الإمارة من حَرَم إلى حرَم ، ولم تخرج من جيرانِ نجْـدٍ وذِى سَلَم .

فعليه ، بعد ماخلَعْنا عليه حُلَلاً تأنَّق واشِيها ، ورقَّت على نَسيج وحدِه حواشيها ، ونظرْنا إليه بنظَرِنا الذى هو إكْسِير ، أن يُحسِن فى العمل والتَّدبير .

وينظرَ إلى الرَّعايا بعيْن الرِّعاية ، ويصونَهم عن أهل الضَّلالة والغِوَاية .

ويُؤمِّن تلك المناسِك ، ويحرسَ تلك المسالِك .

ويختارَ من قومه مَن يحرُس أطرافَهــا من الأعدا (٢) ، ويحمِيها من كل قاصرٍ فى فعله تَعدَّى (٣) .

ويبطلَ مافيهــا من المــكُوس والمظــالم ، ويقيمَ الحــدودَ على مستحقِّيهــا من كلِّ باغٍ وظالم .

ليُخلِّد فى صحائف تلك البلاد الحسَناتِ ، ويمحُوَ مافيها من آثار السَّيِّئات .

ويتصرَّفَ فى بَنْدر جُــدَّة على العهــد القــديم ، ومَن جاور ذلك المقــامَ

---

(١) فى م : « سأل أن يقلده » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

(٢) فى م : « العدى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

(٣) فى م : « اعتدى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر ١/١٣٢ .

فليستعفه بالنعيم المقيم ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

ويحرسَ الوافدين إلى ذلك البلد الأمين ، لإقامة شعائر الدِّين .

ويحمِيَ بحمايتهِ مَن وَرَد أو صَدَر ، ويحرسَ مواردَهم الصافيةَ من الكَدَر .

ويلاحظَ ماللخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدَّعوات ، فى قوله :[1] ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

ثم ليَعلمْ كلُّ مَن كَحل بصرَه بإثْمِد منشورنا الكريم ، وشنَّف مسامعَه بلآلئ لفظِه النَّظيم .

مِمَّن فى دارَةِ تلك الدِّيار ، أو هالةِ تلك الأقْطار ، وانتظم فى سِلْك سُكَّان القُرَى والأمصار .

مِن السَّادات الكرام ، والقُضاة والحُكَّام ، ووُلاة الأمور والأعْيان ، والوافِدين على تلك الديار والسُّكان .

أنَّ إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر ، وما أحاطَتْ به من الأصاغر والأكابر ، وسائر الوظائف والمناصب ، والجهات والمراتِب ، مُفوَّضةٌ إلى السيد السَّنَد أبى طالب .

ناظراً بعين الإنصاف ، مُتجنِّبا سبيلَ الاعْتِساف .

مُصرِّفا جميع المستحقِّين بحُسْن التَّصْرِيف ، صارفاً من لا يستحقُّ برأْيه الشريف .

وقد أقَمْناهُ مقامَ نَفسِنا فى ذلك المقام ، وفوَّضْنا إليه النَّقْض والإبْرام .

والعلَامة السُّلطانية حُجَّةٌ لما فيه مَرْقوم ، مُحقِّقةٌ[2] لما فيه[2] من منطوقٍ ومفهوم .

---

(١) سورة البقرة ١٢٦ .

(٢) فى خلاصة الكلام ٦٢ : « كافية » .

فليتحقَّق من وقف على هذا الخطاب ، ومَن عنده عِلمٌ من الكتاب ، من أهل مكة زادها الله شرفا ومافى جوارها ، وطَيْبَة الطيِّبة طيَّب الله ثراها وسائر أقطارها ، وبقيَّةِ الثُّغور ، الباسمة لدولتنا بمباسِم السرور ، من حاضرها وباديها ، أنَّا أعطيْنا القوسَ باريها،

فلم تكُ تصلحُ إلَّا لَهُ ولم يكُ يصلحُ إلَّا لَهَا (١)

سدّد الله سِهامَ رأيه فى أغْراض الصَّواب ، وفتَح له (٢ بمفاتيح السُّمْر ٢) كلَّ مُغلَقٍ من الأبواب .

ماسقطتْ من كفٍّ الثُّريَّا الخواتِم ، ورقَتْ على منابر الأغصان خُطباء الحمائِم ، والسلام » .

* * *

وإذ انتهينا إلى هذا المقام ، فاصْغِ لما نقصُّه عليك من عجائب الأيام ، فإن المصْدورَ لابدّ له من نَفْثة ، ومَن جهده المسيرُ يطلب على الطَّريق مُكْثة .

فاعلم أننا رأينا كل مُلْك له مُبْتَدأٌ تظهر فائدتُه وعائدتُه فى خَبَره ، وانتهاء يقف السَّعدُ بعد وِرْده عند صَدْر صَدَره .

ثم يرجع ماجرَى إلى قَراره ، فيُنذِر الإقْبال بإدْباره ، ويعود تدْميرُه فى تدْبيره ويُقدِّر صانعُ القدَر أديمَه على مِقدار تقديره .

وإلى الله ترجع الأمُور ، وعلى مُحور الإرادة يجْرِى الفلَكُ ويدُور .

وقد تظهر قبل آخرِه فيه قُوَّة ، فيُظهِر فِرْعونُ طغيانَه وعُتُوَّه ، وللشمس زوَال إذا ارتفعتْ ، وللثَّمرة سُقوط إذا زَهَت وأينَعتْ .

---

(١) فى خلاصة الكلام : « بمفاتح السر » .

(٢) البيت لأبى العتاهية فى مدح الخليفة المهدى ، وهو فى ديوانه ٣١١ .

وقد يزيدُ قبـل الانطِفـاء نورُ المِصبـاح ، ويحصـل للمريض إفاقةٌ يُسمَع بعدها الصِّياح .

وتسمى هذه الأطِبّاء النَّعْشَةَ الأخيرة ، فـكم من نَعْشةٍ تُقرِّب من السَّقيم نَعْشَهُ ،

وهذا فى غير الخلافة النبويَّة ، فإنها بالحىِّ (١) (٢ الذى لا يموت ٢) مَحْمِيّة .

وقد كان انْتِهاء صُعود الشَّرف فى الحجاز بالسيد حسن ، وفى المغرب بمولاى أحمد ، وفى الرُّوم بالسلطان مراد ،ونحن الآن لا نَدْرِى ما يريد ولا مايُراد ، فقد ذهب سليمانُ وانْحلَّت الشَّياطين ، ووقف الرَّجاء على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ بين قومٍ مجانين ، فالجواد دون الحمار المِصْرِىّ ، وأبو جهل وعَظ الحسنَ البصْرِىّ :

فقُلْ بعـــده الدهرِ يأْتى بصَرْفِهِ وقلْ لليالى : إفعـــلِى مابدا لَكِ

وقلت :

قد جُنَّ شَيْخى وفى الأمثال من قِدَمٍ إن الشبابَ جُنونٌ بُرْؤُه كِبَرُهْ (٣)

ياربِّ فاعقِدْ بقُولَنْجٍ له دُبُراً حتى يعودَ عليه بعـد ذا ضَرَرُهْ (٤)

☆☆☆

---

(١) فى ب ، ج : « بالله الحى » .

(٢) فى ا : « القيوم ».

(٣) أخذ هذا من قول محمد بن عبيدالله العتبى :

قالتْ عهِدتُك مجنوناً فقلتُ لها إن الشبابَ جنونٌ بُرْؤُه الـكِبَرُ

التمثيل والمحاضرة ٨٨ .

(٤) القولنج : مرض معوى مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريح . القاموس (ق و ل ن ج) .

٦٢

قطب الدين المكّىّ النَّهْروانِىّ أصلاً ومَحْتِدا *

قطبُ مركزِ دائرة تلك الأقطار ، والصدرُ المستَوْدَع لما فيها من الأسرار .
وهو فاضل جرَى فى بساتين[1] فضْلِه جداولُ الآداب ، وتمسَّك الشِّعرُ منه
بأعظم الأسباب .

فوقف دون مَداه ضِدُّه وحسُودُه ، ومَن قيَّدَه الكلالُ لا تنْفكُّ[2] قُيودُه .

فذاك كمَن جارَى جواداً بِمُقْرِفٍ قوائمُهُ مَشْكولةٌ بِحِرانِ[3]

فسماء مجدِه مُطلِعة لكواكب شِعره ، وزهرةُ عمرِه سُقِيتْ بماء سروره وبِشْرِه .
تنقطع عند كرَمِه الآمالُ وتعجز الأمانى ، ويقصُر سِلْكُ الألفاظ عن[4] نظم ما فيه
مِن دُرَر المعانى .

(*) قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد ، النهروانى، الهندى ، الحنفى .
ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة .
وأخذ عن والده ، وعن عبد الحق السنباطى ، ومحمد التونسى ، وناصر اللقانى .
وكان بارعا متفننا ، فى الفقه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، ونظم الشعر ، وشعره فى غاية الرقة .
كتب « تاريخا لمكة المشرفة » ، وألف « طبقات الحنفية » ، وقد احترق فى جملة كتبه .
توفى سنة تسعين وتسعمائة .
خبايا الزوايا لوحة ١٨٧ ا ، شذرات الذهب ٨/٤٢٠ .
والنهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ، من الجانب الشرقى ، حدها الأعلى متصل ببغداد .
معجم البلدان ٤/٨٤٦ .

(١) فى ا : « ميادين » . (٢) فى ا : « تفك » .

(٣) المقرف من الفرس وغيره : ما يدانى الهجنة ، أى أمه عربية لا أبوه ، لأن الإقراف من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم . القاموس (ق ر ف) . وشكل الدابة : قيد قوائمها . وحرنت الدابة حرانا فهى حرون ، وهى التى إذا استدر جريها وقفت . القاموس (ح ر ن) .

(٤) فى ا : « فى » .

وتُقبِّل أفواهُ الأقلام لَمَى مِدادِه ، ويهيم سُوَيْداءُ كلِّ لبيب فى سوادِه .

وتتفتح[1] عيونُ الأنوار لتُشاهد ساطعَ أنواره[2] ، وتترنَّم حمائمُ الحرَم بأسجاعه وأشعاره .

ويهبُّ نسيم[3] نجدٍ لشَغفِه برقَّتِه عليلا ، ويجرُّ على ثَرَاه تِيهاً بمُضاهاتِه له ذيْلاً بَليلا .

لتَغَذِّيه بلِبان فصاحة نجْدٍ وذى سَلَم ، واقْتناصِه أوابدَ المعارف بها فاعجَبْ لمن حلَّ له الصَّيدُ فى الحَرَم .

وقد شحَذ مُرهَف طبعِه بيَدِ الكمال ، وسنَّ أسَلَةَ[4] لسانِه فانجَلَى به فِرِنْدُ سِحْرِه الحلال .

حتى تفيَّأتْ فتوَى تلك الأقطار ظلالَ براعتِه ، وسالتْ مَسائلُ المسائل فى جِيادَ يراعتِه .

فكان قُطْبَ تلك الدائرة ، وعليه مَدارُ فلك الفضلِ وبه الأمثالُ سائرة .

فمُعوَّل أمورِها عليه ، ومُنْصَرَفُ وجوهُ الإقْبال إليه .

حتى أصبح عاطلُ حالِه حَالِيا ، ومرتفِع حظِّه عن وِهادِ الخمول عاليا .

فلا يرِدُ مكَّةَ أحدٌ من أهلِ العلم والصَّلاح ، إلا فيَّأه ظلالَ الكرم والسَّماح ، وهزَّ عِطْفَ أملِه بنشْوةِ الارْتياح .

إلى أن تعدَّى الأجل ، من القُطْبِ دائرةَ الأمل ، فدارتْ عليه رَحَى المَنُون ، وطحنَتْ دقيقَ أفكارِه السِّنون .

---

(١) فى ا : « وتتفتح » (٢) ساقط من : ا .

(٣) فى ا : « صبا » .

(٤) فى ا : « ألسنة » ، وفى م : « أسنة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فدعاه اللهُ لجوارِ الجنان ، وتلقّاه جَدَثُه برَوْحِ رحمةٍ وريْحان ، وطافتْ بمَثْواه وفودُ الغفران .

وقد نعاه الفضلُ والكرم ، وناحتْ لفراقِه حمائمُ الحَرَم .

حمائمُ أبْلَتْ في الحنينِ لباسَها فلم يبْقَ منها غيرُ طَوْقٍ بجيدِها

فممّا تهادتْه الرُّكبانُ من شوارِدِه ، وعُلِّق في كعبةِ الفصاحة من نُتَفِ وقصائده ، قوله[1] :

أقبل كالغصْنِ حين يهْتزّ في حُلَلٍ دون لُطفِها الخزّ
مُهفهَفُ القَدِّ ذو مُحَيًّا بعارِض الخدِّ قد تطرّزْ
دارَ بخدَّيْه واوُ صُدْغٍ والصَّادُ من لحْظِه تلوّزْ
الخمرُ والجمرُ في لَماهُ وخدُّه ظاهرٌ ومُلْغزْ[2]
يشكو له الخصْرُ جوْرَ رِدْفٍ أزعجه حمْلُه وأعْجزْ[3]
طلبتُ منه شفاءَ سُقْمِي فقال : لحْظِي لذاك أعْوَزْ
قد غفر اللهُ ذنبَ دهرٍ لمثْلِ هذا المليحِ أبْرزْ
جَزَّ فؤادى بسيفِ لحْظٍ أوّاهُ لو دام ذلك الجزّ[4]
أفديهِ من أغيدٍ مليحٍ بالحُسْنِ في عصْرِه تميّزْ
كان نديمى فمذْ رآنى أسيرَهُ في الهوى تعزّزْ
حرّم مِن وَصْلِه مُباحاً لمّا أحلّ القِلَى وجوّزْ[5]

(١) شذرات الذهب ٨/٤٢٠ ، ٤٢١ .
(٢) في شذرات الذهب : « من لماه » .
(٣) في ا : «أعجزه حمله وأعجز » ، وفي شذرات الذهب : « أثقله حمله وأعجز » .
(٤) في شذرات الذهب : « حز فؤادي . . . . ذلك الحز » .
(٥) ساقط من شذرات الذهب .

يا قلبُ لا تسْـلُ عن هَـواهُ واثبُتْ وكُنْ فى الغرام مَرْكَزْ[١]

وقلت فى عَرُوضه :

مَن علَّم الغصنَ حين يهتَزّ مَيْلَ قُدودٍ تميلُ فى الخَزّ

غِيـدٌ رماحُ القـدودِ منها ليستْ بغير الفؤاد تُرْكَزْ

وإن يـكنْ هزُّهـا دَلالاً ليس لغيرِ الطِّعان ذَا الْهزّ

كم وعدتْ بالوِصال مُضْنًى وُعودُه بالمِطال تُنْجَزْ[٢]

وما حَسـودٌ إذا توارَى تَراهُ من غيظِه تَمـيَّزْ

فى ألِفِىِ القَوامِ لِينٌ بعَطْفةِ الصُّدغ منه تُهْمَزْ[٣]

خِطابُه يُطرِب الأمانِى ولو بهُزْؤٍ علىَّ طَـنَّزْ[٤]

وشَتْمُهُ كالمديح يُطْرِى ومُسْهَبُ القولِ منه مُوجَزْ

كم لحظةٍ منه لى بطَرْفٍ فيها رِضاه علىَّ مُلْغِزْ[٥]

له مُحيًّا بديـعُ حُسْنٍ فيه جميـعُ الجمـالِ يُـكْنَزْ

ولى به مَطلَبٌ مَصونٌ بقُفْلِ صُدغٍ له مُرزَّزْ[٦]

لو لم يـكنْ حبُّه بقلبى ما كان بين الضُّلوع يُحْرَزْ

قضيبُ آسٍ على كَثيبٍ أزْعجه رِدفُه وأعْجَـزْ

كأنما خَصْرُه خَفـــاءً معْنًى له ذا الجمـالُ ألْغَزْ[٧]

---

(١) فى شذرات الذهب : « يا قطب لا تسل عن هواه » .
(٢) فى ا : « بالوصل مضنى » .
(٣) فى م : « ليس تهمز » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٤) طنزبه : سخر . (٥) فى ا : « على رضاه ملغز » .
(٦) رز الباب : جعل له رزة ، وهى حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .
(٧) فى م : « ذو الجمال » ، والمثبت فى ا ، ب ، ج .

جلَّ الإلٰهُ البديعُ صُنْعاً ... ومَن لهـذا المليـح أبْرَزْ
فاغنَمْ زمانَ السرورِ واطْرَبْ ... ففُرصةُ العمرِ فيه تُنْهَزْ
وانظرْ بِساطَ الربيعِ يدعو ... لصَفْوِ عيشٍ عليه قد عَزّ(١)
مَهَّدَهُ لاجْـتماعِ شَمْـلٍ ... مُنَبَّتٌ بُرْدُه مُطرَّزْ(٢)
تُنْحَرُ فيه الزِّقاقُ نحراً ... طُبِّق فيه مفاصِلُ الخَزّ
والوُرْقُ فى روضِه تنادى ... من ذَلَّ فى الحبِّ فهْو قد عَزّ
كذاك قد ذلَّ فى الورى مَن ... بغـــير ربٍّ له تعزَّزْ
كطالب الصُّوفِ من لئيمٍ ... وهو لجُرْبِ الكلابِ قد جَزّ
وكان من عَزَّ بَزَّ قِدْماً ... واليومَ من بَزَّ فهْو قد عَزّ(٣)
وهذه حُــــلَّةٌ ترقَّتْ ... عن نسجِ بُردٍ يرقُّ أوْ قَزّْ(٤)
لها على القُطْبِ دائراتٌ ... أضحى لها فى الحضيضِ مَرْكَزْ

وله فى الوزير سنان(٥) لما فتح اليمن :

لكَ الحمدُ يامولاىَ فى السِّرِّ والجهرِ ... على عِزَّةِ الإسـلام والفتح والنَّصرِ
كذا فليـكُنْ فتحُ البلادِ إذا سمَتْ ... له الهِمَمُ العَلْيا إلَى شرَفِ الذِّكرِ

(١) فى ا : « قد بز » .
(٢) فى م : « مشقت برده » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٣) قولهم : « من عزبز » أى : من غلب سلب . انظر الفاخر ٨٩، ٩٠ ، مجمع الأمثال ٢/١٧٤ .
(٤) فى م : « برد يروق » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٥) سنان باشا ، الوزير الأعظم ، صاحب الآثار العظيمة فى البلاد الإسلامية ، ولى الحكومة فى مصر أيام السلطان سليم بن سليمان ، ثم عينه السلطان لإعادة الاستقرار ، إلى اليمن بعد عصيان مطهر بن شرف الدين يحي الزيدى ، فتوجه ، وأصلح ما كان اختـل ، واستنقذ ما كان مطهر أخذه ، بعد وقائع وأمور كثيرة ، وانتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج وأخرجوهم من تونس ، كما عينه السلطان لحرب النمسا . توفى سنه أربع بعد الألف .
خلاصة الأثر ٢/٢١٤ ـ ٢١٧ .

جنودٌ رمَت من كَوْكَبانٍ خِيامَها ... وآخرُها بالنِّيل من شاطِئَيْ مِصْرِ[1]
تجرٌّ من الأبْطـــالِ كلٌّ غَضَنفَرٍ ... بصارِمه يسْطو على مَفْرِق الدهرِ
عساكرُ سلطانِ الزمانِ مَليكِنا ... خليفةِ هذا العصر فى البَرِّ والبحرِ
حَمَى حَوْزَةَ الدِّينِ الحنيفىِّ بالقَنـا ... وبيضِ المواضِى والمُثَقَّفةِ السُّمْرِ

ومنها :

وحين أتاهُ أنْ قدِ اختلَّ جانِبـاً ... من اليمنِ الأقصى أصرَّ على القَهْرِ[2]
وساق لها جيشاً خَميساً عرَمْرَمـاً ... يدُكُّ فِجاجَ الأرضِ فى السَّهلِ والوَعْرِ
لدى أسـدٍ شاكِى السِّـلاحِ عرينُه ... طِوالُ الرِّماحِ السَّمْهَرِية والبُتْرِ[3]
وزيرٌ عظيمُ الشَّانِ ثاقِبُ رأيه ... يُجهِّز فى آنٍ جيوشـــاً من الفِكْرِ

ومنها :

سِنانٌ عزيزُ القدْرِ يوسفُ عصْرِه ... ألمْ تَرَهُ فى مصرَ أحكامُـه تجرى

ومنها[4] :

وهل تطمع الأعْداء فى مُلْكِ تُبَّعٍ ... وتأخذُه من آلِ عثمانَ بالمكْرِ[5]
أبَى اللهُ والإسلامُ والسيفُ والقنـا ... وسِرُّ أميرِ المؤمـــنين أبى بكْرِ

ومن مشهور شعره قوله[6] :

الدَّنُّ لى والـكاسُ والقَرْقَفُ ... وللْفقيـه الـكُتْبُ والمصحفُ
إن كان ماتُعجِبُـــه قِسْمَتى ... فلْيَقْتَسِمْها مثلَ ما يعرِفُ[7]

---

(١) كوكبان : جبل قرب صنعاء . معجم البلدان ٤/٣٢٧ .
(٢) فى ب ، ج ، م : « اختل جلبنا » ، والمثبت فى : ا .
(٣) فى ا : « له أسد » .
(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٢١٥ .
(٥) فى خلاصة الأثر :
فهلْ يطْمَعُ الزَّيْدِىُّ فِى مُلْكِ تبَّعٍ ... ويَأْخُذُهُ منْ آلِ عُثمانَ بالْمَكْرِ
(٦) شذرات الذهب ٨/٤٢١ .
(٧) فى ا : « فليقسمها » .

كم يزْدرِي الكاسَ ويهْزُو بها ... يُخْشَى على هذا الفتى يُقْصَفُ[(١)]

يسبُّ شُرّابَ الطِّلا عامِداً ... أليس في الحُكّامِ مَنْ يُنْصِفُ[(٢)]

فأترِع الكأسَ على غَيْظِه ... وعاطِنيها أيُّها الأهْيَفُ

وقل هو القطبُ ببَحْرِ الهوى ... قد عام واللهُ به يلْطُفُ

وله أيضاً[(٣)] :

أَحِبَّةَ قلْبي أنتمُ قد وردْتُمُ ... مَعِي مَنْهَلَ اللّذّاتِ وهْو نَمِيرُ

وواللهِ مااستغْنَيْتُ عنكم بغيرِكمْ ... وإِني إليكمْ ماحييتُ فقيرُ

وله أيضا :

أحسنُ من غفْلةِ الرّقيبِ ... ولَحْظةِ الوعدِ من حبيبِ

وقُبْلةٍ كانت اختِلاساً ... في وَجْنَتَيْ شادِنٍ رَبيبِ

كَتْبُ أديبٍ إلى مُحِبٍّ ... طالتْ به مُدّةُ المغيبِ

تَتْرُكُ مَن سُطِّرَتْ إليه ... أهْيَمَ مِن عاشقٍ طَرُوبِ

وله أيضاً :

بدَا عَرَقٌ في خدِّه فسألتُه ... إذا ماتبدَّى قال لي وهْو يَمْزَحُ

ألا إنّ ماءَ الورد خدّي إناؤهُ ... وكلُّ إناء بالذي فيه ينْضَحُ

وهذا مثل أورده المَيْدانيُّ في « أمْثاله »[(٤)] ، ولم يزد فيه على قوله : كلُّ إناء يرشح

---

(١) في شذرات الذهب :

كَمْ يزْدرِي الرّاحَ وشُرّابَهَا ... أخشَى على هذا الفَتَى يُقصَفُ

(٢) هذا البيت والبيتان بعده مما لم يرد في شذرات الذهب .

(٣) سقط من : ا هذه المقدمة ، والبيتان بعدها .

(٤) مجمع الأمثال ٢/٧٣ .

بما فيه . ويُروَى : ينضح بما فيه. أى يتحلَّب. انتهى .

وقد سبقه إلى هذا مُجير الدين بن تميم[١]، كما وقفتُ عليه فى « ديوانه » بقوله :

سَقى اللهُ رَوْضاً قد تبدَّى لناظرِى ... به رَشَـــأٌ كالغُصنِ يلهُو ويمْرَحُ

وقد نضَحتْ خـدَّاه من ماء وَرْدِه ... وكلُّ إناءٍ بالذى فيــه ينْضَحُ

وعن الشيخ نصر الله بن مُجَلِّى أنه رأى فى المنام سيِّدَنا أميرَ المؤمنين عليًّا بن أبى طالب ، كرّم الله وجهه [٢] ورضى عنـه [٢]، فقال له : ياأميرَ المؤمنين ، تفتحون مكَّة ، وتقولون مَن دخـل دارَ أبى سُفيان فهو آمن ، وقد تمَّ على ولدك الحسين منهم ما تمَّ !

فقال له : أما سمعتَ أبياتَ ابن الصَّيْفى[٣] ، يعنى به الحيْصَ بيْصَ[٤] ؟

فقلت[٥] : لا .

قال : اسْمَعْها منه .

فلما انْتبهت ذهبت إلى دارِه ، وذكرتُ له مارأيتُ فى منامى[٦] .

---

(١) محمد بن يعقوب بن على الإسعردى ، مجير الدين بن تميم ، سكن حماة ، وخدم الملك المنصور ، وكان جنديا محتشما ، شجاعا ، مطبوعا ، كريم الأخلاق ، بديع النظم ، رقيقه ، لطيف التخيل . توفى بحماة ، سنة أربع وثمانين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٢٧٢ .

(٢) زيادة من : ا .

(٣) فى ا ، ب : « الصفى » ، والمثبت فى : ج ، م .

(٤) هو سعدبن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى ، شاعر بغدادى ، كان فقيها ثم غلب عليه الأدب والشعر . توفى سنة أربع وسبعين وخمسمائة .
وفيات الأعيان ٢/١٠٦ ـ ١٠٨ والقصة والأبيات فيه .

(٥) فى م : « فقال » .

(٦) فى م : « فلما انتبه ذهب إلى داره وذكر له ما رأى فى منامه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

فبكى وحلف أنه نظمها فى هذه الليلة ، ولم يقف عليها سواه ، وهى هذه ، وأنشدها له :

مَلَكْنَا فكان العفوُ مناسجيَّةً   فلمَّا مَلَكْتُمْ سال بالدَّم أبْطَحُ

وحلَّلْتُمُ قَتْلَ الأسارَى وطَالَمَا   غدَوْنا على الأسْرَى نَمُنُّ ونصفحُ[1]

وحسْبكُمُ هذا التفاوتُ بيننا   وكلُّ إناء بالذى فيه ينْضَحُ[2]

وقد سبقهم إلى هذا أبو الفتح كُشاجَم ، فقال[3] :

ومُسْتَهْجِنٍ مَدْحى له أن تكَوَّدَتْ   لنا عُقدة الإخْلاصِ والحرُّ يُمدَحُ[4]

ويأبَى الذى فى القلبِ إلَّا تَبَيُّناً   وكلُّ إناء بالذى فيه ينْضَحُ

وقلتُ فى الهجاء :

فتًى كان مِن قبل الشَّباب مُؤاجَراً   وقد لاطَ كهلًا وهْو تَيْسٌ سينَطَحُ

يبيعُ برأسِ المالِ فى السُّوق ما اشْترَى   وكلُّ إناءٍ بالذى فيه يرْشَحُ

وهذا المثل لم أرَ مَن شرح مَورِدَه ومضربه[5] ، وهو يحتمِل معنيَيْن :

أحدها ، وهو الظَّاهر المُتبادِر : أن كلَّ أحدٍ يلوح على ظاهره مافى باطنه ، وإن أخفاه ؛ كما قيل : مَن أسرَّ سَرِيرةً ردَّاهُ الله برِدائها .

والثانى : أن كلَّ أحدٍ يُجازَى مِن جنس عمَلِه ، وهو الذى قصده الحَيْصَ بَيْص .

وقد قلتُ فى بعض الفصول[6] :

---

(١) فى وفيات الأعيان : « نعف ونصفح » .

(٢) فى وفيات الأعيان : « فكل إناء » .

(٣) ديوان كشاجم ٢٨ .

(٤) فى الديوان : « إن تأكدت ... والحق يمدح » ، وفى ا : « أن تكاءدت » ، وتكاءد الأمر فلانا : شق عليه .

(٥) فى ا : « ومن ضربه » .

(٦) فى ا بعد هذا زيادة : « القصار » .

كلُّ عـداوةٍ تزول إلا عداوةَ الحسد ، وكل زارع لِماَ زرَع حصَد ، وبَيْضة ابن دأية[1] النعَّاب ، وإن جثا عليها طاوُس عَدْنٍ لا تُفْرِخُ إلَّا الغراب ، وإن كان عُشُّه فى سِدْرَةِ المُنتهَى ، وقد غذَّيْتَها من ثمارِ الجَنَّة ومُنْتَها[2] .

وفى صحيـح الخـبر : « النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إنْ خَـيْراً فَخَـيرٌ ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ » .

وقد قيل :

مَن قال خـيراً فلَه ... ومَن يقلْ شَرًّا فشَرّ

وقال قَطَرِىُّ الخارجىّ مُتمثِّلا : قيل للعَقْرب : أنت محبوسة فى الشتاء ، أفلا تخرجين لمشارقِ الشمس بالغدَوات ، كما تخرج الناس ؟

فقالت : ما أحسنَ أيادىَّ عندهم فى الصيف حتى آنس بهم فى الشتاء .

ولله دَرُّ أبى القاسم الدَّبُوسِىّ فى قوله :[3]

أقول بنُصْحٍ يابنَ آدمَ لا تنَمْ ... عن الخير مادامتْ فإنَّك عادِمُ[4]

وإنّ الذى لم يصنعِ العُرْفَ فى غِنًى ... إذا ماعَلاه الفقرُ لا شكَّ نادمُ

فقدِّم صَنيعاً عند يُسْرِكَ واغتنِمْ ... فأنتَ عليه عند عسرِكَ قادمُ

⁂

---

(١) ابن دأية : هو الغراب .

(٢) مانه يمونه : احتمل مونته ، وقام بكفايته .

(٣) هو على بن أبى يعلى بن زيد الحسينى ، العلوى ، الدبوسى ، فقيه شافعى ، وكان إماما فى الفقه والأصول والأدب . توفى ببغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

اللباب ١/ ٤١٠ ، معجم البلدان ٢/ ٥٤٧ ، وهو منسوب إلى دبوسية ، بليد من أعمال الصغد ، من ما وراء النهر . انظر معجم البلدان ٢/ ٥٤٨ .

(٤) فى ا : « على الخير ما دمت فإنك عادم » ، وفى ب : « على الخير ما دامت فإنك نادم » ، وفى م : « على الخير مهما دمت إنك عادم » ، والمثبت فى : ج .

٦٣

جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين ، العلامة الإسْفَرَايِنِيّ

فاضلٌ نشأ بمكَّة بين تِهامة ونَجْد ، ورُبِّيَ (١) في حِجْر المعالي والمجد ، ففاق طبعُه رِقةً وطِيباً نسيمَ النَّرْجِس والوَرْد .

وخلعتْ عليه الأيامُ جمالَها ، وأفاض اللهُ عليه فضْلَها وأفْضالَها .

واللهُ جميلٌ يحبُّ الجمال ، والدهرُ قد يُسعِفُه وإن كان عدوًّا لِأهل الكمال .

فحاز كرماً ومجدًا ، وفاح عَنْبَراً ونَدًّا .

عَطاءٌ ولا مَنٌّ وحُكْمٌ ولا هَوًى ‍ ‍ ‍ وحِلْمٌ ولا عجْزٌ وعزٌّ ولا كِبْرُ

وهو في الفضل عِصاميٌّ عريق ، وله عَذْبُ مَشْربٍ نشأ بين العُذَيب والعَقِيق .

وأنا وإن لم أرَه فقد صاحبْتُ أخاه عليًّا ، ورأيتهُ وقد رفعه الله مكاناً عَلِيًّا ، (٢ ففزْتُ بصُحْبته ٢) وقد طافتْ وُفودُ الآمالِ حولَ كَعْبته .

جمالَ ذِي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهمْ ‍ ‍ ‍ بعدَ المماتِ جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ (٣)

فمن شعره قوله :

فِنْجانُ قَهْوةِ ذَا المليحِ وعيْنُه الْـ ‍ ‍ ‍ كَحْلاءُ حارَتْ فيهما الألْبابُ

فسَوادُها كسَوادِها وبياضُها ‍ ‍ ‍ كبياضِها ودُخانُها الأهْدابُ

---

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٢) ساقط من : ا .

(٣) البيت لأبي العلاء المعرى ، وهو في شروح سقط الزند ١٤١/١ .

قال أبو منصور الجَوَالِيقِيّ فى كتاب « المُعرّب »[١] : الفنجان معرّب ، وصوابه فنْجانة ، وفيه نظَر[٢] .

وتشبيه[٣] الدُّخان بالأهْداب[٣] تشبيه بديع .

ومثله فى الحُسْن قولُ الصَّنَوْبَرِىّ[٤] :

مُجَمَّرةٌ طاف بها الغِلْمانُ ... أبدَعَ فى صَنْعتِها الزّمانُ

كأنَّها فيما حكَى العِيانُ ... فوّارةٌ وماؤها دُخانُ

فى بِرْكةٍ حَصْباؤها نِيرانُ ... إذا تبدّتْ حَزِن الرَّيْحانُ

* وسُرَّتِ الجيوبُ والأرْدانُ *

وقلتُ فيها ، من[٥] أرجوزة أيضا :

لِلّهِ ما أحْسنَها من مُجَمّرهْ ... أنفاسُها طَيِّبةٌ مُعَطَّرهْ

كأنَّها وريحُها طُيّابُ ... نَرْجَسةٌ من فوقِها ضَبابُ[٦]

وعلى ذِكْر الأهْداب انْظُر حسنَ قولى ، فى مليحٍ لبس فَرْوة سَمُّور[٧] :

وظَبْيٍ مِن السَّمُّورِ ألْبِس فَرْوَةً ... وماسَ كما هزّتْ صَبًا سُحْرةً سَرْوَا

كأنّ عيونَ الناسِ من دَهْشةٍ به ... تُخَلِّف أهْداباً فتحسَبُها فَرْوَا[٨]

ولشيخنا العِنايَاتِىّ ، من قصيدة :

قَهْوةٌ لا صُداعَ فيها نَعَمْ فيـ ... ـها مُزِيلٌ مِن الصُّداعِ مُرِيحٌ

---

(١) المعرب ، للجواليقى ٢٤٩ ، ونصه : « والفنجانة والجمع فناجين : فارسى معرب ، ولا يقال فنجان ولا إنجان » .

(٢) انظر شفاء الغليل ١٦٧ .

(٣) فى ا : « الأهداب بالدخان » .

(٤) سقطت الأبيات الثلاثة الآتية من : ا .

(٥) فى ا ، ب ، ج : « فى » .

(٦) الطياب : الطيب جدا .

(٧) السمور : دابة يتخذ من جلدها فراء مثمنة . القاموس (س م ر) . والبيتان فى السلافة ٤٢٥ .

(٨) فى ا ، ب ، والسلافة : « وإلا عيون الناس » ، وفى ج : « وولى عيون الناس » .

صِينَ فى الصِّينِ مِسْكُهـا فحكاها لَعَسٌ فى بياضِ ثغرٍ يلُوحُ [١]

ليلُ وصْــل فى صُبْحِ لُقْيَا حبيبٍ طاب منها غَبُوقُهـــا والصَّبوحُ

وللأستاذ محمد البَكْرِىّ ، [٢] أو لمحمد مامَاى المعروف بالرُّومِىّ [٢] :

أنا المعشوقةُ السَّمْــرَا وأُجْــلَى فى الفنَاجين

وعــودُ الهِنْدِ لى طِيبٌ وذِكْرِى شاعَ فى الصِّينِ

وكتب جمال الدين للقطب المكِّىّ ، يهنِّيه بشهر رمضان :

ياشيخَ أهــل العلمِ فى أمِّ القُرَى رمضانُ هَلَّ ببَهْجةٍ لم تُوصَفِ

فَتَهَنَّ وحــدَكَ إن ذاتَك أصبحتْ هى أشرفٌ فى أشْرفٍ فى أشْرفِ

فأجاب ، وأجاد ، وأجاز :

ياواحـــــدَ الفُضلاءِ أنتَ جمالُنا فَتَهَنَّ بالشهرِ الشريفِ الأشْرفِ

شِعْرٌ بِشِعْرٍ لا رِبًا فيــــه وإن زاد العِيارُ فوزْنُ هـــذا الأشْرَفِى

الأشْرَفِىّ فى العُرْف بمعنى الدِّينـار ، نسبـةً للملك الأشْرف ، وتوحيـده جرَّتْه القافيةُ .

ولابن القَيِّم [٣] ، وقد مدح مَن أجابه ، وأجازه :

ولمـــا مدحت الهِبْرِزِىّ بنَ أحمدٍ أجاز وكافَأنى على المدْح بالمدْحِ [٤]

فعوَّضَنِي شِعْراً بِشِعْرٍ وزادنى عطاءً فهــذا رأسُ مالِي وذا رِبْحِي

(١) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة .

(٢) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٣) فى ج : « ولابن القمر » ، وفى م : « ولابن القـاسم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وهو على بن عياد الإسكندرى ، كان شاعر الوزير أحمد بن الأفضل الجمالى ، قتله الحافظ عبد المجيد بن محمد الفاطمى ضربا ، وهو شاب ، سنة ست وعشرين وخمسمائة ، خريدة القصر ، قسم مصر ٢ / ٤٣ .

(٤) الهبرزى : الأسد ، والأسوار من أساورة الفرس ، وهو يعنى الآمر بأحكام الله منصور بن أحمد الفـاطمى ، ولد سنة تسعين وأربعمائة ، واستخلف وله خمس سنين وقتل سنة أربع وعشرين وخمسمائة النجوم الزاهرة ٥ / ١٧٠ ــ ٢٣٥ .

لفظتُ ملوكَ الأرضِ حتى لقيتُه فكنتُ كمَن شقَّ الظلامَ إلى الصُّبحِ

وهذا من قول ابن سِنان الخفاجيّ [١] :

طوَيتُ إليك الباخلينَ كأنَّنى سرَيْتُ إلى شمسِ الضُّحَى فى الغَياهِبِ

ومما يشبه هذا قولُ البَبَّغاء [٢] :

زمنُ الوردِ أشرفُ الأزمانِ وأوانُ الرَّبيعِ خيرُ أوانِ [٣]

أدركَ النَّرجِسُ الجنيُّ وفُزْنا منهما بالخدودِ والأجْفانِ

أشْرفُ الزَّهْرِ زارَ فى أشْرفِ الدَّهْـ ـرِ فصِلْ فيه أشرفَ الخلاَّنِ [٤]

ومدح البُحْتُرِىّ طاهرَ بن إسماعيل الهاشميّ ، فبعث له بدنانير ، وكتب معها [٥] :

لو يكون الحِباء حسْبَ الذى أنْـ ـتَ لدينا له مَحَلٌّ وأهلُ

لَحَبيتَ اللُّجَينَ والدُّرَّ واليا قوتَ حَثْواً وكان ذاك يَقِلُّ [٦]

والشَّريفُ الظريفُ يسمحُ بالعُذْ رِ إذا قصَّر الصديقُ المُقِلُّ [٧] .

فردَّها ، وكتب إليه :

بأبِى أنتَ أنتَ للبرِّ أهلُ والمساعى بَعْدٌ وسَعْيُك قَبْلُ

والنَّوالُ القليلُ يكثُر إن شا ءَ مُرجِّيك والكثيرُ يقِلُّ

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى ، صاحب « سر الفصاحة » شاعر ، أديب، تولى قلعة عزاز ، من أعمال حلب ، ومات بها مسموما ، سنة ست وستين وأربعمائة ، فوات الوفيات ١/٢٣٣ ، النجوم الزاهرة ٥/٩٦ .

(٢) أبو الفرج عبد الواحد بن نصر ، والأبيات فى يتيمة الدهر ١/٢٨٠ .

(٣) فى يتيمة الدهر : « أظرف الأزمان » .

(٤) فى يتيمة الدهر : « أشرف الإخوان » .

(٥) القصة والأبيات فى ديوان البحترى ٣/١٦٦٦ ، ١٦٦٧ .

(٦) فى م ، ج : « لحثيت اللجين » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والديوان ، وفى ا : « حبوا وكان » ، والمثبت فى سائر الأصول ، والديوان .

(٧) البيت ساقط من : ا .

غـير أنّى رَدَدتُ بِرَّكَ إذْ كا ن رِباً منك والرِّبا لا يحِلُّ (١)
وإذا ماجزَيْتَ شعراً بِشعْرٍ يبلُغُ الحقُّ والدنانيرُ فَضْلُ (٢)

ومثله قول أبى القاسم الدّاوُدِىّ :

ربمـــا قصَّر الصديقُ المُقِلُّ عن حقوقٍ بهنَّ لا يستقِلُّ
ولئن قلَّ نائلٌ فصَفاهُ فى وِدادٍ ونيَّـــةٍ لا يقِلُّ
أرْخِ سِتْراً على حَقارةِ برِّى هَتْكُ برِّ الصـديقِ ليس يحِلُّ

ولْنورد (٣) هنا رِباَ الشعر ، وماقيل فيه ؛ فإن الحديث شُجون .

وقد قال الصَّنَوْبَرِىّ :

استُ أستحسنُ الرِّبَا فى سوى الْ وُدِّ فأجْزِى مثْلاً بمثلٍ وأُضْعِفْ (٤)

ولما هنَّأ الشعراء ابنَ طاهر بولاية خُرَاسان وأنشده تمَّام بنُ أبى تمام (٥) :

هنَّاكَ ربُّ العرشِ هنَّا كا مامِن جزيلِ المُلْكِ أعطا كا
قرّتْ بمـا أُعطِيتَ ياذا الحِجاَ والْباسِ والإنْعـــامِ عيْنا كاَ
أشْرقتِ الأرْضُ بمـــا نِلْتَه وأوْرقَ العـــودُ بجَدْوا كاَ

استضعف الحاضرون شعرَه ، وقالوا : ما أبعدَ (٦) مابينه وبين أبيه .

---

(١) فى ا : « أردت برك » ، وفى م : « وددت برك » .
(٢) رواية الديوان :
وَإذَا مَا جَزَيْتَ بالشِّعْرِ شِعْرًا يَبْلُغُ الْحَقّ فالدَّنَانيرُ فَضْـلُ
وبعد هذا فى الديوان : « قال : فأضعفها إلى ، وردها إلى » .
(٣) فى ا : « ولنذكر » . (٤) فى ا : « فى شىء سوى » .
(٥) القصة والشعر فى زهر الآداب ١/٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ويعنى بابن طـاهر ، طـاهراً بن عبد الله ابن طاهر .
(٦) فى زهر الآداب : « يا بعد » .

فأجابه بعضهم بقوله [١] :

حيَّاكَ ربُّ الناسِ حيًّا كَا   إنَّ الذى أمَّلْتَ أخطا كَا
مدحْتَ خِــــدْناً متهما ماله   ولو رأى مَدْحاً لواسا كَا [٢]
فهاكَ إن شئْتَ بهــا مِدْحةً   مثلَ الذى أعْطَيْتَ أعْطا كَا

فقال : أعزَّ الله الأميرَ ، الشِّعْر بالشِّعر رِباً ، فاجعل بينهما مِنَحاً من [٣] الدراهم ؛ حتى يَحِلَّ [٤] .

فضحك ، وقال : إن لم يكن معه شعرُ أبيه ، فمعه ظَرْفُه . وأجزل جائزتَه .

وقال السِّراج الورَّاق [٥] :

وعوَّضَنِى على شِعْرى بِشِعْرٍ   وجازَى بالمُحال على المُحالِ [٦]
ولستُ ألومُـــــه فيما أتاهُ   لِعادتِهِ قديماً بالبِـدالِ

وكتب دِعْبِل لأبى دُلَف ، وقد انقطع عنه [٧] :

---

(١) الذى فى زهر الآداب أن طاهرا سأل بعض الشعراء أن يجيبه .

(٢) فى زهر الآداب :

فقلْتَ قَوْلًا فيهِ ما زانَهُ   ولو رَأَى مَدْحًا لآسا كَا

(٣) فى زهر الآداب : « صنجا » ، تصحيف .

(٤) فى زهر الآداب بعد هذا زيادة : « لى ولك » .

(٥) هو عمر بن محمد بن حسن ، شاعر مصرى مكثر ، توفى سنة خمس وتسعين وستمائة . فوات الوفيات ٢/١٠٧ – ١١١ ، النجوم الزاهرة ٨/٨٣ .

(٦) هذا البيت والذى يليه سقطا من : ب ، ج . وفى ا : «وجازانى المحال عن المحال » .

(٧) هكذا ذكر الخفاجى أن هذه القصة جرت بين دعبل ، وأبى دلف ، والمصادر الأدبية تختلف فى هذا الأمر اختلافا كبيرا ، فبعضها يذكر أن هذا حدث بين عبدالله بن طاهر وبين دعبل ، وبعضها يذكر أن هذا حدث بين على بن جبلة وأبى دلف. انظر ديوان دعبل ١٧٥ ، ١٧٦ ، ومصادر تخريج الأبيات . والقصة مذكورة فى طبقات الشعراء ١٧١ ، وفيها أن الشعر لعلى بن جبلة العكوك ، وفيها أبيات أبى دلف أيضا .

هجَرْتُك لم أهجُرْك كُفْرانَ نِعْمةٍ … وهل يُرْتَجى نَيْلُ الزِّيادةِ بالكُفْرِ [١]

ولكنني لمَّا أتيتُك زائراً … فأفْرَطْتَ في بِرِّي عجزتُ عن الشكرِ

فإن زدْتني بِرًّا تزايدْتُ جَفْوةً … فلا نَلتقي طولَ الحياة إلى الحشْرِ [٢]

فوجَّه له ألفَ دينار، مع رُقْعةٍ فيها:

ألا رُبَّ ضيفٍ زائرٍ قد بسطتُه … وآثرْتُه قبلَ الضِّيافةِ بالبِشْرِ [٣]

أتاني بترْحيبٍ فما حال بيْنَه … وبين القِرَى والبِشْرِ من نائلٍ نزْرِ [٤]

رأيتُ له فضلاً عليَّ بقصْدِه … إلى أن يراني موضعَ الحمدِ والشكرِ [٥]

فزوَّدْتُه مالاً يقِلُّ بقاؤُه … وزوَّدني حَمْداً يدومُ على الدَّهرِ [٦]

فردَّ دِعْبِل الألفَ، وقال: الشِّعر بالشعر، والبِرُّ رِباً.

ومثل قول دِعْبِل لأبي العلاء المعرِّيّ [٧]:

---

(١) في الديوان وطبقات الشعراء: «هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة».

(٢) في الديوان:

فَإِنْ زِدْتَ فِي بِرِّي تَزَايَدْتُ جَفْوَةً … وَلَم تَلْقَنِي حَتَّى القِيَامَةِ وَالْحَشْرِ

وفي طبقات الشعراء: «تزيدت جفوة»، ورواية نثر النظم ٥٩ توافق رواية الريحانة، وفيه: «فما نلتقي».

(٣) في طبقات الشعراء: «ضيف طارق ... وآنسته قبل الضيافة».

(٤) في طبقات الشعراء:

أَتَانِي يُرَجِّينِي فَمَا حَالَ دُونَهُ … وَدُونَ الْقِرَى وَالْعُرْفِ مِنْ نَائِلٍ سِتْرِي

(٥) مكان هذا في طبقات الشعراء:

فَلَمْ أَعْدُ أَنْ أَدْنَيْتُهُ وَابْتَدَأْتُهُ … بِبِشْرٍ وَإِكْرَامٍ وَبِرٍّ عَلَى بِرِّ

(٦) في طبقات الشعراء:

وَزَوَّدْتُهُ مَالًا يُرَجَّى نَفَادُهُ … وَزَوَّدَنِي مَدْحاً يُقِيمُ على الدَّهْرِ

(٧) شرح التنوير على سقط الزند ١/٤٠، وشروح سقط الزند ١/١٢٠.

لو اخْتصَرتُمْ مِن الإحْسانِ زُرْتُكمُ ... فالعَذْبُ يُهْجَرُ للإفْراطِ فى الخَصَرِ (١)

وكنت كتبتُ لبعض الناس شعْراً فأجاب عنه بشعْرٍ فكتبتُ له :

فدَيتُكَ قد بعثْتُ الشِّعرَ دُرًّا ... نفيساً عِقْدُه مِنَنُ الرِّقابِ

فجئْتَ بمثْله مِن غير وَزْنٍ ... يُعَفِّرُ فى الوُجوهِ ولا يُحابِى

عملْتَ بسُنَّةِ المختارِ لمَّا ... منَنْتَ به سريعاً فى جوابِى

وقلتَ بلا رِياً وفَّيْتُ مَدْحاً ... بمَدحٍ منك صرْتَ به تُرابِى

☆☆☆

---

(١) فى التنوير والشروح الأخرى : « والعذب يهجر » .

٦٤

أخوه على العِصامىّ *

كعبة المعالى ، ومَن به حالُ الـكمالِ حالِى .

لا عيبَ فيه إلا أن لفظَه عطَّل الياقوتَ والدُّرّ ، ولا عيْبَ فى نَداه إلا أنه يستعبِد كلَّ حُرّ .

فهو غُرّةُ الجمال ، وصورةُ الـكمال .

إذا نطق فما الروضُ زارَه الحيَا ، وإذا تهلَّل فما النهر حيَّاه بَرْقُ السَّما .

ولعَمْرِى إن جَدّه ، أسْعَد الله بجَمْع شمْلِ الفضائِل جَدَّه .

نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عِصـاماً وعلَّمتْه الـكَرَّ والإقْداماً [١]

وهذا الحفيد عِقْدُ المناصِب به نَضِيد .

لم يفتخرْ بآبائِه ، ولم يبْتهِج بنضارةِ أصْلِه ونمائِه ، لمَّا اعْتصَم بعُرْوَةِ الفضْلِ الوُثْقَى ، وصعَد إلى رَبْوةِ المجد وترقَّى ، وقال أنا عِصامِىٌّ لا عِظَامِى ، وإن كنتُ لذِمار مآثِرى حامِى .

فألَّف وصنَّف ، ونوَّع قِرَى الأسْماعِ وأتْحَف .

(*) على بن إسماعيل صدر الدين بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الإسفرايني ، الشافعى ، العصامى.
تولى قضاء الشافعية بمكة .
وله حاشية على « شرح الاستعارات » لجده العصام .
توفى بمكة ، سنة سبع بعد الألف .
خبايا الزوايا لوحة ٩٠ ب ، خلاصة الأثر ٣/ ١٤٧ .

(١) البيت للنابغة الذبيانى ، وعصام هو : عصام بن شهبر الجرمى ، حاجب النعمان . انظر الأغانى ١١/ ١٢ .

وأفاد الطُّلَّاب ، وحلّ بأسْنان قلمه عُقَدَ المُشْـكلات الصِّعاب .

وأقام فى جوار بيتِ الله وحِمَاه ، معتزِلًا عن الناس ولا بِدْع أن يعْتزِل جار الله .

وكان ممّن وَرِىَ به زِنَادِى ، ورَوِىَ من وِرْدِه فؤادى .

وسُعِّرتْ بالاسْتفادة منه[1] نارِى ، وفُكّ من[2] رِبقَة الجهل بفضْلِه إسَارِى .

ولم يزل يُرسل إلىّ وُفودَ أخْباره ، ويُهدِى نسيم نجْدٍ إلى نفَحاتِ آثاره .

إلى أن صُمّ الخبر ، وعمِىَ قائدُ الأثر .

وبينى وبينه مُـــكاتبات .

منها ، ما كتبتُه إليه مع سَمَك :

مولاىَ أطال اللهُ بقَاك ، ورفعك على هام السِّماك .

أُنْهِى إليك ، ناثِراً للآلِئ المَعْذِرة بين يديْك ، أنى زرتُ البحرَ أخاك ، ويدُ الرجاء مُدّت لمّا بُهِتتْ عيونُ الشِّباك .

فأهدَى إلىّ من المسَرّة ، ما كدتُ معه أصْطادُ حوت السِّماك بشِباك المجرّة .

وأرسَـلَ لزيارتى أمواجَـه ، فأنسـانى الدهرَ وخَطْبَه فلا أدْرِى أأعْرَض عنِّى أمْ وَاجَه .

وأهْدَى إلىّ حِيتانًا كأنّها خناجِر ، قطعتْ من الجوع الغَلاصِم[3] والخناصِر .

فصيَّر جِيدَ أمالى حاليا ، وأذْكرنى وما كنت نَاسِيا ، بحرَ عَطاياك[4] وهو أكْبر ، ولـكنّ الشىءَ بالشىءِ يُذْكَر .

---

(٢) ساقط من : م ، وهو فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى م : « عن » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وانظر بقية المعانى فى القاموس (غ ل ص م) .

(٤) فى ج ، : «عطائك » .

فأرسلتُ وإن كنتُ كمَنَ أهْدَى للجِنان غَضَّ الزَّهَر ، وأرسل الشَّمع للشمسِ والتَّمر لهَجَر :

أرسلتُ أشماكاً إلى مَن مجْدُه حلَّ الفلكْ
أرأيتَ قبْلى مُهْدِياً أهْدَى إلى البحرِ السَّمكْ

وذكر مرّةً فى درسه قولَ الرئيس ابن سِينا فى بعض كتبه حديث : إنَّ الحِكْمةَ لَتنْزِلُ مِنَ السَّماءِ فلا تَدْخُلُ قَلْباً فِيهِ هَمُّ الْغَدِ .

فقلتُ : إنه لم يُسْنِده ، وهو بكلام النُّبوَّة أشْبَه .

وقد نظمْتُه ، فقلتُ[1] .

مَن يَتْركِ الدُّنيا يسُدْ أهْلَها ويقْتَطِفْ زَهْرَتَها بالْيَدِ[2]
لا تسكنُ التَّقْوَى ولا حِكْمةٌ منْزِلَ قلبٍ فيه هَمُّ الْغَدِ

وللإمام الشَّافِعىّ[3] رضى الله عنه قريبٌ منه :

كم ضاحكٍ والمنايا فوق هامتِه لوْ كان يعلم غَيْباً مات مِن كَمَدِ
مَن كان لم يُؤْتَ عِلْماً فى بقاءِ غدٍ ماذا تفكُّرُه فى رِزْقِ بعد غدِ

---

(١) خلاصة الأثر ٣/١٤٨ .
(٢) فى ا ، ب : « يفد أهلها » ، والمثبت فى ج ، م ، وخلاصة الأثر .
(٣) خلاصه الأثر ٣/١٤٨ .

٦٥

أحمد المدنيّ ، المعروف باليُتَيْم ، مصغَّرا

دُرٌّ في حِقاقِ الدهر يَتيم ، ودَوْحة أدبٍ هزّها مُرورُ النسيم .

بعذْبِ طبعٍ مُسَلْسَل ، وبُرْدِ فصاحةٍ على الشِّعر مُهَلْهَل ، إذا نَسَج حُللَه على مِنْوَالها فهو من الطِّراز الأوَّل .

فهو توْءَم نسيم السَّحَر ، وشقيقُ الماءِ والزَّهر .

وربيبُ الحسن سَقاهُ ماءُ الصِّبا ، وخِدْنُ الخمائل قدِمَ عليها رسولُ الصَّبا .

مع خلاعةٍ ومُجون ، وحديثِ صَبابةٍ كلها شجُون .

في فتيةٍ ينظِمُهم الطَّرَب ، نظماً يرْقُص له الحَبَب :

لا يُجْمِعون على غير الحرام إذا تجمَّعُوا كحَبابِ الرَّاحِ وانتَظَمُوا

فمن دُرِّه اليتيم ، وعِقْده النَّظيم :

لِلّهِ مُحْكَم قهوةٍ تُجْلَى لنا في أبْيَضِ الصِّينيِّ طاب شَرابُها

فكأنما هي مُقْلَةٌ مكْحولةٌ ودُخانُها مِن فوقِها أهْدابُها

ونحوه ماقلتهُ :

زرتُ روضَ الحمى الأريض سُحَيْراً إذْ دعانِي إليه سَجْعُ الطُّيورِ

وكأن الشَّقيقَ تحت ضَبابٍ مِجْمَرٌ فوقه بُخارُ البَخُورِ

وقد مرَّ قريبا نحوُه(١) .

⁂

(١) انظر صفحة ٤١٨ .

٦٦

سراج الدين بن عمر الأشْهل المدَنىّ

سِراجٌ وهّاجٌ أشرقتْ منه أنوارُ الفصاحة ، وانجلَتْ أبكارُ أفكارِه فى حُلَل الملاحة .

حديقةُ سِحْر ، وحُقَّةُ شِحْر [١] .

تَقْطُر منه مِياهُ اللُّطفِ الجارية ، وتجْرِى برِقَّة الحجاز وظَرْف العِراق وجَزالة البادية .

ولم يزلْ مقيما بجوار الرَّسول عليه أشرفُ تحيَّة ، حتى أطفأ سِراجَه صَرْصَرُ المنيَّة .

فمن شعره قوله :

أرسلتُ رُسْلِى لقهوةٍ سَحَرًا ... فما أتَوْا سُرْعةً من الكَسَلِ

فقيل صِفْها فقلتُ مُقتَبِساً ... جاءتْ على فتْرةٍ من الرُّسُلِ

وله أيضا :

ماالحالُ قالوا صِفْ لنا ... فلعلّ مابِكَ أن يُزَاحْ

فأجبتُ مايَخْفَاكُمُ ... حالُ السِّراجِ مع الرياحْ

وقد سبقَه لمثْله [٢] ، فى كثيرٍ من شعرِه السِّراجُ الورَّاقُ .

فمن محاسنه قوله [٣] :

بُنَىَّ اقتدَى بالكتابِ العزيزِ ... فزدتُ سُروراً وزاد ابْتِهاجاَ [٤]

---

(١) إشارة إلى العنبر الشحرى ، المنسوب إلى الشحر ، وهو صقع على ساحل بحر الهند . انظر معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

(٢) ساقط من : ا .

(٣) البيتان فى فوات الوفيات ٢/١٠٨ .

(٤) عجز هذا البيت فى الفوات : « وراح ابرى سعيا وراجا » .

فما قال لى أُفٍّ فى عُمْــرِه ... لِـكَونى أباً ولـكَونِى سِراجَا[(١)]

وله أيضا[(٢)] :

إلٰهِىَ قد جاوزتُ سَبْعِــينَ حِجَّةً ... فشُـكْراً لنَعْماكَ التى ليس تُـكْفَرُ[(٣)]

وعمِّرتُ فى الإسلام فازْدَدْتُ بَهْجةً ... ونُوراً كذا يبدُو السِّراجُ المُعَمَّرُ

وعمَّ نورُ الشيْبِ رأسِى فسرَّنِى ... وما ساءَنى أن السِّراجَ مُنَوِّرُ

وللسِّراج الورّاق أيضا[(٤)] :

كم قطع الجودُ من لسانٍ ... قلَّد من نَظْمِه النُّحورَا

فها أنا شــاعرٌ سِراجٌ ... فاقْطَـعْ لِسانِى أزِدْكَ نُورَا

وللشعراء المتأخِّرين كثيرُ أشعارٍ ، تتعلَّق بأسمائهم ، وقد نحوتُ نحوَهم لمَّا قلتُ :

قالوا نَراكَ سقطْتَ من رُتَبٍ ... أترى الزّمانَ بمِثْلِ ذا غَلِطَا

قلتُ الشَّياطينُ اللِّئامُ عَلَوْا ... ولذا الشِّهابُ مِن العُلا سقَطَا

⁂

---

(١) فى فوات الوفيات : « فما قال لى أف مذ كان لى » .

(٢) سقطت هذه الأبيات، للسراج الوراق من : ا ، ب، ج . وهى فى: م ، وفوات الوفيات ٢/١٠٨ .

(٣) فى الفوات : « ستين حجة » .

(٤) سقط هذان البيتان أيضا للسراج الوراق من : ا ،ب، ج ، وهما فى : م ،وفوات الوفيات ٢/١٠٨

٦٧ ، ٦٨

عبد الرحمن ، وعلى ابنا كثير المكّيّان*

أديبان هما فى وجهِ الكمال غُرّة ، وجَوادان سماء كرَمِهما للعافِين ثرّة .

امْتَطيا ظَهْرَ المجد ، ونزلا بطْنَ تِهامةَ وظهْرَ نَجْد .

بهِمّة إذا غزَتْها النّوائب ، كانت عن حَدِّ المُرْهَفات نوائِب .

الْتجآ فى الدولة الحَسَنيّة إلى طِراز الدُّوَل ، وأوَيا لها حيث لا عاصِمَ من طوُفان الُخطوب إلّا ذلك الجبَل .

فأصبحتْ يدُ الجود لأسْباب الغنَى رابِطة ، ونُظِمتْ عقودُ الكرَم فى جِيد أملِهما[1] بلا وَاسِطة ، ففى تلك الأكُفّ بِحارٌ تَغرَق فيها الآمال ، ويرشَح من عرَقِ الخجلِ لها جَبينُ السّحاب الهَطّال .

من كل مَن مسَحَتْ راحةُ إحسانِه ، قذَى الفقرِ عن عَيْنِ زمانِه .

فنادى لسانُ العيان ، قد وضَح الصُّبْح لمن له عَيْنان .

* * *

فمما أنشد لعبد الرحمن قوله :

كِبارُ زمانِنا أضْحَوْا صِغاراً　　وقد غضِب الزمانُ على الكبارِ

كأنّ زمانَنا من قومِ لُوطٍ　　له وَلَعٌ بتقْديمِ الصِّغارِ

(*) ترجمهما الشهاب الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٩٢ ب .

(١) فى ب ، م : « أملها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وفى معناه (١) قول المِعْمار (١) :

أيْرِى مُغْرًى باللّواطِ الذى يقبحُ لا سِيَّما على مثْـــلِهْ
أوقَفَ حالى لا تسَلْ ما جرَى وصرتُ خلْفَ الناسِ من أجْلِهْ (٢)

وقلت :

وزمانٌ فيه الصَّغـــيرُ يُقدَّمْ أتُراهُ لذلك الذَّنْبِ يندَمْ (٣)
لعَن اللهُ قومَ لُوطٍ فهُمْ قدْ علَّموهُ التّقْديمَ حتَّى تقدَّمْ

وقلتُ أيضا ، وهو أحسن مما تقدَّم :

أقول لهذا الدَّهْرِ عَتْباً على م لا تُقدِّمُ مَن قد قدَّمَتْهُ الورَى حقا
فهمٌّ بتقْـــديمِ المُقدَّم توْبةً فـكان الذى قد رامَ تقْديمه عِلقَا

* * *

ومما أنشدته لعلىّ بن كَثير قوله :

صحِبتُ الأنامَ فألفيْتُهمْ وكلٌّ يميل إلى شَهْوتِهْ
وكلٌّ يُريدُ رِضَى نفْسِه ويجلبُ ناراً إلى بُرْمَتِهْ
فلِلَّهِ دَرُّ فَتًى عارفٍ يُدَارِى الزمانَ على فِطْنتِهْ
يُجازِى الصَّديقَ بإحْسانِه ويُبْقِى العدوَّ إلى قُدْرتِهْ
ويلبَسُ للدهرِ أثْوابَهُ ويرقصُ للقِرْدِ فى دَوْلتِهْ

وقوله : « يجلب ناراً إلى بُرْمَته » البرمة : قِدر من حجارة ، بلُغة أهل مكَّة .

---

(١) فى ا ، ب ، ج : «المعمار» ، والمثبت فى م .
وهو : أبو محمد عبدالله بن إسماعيل الأسدى البغدادى ، جلال الدين، كاتب ، شاعر ، أديب، فيلسوف.
توفى بالحلة ، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .
الأعلام ، للزركلى ٤/١٩٨ .
(٢) فى ا : « فلاتسل » .
(٣) فى م : « فيه الصغير تقدم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

هذا المثل كقولهم فى مثل آخر : « كلٌّ يحطِب فى حبْلِه ، ويجرُّ النارَ لِقُرْصِه »[1] أى رغيفه .

وما أحسن [2] قوله أيضا [2] :

ويوم قَرٍّ زاد أرْياحُـــه   يخْمِشُ الأبْدانَ من قَرْصِهاَ[3]

يومٌ تودُّ الشمسُ من بَرْدِهِ   لو جرَّت النـــارَ إلى قُرْصِهاَ

وفى [4] معنى قوله : « ويرقص للقرد » إلخ ، قولُ الأهْوازىّ [5] :

قُلْ لمن لامَ لا تلُمْنِي   كلُّ امْرِئٍ عالمٌ بشَانِهْ

لا ذنْبَ فيما فعلتُ إنى   رقصْتُ للقرْدِ فى زمانِهْ

من كرَمِ النفسِ أن ترَاها   تحتمِل الذُّلَّ فى أوَانِهْ

ولأبى تمَّام [6] :

لابُدَّ يانفسُ مِن سُجودٍ   فى زمَنِ القِرْدِ للقُرودِ

وتقدُّم الصغار داءٌ قديم،ممَّن ابتُلِيَ به الثَّعالِبىُّ ، وقد اشتكاه بقوله ،فى قصيدة له :

لكَ الدُّنيا وما فيهـــا بِلادٌ   تُلاحِظُها بعَيْنَيْك احْتِقارَا[7]

تَـكَبَّر ذا الزَّمانُ على بَنِيـهِ   فعِشْ حتى تُعلِّمـه الصَّغارَا

وصار صِغارُهمْ فيـــه كِباراً   فدُمْ حتى ترَدَّهُمُ صِغارَا

خدمْتُ لك الملوكَ أرُوضُ نفْسِي   لآمنَ تحت خِدْمتِك العَثارَا

ولو كانتْ لنـــا الدُّنْيا جعلْناَ   لك الدُّنيا وما فيهـا نِثارَا

⁂

(١) فى م : « إلى قرصه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى م : « قول الآخر » ، وسقطت كلمـة « الآخر » من : ا ، وفى ج : « قوله » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى م : « زاد أرواحه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٤) من هنا إلى نهاية بيت أبى تمام الآتى ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٥) فى الأصول : « الأهوارى » .

(٦) ليس فى ديوانه .

(٧) فى ا ، ب ، ج : « ومن فيها بلاد »

٦٩

محمد بن أبى الخَيْر ابن العلامة ابن حَجَر الهَيْتَمِىّ ، المَكِّىُّ منشأً وموطنا*

بليغٌ عَذْب البَيان ، نجيبٌ سَبْطُ البَنان ، طويلُ النِّجاد وسيف اللِّسان .
رأيتُه وأنا بالحِجاز ، وليس بينه وبين الكمال حِجاز .
وأنشدنى له شعراً من خَيْر الأمُور ، وقد يقع مايجلُو طَيْفَ السُّرور .
إلا أنَّ أكثرَه فى الأهاجِى ، ومنه ماهو فى المُعَمَّياتِ والأحاجِى .
فمّا أنشدنى له قوله :

يا ذَا الذى مِن خالِه حَبَّــةٌ ... سَوْداء فى الخدِّ الشَّديدِ الصَّفَا[1]
دَعْنِى أُقَبِّلْها تُزِيلُ الضَّنَى ... فالحَبَّةُ السَّوداء فيهـا الشِّفَا

وله فى مليح اسمه علىّ :

لِعَـلِىّ مَحاسِنٌ ... مالهـا قَطُّ مُشْبِهُ
وبِشَامَاتِ خَـدِّه ... كَرَّم اللهُ وَجْهَهُ[2]

والدعاء بـ « كرَّم الله وجهه » مختَصٌّ بالإمام علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه[3] فى لِسان الناس ؛ لأنه أسلَمَ صبِيًّا ، ولم يسجُد لغير الله ، وقد روَى الشِّيعة فيه أثراً ، وهو أن أُمَّه ، رضى الله عنه ، وهى حامل به ، كانت إذا جاءت لصَنم أحسَّت بتحْويلِ وجهِه عنه[4] فى بطنها .

ولم نَرَ فيه نقْلاً لغيرهم . انتهى .

❋

(*) ترجمه الشهاب الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ٩٣ ب ، وفى ا ، ب : « موطنا ومنشا » ، وفى ج : « مولدا ومنشأ » .
(١) فى م : « فى خاله » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٢) فى م : « ولشامات خده » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .
(٣) بعد هذا فى ا زيادة : « وكرم الله وجهه » .
(٤) ساقط من : ا .

٧٠

العلامة شِهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِىّ *

نزيلُ مكّة ، شرّفها الله

علامة الدّهر خصوصا الحِجاز ، فإذا نُشِرتْ حُلَل الفضل فهو طِراز الطِّراز .

فكم حجّتْ وفودُ الفُضلاءِ لكَعْبتِه ، وتوجَّهتْ وُجوهُ الطَّلَب إلى قِبْلتِه .

إن حدّث عن الفقْهِ والحديث ، لم تتقرّط الآذانُ بمثل أخباره فى القديم والحديث .

فهو العَلْياء والسَّنَد ، ومن تَفُكُّ سِهامُ أفكارِه الزَّرَد .

تآليفُه غُرَرٌ مُنِيرات ، أضاءتْ فى وُجوه دُهْمِ المشكلات .

(١ فكم أغْنَى بتُحَف أفكارِه (٢) مُحْتاجا ، وأوضح للإرْشاد مِنْهاجا ١) .

(*) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حجر ، الهيتمى ، السعدى ، الأنصارى .
ولد سنة تسع وتسعمائة ، فى محلة أبى الهيثم ، من إقليم الغربية ، بمصر .
ودرس بالجامع الأحمدى ، بطنطا ، وبالجامع الأزهر ، بالقاهرة .
وأذن له بالإفتاء والتدريس ، وعمره دون العشرين .
برع فى علوم كثيرة ، من التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلوم العربية ، والتصوف .
وحج ثلاث مرات ، وفى الأخيرة أقام بمكة بعياله ، يدرس ، ويفتى ، ويؤلف ؛ حتى توفى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ٩٥ ب ، وفيها أنه والد المار ، ديوان الإسلام لوحة ١٣٤ ا ، شذرات الذهب ٨/ ٣٧٠ ، النور السافر ٢٨٧ .

(١) ساقط من : ا ، ب .

(٢) فى ج : « جواهره » .

(١ وكفَّ المُبْتدِعة « بالصَّواعِقِ »[٢] و « الزَّواجر » [٣] ، وفاق بأقوالِهِ المعتَمَدة الأوَّلَ والآخِر ١) .

وَلُود اللَّيالى عن مثلِه عَقيم ، ودِرْياق نفَثات طبعِه السَّليم شِفاء كلِّ سَقيم .

نُشِرتْ على الدنيا خِلَعُ الفرَح ، وتزيَّنتْ ببديع صفاتِه المِدَح .

أقلامُ فتَاواه مفاتيحُ ما أُرْتِج مِن المسائل المُشْكلة ، والعلمُ بابٌ مُقْفَلٌ[٤] مفتاحُه[٥] المسألة .

وهو مِن أجلِّ مشايخِ والدى ، الذى ورِثْتُ من (٦ علمِه طَريفى ٦) وتالدِى .

رحمه الله تعالى .

٭٭٭

(١) زيادة من : ج على ما فى سائر الأصول .

(٢) يشير إلى كتابه : « الصواعق المحرقة ، على أهل البدع والضلال والزندقة » .

(٣) يشير إلى كتابه : « الزواجر عن اقتراف الكبائر » .

(٤) فى م : « مغلق » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٥) فى ا : « مفاتيحه » .

(٦) فى م : « علومه طارف » ، والمثبت فى : ا ، ب ج .

٧١

علاء الدين بن عبد الباقى *

صاحب كتاب « الطِّراز المنْقوش ، فى محاسِن الحبوش » .

رأيتُه فرأيت منه عَذْبَ بيانٍ بديع ، فى صورة أديبٍ خليع .

ورأيت كتابَه هـذا وهو فى وجْهِ أدبِه شامَـة ، وعَيْناً فى مُحيًّا عمرِه نظَر به الدهرَ وشامَه .

وله ربيعُ أدبٍ وَرِيق ، وسُلافة خَلاعةٍ نَقْلُها قُبَلٌ وَرِيق .

وأنشدنى من شعره ، طرَفاً لم يتعطَّر كتابى بنَشْره .

وكتاب ابن الجَوْزِى فى معناه ، فاح من مِسْك مِدادِه عَرْفُ طِيبِه وشَذاه :

مُصوَّرٌ مِن حَـــدَقِ الحِسانِ   مُركَّبٌ من مُلَحِ الخِيلانِ
كأنَّه فى ناظرِ الزَّمانِ   إنسانُ عينِ الحسنِ والإحسانِ

⁂

(*) ترجمه الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٩٦ ا . وذكر حاجى خليفة ، فى كشف الظنون ٢ /١١٠٩ ، كما ذكر كتابه ، فقال : « الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش ، لأبى المعالى علاء الدين محمد ابن عبد الباقى البخارى المكى ، ألفه سنة ٩٩١ هـ » .

٧٢

القاضى حسين المالِكِىّ المَكِّىّ *

سماء سحائبِ الكرَم ، وصائدُ قَنَص المعالِي فى حِمَى الحرَم .

إذا نُشِرتْ صحفُ نَداه طُوِىَ ذكْرُ حاتمِ طَىّ ، أو رُفِعتْ راياتُ عُلاه فليس غيرُ السُّؤددِ فَىّ (١) .

أو ذُكِر الكرامُ فهم له خدَم ، أو أينعتْ رياضٌ مُحَبَّرة دارتْ أنهارُ جودِه حولَها خدم .

ذو هِمَّة نظَمتْ راحتُها عِقْدَ الكرام ، وبدَّدتْ ماتجمَّعَ من خُطوب الأيام .

بطبعٍ ألذَّ من محادثةِ الحبيب ، وأعذبَ من مُفاكهةِ الصديق الأريب .

وغُرَّةٍ أشهرَ من مثَل ، وعن الملوك فلا تسَل .

شريفُ النَّسب ، سَرِىُّ الحسَب .

إذا أخصبَتْ بماء النَّدى عذَباتُه الخُضْر ، أجدبَتْ ساحتُه من الحُمْرِ والصُّفْر .

إن قال ياعَنْبَرُ جاء الشَّذا أو قال يا ياقوتُ جاء الذَّهبْ (٢)

يُشرِقُ نورُ النُّبوَّة من بارِق أسِرَّته ، وتطلع بدورُ الهدى من هالةِ أسرَّته .

ثم لم تزل السُّعود فى خِدْمتِه قائمة ، وعيونُ النوائبِ عن معاليه نائمة .

(*) ترجمه الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٩٦ ا ، ونعته : « قاضى القضاة » .

(١) يريد « الفئ » ، وهو الغنيمة .

(٢) فى ا ، ج : « إن قال يا عنبر جاء الندى » ، وفى ب : « جاء الغدا » .

راقياً من مطالِع الكمال أوْجها [١]، بمُحَيًّا يفيضُ سَناً من بُدور التِّمِّ أوْجَهَا .

إلى أن تولَّى قضاءَ طَيْبَةَ الطَّيِّبة [٢] ، وأمستْ خِيامُ سَعْدِهِ على هامِ الفلَكِ مُطنِّبة .

فبَدا مِحَاقُ بدرِه ، وخُتِمتْ بيد القضاء صُحفُ عُمْرِه .

ويقال : إنه هبَّتْ عليه شَعوبُ بعواصفِ السَّموم ، وجرَّعه ساقى أجلِه كأسَ السُّموم .

وكان فى شَرْخ شبيبتِه ، وإقْبال رايةِ طليعتِه ، فى خُمولٍ يُرِى الدهرَ الصَّبرَ كيف يكون ، ويعِزُّ والُخطوب عليه تَهُون .

هِمَمُ الفتى فى الأرضِ أغْصانُ الغِنَى أبداً وليستْ كلَّ حينٍ تُورِقُ

⁂

(١) الأوج : العلو .

(٢) ساقط من: ا .

٧٣

شيخنا العلامة عليُّ بن جارِ الله المَكّيّ ، الحَنَفيّ ، الخطيب ، مفتي الحرمين الشّريفيْن *

خطيبٌ مِصْقَع ، لفظُه بالفصاحةِ مُوَشًّى مُوشَّع .

إذا انْحدَر من تَلْعتِه ماءُ بلاغتِه ، وسال ببَطْحاء أمِّ القُرَى سَلْسَال براعتِه ، شهد بفضْله الناسُ من فاجرٍ وبَرّ [١] ، وكاد [٢] يخضرُّ تحته أعوادُ كل مِنبر .

فتهتزُّ أعـــــــوادُ المنابرِ باسْمِه فهل ذكرتْ أيّامَها وهْيَ أغْصانُ [٣]

فعطَّر المحافلَ طِيباً ، فلا ندري أضمَّخ طيباً أم ضمَّ خطيباً .

رأيتُه وقـد طعَن في السِّنّ وليس له غـير العصاَ قَناً ، وقد رَقِيَ شرَفَ السَّبعين وهي سُلَّم الفَنا .

وهو ينشرُ في ناديه حِـبَرَ الربيع الأثيث ، وتُرفَع له الفَتـاوَى في عصْرِه وأسانيدُ الحديث .

ووردْتُ مَنْهَـلَ إفادتِه رائقاً، وأخذتُ من إجازاتِه ماصرْتُ به على الأقْرانِ فائقاً.

وهو في مذهب النُّعمان لِشيْخنـا المَقْدِسِيّ [٤] شَقِيق ، وأمُّ القُرَى لم تلدْ مثلَه من نجيبٍ عريق .

⁂

(*) علي بن جار الله بن محمد ، القرشي ، المخزومي ، الظهيري ، الحنفي ، الشهير بابن ظهيرة .
كان المفتي والخطيب بالحرم المكي .
وكان مشتغلا بالعلم ، منصرفا إليه .
ألف وأفاد ، وله ديوان شعر .
وكف بصره في آخر عمره ، توفي سنة عشر بعد الألف ، وقد جاوز التسعين .
خبايا الزوايا لوحة ٩٦ ب ، خلاصة الأثر ٣/١٥٠ .

(١) في ب ، م : « ومن بر » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ا ، ب ، ج زيادة : « أن » .

(٣) تقدم في صفحة ٤٠٠ .

(٤) يعني نور الدين علي بن محمد بن علي الخزرجي المقـدسي ، من أكابر الحنفية في عصره ، وسيترجمه الخفاجي في قسم مصر .

٧٤

على الكيزوانى المغربى*

نزيل مكّة المشرّفة

صُوفىٌّ أقام بمكَّةَ لابساً بُرْدَ التقى ، حتى أحرمَ وتجرّد من لِباس البَقا .

وله شعر على طريقة أرْباب الحقيقة .

كقوله :

رقّ الشرابُ ورَقّتِ الكاساتُ　　وتشابَها فأضاءتِ المِشْكاةُ[1]

اشرَبْ هنِياً إن فهِمْتَ حديثَنا　　أنتَ الكليمُ وذاتُك المِيقاتُ

وهو كقول الصّاحب[2] ابن عبّاد[3] :

رَقّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ　　وتشابَهافتشا كلَ الأمْرُ[4]

فكأنَّما خمرٌ ولا قدحٌ　　وكأنَّما قدحٌ ولا خَمْرُ

* * *

(*) أبو الحسن على بن أحمد بن محمد ، الكيزوانى ، الحموى ، الصوفى .

وهو منسوب إلى كازوا ، فقياس النسبة إليه كازوانى ، لكن اشتهر بالكيزوانى ، وكان يقول : أنا الكى زوانى .

ولد تقريبا سنة ثمان وثمانين وثمانمائة .

وتوجه صحبه الشيخ علوان الحموى إلى بروسا ، من بلاد الروم ، ودخل حلب ، فاجتمع عليه خلق كثير ، ثم دخل دمشق .

توفى بين مكة والطائف ، سنة خمس وخمسين وتسعمائة .

خبايا الزوايا لوحة ١٩٧ ا ، وفيه أنه مريد المقرى ، ديوان الإسلام لوحة ١٧١ ا ، شذرات الذهب ٨/٣٠٧ ، طبقات الشعرانى ٢/١٨٠، وهو فيه : « على الكازرونى».

(١) فى ج ، م : « وراقت الكاسات » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) ساقط من : ا ، ب ، ج .

(٣) ديوانه ١٧٦ .

(٤) فى الديوان : « ورقت الخمر » .

٧٥

معين الدين بن البكّاء *

نزيل مكّة المكرّمة المُعظّمة ، شرّفها الله

نديمٌ دَمِث الأخْلاق ، مُتوشِّحٌ ببرُودٍ لُطفُ حواشِيها رِقاق .

فهو للأدباء صَدْر ، ونادِيه مثلُه واسعُ الصَّدر .

نبتَتْ دوحتُه فى رِياض الحسَب[1] ، فاجْتنَى منها زَهرةَ الحياة وفواكهَ الأدَب .

وله من طِيب الأنفاس ، ماتسكر منه[2] الحُميَّا والكاس ، ممَّا هو أحْلَى من ثمَراتِ الأمانِى غِبَّ مَرارةِ اليَاس .

وهو ممَّن ساجلتُه وأنا للأدبِ مُمتاح[3] ، ونادَمْتُه والعمرُ مُورِقٌ بالمسَرَّة مُثْمِرٌ بالنَّجاح .

ليالِىَ أعطيْتُ البَطالةَ مِقْوَدِى   تَمُرُّ اللَّيالى والشهورُ ولا أدْرِى

(*) معين الدين بن أحمد ، البلخى ، المصرى ، ابن البكاء .
نزيل مكة المشرفة .
أديب فاضل .
قدم من مصر إلى مكة سنة ثمانين وتسعمائة ، صحبة الركب المصرى ، ثم أقام بها فى ظلال بنى حسن، وكانت له خصوصية بالشريف مسعود .
توفى بالمدينة المنورة ، سنة أربعين وألف ، عن سن عالية .
خبايا الزوايا لوحة ١٣٩ ب ، خلاصة الأثر ٤٠٦/٤ ، ديوان الإسلام لوحة ١٢٣ ا .

(١) فى ا : « الأدب » .

(٢) فى م : « به » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) فى ا ، ب ، ج : « مناح » .

وكان بعد ما وقع له بالرُّوم هاجَر ابنى حسن ، وأقام فى ظِلِّهم بمكة مُؤتلِفاً بهم ائتلافَ المُقْلة بالوَسَن .

فأينعتْ زَهْرتُه[١] بعد الذُّبول ، وسقاه صَيِّبُ كرمِهمْ وهبَّتْ له نسماتُ القبول .

فلما تُوُفِّيَ السيدُ مسعود ، تبدَّل بالنَّحْس السُّعود .

فجدَّد[٢] ديباجتَه وارْتحل ، عملا بقولهم : إذا نبَا بك منْزلٌ فتحوَّل .

ولأمْرٍ ما ثَنَى القِرْنُ عِطفَه ، وجدَع قَصِيرٌ أنفَه .

وكانت أيامُه غضَّةً نَضِرة ، تكاد فى عصْرِه تقطُر منها مياهُ المسرَّة .

وكان فى جَمْع المعارف والنَّوادر ممَّن لم يرَ الدهرُ نَظيرَه ، ولم يطِنَّ[٣] على سمعِه حديثٌ كأحاديثِه النَّضيرة .

فهو ذُكاء[٤] الفلك ، وما هو بشَرٌ بل مَلَك .

فمما ترشَّح من قَطَراتِه ، وجرى فى المسامع من عذْبِ كلماتِه ، قوله[٥] :

يا شقيقَ الروح والجسم ويا دَوْحةً بالوُدِّ فضْلاً أثْمرتْ

بحيـــاةِ الوُدِّ إلَّا صُنْتَه لِمُحبٍّ روحُه قد سُعِّرتْ[٦]

كنتُ لا أخْشى حسوداً لا ولا عينَ واشٍ إنْ بسُوءٍ نظرَتْ

وأرى الوُدَّ وهَى بُنْيـــانُه ما كأنَّ العينَ إلا أثَّرتْ

---

(١) فى م : « ثمرته » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٢) فى م : « فجرد » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) طن : صوت . (٤) ذكاء : هو الشمس .

(٥) خلاصة الأثر ٤/٤٠٦ .

(٦) ترتيب هذا البيت فى خلاصة الأثر الرابع ، وهو فيه :

فبحقِّ الوُدِّ إلَّا صُنْتَهُ لحقيرٍ روحُه قد سُعِّرتْ

ومن شعره تذييل لبيت القاضي[1] الفاضل[2] :

تراءتْ ومرآةُ السماء صَقِيلةٌ ... فأثَّر فيها وجهُها صورةَ البدرِ
ولاحتْ عليها حَلْيُها وعُقودُها ... فأثَّر فيها صورةَ الأنْجم الزُّهْرِ

وله أيضا[3] :

حاذِرْ زُوَيْلَةَ أن تمرَّ ببابها ... وطعامَها كُنْ آيسًا من خيْرِه[4]
فمُوسِّط القتْلى يقول بها انظُروا ... مَن لم يمُتْ بالسيفِ مات بغيْرِه

وهو تضمين لقول ابن نُباتة السَّعْدىّ ، من قصيدة[5] :

ومَن لم يمُتْ بالسيف مات بغيرِه ... تعدّدتِ الأسبابُ والداء واحدُ

ومن شعره قوله فى تقْسيم الأيام[6] :

الدهرُ أربعـــةٌ أيامُهُ انحصرتْ ... صَحْوٌ وغَـــيْمٌ وريحٌ ثم أمطارُ
فالصحوُ ظَرْف لإصْلاح المـآربِ إذْ ... تُقْضَى من الصَّيْد يومَ الغيْمِ أوْطارُ[7]
ويومُ ريحٍ لنَوْمٍ لا حَراكَ به ... ويومُ هَطْلِ السَّما للكأسِ مِدْرارُ[8]
واليـومَ قد نُثِرتْ دُرًّا سحائبُه ... على بِساطِ رُبًا يكْسوه أزْهارُ[9]
فبادرِ الـكأسَ يا بدرَ الزمان فمِنْ ... ضِياءِ وجْهِك لا فى الأُفْقِ أقْمارُ

⁂

---

(١) ساقط من : ا ، ب ، وهو فى : ج ، م ، وخلاصة الأثر .
(٢) خلاصة الأثر ٤/٤٠٦ .
(٣) خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ .
(٤) قال المحبي فى شرح هذا البيت : « وزويلة ، بمعجمة ، مصغرة : محـلة بمصر ، كبـاب زويلة ، ووجه تسميتها يعرف من الخطط ، وتواريخ مصر » .
(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥ ، بهذه الرواية ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ ، ضمن أبيات ، وروايته : « والموت واحد » .
(٦) خلاصة الأثر ٤/٤٠٧ .
(٧) فى ا : « فالصحو وقت » ، وفى خلاصة الأثر : « تقضى من الحب » .
(٨) فى خلاصه الأثر : « للـكاس أسرار » .
(٩) فى ا ، ب ، ج : « واليوم قد نثروا » . والمثبت فى : م ، وخلاصة الأثر .

٧٦

العلاَّمة عبد الرحمن الخِيَارِىّ*

نزيل المدينة المنوَّرة(١) ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

فاضلٌ إذا جُمِعت الفضائلُ فهو مُنتهَى الجُموع ، وكاملٌ كمالُه كثَمَر الجنَّة غير(٢) مقْطوع ولا مَمْنوع .

لمَّـا رأى الوقتَ سيفًا لا يقطَعُ إلّا الأعمار ، وأن المرءَ قبل فَوْتِ الفرصـة على أيامِه بالخِيار ، لم يَمْضِ له وقتٌ فى غير العبادة ، ولا ساعةٌ فى غير الاسْتفادة والإفادة .

بوجهٍ أبْلجَ وضَّاح ، يلوح من أُسِرَّته نورُ السَّداد والصَّلاح .

كأنَّ اللهَ جمع له المناقبَ فاختار منها وانتَـقَى ، ورأى أن أحْسنَها وأكرمها التُّقَى .

وآثارُ أقلامه يحسدها الحورُ واللَّمَا ، ويعرق خجلاً منها خدُّ الرَّوْض بالنَّدى .

أبْدى صنيعُك تقْصيرَ الزمانِ ففى ... خدِّ الربيعِ طلوعُ الوردِ من خجلِ

وكان فى زمن الطَّلب ، ومنافسة(٣) إخوانى أُولى الأدب ، صديقَ روحى وشقيقَها ، وريْحانَ مَسرَّتى وشقيقَها .

(*) عبد الرحمن بن على بن موسى الخيارى ، الشافعى .
نزيل المدينة المنورة ، وخطيبها ، ومحدثها ، الإمام الجليل .
أخذ عن علماء مصر ، مثل النور الزيادى ، وأبى بكر الشنوانى ، وأحمـد الغنيمى ، ومحمد الخفاجى وأجازوه ، وشهدوا له بالفضل ، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر .
ثم هاجر إلى المدينة المنورة ، وسكنها سنة تسع وعشرين وألف ، وانتفع به أهلها .
توفى سنة ست وخمسين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .
خلاصة الأثر ٢/٣٦٧ .

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « المكرمة » .

(٢) فى م : « لا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) فى ب ، م : « ومنافثة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وعودُ الزمان خَضِرٌ وَرِيق ، ووجهُ بِشْره بسَّامٌ طَلِيق .

ولما رأى أنّ اللهَ أوصى بالجار ، رحل لطَيْبَةَ الطيِّبة (١) وسكن فى جِوار النبيِّ المختار .

فدخل رَوْضةً من رِياض الجنة فى حياتِه ، وإذا أنعم اللهُ على عبدٍ حَباه بِنعمةٍ لا يسلُبها منه بعد مماتِه .

فكتبتُ له مُتشوِّقا للقائِه ، ومُلتمِساً صالحَ دُعائه (٢) :

يا نسيماً من نحو طَيْبَةَ سارِى ... مُهْدِياً عِطْرَ نَدِّها والعَرارِ

مُزْرِياً نَشْرُه بعنْبرِ شِحْرٍ ... فى حشا جَوْنَةِ الفتَى العطّارِ (٣)

خُذْ فؤادى فذاكَ مِجْمَرُ شوْقٍ ... وغرامٌ بمُضْمَرِ الوجْد وارِى (٤)

مُوقداً فيه عنْبراً من مديحى ... لحبيبِ المُهيْمِنِ المُختارِ (٥)

لمقامٍ بمُقْتضاه بليغٍ ... لا يُوفَّى بلاغةَ الأشْرارِ

وفصيحٍ فصاحةُ اللفْظِ فيه ... زاد حُسْناً بكَثْرةِ التَّكْرارِ (٦)

ولِمَن فى ذُراهُ مِن كلِّ جارٍ ... حاز حِفْظاً لعَيْشِه بالجِوارِ

فهمُ خَزْرجِى وأوْسِى وإن لم ... يُسعِفِ الدهرُ بالمُنَى أنْصارِى

---

(١) ساقط من : ا (٢) خلاصة الأثر ٢/٣٦٨ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « من ربا نشره » ، وتقدم ذكر العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٢٩ .

(٤) و ا : « مجمر شوق » ، ورواية البيت فى خلاصة الأثر نقلا عن الشهاب الخفاجى :

خُذْ فؤادى فذاكَ مَجْمَرُ شوقٍ ... وغرامى بمُضْمَرِ الوجدِ دارِى

و « دارى » فى هذه الرواية نسبة إلى دارا ، وهى بلدة فى لحف جبل ، بين نصيبين وماردين ، يقول ياقوت : « ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تتطيب به الأعراب » معجم البلدان ٢/٥١٦ .

(٥) فى خلاصة الأثر : « موقد فيه » .

(٦) ساقط من : خلاصة الأثر .

سِيَّما صِنْوِيَ الشقيقُ لروحِي ... وهْوَ عبد الرحمن حامى الذِّمارِ (١)

قد تملَّى برَوْضةٍ حــاز فيها ... مُثْمِرَ السَّعدِ مُزهِرَ الأنْوارِ (٢)

باع دنيا دنَتْ بأخرى تسامَتْ ... فغدا فى مَبِيعه بالخِيــارِ

فمســاه يُمْنٌ لى بدعاءٍ ... مُستَجابٍ فى ليــلِه والنهارِ

ليحوز الشِّهابُ أعظمَ سُؤْلٍ ... وأمانٍ من مطْلَعِ الأنْوارِ (٣)

ما ارْتدَى الليلُ من بُرود الدَّياجى ... حُلَّةً طُرِّزتْ من الأسْحارِ (٤)

فأجاب سقى الله ثراه :

بعدَ إهْدا أَسْنَى السلام السَّارِى ... من رُبا طَيْبةٍ أجلِّ الدِّيارِ (٥)

فائقاً طِيبُه شـذا كلِّ مسكٍ ... فاتقاً نُورُه دُجَى الأسحــارِ

لحبيبٍ فى الله خِلٍّ وفىٍّ ... طيِّبِ الأصل ذى الثَّناء السارِى

أحمدُ الفعلِ والشِّهابُ المُرجَّى ... كاشفُ المشكلاتِ كنزُ الفَخارِ

دام فى نعمةٍ وعزٍّ ولُطفٍ ... من إلٰه الورى الـكريمِ البارِى

مُحْيِيًا سُنَّةَ الأُلى سبقوه ... باتِّباع الأُلَى وحسنِ الوقارِ

وصلاةٌ مع السَّـلامِ دَواماً ... للنَّــبىِّ المُمجَّد المختارِ

ولآلٍ وصَحْبِه ما اضْمحلَّتْ ... ظُلَمُ الظلم باجْتِـلا الأنْوارِ (٦)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « الشقيق وروحى » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « مظهر الأنوار » .

(٣) فى م : « من مطلع الأقمار » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) مكان هذا البيت فى خلاصة الأثر :

وصَلاةُ الإلٰهِ فى كلِّ حِينٍ ... لَكَ تُهْدَى يَاسَيِّدَ الأبْرَارِ

(٥) خلاصة الأثر ٢/٣٦٨

(٦) فى خلاصة الأثر : « من ربا طيبة مقام الخيار » .

(٧) فى خلاصة الأثر : « ظلم الظلم لاجتلا الأنوار » .

فإنى أحمَد الله تعالى وأصلِّى وأسلم ، على نبيِّه صلَّى الله عليه وسلم .

وأعرض كثرةَ الأشواق ، وتزايُدَ الوِداد ، الذى لم يغيِّرْه تعاقُبُ المُدَدِ والبِعاد .

ودوامَ الدُّعاءِ المرجوِّ القَبول ، لا سيَّما تِجاه (١ أشرفِ نبيٍّ وأكرمِ ١) رسول .

ووصول مكتوبكم الكريم ، وحصولَ السُّرور بلوامِع مَضْمونه ، وبدائع مكْنُونه .

وقد بلغَنا حسنُ سيرتكم فى المناصب ، ومزيدُ العِفَّة ، فجزاكم الله تعالى خيرا ، وأعانكم وسدَّدكم .

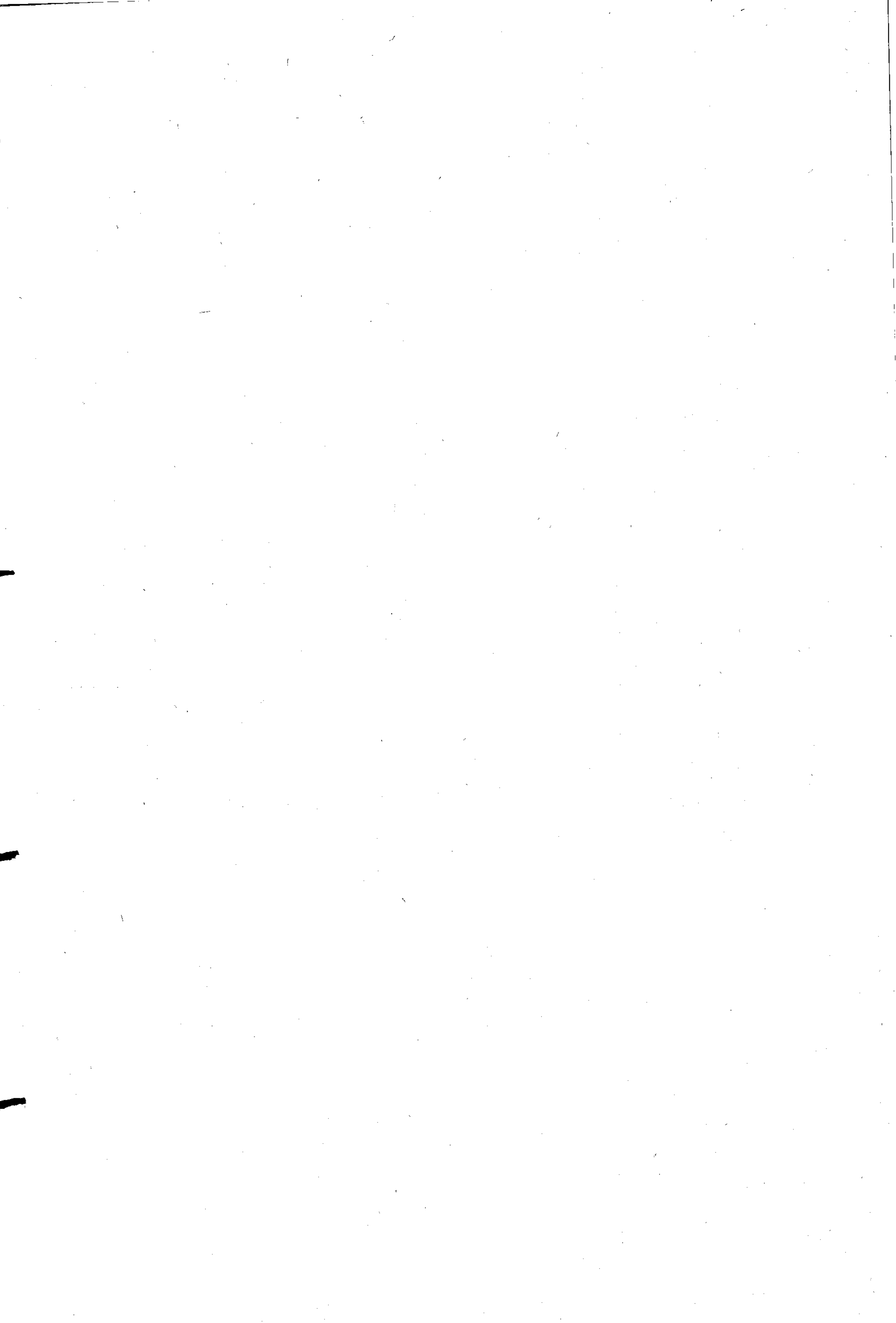
ولا تقطعوا أخبارَكم السَّارَّة ، جمع اللهُ لنا ولكم خَيْرى الدُّنيا والآخرة ، بجاه المصطفى الأمين ، آمين .

---

(١) فى م : « أكرم نبي وأشرف » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

نفحة من نفَحات اليمن ، ومَن بلغنا خبرُه فى هذا الزَّمن

ممن بَقِيَ بها من الفضلاء والشعراء ، وكان قريب العهد



فمنهم ، رحمهم الله تعالى :

٧٧

عبد الله بن شمس الدين بن مُطهَّر اليَمَنيّ*

فرعٌ من ذُوابةِ هاشم ، ونَبْعة من وَشِيج تلك المكارم .

من آل مُطهَّر وهم ملوكٌ مُكرَمون ، ، لا يَمَسّ صحف مجدِهم إلا المطهَّرون ، من حدَث البشريَّة ، ودَنَس الهَيُولَى[1] الدَّنيّة .

مِن كلِّ مَن قضى للعلْياء وَطَرَها ، وتلَى آياتِ المجد وسُوَرَها .

تعبَق منهم أنفاسُ النُّبوَّة ، وتجرُّ على وجه البَسيطة أذيالَ الفتُوّة .

لم[2] تُمْحَ محاسنُهم من صحف الليالى والأيام ، ولا تُثْمِر بمثلها أغصانُ اليَراع والأقلام .

مغارسُ طالتْ فى رُبَا المجدِ فالْتَقتْ على أنبيــاءِ الله والخلفاءِ[3]

إذا حمل الناسُ اللواءَ علامــةً كفاهُم مُثارُ النَّقْعِ كلَّ لِواءِ

حتى أغارت عليهم جيوشُ ابن عثمان فذَوَى ذلك الثمر ، واستفَّت الأيامُ ماءَ حياتِهم فلم يَبْقَ إلا الكَدَر .

فالْتجأ إلى جبلِ كَوْكَبان[4] ، واستظلَّ به من هَجِير حوادثِ الحِدْثان

(*) ترجمه الشهاب الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٩٧ ا .

(١) الهيولى : القطن ، وشبه الأوائل طينة العالم به . انظر القاموس (هـ ى ل) .

(٢) فى م : « ولم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) فى ا ، ب : « طالت من ربى المجد » .

(٤) تقدم التعريف به فى صفحة ٤١٢ .

وهو جبلٌ تضيء فيه قناديلُ النجوم ، وتلتفُّ على هامتِه عصائبُ الغُيوم .
يزاحِم الأفلاكَ بالمناكِب ، وتكاد أن تلتقِط سُكَّانُه لآلئَ الكواكب .

عالٍ كأنَّ الجنَّ مُذ مَرَدَتْ   جعلَتْه مَرقاةً إلى السِّرِّ

وهو الآن تاجٌ على رأس الزَّمن ، وخالٌ تتزيَّن به وَجَناتُ اليمن .
كأنما شمَخ كِبْراً بمُجاورةِ مَن به نزَل ، وصار كبيرَ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّل[1] .

وطَودٍ على ظهرِ الفلاةِ كأنه   طُوالَ اللَّيالى مُطرِقٌ فى العواقبِ[2]
يلوثُ عليه الغيمُ سُودَ عمائمٍ   لها من وَميضِ البرْقِ خُضْرُ ذوائبِ

تحيي به آثارُ آبائِه بعد مماتِها ، ويَرُدُّ روحَ المكارمِ الآمالِ بعد وفاتِها[3]
وفواتِها[4] .

فمما التقطته من بعض السَّيَّارة من أشْعاره ، وأهدَتْه إلىَّ تِجارُ اليمن من تُحَف آثاره ،
قوله من قصيدة مدح بها أخاه عزَّ الدين[5] :

خطرَتْ فقال الغصنُ صَلِّ على النَّبى   وبدَت فقالت للشُّموسِ تحجَّبِى
وسُموطُها دارت على لَبَّاتِها   وزهَتْ فقلنا للنُّجوم تغيَّبِى
لاحتْ لنا كالبدرِ ثم تبرْقعتْ   فرأيتُ بدراً حلَّ قلبَ العقْربِ
وبخدِّها خالٌ أراه عَمَّه   حُسْناً وناسبَه بلونٍ أجنَبِى
فلطَرْفِها عزُّ انكسارِ جفونِها   ولعِطفِها تيهُ المُدِلِّ المُعجَبِ

---

(١) البجاد : ثوب مخطط ، والمزمل : الملفف .
(٢) هذا البيت والذى يليه ساقطان من : ا ، ب ، ج .
(٣) ساقط من : ا ، ب ، ج .   (٤) فى ب : « ومماتها » .
(٥) السيد عزالدين بن دريب بن المطهر بن دريب الحسنى ، كان سريا ، فاضلا ، عارفا بالفقه ، مسعودا ، ميمونا ، رحل إلى صعدة ، وتم له بها فضل ، وعرف بالمعلم ، توفى سنة نيف وستين وألف .
خلاصة الأثر ٣/١١٠ .

ومنها :

مُنِّى علىَّ بزَوْرةٍ أحيَي بها ... فى أُنْسِ قُربك أوْ عِدِينى واكْذِبِى
رِقِّى بعزِّك ياسعادُ لذلَّتِى ... مُنِّى ومَنِّينِى أمانىَ أشْعَبِ
ما أحسنَ الأطْماعَ يُرْجَى نَيلُها ... والصَّبُّ بين مُصدِّقٍ ومكَذِّبِ

ومنها :

ياليتَ شِعْرِى هل أفوزُ بمَطْلبى ... مِن لَثْمِ ذَيَّاكَ الحَدِيْدِ المُذْهَبِ
مَن لى بشمسىِّ الجمالِ مُمنَّعٍ ... ما دونه لِمُحِبِّه من مَذْهَبِ
مُتلوِّنٍ كمَدا مِعى فوُعودُه ... لقَّبْنَنِى بالخائفِ المُترقِّبِ
ياقلبُ مالكَ ما انقلبْتَ عن الهوى ... والقلبُ قد قالوا كثيرُ تقلُّبِ
خَلِّ النَّسيبَ فقد أطلْتَ وَعدِّ عن ... ذكرِ الصَّبابةِ واشتغِلْ بالأنْسَبِ
كَفِّرْ زخارفَ زُورِ لهوٍ بالثَّنا ... وانشُرْ مُلاآتِ الحديثِ الأطيَبِ
بصفاتِ عزِّ الدين والدنيا ومَن ... ما قلتَ فيه من الثَّنا لم تكذبِ
حدِّثْ وقلْ ماشئتَ فى أوصافِهِ الْ ... حسنَى وحَىِّ بكلِّ فنٍّ مُعجِبِ[1]
أسدٌ تخافُ الأُسْدُ ثعلبَ رُمحِه ... وعجِبْتُ من خوفِ الأسودِ لثعلَبِ

قوله : «صل على النبى» المراد به التعجب ، والناس يستعملونه[2] بهذا المعنى كثيرا ، كقول شيخ الشيوخ[3] الأنصارىّ ، بحَماة[3] :

فمن رأى ذلك الوشا ... ح الصَّائمَ صَلَّى على محمد

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « ما شئت من أوصافه » .
(٢) فى ا ، ب ، ج : « تستعمله » .
(٣) فى ا ، ب ، ج : « بحماة الأنصارى » . تقديم وتأخير .

وقال عَرْقَلة[(١)] :

أقبلَ يهــــتزُّ فى غُلالتِهِ مَن ليس يَشفِى لعاشقٍ غُـلَّهْ
فقال كلُّ امرئٍ تأمَّــلَهُ ألفُ صلاةٍ على رسُولِ اللهْ

وقد تابعتُهم ، فقلت فى قصيدة :

ظَبْىٌ على الصَّبِّ حين سلَّمْ صلَّى على المصطفَى وسلَّمْ
مُدْنَفُهُ والدمـوعُ بحرٌ بتُرْبِ أقْدامِــه تيمَّمْ

ومثله قولهم : « الله أكبر » ، كما قال ابن النَّبِيه[(٢)] :

اللهُ أكبر ليس الحسنُ فى العربِ كم تحتَ كُمَّةِ ذا التركىِّ من عَجَبِ[(٣)]

وهو قد اقتدى بعلىّ بن الجَهْم ، فى قصيدة مدح بها بعض الخلفاء[(٤)] :

اللهُ أكبرُ والنبىُّ محمدُ والحقُّ أبْلجُ والخليفةُ جعفرُ

وقد عابه شعراء عصره ؛ حتى قال فيه مَروان[(٥)] يهجوه :

لمَّا وصلتَ إلى الإمامِ عشيَّــةً وكذَبْتَهُ ومــدحْتَهُ بأذانِ

وقال أيضا[(٦)] :

أراد علىٌّ أن يقولَ قصيــــدةً بمَدْحِ أميرِ المؤمنين فأذَّنَا[(٧)]

---

(١) عرقلة ، هو : حسان بن نمير ، الكلبى ، النديم ، أبو الندى ، الأعور . وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أمراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما سير إليــه الأموال بعد ملكه مصر فجأه الموت . فلم ينتفع بفجأة الغنى . توفى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين . فوات الوفيات ١/١١٢ .

(٢) ديوانه ٣٨ . وهو ابتداء قصيدة له فى مدح الملك الأشرف موسى بن أبى بكر بن أيوب .

(٣) الكمة : القلنسوة المدورة .

(٤) ذكر المرزبانى ، فى الموشح ٥٢٧ هذا البيت ، وذكر اعتراض مروان بن أبى الجنوب عليه .

(٥) يعنى ابن أبى الجنوب . (٦) الموشح ٥٢٧ .

(٧) فى الموشح : « أراد ابن جهم » .

فقلتُ له لا تعْجَلَنْ بإقامـــــةٍ فلستُ على طهرٍ فقال كذا أنا [(١)]

والإمام النَّووِىّ [(٢)] ، رحمه الله تعــالى ، صرَّح فى « الأذْكار » [(٣)] بأن الصلاةَ على النبىِّ صلى الله عليــه وسلَّم فى مثـلِه ممنوعةٌ شرعاً ، والوارد فى مثـلِه « سبحان الله » .

وقال الحَلِيمىّ [(٤)] من أئمة الشَّافعيــة : إنه جائز بلا كراهة ، وبيَّنوا وجهَه فى فِقْهِهم .

* * *

﴿ لطيفة ﴾

من غريب التَّمايح ماوقع فى مجلس أبى بــكر بن زُهْر [(٥)] ، من أن بعضَ أدباء الأندلس كان عنــده ، فدخــل فاضلٌ من أهــل خُراسان عليهم ، فأكرمه ابن زُهْر ، وأجلَّه .

فقال الأنْدَلُسِىّ : ماتقولُ فى علماءِ الأندلس وأدبائِهم وشُعرائِهم ؟

---

(١) فى الموشح : « فقال ولا أنا » .

(٢) أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ، من كبار الشافعية ، ومن أعظم مصنفى الفقه . توفى ســنة ست وسبعين وستمائة .
طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٥ .

(٣) الأذكار ٤٠ وانظر ٦٨ ، ٦٩

(٤) أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى ، أحد أئمــة الدهر ، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر ، كما يقول تاج الدين السبكى . توفى سنة ثلاث وأربعمائة .
طبقات الشافعية الــكبرى ٣٣٣/٤ .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادى ، الأندلسى ، الإشبيلى ، لم يكن فى زمانه أحذق منه بصناعة الطب . أخذها عن أبيه ، وله شعر رقيق ، وموشحات انفرد فى عصره بإجادة نظمها ، توفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة.
معجم الأدباء ٢١٦/١٨ .

فقال : كَبَّرْتُ .

فلم يفهمْ جوابَه ، واستَبْرده .

فلم يفهم ابن زُهْر إنكارَه .

ثم قال : أقرأتَ شعر المتنبِّى ؟

قال : نعم ، وحفظتُه .

قال : أما سمعتَ قولَه [١] :

كبَّرتُ حــولَ ديارهمْ لمَّا بدَتْ تلك الشموسُ وليس فيها المشْرِقُ [٢]

فعلَى نفسِك فلْتُكبِّر ، ولِفهْمِك فاتَّهِمْ [٣] وأنْكِر .

فخجل ، واعتذَر .

أقول : هكذا فلْتكن مُحاوَرة الأدباء .

وأراد أبو الطَّيِّب بتكْبيره التَّعجُّبَ .

وقوله فى القصيدة [٤] : « أسد » إلخ ، فيه إيهامٌ بَديع ؛ فإن الثَّعلب طَرَفُ الرُّمحِ الداخل فى السِّنان ، والحيوان المعروف .

ومثله قول ابن السَّاعاتىّ [٥] :

ولو يمْلِكُ الملكُ الأهِـلَّةَ عنــده أبى فخرُها إلا نِعالًا لُجرْدِهِ [٦]

إذا مدَّ جيشاً للعــدوِّ تلاعبَتْ ثعالبُ أطرافِ الرِّماح بأُسْدِهِ

---

(١) ديوان أبى الطيب ٢١ .

(٢) فى الديوان : « منها الشموس » .

(٣) فى ا ، ب،ج : « اتهم » .

(٤) أى قصيدة المترجم السابقة . انظر صفحة ٤٥٣

(٥) على بن محمد ، المعروف بابن الساعاتى ، شاعر مجيد ، خراسانى الأصل ، دمشقى المولد والمنشأ ، قاهرى السكن والإقامة . توفى سنة أربع بعد الستمائة .

وفيات الأعيان ٣/٧٣ .

(٦) لم أجد البيتين فى ديوانه .

وقوله : « أو عدينى واكذبى » يقطر منه ماء اللطافة ، كقول مِهْيار [١] :

يا ماطِلِى بالدَّيْنِ ماساءنى إليك تَرْدادُ المواعِيدِ بى [٢]

إنْ كنتَ تُنْجِز ثم لا نلتقى فدُم على المَطْلِ وقُلْ واكْذِبِ [٣]

وللشريف الرَّضِىّ [٤] :

يُعجِبُنى مَطْلُ غَريمِ الهوَى اطُولِ تَرْدادِى إلى الماطلِ

ومثله حسَن كثير ، قديما وحديثا ، كقول الطُّغْرَائِىّ [٥] :

وتُعْجِبُنى المواعِدُ كاذباتٍ لتَرْدادِى إليه على المِطالِ

ولابن الفارض ، رضى الله عنه [٦] :

عِدِينى بوَصْلٍ وامْطُلى بنَجازِه فعنْدِى إذا صحَّ الهوَى حَسُنَ المَطْلُ

⁂

(١) ديوانه ٢/٧٦ ، من قصيدة يمدح بها الوزير ابا القاسم الحسين بن على المغربى .

(٢) فى الديوان : « إليك ترديد المواعيد بى » .

(٣) رواية الديوان :

إن كنتَ تقْضِى ثم لا نلْتقِى فدُمْ على المَطْلِ وعِدْ واكْذِبِ

(٤) ديوانه ٢/٧١٤ .

(٥) ديوانه ١٠٩ .

(٦) ديوانه ٢/١٥٦ .

٧٨

السيد حسين بن مُطهَّر اليَمَنِيّ *

رحمه الله تعالى

هذا أيضا من أشراف العصريِّين .

وقد أنشدنى له بعضُ أصحابنا شِعْراً يفوح منه عَرْفُ تِهامَة ونَجْد ، ويُترجِم عمَّا فيه من المجْد .

كقوله ، من قصيدة له :

مِن أين يَخْلُق وجدُك المُتجدِّدُ ... ويزول عنك حَنينُك المُتردِّدُ (١)

وقد استفزَّك بالرَّحيلِ مُودِّعٌ ... قالوا الرَّحيلُ غداً عدِمْتُكَ ياغَدُ

يانازِلينَ على العُذَيْبِ وثَهْمَدٍ ... بأبى وبى كيف العُذَيْبُ وثَهْمَدُ (٢)

أخُزامُه وبَشامُه وأراكُه ... خَضِرٌ على ماتعهَدون وأعْهَدُ

ومنها :

الحجُّ يُقصَد كلَّ عامٍ مرَّةً ... ولك العوالِمُ كلَّ حينٍ تقْصُدُ

(*) ترجمه الشهاب الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٩٩ ا ، وابن معصوم ، فى سلافة العصر ٤٤٩ .

(١) فى ا ، ب ، ج : « يخلق وجهك » .

(٢) العذيب : يخرج من قادسية الكوفة إليه ، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل ، وهى ستة أميال ؛ فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة . معجم البلدان ٣/٦٢٦ .

وثهمد : جبل أحمر فارد ، من أخيلة الحمى ، حوله أبارق كثيرة فى ديار غنى ، وقيل : ثهمد موضع فى ديار بنى عامر . معجم البلدان ١/٩٤٢ .

وهذا المعنى كثير مسبوق إليه ، كقول بعض العصريِّين :

كعبةٌ أُسِّستْ على الفضلِ لٰكن ... كلَّ حينٍ لهـا تحُجُّ الوُفودُ

وأصـله قول سعيد بن سلام ، وقد قال له بعض نُدمائِه فى بستان : ما أحسن هذا البستان !

فقـال له : أنت أحسنُ منـه ؛ لأنه يُؤْتِى أُكُلَه كلَّ عام ، وأنت تُؤْتِى أُكُلَكَ كلَّ حِين .

⁂

وممن قرُب عهدُه باليمن :

٧٩

عبد الهادى السودىّ *

صاحب « الديوان » المشهور

فاضلٌ جمع فى أغصانِ الألفاظ ثمارَ المعانِى ، وعارفٌ بالله جَناهُ فى كلِّ حينٍ دَانِى .

شيخُ الطَّريقة ، العابرُ من قنطرة المجاز إلى الحقيقة .

جمع مِن بضائِع الأدب ماراق صُنْعا ، وحسدَتهُ لرِقَّة نسْجِه بُرودُ صَنْعا .

ونسج من مُهَلْهَل الأشْعار فى السُّلوك ، ما كأنَّ قلمَه على مِنْوال طِرْسِه مَكُّوك .

وشعرُه مطْبوع ، وعلى أكُفِّ القبول مرفوع .

تلَذُّ به الأسماع ، وتطرَب على السَّماع .

وأكثرُه على لسان أهل[1] العِرْفان ، الذى هو للحَضْرة الإلٰهيَّة ترْجُمان .

كقوله :

كيف حارُوا فيكَ وَاعجَبــا ... يامُنَى سَمْعِى ويابصَرِى

أنتَ لا تخْفَى على أحــدٍ ... غــير أعْشَى الفكرِ والنَّظَرِ

حِــيرةٌ عمَّتْ فأىُّ فتًى ... رامَ عِرْفانًا ولم يَحَرِ

(*) عبد الهادى بن محمد السودى ، ثم الصنعانى ، الصوفى .

ولد سنة نيف وسبعين وثمانمائة ، ونشأ بصنعاء ، وقرأ بها الفقه وغيره ، ثم لحقته جذبة ، فخرج هائما من صنعاء ، وسكن تعز .

توفى سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة .

البدر الطالع ١/٤٠٨ ، والشعر كله فيه، وخبايا الزوايا لوحة ٩٩ ب. وفيها أيضا: «عبدالوهاب» وعلى هامش م : « قوله عبدالهادى فى نسخة عبد الوهاب » .

(١) ساقط من : ا ، ب ، ج .

وقوله من قصيدة :

عاذلِي في الحبِّ أو خطَرِهْ ... لستَ من ليـــلِي ولا سَمَرِهْ
أنا في وادٍ أظنُّك ما ... قِلْتَ في الأفْيــاءِ من شجَرِهْ
لا تُطِلْ فيـــــه المَلامَ إلى ... أن تذوقَ الحُـــلْوَ من ثَمَرِهِ
ياحُـــاولَ الشِّعْبِ من إضَمٍ ... أنْشِقونى النَّشْرَ من زَهَرِهْ [1]

وهذه على مِنْوال قصيدة أبي نُواس ، التى مطلعها [2] :

أيُّهـــا المُنْتـابُ من عُفُرِهْ ... لستَ من ليـلِي ولا سَمَرِهْ [3]
كَمُن الشَّنْآنُ فيـــــه لنــا ... كــكُمُونِ النَّارِ في شجَرِهْ [4]
لا أذُودُ الطيرَ عن شجَرٍ ... قـــد بلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِهْ

وهي طويلة (٥ في « ديوانه » ٥) .

⁂

وممن قرُب عهدُه أيضا :

---

(١) إضم : ماء يطأه الطريق بين مكة والمدينة . معجم البلدان ١/٣٠٥ .

(٢) ديوان أبي نواس ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) العفر : البعد وطول العهد .

(٤) سقط هذا البيت والذى يليـه من : ا . وفى الديوان : « كــكمون النـار فى حجره » ، وانظر التعليق على هذا البيت فى هوامش الديوان .

(٥) ساقط من : ا ، ب ، ج .

٨٠

إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن محمد بن يوسف بن عمر بن عليّ العَلَوى الزَّبِيدىّ
الشَّافعىّ من ذريّة اليمنيّ*

شارح « الكشاف ».

أغرُّ يَمانِى ، منه [١] تجْتنَى ثمار [١] الأمانى .

سحابُ فضله أوْطفُ [٢] الأهْداب ، أخصبَتْ به رياضُ المعانى والآداب .

نَقَّابٌ [٣] مُحدِّث تنمُّ أفكارُه على أسرار الغيوب ،وربيعٌ مَرِيع إذا أنبتَ الربيعُ البَقْلَ أنبت رَيْحانَ القلوب .

ولد بزَبِيد ، وبيت شرفه فيها [٤] مَشِيد .

ولدتْ به أمُّ السِّيادةِ أوْحدًا ⁂ مُتضمِّناً معنى العَديدِ الأكْثرِ [٥]

وللدهر فيه عِداتٌ لا تَعرِف المَطْل ، ومُقدِّمات مُرتَّبةٌ لِنتائج الفضْل .

حتى ظهرتْ له اليدُ البيضاء فى الفنون العقليَّة والنَّقليّة ، لا سيَّما ماأبدعه فى « شرح الجامع الصغير » من دقائق العربية .

فكم شفَى أفهاماً مِراضا قلوبُها ، ولا يعرف الأدْواءَ إلا طبيبُها .

كما قال تلميذه الصَّدرُ فيه من قصيدة :

وإن تكن للنحوِ أصْلًا فلا ⁂ غَرْوَ فإسماعيلُ أصلُ العربِ

(*) ترجمه الشهاب الخفاجى أيضا ، فى خبايا الزوايا لوحة ١٠٠ ا .

(١) فى ا ، ب ، ج : « يجنى ثمر » .

(٢) أوطف : منهمر .

(٣) ساقط من : ا ، ب .

(٤) ساقط من : ا .

(٥) سقط هذا البيت من : ا ، ب ، ج .

مع شرَف الحَسب ، وعُلوِّ شجرةِ النَّسَب .

فهو مُكرَّم مُفضَّل ، مُعَم[1] مُخْوَل .

والفَخار فنون ، كما أن الحديثَ عنه شُجون ، والأخبارُ الصادقة على محاسنه عُيون .

وقد رأيتُ من آثاره أبْكارَ عرائس ، وحُوراً مَقْصُوراتٍ فى خِيام الأفكار أوانِس .

لا ترْتَضِى الثُّريَّا عِقْداً والزُّهَرةَ قُرْطاً ، ولا تَلْبَسُ المجرَّة رداءً ومِرْطا[2] .

كـ « شرح الجامع الصغير » ، و « تعريف البيان ، فى شرحِ لَقْطة العَجْلان » ، للزَّرْكَشِى[3] فى المنطق والأصلَيْن والجدَل .

وهو كما قال فيه نَسيبهُ الفاضل عفيف الدين :

ياسائلِى جَهْلًا عن اُسماعيلَ عَن ... مِقْدارِ رُتْبتِه ورِفْعةِ شانِهِ

أنصِتْ تجدْ تعْريفَه وبيانَهُ ... كافِيكَ عن تعْريفِه وبيانِهِ

أولا فعُذرُكَ فيهُ عُذْرٌ واضِحٌ ... والشىءُ قد يخْفَى لبُعْدِ مَكانِهِ

ولشُعراء عصره فيه مدائح كثيرة ، كقول عامر بن هارون المَوْزَعِىّ[4] :

رَأَوْكَ فضَلْتَهمْ أدباً وسَمْتاً ... فنالوا منك عُدواناً وبهْتاً

وراموا النَّقصَ منكَ فأكْذَبتْهُمْ ... ظُنونُهمُ وعاد الذمُّ نَعْتاً

حَماهُمْ نجمُ سعدِكَ أن يحُلُّوا ... مَحلَّكَ أو يحُوموا حيثُ حُمْتاً

تَصرَّفْ ياابنَ إبراهيم فيما ... حوَيْتَ من المعارفِ حيث شِئْتَا

---

(١) فى ا ، ب ، ج : « منعم » ، والمثبت فى : م ، والمعم : الكريم الأعمام ، وكذلك المخول .

(٢) فى م : « ولا مرطا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ج .

(٣) أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى ، من فقهاء الشافعية ، له تصانيف فى فنون عدة ، منها « لقطة العجلان » المذكور . توفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، كشف الظنون ٢/١٥٥٩ ، واسم الكتاب فيه : « لقطة العجلان » .

(٤) نسبة إلى موزع ، موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن ، معجم البلدان ٤/٦٨٠ .

وكيف يسومُك الحسَّادُ خسْفاً ... وأنت أجلُّهم حظًّا وبَختا

وأبرعُ مَن تلفَّتت المعالى ... إليه ومَن برَى قلماً وأفتَى

وقد ناديتُ لما سِرْت ربِّى ... بما ناداه ذُو النُّونِ بنُ مَتَّى(١)

بأن يكفيكَ عاديةَ الليالى ... وتصْحبَك السَّلامةُ حيث كُنْتَا

وقد أُوتيتُ سُؤْلِى فيك إذْ لمْ ... تزلْ فوقاً ومَن عاداك تحتَا

فدُونكها عروساً من صديقٍ ... تمُتُّ بصُحْبةِ الآباءِ مَتًّا

وخُذْها غضَّةً من منطقٍ لا ... بألثغَ لا يَبِينُ ولا أرتَّا(٢)

ربطتُ بها معالى الشمس قَسْراً ... وقوَّمْتُ القوافى فيك نَحْتَا

يودُّ البدرُ لو ترْضَى به أن ... يكون لها أخاً والشمسُ أُخْتَا

وقد حاز قدراً عاليا ووَجاهة ، ونشَر من الفضل ما أيَّد اللهُ به عِزَّهُ وجاهَه . مع زُهد ليس طَرفُه لزُخرُف الدُّنيا بِرانى ، ولا بِدْع فالحكمةُ يمانية والإيمان يمانِى .

روَّح الله رُوحَه ، وزاد من نعيم الجنانِ فُتُوحَه .

آخر الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى ، وأوله :

القسم الثالث

فى مصر وأحوالها ، وسبب العود لرسومها وأطلالها

---

(١) يعني يونس عليه السلام . وهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء ٨٧ .

(٢) الأرت : ما كان فى لسانه عجمة .

فهرس

تراجم الجزء الأول

بيان

توالى دار إحياء الكتب العربية نشر التراث الأدبى فى القرن الحادى عشر الهجرى ، بتحقيق :

عبد الفتاح محمد الحلو

فتصدر ، إن شاء الله ، على التوالى :

١ — ريحانة الألبا ، للخفاجى .

٢ — نفحة الريحانة ، للمحبى .

٣ — سلافة العصر ، لابن معصوم .